

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 قالمة



الكلية : كلية الآداب واللغات
القسم : اللغة والأدب العربي

أطروحة

لنيل شهادة الدكتوراه علوم

الشعبة : اللغة والأدب العربي

من إعداد:

وهاب داودي

بعنوان

الوظائف النصية للنظام اللغوي في الخطاب الشعري
" قراءة في آية السيف " للغماري أنموذجا

أمام لجنة المناقشة المكونة من:

بتاريخ: 17 - 12 - 2018

الاسم واللقب	الرتبة	بجامعة	مناصب
السيد بلقاسم بلعرج	أستاذ التعليم العالي	بجامعة قالمة	رئيسا
السيد رشيد شعلال	أستاذ التعليم العالي	بجامعة عنابة	مشرفا
السيد بوزيد ساسي هادف	أستاذ التعليم العالي	بجامعة قالمة	ممتحنا
السيد العياشي عميار	أستاذ محاضر " أ "	بجامعة قالمة	ممتحنا
السيد موسى شروانة	أستاذ التعليم العالي	بجامعة قسنطينة 1	ممتحنا
السيد صالح خديش	أستاذ التعليم العالي	بجامعة خنشلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2018 - 2019

المقدمة

عرفت المناهج الحديثة التي تستند إلى الدرس اللساني حركة ونشاطا دائمين ، وظل النص الأدبي حقلًا خصبا لهذه المناهج . وقد تناولت هذه المناهج اللسانية بالدراسة الوحدات اللغوية وتعالقها في التراكيب ، فالدراسة الدلالية التي تهدف إلى إبراز المعنى فيما بين تراكيب النص ، وصولا إلى الدراسة التداولية التي تهدف إلى الاهتمام بقصدية المتكلم وكذا الظروف المحيطة بإنتاج النص وتلقيه .

وحتى يتسم النص الأدبي بوظيفته الجمالية ، يجب النظر إليه من خلال هذه الزوايا ولاسيما الأخيرة منها التي تربطه بسياقه المقامي ، فيتمكن المتلقي من إبراز دلالاته العميقة . في ظل هذه المقاربة يتوجه هذا البحث إلى استغلال ما تقدمه اللسانيات التداولية من مبادئ واقتراحات لدراسة الخطاب الشعري عند الغماري في ديوانه " قراءة في آية السيف " لاستخلاص الدلالات الكامنة في النص وفي عناصر السياق المحيطة به ، وكذا الوقوف على ذات صاحبه وأثره في متلقيه . من أجل ذلك كان موضوع هذا البحث " الوظائف النصية للنظام اللغوي في الخطاب الشعري " قراءة في آية السيف للغماري أنموذجا .

وقد دعيتي للكتابة في هذا الموضوع الأسباب الآتية :

- ميلي إلى الدراسة اللغوية ، وممارستها على النص الأدبي - شعرا أم نثرا - مع يقيني أنّ دراسة الشعر دراسة تداولية " مغامرة " قد تُفقد صاحبها جادة الصواب ؛ لأنها تستند إلى منظومة معرفية كاملة من المناهج .

- إضافة إلى اطلاعي على كتاب الطاهر يحيى " البعد الفني عند الشاعر مصطفى الغماري " وعبد الهادي بن ظافر الشهري " استراتيجيات الخطاب " وكتاب محمود عكاشة " تحليل الخطاب السياسي " .

- يُضاف إلى ذلك جدّة المدونة ، فأشعار مصطفى الغماري تُعدّ مادة خامة جديدة بالدراسة والتحليل من منظور اللسانيات التداولية ، إذ الدراسة التداولية تُعدّ تناولا جديدا في مجال الدراسات اللسانية .

- حرصي على إبراز أصالة الشعر الجزائري - خاصة أشعار مصطفى الغماري - بما يعبر عن هويته الثقافية في عمقها العربي الإسلامي ، وفي بُعدها الإنساني .

لا نزعم التجديد في مجال الدراسات اللسانية التداولية ، ولكننا وجدنا ما تم إنجازه - في هذا المجال - لا يختلف كثيرا عما يدخل في إطار تحليل الخطاب والدراسات البنوية اللسانية ، وبين هذا النوع من الدراسة الذي يتخذ منحى إجرائيا في تعامله مع اللغة معرفيا من جهة ولتأسيسه النوعي على المظاهر التشكيلية للمكونات الخطابية ، والتي يمكن اتخاذها آليات للتحليل ، هذه الآليات التي تتعامل مع النص وهو في إطار حركة ، بخلاف تحليل الخطاب والدراسات اللسانية السابقة التي كانت تتعامل مع اللغة معزولة عن سياقاتها التداولية .

وأعتقد أن الدراسات التي تناولت موضوع الوظائف النصية للنظام اللغوي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر عند مصطفى الغماري على النحو الذي تعتمده في هذا البحث قليلة باستثناء مجموعة من الأبحاث نجملها في ما يأتي :

- الألفاظ الدينية والسياسية في شعر مصطفى الغماري دراسة دلالية في أسرار الغربة وبوح في موسم الأسرار ، يحيى دعاس .

- جماليات التناس في شعر مصطفى الغماري لحياة مستاري ، وهي أطروحة دكتوراه تناولت ظاهرة التناس في أشعار الغماري .

- مسار الرمز وتطوره في الشعر الجزائري الحديث (1962 - 2004) دراسة تحليلية فنية لمجيد قري ، وهي كذلك أطروحة دكتوراه بحث فيها صاحبها فكرة الرمز في الشعر الجزائري الحديث ، وقد كان الغماري أحد شعراء هذه الفترة .

- البنية الإيقاعية في ديوان " أغنيات الورد والنار " لمصطفى محمد الغماري لعلي عامر ، وهي رسالة ماجستير .

وعلى ذلك يظل ديوان " قراءة في آية السيف " جديرا بالدراسة والتحليل خاصة من الناحية الوظيفية التي تُعنى بالنص الشعري نصيًا وخطابيا .

ويتجه منهجنا من الناحية المنهجية إلى تحديد آليات الدراسة من خلال النص في حد ذاته مما يعني أن المنهج وصفي تتحدد معالمه بحسب طبيعة الظاهرة موضوع الدراسة ومستلزماتها . ارتكز البحث في مدخله التأسيسي على المنهج التاريخي حيث استند إليه في عرض الأساس النظري للوظائف النصية من حيث نشأة الدرس التداولي ودور الوظيفية في تشكيل النظام اللغوي ، إلى جانب المنهج الوصفي والمنهج الأساس للبحث ، وهو المنهج التداولي الذي يبحث في الوظائف التداولية للخطاب الشعري عند الغماري ؛ ليتسع هذا المنهج فيما بعد ليشمل كلّ ما يمكن أن يستتق جماليات النص الشعري كالمنهج الإحصائي الذي استندت عليه الدراسة في بعض جوانبها للوقوف على تواتر بعض الظواهر في الديوان ، وإلى ذلك بعض الآليات النفسية التي اعتمدها في تحليل بعض الظواهر الشعرية وربطها بالحالة النفسية للشاعر .

ولقد استقى هذا البحث مادته من مراجع ومصادر متنوعة بدءا بديوان " قراءة في آية السيف " لمصطفى الغماري و" استراتيجيات الخطاب " لعبد الهادي بن ظافر الشهري ، و" لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب " لذهبية حمو الحاج و" لسانيات الخطاب : الأسلوبية والتلفظ والتداولية " لصابر الحباشة ، وغيرها من المؤلفات .

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق أهداف تطبيقية تتمثل في :

- أن تضع منهجا نقديا يعمل على تحديد الدلالة وفهم تحولاتها وتغيّراتها .
- أن ينطلق من العناصر النحوية والتركيبية في النص للوصول إلى دراسة المعنى والسياق .
- أن يُسهم في تأسيس درس تداولي عربي انطلاقا من التراث العربي .
- أن تتوجه الدراسة اللسانية إلى المنحى التداولي لما له من إجراءات تكشف عن قيم النص المختلفة .

ونظرا لما تتمتع به المدونة الشعرية لمصطفى الغماري من عناصر دلالية وتداولية ممتلئة في أفعال لغوية وغير لغوية وسائل إقناع متنوعة ، جاء طرح الإشكالية الأساسية الآتية :

ما هي الآليات اللغوية والبلاغية والنصيّة والتداولية التي تُترجم البُعد الوظيفي للغة في الخطاب الشعري عند مصطفى الغماري ؟

وإلى ذلك يمكن صياغة الأسئلة الفرعية الآتية :

- أيمكن إدخال دراسة المعنى في حقل الدراسات اللغوية الحديثة بشكل عام ؟
- وإذا كان ذلك ممكنا ، فهل بالإمكان تجاوز السياق في هذه الدراسات ؟
- وهل تُعدّ الدراسة النحوية (النظام الشكلي المجرد للغة) والتداولية (دراسة اللغة على أساس التداول والتخاطب) حقلين متكاملين في الدراسة اللغوية ؟
- ثم كيف يمكن نقل آليات التحليل التداولي من المستوى اللساني المجرد إلى الخطاب الشعري ؟
- وما هي الاستراتيجيات الخطابية المتبعة عند الغماري للتأثير في متلقيه ؟
- وهل يمكن لاستخدام التداولية في مقارنة الخطاب الشعري أن يُجيب عن أسئلة من قبيل : مَنْ يتكلم ؟ وَمَنْ يُكلم ؟ وكيف يتكلم ؟ وماذا يريد أن يقول المتكلم ؟

وعليه فُسِّم هذا البحث الموسوم بـ " الوظائف النصية للنظام اللغوي في الخطاب الشعري

قراءة في آية السيف للغماري أنموذجا " إلى سبعة فصول مسبقة بمقدمة ، ومذيلة بخاتمة .

يتضمن الفصل الأول إطارا نظريا يُقدّم إحاطة عن المنظومة المعرفية للدرس التداولي بهدف إحكام طيفه النظري من خلال مرجعياته المتمثلة أساسا في الفلسفة التحليلية والسيمايا ، والحقول اللغوية ، إضافة إلى علم الاجتماع . وهذه العلوم وإن اختلفت إلا أنّها تتفق على أنّ اللغة نشاط يمارس ضمن سياق متعدد الأبعاد .

وقد ضم الفصل ثلاثة مباحث :

تناول **المبحث الأول** الموسوم بالتداولية من الفلسفة إلى السانيات ، البحث في نشأة التداولية ،

باختلاف نظرة الباحثين إليها مفهوما ومنهجيا ، مع كلّ من شارل موريس ولودفيغ فتغنشتاين وجون أوستين ثم جون سيرل وبول غرايس .

وتطرق **المبحث الثاني** إلى الوظيفية ودورها في تشكّل النظام اللغوي انطلاقا من مرحلة الداليات (

الوصفية البنيوية) إلى مرحلة الداليات (التوليدية التحويلية) فمرحلة التداوليات (الوظيفية التداولية

.)

وقد بحث **المبحث الثالث** التحليل اللساني من البنية إلى النص ليرز علاقة التداولية بالعلوم الأخرى ، من أهمها : البلاغة والدلالة ، وتحليل الخطاب والنحو الوظيفي ؛ إذ تتقاسم هذه العلوم مع التداولية إشكالية البحث عن المعنى اللغوي .

أما الفصل الثاني : الموسوم بـ : **السياق ودوره في تشكل الدلالات** ، فقد عرضنا فيه لمفهوم السياق عند كل من فيرث وفرانسواز أرمينكو وفان ديك ، وأنواع السياق ممثلة في السياق اللغوي وغير اللغوي والثقافي . ثم تجليات السياق في الديوان . كما تطرقنا فيه إلى الحوافز الخارج نصية والتي تتمثل في وظائف العنوان وفضاء العنوان الخارجي في الديوان .

أما الفصل الثالث : المعنون بـ : **استراتيجيات النص الشعري** ، فتناول مفهوم الاستراتيجية واستراتيجية الخطاب ثم عرض استراتيجيات الخطاب في " قراءة في آية السيف " ممثلة في الاستراتيجية التضامنية ووسائل التضامن اللغوية (اسم العلم والإشارات وألفاظ الصداقة والأخوة وآلية المكاشفة والإعجاب) ، والاستراتيجية التوجيهية معتمدة على صيغ التوجيه اللغوية كالأمر والنهي ، والاستراتيجية التلميحية التي تعتمد الوسائل اللغوية والبلاغية للتلميح كالكناية والاستعارة والتشبيه والتعريض والسخرية .

وأما الفصل الرابع فقد عُنون بـ : **القصدية في الخطاب** ، وتناول مفهوم القصدية وأنواع المقاصد التي تمحورت حول المقاصد المباشرة والمقاصد المقنّعة . وقد ركزنا فيها على المقاصد غير المباشرة للخبر والإنشاء في الديوان .

وأما الفصل الخامس المعنون بـ : **الوظائف اللسانية** ، فقد تطرقنا فيه إلى تماسك النص الشعري من خلال مبحثين ، يدور **المبحث الأول** حول الارتباط اللفظي وذلك بالربط المعجمي من خلال آليتي التكرار والتضام ، والارتباط النحوي ممثلا في الربط بالأدوات ، والربط بالإحالة ممثلة في الضمير والإشارة والموصول ، ثم الربط بالحذف . ويدور **المبحث الثاني** حول الارتباط المعنوي من خلال التلازم والإضافة والتعدية والتمكين والسببية .

وأما الفصل السادس الموسوم بـ : **تناصية الخطاب الشعري** فقد كان في مبحثين : **الأول** نظري يدور حول مفهوم التناص في الثقافة الغربية عند ميخائيل باختين وجوليا كريستيفا ورولان باررت وغيرهم ، ومفهوم التناص في الثقافة العربية مع محمد مفتاح ومحمد بنيس وسعيد يقطين وصلاح فضل وعبد الله الغدّامي وتحليل الموسى . ثم عرضنا إلى أنواع التناص وتقنياته . **أما المبحث**

الثاني فتطبيقي استجلبنا فيه مصادر التناص عند الغماري ممثلة في التناص الديني مع القرآن الكريم والحديث الشريف والتناص الصوفي ، ثم التناص التراثي من خلال التناص الأدبي والتاريخي وكذلك التناص مع التراث الشعبي والأسطوري .

وأما الفصل السابع الموسوم بـ : التشكيل الجمالي للخطاب الشعري فكان في مباحث ثلاثة : الأول يدور حول الوظائف الجمالية للتراكيب النحوية من خلال مخالفة المعيار ممثلا في التقديم والتأخير . والثاني يتناول الوظائف الجمالية للتشكيل الصوقي وقد انصب على تحديد مفهوم الإيقاع ووظيفته البنائية والدلالية مع الاهتمام بعناصر الإيقاع الداخلي متمثلة في التكرار والتجنيس والتوازي . والثالث حول الوظائف الجمالية للتشكيل البياني .

وقد ختمنا هذه الدراسة باستعراض النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة التطبيقية .

أما الصعاب التي اعترضت هذا البحث فهي لم تختلف عما عُرف عند الباحثين ، ولعلّ أبرزها قلة الدراسات التطبيقية المتعلقة بالدراسة التداولية خاصة على النصوص الشعرية ، إضافة إلى اتساع مجال التداولية وملاسته لعلوم كثيرة مما يجعل الإحاطة به صعبة .

ولا يفوتنا في آخر المطاف أن ننوّه بتوجيهات الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور " رشيد شعلال " الذي كان له الفضل في ميلاد فكرة البحث ورعايته وتقويمه بالقراءة الدائمة إلى أن بلغ تمامه ، ولا يسعنا إلا أن نحمد الله تعالى لإتمام هذا العمل المتواضع ، وأن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي المشرف على صبره الجميل ، ورحابة صدره ، فجزاه الله خيرا على كرم جهده وعمله .

وما توفيقني إلا بالله

الفصل الأول

الأساس النظري
لوظائف النصية

المبحث الأول

التداوية من الفلسفة
إلى اللسانيات

تعدّ التداولية منهجا في دراسة اللغة له أسسه ومفاهيمه ، ظهر على الساحة اللسانية " بعد انحسار الاتجاه الشكلي الذي يهتم بالنظام اللغوي ذاته " (1) ، هذا الاتجاه الذي أبعده المعنى من الدراسة اللسانية باعتبار المعنى خارج هذا النظام " بدعوى دراسته لا تكون دراسة موضوعية " (2) لذلك فقد أقصته من الدراسة ، ليعود المعنى ليُطرح من جديد في سياق مقاربات (3) تميزت " بكونها تتفق في النظر إلى النص على أنه عمل مفتوح ، غير معزول عما يحيط به من ظروف إنتاجه " (3) أبرز هذه المقاربات " المقاربة التداولية " التي جاءت " كردة فعل على معالجة تشومسكي للغة بوصفها شيئا تجريديا " (4) فهو يُعامل اللغة على أنها قدرة ذهنية يمكن فصلها عن استخدام اللغة ومستخدمها ووظائفها ، لذلك جعلت التداولية من المقصد والمقام " قاعدة متينة في مقارنة الخطابات المختلفة " (5) هذا ما جعل " ستيفن ليفنسون stephen levinson " يقول : " إن أحد الدوافع القوية العامة على الاهتمام بالتداولية هو ازدياد إدراكنا بوجود فجوة كبيرة جدا بين نظريات اللغة الراهنة في علم الألسنة وتفسيرات التواصل اللغوي ، إذ يتضح لنا باطراد أن النظرية الدلالية semantic وحدها لا تستطيع أن تقدم لنا إلا جزءا (وقد يكون ذلك جزءا ضئيلا ، رغم أنه أساسي) من التفسير العام لتفهم اللغة " (6)

فبعد أن كانت التداولية " سلة مهملات على حد عبارة " بار هيلال " توضع فيها المسائل التي

- 1- معاذ بن سليمان الدخيل ، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية مقارنة تداولية ، نادي القصيم الأدبي ، دار محمد علي للنشر ، ط 1 ، 2014 ، ص 9 . وينظر : نعمان بوقرة ، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل قراءة نصية تداولية حجاجية ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط 1 ، 2012 ، ص 67 .
- 2 - صابر الحباشة ، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني ، صفحات للدراسات والنشر ، سوريا ، ط 1 ، 2001 ، ص 154 .
- * من هذه المقاربات : السميولوجية والأسلوبية والوظيفية والتداولية .
- 3 - نوارى سعودي أبو زيد ، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء ، بيت الحكمة ، العلمة ، الجزائر ، ط 1 ، 2009 ، ص 16 . يقول الغدامي في هذا المقام : " ونحن إذا حاولنا - اليوم - قراءة الشعر قراءة " سيميولوجية " فإننا نهدف إلى تحرير النص من قيوده المفروضة عليه . وهذه العملية تكرارية يحدثها الشاعر أولا بأن يحرر الكلمات من قيودها " . ينظر : عبد الله الغدامي ، تشريح النص مقارنة تشريحية لنصوص شعرية معاصرة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 2 ، 2006 ، ص 18 .
- 4 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط 1 ، 2004 ، ص 21 .
- 5 - نوارى سعودي أبو زيد ، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء ، ص 16 .
- 6 - محمد عناني ، المصطلحات الأدبية الحديثة ، دراسة ومعجم إنجليزي - عربي ، الشركة المصرية العالمية للنشر - لوجمان ، القاهرة ، ط 3 ، 2003 ، ص 77 من المعجم .

يستعصي حلّها في النحو والدلالة " (1) أصبحت علما توصليا يُعالج كثيرا من ظواهر اللغة ويصف استعمال المتكلمين للأدلة اللغوية بهدف التأثير في الآخرين ، وتحقيق مقاصدهم التواصلية . (2) وقد أسهمت جملة من العلوم في تشكّل الاتجاه التداولي كعلم الاجتماع ، والدراسات اللغوية ، والبلاغة والمنطق والفلسفة التحليلية ، وعلم الدلالة ، وعلم اللغة الاجتماعي ، وعلم لغة النفس (3) وغيرها من الحقول المعرفية .

ولا أحد ينكر أن " البحث التداولي وليد الثقافة الأنجلوسكسونية ، وقد تطورت في الولايات المتحدة وإنجلترا بسبب الدور الذي لعبته الاتجاهات التحليلية في الفلسفة من جهة ، ومن جهة أخرى بسبب ما خلفته النظرية التوليدية في نموذجها الأول من مشاكل (إخفاق) نتيجة تمسكها باستقلالية التركيب *l'autonomie de la syntaxe* ، مما أدى للتفكير بجد في البعدين الدلالي *sémantique* ، ثم التداولي *pragmatique* " . (4)

لذلك يرى ليتش " أن في المنهج التداولي حلا لبعض هذه المشكلات " (5) إذ يقول : " لا نستطيع حقيقة فهم طبيعة اللغة ذاتها إلا إذا فهمنا التداولية " . (6)

فالتداولية " اتجاه ذو أبعاد ومنطلقات مختلفة ، والجامع بين هذه المنطلقات والنظريات دراسة اللغة في حال استعمالها في مقامات مختلفة " (7) ، فهي أحدث فروع العلوم اللغوية التي تعني بتحليل

1 - صابر الحباشة ، التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، صفحات للدراسات والنشر ، سورية ، ط 1 ، 2008 ، ص 23 .
2 - ينظر : رشيد بن مالك ، السيميائية والتداولية ، مجلة اللغة والأدب ، جامعة الجزائر ، العدد 17 ، جانفي 2007 ، ص 204 .

3 - معاذ بن سليمان الدخيل ، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية ، ص 19 - 63 . وينظر : حافظ إسماعيل إسماعيلي علوي ، التداوليات علم استعمال اللغة ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط 1 ، 2011 ، ص 1 . وفرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية ، تر : سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، لبنان ، 1986 ، ص 95 .

4 - إدريس مقبول ، البعد التداولي عند سيبويه ، مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد 11 ، المجلد 33 ، يوليو - سبتمبر 2004 ، ص 245 .

5 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، ص 24 .

6 - عادل التامري ، التداولية ظهورها وتطورها

<http://elaph.com/ElaphWeb/AsdaElaph/2006/4/144566.htm>

7 - معاذ بن سليمان الدخيل ، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية ، ص 20 .
* فالتداولية تحاول أن تجيب عن أسئلة من قبيل : ماذا نعمل عندما نتكلم ؟ ماذا نقول تحديدا ؟ من يتكلم ؟ ومن يخاطب ؟ ولماذا يتكلم على هذا النحو ؟ ما هي أوجه استخدام اللغة الممكنة ؟ ينظر : حافظ إسماعيل إسماعيلي علوي ، التداوليات علم استعمال اللغة ، ص 2 . وحفناوي بعلي ، التداولية .. البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة ، مجلة اللغة والأدب ،

" عمليات الكلام بصفة خاصة ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام ". (1)

تهتم التداولية بكل أشكال التفاعل الاجتماعي ، والتفاعل التخاطبي (*) لذلك ترسخ في الحقل المعرفية ، شيئاً فشيئاً ، النظر إلى اللغة بوصفها أداة للتواصل والتفاعل الاجتماعي ، فأصبح الاهتمام بها يشكل القاسم المشترك بين تيارات فلسفية مختلفة ، ما جعل ميرلوبونتي يعتبر اللغة لبّ الدراسات الفلسفية . (2)

شهدت دراسة اللغة تطوراً في المناهج المختلفة (*) ، إذ انتقلت " من علم اللغة الذي يكاد يُخلص للنظام اللغوي (من سوسير إلى تشومسكي) إلى علم لغة يُركّز على التوجه الاتصالي والوظيفي ". (3) ولفهم حقيقة هذه اللغة تدعو التداولية إلى الاهتمام بالجوانب التي أهملتها اللسانيات خاصة ما تعلق منها بالجانب الاتصالي ممثلاً في علاقة اللغة بمستخدميها والعناصر الفاعلة في عملية الإبلاغ (**). بالتركيز على اللغة " في استعمال المتكلمين لها ، ووصف شروط التبليغ والتواصل التي تحكم هؤلاء المتكلمين ومقاصدهم من وراء استعمال السياقات اللغوية والمقامات الممكنة التي ينجز ضمنها مواقف

جامعة الجزائر ، العدد 17 ، جانفي 2006 ، ص 50 - 51 . وعلي آيت أوشان ، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ط 1 ، 2000 ، ص 56 - 57 .

1 - صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، أغسطس ، 1992 ، ص 20 .

2 - ينظر : محمد مهران رشوان ، دراسات في فلسفة اللغة ، دراقباء للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، 1998 ، ص 101 .
* من أهم عوامل هذا التحول :

- تعدد الحاجات والمصالح الاجتماعية ، مما دعا إلى ضرورة تحديد دور علم اللغة في المجتمع .
- ظهور مشكلات جديدة في الممارسة اللغوية تحتاج إلى معالجة تتجاوز الإخلاص للنظام اللغوي .

ينظر : فولفجانج هانبيه وديتر فيهتيجر ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، تر : فالخ بن شبيب العجمي ، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية ، 1999 ، ص 10 .

3 - خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، العلمة ، الجزائر ، ط 1 ، 2009 ، ص 44 - 45 .

** ذلك ما يتوافق مع الوجوه المتعددة التي يقترحها " ليفنسون " لتعريف التداولية ، والتي منها :

- " ما دام التركيب دراسة للخصائص التأليفية بين الكلمات ، والدلالة بحث في المعنى وما يعكسه من أشياء (ملموسة أو مجردة) فإن التداولية دراسة الاستعمال اللغوي language usage الذي يقوم به أشخاص لهم معارف خاصة ووضعية اجتماعية معينة . "

- والتداولية " دراسة اللغة في إطارها الوظيفي أو من وجهتها الوظيفية وهذا يعني شرح وفهم البيانات اللغوية بالاعتماد على علل واستدلالات غير لغوية ... "

ينظر : إدريس مقبول ، الأسس الإستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه ، جدارا للكتاب العالمي ، عمان ، الأردن ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط 1 ، 2006 ، ص 264 . يمكن تحديد العناصر الفاعلة في عملية التواصل ، وهي : أطراف التخاطب ، والمقاصد ، والسياق ، والمقام .

التواصل " (1).

تستند التداولية في نشأتها إلى مصادر عدة توزعت بين الفلسفة والمنطق ، وبعض النظريات اللسانية الحديثة ، فقد شهدت تطورات متلاحقة ، أسهمت في تطورها اتجاهات متعددة .(*)
تمتد التداولية بجذورها إلى مشروع شارل بيرس وبعض فلاسفة اللغة ، أمثال موريس وفنتغشتاين وكارناب وأوستين وغيرهم .

فإذا كان البحث في التداولية عند موريس " لم يتجاوز تحديد أهدافها الوصفية ، فإن رواد الفلسفة التحليلية حددوها كدراسة تهتم بالأفعال اللغوية مركزين بذلك على الجانب الاستعمالي لإثبات خطابية اللغة " (2).

1- شارل موريس :

لقد كانت التداولية في بداية أمرها فرعاً من الفروع الثلاثة المكونة للسميولوجيا التي تركز على ثلاثة مكونات ، هي : علم التركيب وعلم الدلالة والتداولية .(3)

فعلم التركيب (النحو) يدرس علاقة العلامات فيما بينها . ويدرس علم الدلالة مجموع العلاقات القائمة بين المعاني والأشياء .(**) في حين تُعنى التداولية " بعلاقات العلامة اللغوية

1 - عبد القادر عواد ، آليات التداولية في الخطاب الأدبي أمودجا ، مجلة علامات ، ج 74 ، مج 19 ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، يولييه 2001 ، ص 44 .

* ينظر : جاك موشلر وآن ريبول ، القاموس الموسوعي للتداولية ، تر : مجموعة من الأساتذة والباحثين ، المركز الوطني للترجمة ، منشورات دار سيناترا ، تونس ، 2010 ، ص 21 - 22 .

2 - عبد السلام إسماعيلي علوي ، ما التداوليات ؟ ضمن كتاب " التداوليات علم استعمال اللغة " ، إعداد وتقديم : حافظ إسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، 2011 ، ص 20 .

3 - ينظر : عيد بلبع ، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة ، بلنسية للنشر والتوزيع ، مصر ، ط 1 ، 2009 ، ص 137 . وفرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية ، ص 8 . وجورج يول ، التداولية ، تر : قصي العتايي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2010 ، ص 20 . وآن ريبول وجاك موشلر ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، تر : سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني ، المنظمة العربية للترجمة ، لبنان ، ط 1 ، 2003 ، ص 29 .

** يشير فان دايك في كتابه " النص والسياق " إلى العلاقة القائمة بين المجال النحوي والمجال الدلالي فيقول : " إن صياغة القواعد التداولية من علم النحو تعني أن مثل هذا النحو ينبغي أن يفسر ليس فقط القدرة على تركيب العبارات " الصحيحة " بل القدرة على استخدام مثل هذه العبارات في بعض المواقف التواصلية استخداماً مطابقاً . وتسمى القدرة الأخيرة " الكفاءة التواصلية " . ينظر : فان دايك ، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، تر : عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2000 ، ص 32 ، الهامش (4) .

بمستخدميها".⁽¹⁾ وهو تقسيم شارل موريس الثلاثي للعلاقات في العلامة اللسانية إذ يرى أن الأخيرة (العلامة اللسانية) "لا يمكن أن تتحدد إلا بمقتضى استعمالها منتظمة مع علامات أخرى، يستعملها أفراد بينهم مواضع اجتماعية لكيفية اشتغال اللغة تصل بهم إلى فهم الأقوال على الوجه الصحيح".⁽²⁾

ولما كانت التداولية تهتم بالاستعمال اللغوي فإن ذلك لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال عنايتها بالموضوعات الآتية:⁽³⁾

- وصف المكونات التخاطبية في تعالقيها ببعضها قصد تحقيق أغراض تبليغية معينة .
 - تحليل كيفية قيام الاستدلال المنطقي واللساني في العملية الكلامية بين شخصين أو مجموعة من الأشخاص .
 - تحديد وتمييز أفضل أنواع الاتصال ، وإبراز كفاءة النماذج الكلامية القائمة على الاستدلال أو الترميز .^(*)
 - دراسة المعنى في صلته بظروف الكلام (المتخاطبين وسياق الملفوظ وأهداف الملفوظ) .
- فقد كانت رؤية موريس السيميائية مغايرة لرؤية دي سوسير ، حيث يتدارك موريس النقص فيما ذهب إليه سوسير ليؤسس ثلاثة أجزاء من السيميوطيقا استمدتها من بيرس^(**) تتعاقب فيها السيميوطيقا مع علمي الدلالة والنحو .⁽⁴⁾

1 - حسن مصطفى سحلول ، نظرية التلقي والتأويل الأدبي وقضاياها ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001 ، ص 9 .

2 - معاذ بن سليمان الدخيل ، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية ، ص 32 - 33 . ينظر : فيليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، تر : صابر الحباشة ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، ط 1 ، 2007 ، ص 28 - 32 .

3 - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار التنوير للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 1 ، 2008 ، ص 37 - 38 . وينظر : نعمان بوقرة ، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل ، ص 72 - 73 .

* يرى غرايس أن ما يميز التفسير التداولي هو طبيعته الاستدلالية : ينبري السامع بالتوصل إلى استدلال عن المعنى الذي قصده المتكلم اعتمادا على شيئين : الأول معنى ما قاله المتكلم ، والثاني الافتراضات المسبقة أو السياقية والمبادئ التواصلية العامة التي يحرص المتكلم عادة على اتباعها أثناء المحادثة . " ينظر : جورج يول ، التداولية ، ص 13 .

** يذهب " بيرس " إلى أن ليس للفظ معنى بل إن له مظهرات في مقامات الكلام وتفاوتها ليس إلا . وبذلك فقد حوّل " بيرس " مجرى البحث اللغوي في المعنى من مستوى الفلسفة والتنظير إلى مستوى الإجراء والتداول ، من خلال وضع تصور لمنهج اتسم بالصرامة العلمية شكّل لاحقا قاعدة أساسية للبحث اللغوي ، ونظرية للمعنى في الفلسفتين التحليلية والظاهرية ، في

ومن هنا ، فإن عناصر أخرى خارج اللغة تدخل في عملية التحليل ، فهي تهتم بالمرسل والمتلقي وظروف تلقي الخطاب ، وهي " العناصر التي سبق لسوسور أن استبعدها بدعوى أنها عناصر مشوشة على الدراسة المحاثة " .⁽¹⁾ فَفَهْم حقيقة اللغة يدعو إلى ضرورة الاهتمام بما أهملته اللسانيات في الجانب الاتصالي " لا سيما دراسة علاقة اللغة بمستخدميها ؛ حيث لا يمكن أن تبقى محصورة في علمي النحو والدلالة ، والإلمام بكل العناصر الفاعلة في عملية الإبلاغ " .⁽²⁾

انطلاقاً من هذا ، يقترح موريس ثلاثة مستويات للنظر إلى العلامة :⁽³⁾

المستوى الدلالي الذي ينظر إلى العلامة في علاقتها بالمدلول . والمستوى التركيبي ، وينظر فيه إلى مجموع القواعد التي تحكم علاقة العلامة بعلامة أخرى . والمستوى التداولي الذي ينظر إلى العلامة في ارتباطها بأصولها ، وأثر هذه الأصول أو المرجعيات على المتلقي .

وقد اعتمد موريس في صياغة مذهبه على طروحات شارلز بيرس ، والذي تصوّر العلامة كياناً ثلاثياً تتفاعل داخله العناصر التركيبية والدلالية والتداولية ، " والذي كان لبيرس الفضل الأول في إرساء معالمه وأسسها " .⁽⁴⁾

ومن الغايات المثلى في نظر بيرس إلى المعنى هي التفسير الإجرائي للمعنى ، تفسيراً علمياً ، ما جعله " يناشد فلاسفة اللغة والمشتغلين على المعنى بضرورة التوسل بالمنهج العلمي البرجماتي لبلوغها " .⁽⁵⁾

القرن العشرين ، وهو ما تبلورت معالمه في نظرية واضحة المعالم على يد الفيلسوف الأمريكي شارل موريس سماها " التداولية " .
ينظر : هامل بن عيسى ، التداولية وتحليل الخطاب السيميائي في النقد الأدبي المعاصر ، مجلة الخطاب ، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، العدد 11 ، جوان 2012 ، ص 57 - 58 .

4 - ينظر : عيد بلبع ، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس ، ص 116 .

1 - نفسه ، ص 117 .

2 - خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 44 .

3 - هامل بن عيسى ، التداولية وتحليل الخطاب السيميائي ، ص 60 . وقد جعل موريس التداولية جزءاً من السيميائية في معالجتها الصلة بين العلامة ومستخدميها من خلال كتابه " أسس نظرية العلامات اللغوية " الذي أشار فيه إلى أهمية دراسة ما يصنعه المتكلم عن طريق اللغة . ينظر : حسن مصطفى سحلول ، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها ، ص 9 .

4 - عبد القادر عواد ، آليات التداولية في الخطاب ، ص 47 .

5 - هامل بن عيسى ، التداولية وتحليل الخطاب السيميائي ، ص 61 .

2- لودفيغ فتيغنشتاين :

ويذهب كثير من الدارسين إلى أن فريج Frege هو المنظر الأول للفلسفة التحليلية^(*) ، من خلال تحليلاته اللغوية التي تأثر بأفكارها مجموعة من الفلاسفة من بينهم : فتيغنشتاين وأستين وسيرل وهوسرل ، وتجمع هؤلاء الفلاسفة مقولة " أن فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة فهي التي تعبر له عن هذا الفهم ".⁽¹⁾

وكان من أهم تحليلاته اللغوية ذات الصلة بالتداولية تمييزه بين اسم العلم والاسم المحمول ، فقد بين فريج أن المحمول يقوم بوظيفة الدلالة على مجموع الخصائص التي تسند إلى اسم العلم ، ووظيفة اسم العلم هي إشارته لشيء فردي معيّن . كما أن الاسم المحمول هو الذي تدخل عليه ألفاظ التسوير^(**) لتنفيذ معنى جديداً .⁽²⁾

وقد اقتفى الفيلسوف النمساوي " لودفيغ فتيغنشتاين " أثر " فريج " وانتقد مبادئ الوضعية المنطقية وتبته على قصور المنطق الرياضي الذي كان يصدر عن مبدأ يقضي بأن اللغة وظيفتها التعبير عن الفكر أو تمثيله وأسس اتجاهها فلسفياً جديداً سماه " فلسفة اللغة العادية " وقوامها الحديث عن طبيعة اللغة وطبيعة المعنى في كلام الرجل (الإنسان) العادي .⁽³⁾ فالعنى عنده ليس ثابتاً ولا محددًا

* الفلسفة التحليلية : التي تُعتبر المنهج الأول الذي انبثقت منه أولى بوادر التداولية ، لاسيما ما تعلق منها بظاهرة الأفعال الكلامية . وقد عُرفت بأسماء عدة كـ " فلسفة التحليل اللغوي " أو " التحليل المنطقي " أو " مدرسة كمبريدج " ويطلق عليها الآن فلسفة اللغة العادية أو مدرسة أكسفورد . ويُعد " جورج إدوارد مور " من رواد حركة التحليل اللغوي إلى جانب " برتراند رسل " ولودفيغ فتيغنشتاين . وقد أكد " مور " على أهمية تحليل اللغة من أجل اتضاح المشاكل الفلسفية وإبعاد الزائف منها ، فقد طرح ذلك في كتابه (المبادئ الأخلاقية) وبمحة (تنفيذ المثالية) مثالا عمليا لمنهج جديد في حلّ المشكلات الفلسفية ، ويقوم هذا المنهج أساسا على فكرة أن سبب مشكلات الفلسفة هو عدم معرفة حقيقة الأسئلة المطروحة التي يُراد الإجابة عنها ، ولو حاول الفلاسفة الوقوف على المعنى الحقيقي لتلك الأسئلة ، وذلك عن طريق تحليلها قبل الإجابة عنها ، أي تحليل لغة تلك المشكلات ، لكان ذلك كافيا لاختفاء معظمها . ينظر : أسارى فلاح حسن ، اللغة والمعنى دراسة في فلسفة لودفيغ فتيغنشتاين المتأخرة ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، ط 1 ، 2011 ، ص 15 - 16 .

1 - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 31 .
** ألفاظ التسوير : هي المحددات التي تشير إلى عدد اسم (كلّ ، بعض ، واحد ، اثنان ...) وهي ألفاظ ليس لها معنى حقيقي إذا دخلت على اسم علم ، بل قد تفسد معناه ، وإذا دخلت على اسم محمول أفادت معنى جديداً . ينظر : مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، الهامش (*) ، ص 28 .

2 - ينظر : عيد بلبع ، التداولية البعد الثالث في سميوطيقا موريس ، ص 185 - 186 . ومحمود فهمي زيدان ، في فلسفة اللغة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1985 ، ص 12 - 13 . ومسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 29 .

3 - ينظر : مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 29 . وجمال حمودة ، فلسفة اللغة عند لودفيغ فتيغنشتاين ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان ، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ، ط 1 ، 2009 ،

مما جعله يدعو إلى تفادي البحث في المعنى المنطقي الصارم ، فأحدث بذلك " قطيعة تاريخية ، وانقلاباً منهجياً ، في فلسفة التفسير المنطقي للمعنى ، كان من نتائجه إرساء دعائم جديدة لنظرية [...] تُعنى بالوصف الدقيق لمختلف استعمالات اللغة ؛ وليس إخضاعها لقوانين الحساب المنطقي " (1).

وقد انقسمت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة فروع ، هي : (2)

- الوجودانية المنطقية بزعمه رودولف كارناب . وتدرس اللغة اللغات الصورية المصطنعة وتتخذها بديلاً من اللغات الطبيعية .

- والظاهرية اللغوية بزعمه هوسرل . وتدرس اللغة في إطار وجودي أعم منها : الوجود السابق للغة الطبيعية والوجود اللاحق لها .

- وفلسفة اللغة العادية بزعمه فيتغنشتاين . وتدرس اللغة العادية اليومية كما يتكلمها الشخص العادي .

ولم يبق ضمن الاهتمامات التداولية من هذه التيارات الثلاثة " إلا تيار فلسفة اللغة العادية *) الذي أسسه الفيلسوف " لودفيغ فيتغنشتاين " (3) والمادة الأساسية للفلسفة عنده هي اللغة . وقد جعل من مهمة الفلسفة وصف الاستعمال الشاسع للغة ودراسة حالات ورودها ، بعدما تخلى عن تحليل البنية المنطقية للغة العلمية ليهتم باللغة العادية . (4)

فليس للعلامة والرموز وفق تصوره دلالات ومعاني " وإنما لها استعمالات ممكنة في مختلف الألعاب اللغوية " (5) فلا يتأتى المعنى إلا من خلال الاستخدام في لعبة اللغة . والمقصود بـ " ألعاب

ص 13 . ومحمد أسيداه ، مصطلح المنزلة النظرية للتداولية ، علامات ، ج 64 ، مج 16 ، فبراير 2008 ، ص 145 - 146 .

1 - هامل بن عيسى ، التداولية وتحليل الخطاب السيميائي ، ص 62 .

2 - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 31 - 32 .

* وهي المرحلة الثانية لـ "فيتغنشتاين" التي أسس فيها لفلسفة الكلام العادي ، بعد المرحلة الأولى المثلثة في " الرسالة المنطقية الفلسفية " التي هدفت فيها إلى الفصل بين الكلام العادي ذي المعنى والكلام حوي المعنى ، وقد أقام ذلك على مبدأ رئيس هو أن للغة وظيفة واحدة هي تقرير الواقع ، أو تصويبه . ينظر : معاذ بن سليمان الدخيل ، منزلة الكلام في النظرية النحوية العربية ، ص 34 . وفيليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ص 30 - 31 .

3 - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 33 - 34 .

4 - فيليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ص 30 - 31 .

5 - هامل بن عيسى ، التداولية وتحليل الخطاب السيميائي ، ص 62 .

اللغة " " نوعا من النشاط الاجتماعي الموجّه ، والذي يؤدي فيه استخدام اللغة دورا جوهريا " (1) .
ولتوضيح هذا المفهوم يضرب فيتغنشتاين مثلا بعامل ورئيسه في موقع بناء ، فعندما يصيح الرئيس
قائلا : اللوح ، فعلى العامل أن يُحضر اللوح ، ويرى فيتغنشتاين أن كلمة (اللوح) اكتسبت معنى
من خلال استعمالها في هذا النشاط الذي يقوم به العامل ورئيسه .

لقد عدّ فيتغنشتاين القاعدة لعبة من ألعاب اللغة في صلب الممارسة الاجتماعية للتواصل ،
فالتواعد الحرة هي التي تُفسح المجال للمتكلمين لكي يعبروا عن أحاسيسهم وأفكارهم بطرق
مختلفة . (2)

إنّ عدّ اللغة نشاطا اجتماعيا موجهها لدى فيتغنشتاين يُبرز تصوره التداولي للغة والذي يمثّل
المباراة (3) الرياضية بحثّ المستعمل على تعلم قواعدها التي تجعل منها الفاعلية الاجتماعية الأم في
حياة الإنسان . (3)

إنّ اللغة عند فيتغنشتاين ليست حسابا منطقيا دقيقا يجعل لكل كلمة معنى محددًا " بل
الكلمة الواحدة تتعدد معانيها بتعدد استخدامنا لها في الحياة اليومية ، وتتعدد معاني الجمل بحسب
السياقات التي ترد فيها ، فالمعنى عنده هو الاستعمال " (4) .

لذلك فهو يؤكد أن المهم في فهم اللغة أن ندرس " الهدف " أو " القصد " الذي نرمي إليه
من وراء استخدامنا لكلمة معينة في سياق الحديث ، وهذا يعني " أن ننظر إلى الطريقة العملية التي

1 - معاذ بن سليمان الدخيل ، منزلة الكلام في النظرية النحوية العربية ، ص 36 . وينظر : نعمان بوقرة ، الخطاب الأدبي
وراهانات التأويل ، ص 85 .

2 - ينظر : الجليلي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية (لطلبة ومعاهد اللغة العربية وآدابها) ، تر : محمد يجياتن ، ديوان
المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1992 ، ص 19 . وصلاح إسماعيل عبد الحق ، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ،
دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1993 ، ص 121 .

* يستعمل فيتغنشتاين مصطلح " مباراة Game " ليعني أن اللغة لها الخصائص الآتية :
أ- الطابع التنافسي . ب- محكومة بقواعد . ج- تتطلب مهارات متفاوتة . د- ليس لها هدف نهائي ، مجال الأهداف
مفتوح . هـ - يمكن اعتبار اللغة مجموعة أنشطة مستقلة تماما كما أن المباريات الرياضية أنشطة مستقلة . وهذا لا يعني البتة
أن اللغة نشاط تافه أو مجرد تسلية ، بل هي الفاعلية الاجتماعية الأم . ينظر : يُعنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن
العشرين الأصول الحصاد الآفاق المستقبلية ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ديسمبر
2000 ، ص 267 .

3 - ينظر : يُعنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين ، ص 267 .

4 - محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، 2002 ، ص 41 - 42 . وينظر :
منذر عياشي ، سيمياء الفكر واللغة ، مجلة علامات ، ج 6 ، م 2 ، ديسمبر 1992 ، ص 123 .

نستخدم بها اللغة في صميم حياتنا الاعتيادية " (1).

ويذهب فيتغنشتاين في تفسيره لمفهوم اللعبة اللغوية بأنّ " المعنى الذي يقصده أيّ فرد منّا بأيّة كلمة ، لا ينكشف لنا إلا من خلال الأشياء التي يطبّق عليها (أو لا يطبّق) تلك الكلمة ، أعني من خلال المواقف التي يستخدم في سياقها تكتيك ذلك اللفظ - فالمرء حين " يفكر " فيما يقوله ، فإنّه لا يفعل شيئا أكثر من كونه " يعني " ما يقوله " (2).

وما يمكن استخلاصه أن فيتغنشتاين تمكّن في هذه المرحلة الثانية (فلسفة الكلام العادي) من تأسيس تيار فلسفي جديد طرح من خلاله ضرورة مراعاة الجانب الاستعمالي في اللغة ، وهذا ما يؤكد البعد التداولي للاستخدام التداولي ، فالمعنى هو الاستعمال ، لذلك كانت " أبرز نقطة في نظرية فتحنشتين في المعنى هي هتافه " لا تسل عن المعنى وإنما اسأل عن الاستخدام " (3).

ثم طوّر هذا المنهج على يد الفيلسوف الإنجليزي " أوستين " ، ومن بعده تلميذه الفيلسوف الأمريكي " سيرل " (4).

3- جون أوستين :

يُعدّ فيلسوف أكسفورد جون أوستين المؤسس لنظرية الفعل اللساني (أفعال الكلام) التي صاغها من خلال كتابة " كيف ننجز الأشياء بالكلام " . وقد انطلق من " الفكرة بأن الوحدة الصغرى للاتصال اللساني ليست الجملة ، ولا أيّ عبارة أخرى ، بل هي إنجاز أنماط من الأفعال " (5) ، فهو بذلك لم يكتف بدراسة الجمل كما كان يفعل المناطقة الذين كان الدافع لديهم لدراسة اللغة هو التوصل لآلية عمل الذهن في تصوره للعالم ، بل توسع في ذلك لدراسة سائر أنواع الجمل ، لذلك فقد " أنكر أوستن أن تقتصر وظيفة اللغة على وصف وقائع العالم وصفاً يكون إما صادقا وإما كاذبا [...] ورأى أن هناك نوعا من العبارات يشبه العبارات الوظيفية في تركيبها لكنه لا يصف

1 - فؤاد كامل ، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ، دار الجليل ، بيروت ، ط 1 ، 1993 ، ص 80 .

2 - نفسه ، ص 81 .

3 - عبد المجيد ححفة ، مدخل إلى الدلالة الحديثة ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 2000 ، ص 27 .
ومحمود فهبي زيدان ، في فلسفة اللغة ، ص 107 . ومحمود أحمد نخلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 42 .

4 - ينظر : مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 20 - 23 .

5 - ينظر : زواوي بغورة ، منزلة تحليل الخطاب في فلسفة اللغة ، آفاق الثقافة والتراث ، ع 32 ، السنة 8 ، يناير 2001 ، دبي ، ص 81 .

وقائع العالم ولا يُوصف بصدق ولا كذب " (1) ، فعندما يقول الرجل المسلم لزوجته أنت طالق ، فهذه العبارة لا تصف شيئاً من وقائع العالم الخارجي ، كما لا توصف بالصدق أو الكذب ، فإن نطق بها فهو لا يُنشئ قولاً ، وإنما يُؤدي فعلاً " فهي أفعال كلام ، أو هي أفعال كلامية " (2)

ويظهر اهتمام " أوستين " بتوظيف اللغة الطبيعية في معارضته لموقفين ، هما :

1- الموقف الفلسفي : الذي يوصف بالتقليدي ، حيث كان يُقر بأن دور الجملة ينحصر فقط في وصف حالة الأشياء ، أو إقرار " حدث ما " . وهو ما تكون بموجبه صادقة أو كاذبة . وأما غيرها من الجمل فتُعدّ من قبيل العبارات التي " لا معنى لها " (3)

2- الوصف النحوي التقليدي : الذي يبدو أكفى من الوصف الفلسفي لأنه لا يقتصر على نمط واحد من الجمل ، بل يهدف إلى التنوع في الموضوع . فيصف أنماطاً أربعة ، هي : الجمل المثبتة أو الخبرية ، والجمل الاستفهامية ، وجمل التعجب ، والجمل التي تفيد الطلب (4)

ومن ثمّ فقد ميّز " أوستين " بين الأفعال التقريرية والإخبارية التي تقتصر على نقل الخبر ، والأفعال الأدائية التي تتجاوز نقل الخبر إلى أداء الأفعال ، ولا تُوصف بالصدق أو الكذب . وقد بدأ " أوستين " بدراسة الملفوظات الإنجازية أولاً ، ثم عمل على توسيع مجالها لتشمل الملفوظات التقريرية ، بعدما تبين له أنّها تُشكل بدورها ملفوظات إنجازية " (5)

وقد صنّف " أوستين " الأفعال الكلامية إلى أصناف خمسة : (6)

- أفعال الأحكام : Verdictifs وتقوم على الإعلان عن حكم . تتأسس على أحكام وحيهة تتعلق بقيمة أو حدث . مثل : وعد ، وصف ، حلل ، قدر ، صنّف ...

1 - محمود أحمد نخلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 43 .

2 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

3 - ينظر : العياشي أدراوي ، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني ، من الوعي بالخصوصيات للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها ، دار الأمان ، الرباط ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2011 ، ص 77 - 78 .

4 - المرجع نفسه ، ص 78 . وينظر : محمد محمد يونس علي ، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ، دار الكتاب الجديدة بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2004 ، ص 36 .

5 - العياشي أدراوي ، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني ، ص 78 . وينظر : عيد بلبع ، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس ، ص 235 - 236 .

6 - ينظر : محمود محمد نخلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 46 . وفرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية ، ص 62 - 63 .

- أفعال القرارات : **Exercitifs** وتتمثل في اتخاذ قرار بعينه ، مثل : أمر ، قاد ، دافع عن ،
عيّن ، أعلن عن ، نبّه

- أفعال التعهد : **Commissifs** وتتمثل في تعهد المتكلم بفعل شيء ، وعد ، تمنى ، التزم
بالعقد ، ضمن ، أقسم

- أفعال السلوك : **Comportementaux** وهي تكون عادة ردّ فعل لحدث ما
كالاعتذار ، والشكر ، والمواساة ، والتحدي .

- أفعال الإيضاح : **Expositifs** وتستعمل لإيضاح وجهة نظر أو بيان الرأي ، كالاعتراض ،
والتشكيك ، والإنكار ، والموافقة ، والتصويب .

يرى أوستين " أن كلّ جملة تامة مستعملة تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل " (1) ومن
ثم فمضمون نظريته يقوم على دراسة الفعل التعبيري والفعل الغرضي والفعل التأثيري . (2) فكلّ ملفوظ
عنده " ينهض على نظام شكلي دلالي ، إنجازي تأثيري [...] ومن ثمّ فهو فعل يطمح أن يكون
فعلاً تأثيرياً ، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب ، اجتماعياً أو مؤسساتياً ، ومن ثمّ إنجاز
شيء ما " (3).

وقد قسّم أوستين الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال فرعية ، هي :

- **فعل القول (الفعل اللغوي) Acte locutoire** : هو ما نقوله ، ويتمثل في إنتاج

أصوات سليمة من الناحية الصرفية والنحوية ، وبالتالي يقضي إلى إنتاج معنى ، ومرجع . أو هو "
فعل إنتاج الأصوات ، وتركيب الكلمات في بناء يلتزم بقواعد اللغة ويحمل دلالة معينة " (4)

يقول صلاح إسماعيل عبد الحق : " إنني أسمى فعل (قول شيء ما) بالمعنى العادي التام ، ، أداء
للفعل التعبيري ، وأسمى دراسة المنطوقات حتى هذه النقطة ومن هذه الجوانب ، باسم دراسة

1 - أسامة محمد إبراهيم البحيري ، انغلاق البنية وانفتاحها في البنيوية والتداولية والبلاغة العربية ، السجل العلمي لندوة "
الدراسات البلاغية " الواقع والمأمول " ، ج 1 ، 1432 هـ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ص 769 .

2 - ينظر : صلاح إسماعيل عبد الحق ، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، ص 184 . وجاك موشلر وآن روبول ،
القاموس الموسوعي للتداولية ، ص 65 . وجاك موشلر وآن روبول ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص 31 -
32. ونشير هنا إلى أننا سنستخدم المصطلحات التي اعتمدها مسعود صحراوي في كتابه " التداولية عند العلماء العرب " لأنها
الأقرب إلى الدلالة على المقصود .

3 - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 54- 55 .

4 - جان سيرفوني ، الملفوظية ، ص 95 .

التعبيرات أو الوحدات التامة للكلام".⁽¹⁾

– **الفعل المتضمن في القول Acte illocutoire** : هو ما ينبغي أن يفهم عليه القول في الحال ، فهو " الفعل الذي ننجزه أثناء القول ".⁽²⁾ كأن يكون نصحا ، أو أمرا ، أو استفهاما ...⁽³⁾

– **الفعل الناتج عن القول Acte perlocutoire** : هو ما يُحدثه المتكلم من تأثيرات معينة في مشاعر المستمع وأفكاره كنتيجة لما يقول .⁽⁴⁾ فهو الأثر غير المباشر الذي يُحقق بالقول .⁽⁵⁾

تنهض نظرية الأفعال اللغوية على فرضية رئيسة مفادها " أنّ الجمل اللغوية لا تنقل مضامين مجردة ، وإنما تؤدي وظائف تختلف باختلاف السياقات والمقامات المتنوعة ".⁽⁶⁾ كما تنظر هذه النظرية إلى اللغة على أنّها " أداء أعمال مختلفة في آن واحد ، وما القول إلا واحد منها ، فعندما يتحدث المتكلم فإنه في الواقع يخبر عن شيء ، أو يصرح بتصريحا ما ، أو يأمر أو ينهي أو يلتمس ، أو يعد أو يشكر ... ".⁽⁷⁾

فوظيفة اللغة – كما يذكر أوستين – لا تقف عند حدود وصف العالم ، أو التعبير عن الفكر " بل هي مؤسسة على تحويل الأقوال إلى أفعال لغوية ذات صيغة اجتماعية معينة ، تتحدد بالسياق الذي ترد فيه ".⁽⁸⁾

ونشير إلى أنّ نظرية أفعال الكلام ذات علاقة وثيقة بالتداولية إذ أنّ مؤسس هذه النظرية هو

- 1 – صلاح إسماعيل عبد الحق ، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، ص 135 . وينظر : معاذ بن سليمان الدخيل ، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية ، ص 41 .
- 2 – جان سيرفوني ، الملفوظية ، ص 96 . ويذهب مسعود صحراوي إلى أنّ هذا الصنف من الأفعال الكلامية " هو المقصود من النظرية برمتها ، ولهذا اقترح أوستين تسمية الوظائف اللسانية الثابوية خلف هذه الأفعال : القوى الإنجازية ". مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 56 .
- 3 – ينظر : معاذ بن سليمان الدخيل ، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية ، ص 41 . و صلاح إسماعيل عبد الحق ، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، ص 85 . وجون أوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام ، تر : عبد القادر قينيني ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ط 2 ، 2008 ، ص 128 .
- 4 – زواوي بغورة ، منزلة تحليل الخطاب في فلسفة اللغة ، ص 82 .
- 5 – ينظر : جان سيرفوني ، الملفوظية ، ص 96 . وأوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة ، ص 131 .
- 6 – طه عبد الرحمن ، التواصل والحجاج ، سلسلة دروس ، كلية الآداب ، أغادير ، المغرب ، 1993 ، ص 11 .
- 7 – محمد محمد يونس علي ، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ، ص 34 .
- 8 – عبد الحليم بن عيسى ، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية ، مجلة دراسات أدبية ، تصدر عن مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية ، الجزائر ، العدد 1 ، ماي 2008 ، ص 12 .

نفسه منظر التداولية حيث يذهب هنرث بلت إلى أنّ التداولية تمثل نسقا من أفعال الكلام⁽¹⁾ ، فلم تخلُ دراسة تداولية من الربط بينها وبين نظرية أفعال الكلام بوصفها الخطوة الأولى في تأسيس التداولية⁽²⁾.

4- جون سيرل : Searle

عمل سيرل على متابعة المشروع الفلسفي الذي بدأه أوستين من خلال " تأكيد الربط بين العبارة اللغوية ومقاصد المتكلمين " ⁽³⁾ ، حيث عمل على تقويم نظرية أفعال الكلام التي نظر لها أوستين " إلى حدّ جعله المؤسس المنهجي لهذه النظرية ".⁽⁴⁾ فقد أجرى " سيرل " تعديلات على تصنيف " أوستين " للأفعال اللغوية حيث عدّل أقسام الفعل الكلامي إلى أربعة :^(*)

أ- **الفعل التلفظي** (التلفظ بالكلمات) ؛ أي إنجاز فعل التلفظ من خلال الجمل والمورفيمات .

ب- **الفعل القضوي** (الإحالة والإسناد) ؛ أي إنجاز فعل القضية . ويتمثل في الشيء المتحدث عنه (القضية موضوع الحديث) أو ما يُطلق عليه الفعل القضوي .

وهذان القسمان هما إعادة لتقسيم الفعل الأول عند " أوستين " (فعل القول / التلفظ) .

ج- **الفعل الإنجازي** : فعل قوة التلفظ (الإنجازية) .

د- **الفعل التأثيري** : فعل أثر التلفظ .

ومن أهم الأفكار التي طرحها " سيرل " بخصوص الأفعال اللغوية :⁽⁵⁾

1-ارتباط اللغة بالأفعال اللسانية ، فالمتكلم بلغة ما ، يعني تحقيق أفعال لغوية ، وتصبح

1 - ينظر : هنرث بلت ، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، ترجمة وتقديم وتعليق : محمد العمري ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ط 2 ، 1999 ، ص 99 .

2 - عيد بليغ ، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس ، ص 232 .

3 - المرجع نفسه ، ص 241 .

4 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

* المرجع نفسه ، ص 242 .

5 - بنعيسى عسو أزييط ، الخطاب اللساني العربي هندسة التواصل الإضماري من التجريد إلى التوليد مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية ، عالم الكتب الحديث ، إريد ، الأردن ، ط 1 ، 2012 ، ج 2 ، ص 184 - 185 .

هذه الأفعال ممكنة في ظل قواعد تعمل على استخدام العناصر اللغوية ، وطبقا لهذه القواعد تتحقق الأفعال اللغوية .

ف"سيرل " يُؤكّد على ارتباط اللغة بالأفعال اللسانية ، إذ أنّ أطروحته الأساسية تعتبر اللغة أفعالا تتحقق سواء أكانت أفعالا ملموسة كأفعال الأمر والسؤال والوعد وغيرها ، أم كانت أفعالا مجردة كأفعال الإحالة المرجعية وأفعال الإسناد والاقتضاء .⁽¹⁾

2- قاعدة التواصل اللغوي مبنية على الفعل اللغوي ، إذ كل تواصل لغوي لا يبني على الرمز ، أو على اللفظ ، أو على الجملة ، كما ليس هو تواتر هذه العناصر ، بل التواصل أداء للرمز واللفظ والجملة أو بثها لحظة تحقيق فعل لغوي معيّن .

وذلك انطلاقا من مسلمة " سيرل " الشهيرة ، والتي تؤكد على أنّ " كلّ تواصل لغوي عبارة عن إنتاج لأدوات لغوية وبثها ، لحظة تحقيق فعل لغوي معيّن " ، أي التأكيد على ارتباط اللغة بمعطيات انبثاقها ، أي ارتباطها بما يحقق على الصعيد اللساني ، من وحدات فعلية دنيا ، أساسية في عملية التواصل ، وهذه الوحدات تمثلها الأفعال اللغوية ، إذ لا تواصل بدون أفعال لغوية تُنجز ويُحقّق .⁽²⁾

3-ارتباط نظرية اللغة بنظرية الفعل ، إنّ نظرية اللغة هي جزء من نظرية الفعل لأنّ التحدث عبارة عن السلوك الخاضع للقواعد . وإذا كان خاضعا للقواعد فإنه يمتلك سمات صورية خاصة تتعلق بدراسة مستقلة .

ترتبط نظرية اللغة بنظرية الفعل ارتباطا وثيقا ، ما دام التحدث بلغة معينة ، هو إيجاد صيغة لسلوك لغوي معيّن خاضع لقواعد معيّنة .⁽³⁾

4-ارتباط نظرية أفعال اللغة بنظرية المجال الدلالي ، فلا يمكن التسليم بوجود دراستين دلالتين مختلفتين ، إحداهما تدرس الجمل ودلالاتها ، والثانية موضوعها إنتاج أفعال اللغة . وعليه فإنّ فعل اللغة عبارة عن تابع (Fonction) ، لدلالة الجملة المعيّنة . فلا تسمح دلالة جملة ما بأيّ فعل لغوي محقق داخل تلفظ هذه الجملة لأن المتكلم قد يريد قول شيء آخر لم يقله بالفعل ، ومع

1 - المرجع نفسه ، ص 188 .

2 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

3 - المرجع نفسه ، 189 .

ذلك ممكن له مبدئيا ، أن يقول ما ينوي إبلاغه .

هكذا تغدو نظرية أفعال اللغة ، من خلال هذا الطرح " الإدماجي " نظرية تذوب في نظرية المجال الدلالي وتتفاعل معه ، فالأشكال اللغوية الخاضعة لمجال الدلالة ثابتة بالنسبة لأصولها المعرفية ، لكن تصبح أشكالا متحركة في مجال نظرية الأفعال اللغوية ، من خلال إخضاعها لمجال التلفظ المتحرك ، وبذلك تكتسب العملية الإدماجية (الدلالية - التداولية) بُعدا أحاديا ، وعليه ، فإنّ مقامات التلفظ وأوضاعه تؤثر على الأشكال اللغوية الدلالية . فالجملة لا تحقق شيئا في حد ذاتها ، ما دامت معطى مجردا ، غير أنها تصبح شكلا فعليا إذا أنزلت منزلة التلفظ في سياق فعلي محدد ، فينشأ عنها فعل لغوي محقق .⁽¹⁾

فجملة " الجو بارد هنا " مثلا تؤدي أفعالا من قبيل :

- فعل الإخبار والإبلاغ بالمحتوى القضوي الذي تؤديه الوحدات المعجمية في صلب الجملة .

- فعل الالتماس " أغلق النافذة " .

- فعل الملاحظة المجازية " الركود في المناقشة " . وغيرها من الأفعال .

5- عدم استقلال معنى الجملة دلاليا عن معنى أفعال اللغة تداوليا ، إنّ دراسة دلالة الجمل

لا تتميز - مبدئيا - عن دراسة أفعال اللغة ، وإذا أدركنا هذا الأمر ، فإنّ الدراسة تبقى واحدة .

وبما أنّ كلّ جملة تحمل معنى محددًا ، فإنه يمكن أن تُستعمل بدلالاتها نفسها لإنجاز سلسلة من الأفعال اللغوية الخاصة . ولهذا ، فإنّ دراسة دلالة الجمل ودراسة أفعال اللغة لا يشكّان مجالين مستقلين بل مجالا واحدا .

فلا تستقل معاني الجمل عن معاني الأفعال الممارسة ، ولذلك فإنّ الدراسة الكافية هي الدراسة التي تسعى إلى إيجاد تصوّر موحد بين المعاني التي مصدرها الجمل ، والمعاني التي منبعها الأفعال اللغوية .⁽²⁾

ويتضح مما سبق أنّ ما يقترحه " سيرل " يرمي إلى " تدعيم البُعد التواصلية وتطويره ، على اعتبار

1 - المرجع نفسه ، ص 198 - 190 .

2 - المرجع نفسه ، ص 190 .

أنّ التحدث بلغة ، ما هو إلا القيام بأفعال لغوية محددة .⁽¹⁾ وعليه فقد عمد " سيرل " إلى تحديد مفهوم الفعل الإنجازي في نظرية أفعال الكلام في صياغة جديدة لما اقترحه " أوستين " .

كان مركز اهتمام " سيرل " في بناء هذه النظرية وتطويرها هو " أفعال اللغة غير المباشرة ^(*) ، مع تحديد شروط الفعل الكلامي ومقوماته . وقد حدّد الشروط التي يجب أن تحقّقها أفعال الكلام لتضمن الإنجاز الموفق في :⁽²⁾

1- شرط مضمون القضية : وظيفته وصف مضمون الفعل ، هل هو مجرد قضية بسيطة أو دالة قضوية ، أو فعل للمتكلم .

2- الشروط التمهيدية : تتصل بقدرات واعتقادات المتكلم ، ومقاصد المستمع ، بالإضافة إلى طبيعة العلاقة القائمة بينهما .

3- شروط الصدق : تحدد الحالة النفسية للمتكلم أثناء إنجاز الفعل بحيث ينبغي أن يكون جادا في ذلك .

4- الشروط الجوهرية : ترصد الغرض التواصلية من فعل الكلام ، الذي يلزم المتكلم بواجبات معيّنة ، فعليه أن ينسجم في سلوكياته مع ما يفرضه عليه ذلك الفعل .
وقد جعل " سيرل " الأفعال الكلامية خمسة أصناف ، هي :⁽³⁾

1- الإخباريات (Assertives) : والغرض الإنجازي فيها هو وصف المتكلم واقعة معيّنة من خلال قضية ، وأفعال هذا الصنف كلّها تحمل الصدق والكذب . واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم .

من الأفعال المنتمية لهذه الفئة : صرّح ، أعلن ، استنتج ، لخص ، اشتكى ...

1 - العياشي أدراوي ، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني ، ص 89 - 90 .

* أفعال اللغة غير المباشرة : هي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم .

2 - العياشي أدراوي ، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني ، ص 90 . وينظر : محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 47 - 48 .

3 - جون سيرل ، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي ، تر : سعيد الغانمي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، المركز الثقافي ، المغرب ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان ، ط 1 ، 2006 ، ص ص 217 - 220 . وينظر : محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 49 - 50 . وبنعيسى عسو أزايط ، الخطاب اللساني العربي ، ج 2 ، ص ص 208 - 212 .

2-التوجيهات (Directives) : وغرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل

شيء أي طلب المتكلم من المخاطب أن يفعل شيئاً . واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات .

ومن الأفعال الواردة في هذه الفئة : الأمر ، النهي ، الدعاء ، التعليمات ...

3-الالتزاميات (Commissives) : وغرضها الإنجازي إجبار المتكلم على فعل شيء

مستقبلاً ، دون أن يكون هذا الإجبار ضرورياً . واتجاه المطابقة فيه من العالم (الواقع) إلى الكلمات . وشرط الإخلاص هو القصد .

من الأفعال التي تنتمي لهذه الفئة : الوعد ، العطاء ، الاعتراف ، السماح ...

4-التعبيريات (Experssives) : الهدف الإنجازي منها هو التعبير عن الحالة النفسية

تعبيراً يتوافر فيه شرط الإخلاص . واتجاه المطابقة فيه غير وارد .

من أفعال هذه الفئة : شكر ، اعتذر ، عزي ، ربح ...

5-الإعلانيات (Déclarations) : غرضها الإنجازي أن تسبب التصريحات في تعديل

موقف ما . واتجاه المطابقة فيه مزدوج ، من الواقع إلى الكلمات والعكس ، أثناء إنجاز هذه الفئة .

ومن نماذج أفعال هذا الصنف : فصل ، استقال ، عيّن ، سمى ، أطلق ...

يرى " سيرل " أن لكلّ جملة معنى ، وبالإمكان تسخير هذا المعنى لإنجاز فعل أو مجموعة أفعال

لغوية ، بالنظر إلى أنّ معنى الجملة مستقل عن الأفعال الإنجازية والتأثيرية التي تنجزها الجملة . " ذلك

أنّ اللغة التي يستعملها المتكلم ، تتكون من ألفاظ ذات دلالات معجمية غير خاضعة لإرادة المتكلم

، وعليه فهو يميز بين الدلالة المقامية والدلالة المقالية " ⁽¹⁾ . فالدلالة الأولى ثابتة ، في حين تعدّ الثانية

متغيرة تبعا لتغير مقامات القول .

هكذا ، نكون قد أوضحنا بعض معالم نظرية " سيرل " الخاصة بأفعال الكلام ، وما أضافه لما

بدأه " أوستين " بشأن " الفعل اللغوي المباشر " ، ما يسمح لنا بالانتقال إلى استعراض أهم

المقترحات المتعلقة بـ" الفعل اللغوي غير المباشر " عند " غرايس " .

1 - العياشي أدراوي ، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني ، ص 92 .

5- بول غرايس Paul Grice :

كان لـ " بول غرايس " الأثر البارز في تطوير الدرس التداولي من خلال مقاله الذي نُشر سنة 1975 ، والذي يُمثل البداية الحقيقية لتناول ظاهرة الفعل اللغوي غير المباشر التي تناولها من قبل كل من " أوستين " و " سيرل " .

وإذا كانت الدراسات التي أنجزها " أوستين " و " سيرل " قد ركزت بالأساس على الجانب المرتبط بأفعال اللغة المباشرة وغير المباشرة فإنّ " كرايس " باشتغاله بأفعال اللغة غير المباشرة - كما أثارها " سيرل " - يُولي اهتماما في الأبحاث التي قام بها إلى أصول الحوار " (1) فأرسى بذلك دعائم نظرية تهتم بكيفية الاستعمال اللغوي تُعرف بـ " نظرية الاستلزام التخاطبي " (2).

وقد تمكن " غرايس " من صياغة هذا المبدأ وما تفرّع عنه من خلال محاضراته في جامعة " هارفارد " الأمريكية حول موضوعين مهمين ، هما :

- نظرية المعنى غير الطبيعي .

- وكيف يستعمل الناس اللغة ؟ (3)

وقد صاغ بنعيسى أزييط مضمون هذه النظرية بشكل عام في :

" تقود سير التخاطب والحوار - في اللغات الطبيعية - مجموعة من الافتراضات والتقديرية الكامنة في كفاية المتخاطبين ، والناجحة عن اعتبارات عقلية أساسية ، مهمتها أنها توجه الاستعمال اللغوي الحوارية الفعّال ، نحو تحقيق أهدافه التعاونية " (4).

إنّ النظرية التخاطبية (أو الحوارية) لم تُعدّ نظرية تحكمها الاعتباطية ، بل هي نظرية تقوم على معطيات عقلية ، واستراتيجيات مضبوطة " (5) وقد مكّن ذلك " غرايس " أن يشتق منها عنصرين أساسيين ، هما : مبدأ التعاون الحوارية والقوانين المتفرعة عنه .

مبدأ التعاون الحوارية :

1 - العياشي أدراوي ، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني ، ص 95 .

2 - عبد السلام إسماعيلي علوي ، ما التداوليات ؟ ص 17 .

3 - ينظر : بنعيسى عسو أزييط ، الخطاب اللساني العربي ، ج 2 ، ص 281 .

4 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

5 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

ومفاد هذا المبدأ " أن على أطراف الحوار أن تتعاون فيما بينها لتحقيق المطلوب " (1) ، فهو يقضي أن يتعاون كلٌّ من المحاطب والمتكلم لتسهيل عملية التخاطب وبذلك تحقيق الهدف من الحوار .

يُصاغ مبدأ التعاون الحوارى على النحو التالى : " أن تكون مساهمتك الحوارية بمقدار ما يُطلب منك فى مجال يتوسل إليه بهذه المساهمة ، تحذوك غاية الحديث المتبادل ، أو اتجاهه ، أنت ملتزم بأحدهما فى لحظة معينة " . (2)

وتتفرع من هذا المبدأ مجموعة من القوانين حددها " غرايس " فى : (3)

1- مبدأ الكم : يضم قاعدتين أساسيتين :

أ- تكلم على قدر الحاجة .

ب- لا تتجاوز بإفادتك القدر المطلوب .

2- مبدأ الكيف : حاول أن تكون إفادتك الحوارية صادقة :

أ- لا تقل ما تعتقد كذبه .

ب- لا تقل ما يعوزك فيه دليل يّين .

3- مبدأ المناسبة / الملاءمة :

ليكن كلامك مناسباً لسياق الحال ويرمى إلى " أن يناسب القول ما هو مطلوب فى كلّ مرحلة ، أى وجوب تعلق الخبر بالمقام " . (4)

4- مبدأ الصيغة : وتتعلق " بما يُراد قوله ، والطريقة التى يجب أن يُقال بها " . (5) ويتفرع إلى :

أ- تجنب إبهام التعبير .

-
- 1 - العياشى أدرابى ، الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى ، ص 97 .
 - 2 - المرجع السابق ، ص 282 .
 - 3 - ينظر : محمد محمد يونس على ، مدخل إلى اللسانيات ، ص 99 - 100 . وبنعيسى عسو أزييط ، الخطاب اللسانى العربى ، ج 2 ، ص 282 - 283 .
 - 4 - العياشى أدرابى ، الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى ، ص 100 .
 - 5 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

ب- تجنب الغموض .

ج- أوجز الكلام .

د- ليكن كلامك مرتبا .

تناول " غرايس " من خلال صوغه لهذا المبدأ وما يتفرع عنه من قواعد مسألة القصد التي عدّها من الخصائص الأساسية للخطاب " فكلّ حوار يتطلب استحضار المقاصد حتى يقوم التعاون بين المتحاورين ويفهم كلّ منهما الآخر " .⁽¹⁾ وأنّ يتلاءم الملفوظ مع السياق ، وبذلك فقد يتجاوز مدلول العبارة " المعنى الحرفي لمجموع ألفاظها . وقد يتولد المعنى لدى المخاطب قبل أن ينتهي المتكلم من التلفظ بالعبارة ، كما أنه قد ينتهي من التلفظ بالعبارة دون أن يكتمل معناها بعد لدى المخاطب . وكلّ هذا يكشف على أنّ المعنى الحرفي والمصرح به ليس سوى جزءا من المعنى . أما الجزء المتبقي فيتوقف على كلّ من المتكلم والمخاطب " .⁽²⁾ لذلك عدّ مبدأ التعاون شرطا أساسا لتحقيق الأهداف المرجوة .

ويرى " غرايس " أنّ هناك جملة من الخصائص المميزة تطبع عملية الحوار ، وتعدّ قاسما مشتركا بالنسبة لمجموع التعاملات ذات الصبغة التعاونية ، هي :⁽³⁾

- يجب أن يكون هناك هدف مشترك يجمع المشاركين في عملية التحوار .
- يجب أن تكون إسهامات المشاركين متداخلة ومتوقفا بعضها على بعض .
- يجب أن تستمر عملية التحوار وفق الأسلوب الملائم لها ، إلا إذا تراضى الطرفان فوضعا حدا لها .

يشكل المبدأ التعاوني والقواعد الفرعية له العمود الفقري لنظرية " غرايس " الاستلزامية ، ولذلك تكتنفه مسألتان أساسيتان . تتحدد **المسألة الأولى** في ما يسمى بالحوار أو التخاطب أو التحوار ، وتحيل إلى تلك الفعاليات الحوارية^(*) ، وكلّ فعالية حوارية تفيد القيام بمجموعتين متميزتين من الشروط ، يلخصها طه عبد الرحمن في :

1 - المرجع نفسه ، ص 101 .

2 - حسان الباهي ، الحوار ومنهجية التفكير النقدي ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2004 ، ص 127 .

3 - العياشي أدراوي ، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني ، ص 102 .

- شروط النص الاستدلالي

- وشروط التداول اللغوي (1).

تتعلق الشروط الأولى بالمسألة الأولى ، بينما تتعلق شروط التداول اللغوي بالمسألة الثانية التي تتحدد في فعالية شروط التداول اللغوي ، على اعتبار أنّ كلّ مساهمة حوارية تتطلب مجموعة من الشروط التداولية اللغوية ، التي تُوجه الحوار شكلا ومضمونا .

1- شروط النص الاستدلالي :

تتلخص هذه الشروط في العناصر الآتية : (2)

أ- النصية : كلّ نص هو بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعلاقات ربطا مثنويا (بين جملتين) أو جمعيا (بين أكثر من جملتين) أو مباشرة .

ب- الاقتراعية : هو ما كانت فيه عناصر النص مرتبطة فيما بينها ارتباط انسجام وتكامل .

ج- الاستدلالية : " وهي تلك العلاقات الاستدلالية التي تسود النص الاستدلالي من صور منطقية ، أو تدرجية القضايا من المقدمات إلى النتائج أو تقهقرها من النتيجة إلى المقدمات " (3) أو تلك العلاقات التي يتم نسجها بين المتحاورين لغويا على سبيل الوهم في سبيل الوصول إلى نص متدرج ثابت .

2- شروط التداول اللغوي :

وقد حددها طه عبد الرحمن في الشروط الآتية :

أ- النطقية :

" لا يكون المحاور ناطقا حقيقيا إلا إذا تكلم لسانا طبيعيا معينا ، وحصل تحصيلًا كافيًا صيغته الصرفية وقواعده النحوية وأوجه دلالات ألفاظه وأساليبه في التعبير والتبليغ " (4)

* ينظر : بنعيسى عسو أزييط ، الخطاب اللساني العربي ، ج 2 ، ص 286 .

1 - طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 2 ، 2000 ، ص 35 .

2 - ينظر : المرجع نفسه ، ص 35 - 36 .

3 - بنعيسى عسو أزييط ، الخطاب اللساني العربي ، ج 2 ، ص 286 .

4 - طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 37 .

وقد جعل طه عبد الرحمن شروطاً أخرى ترتبط بطبيعة المنطوق نفسه : (1)

- ألا تنفك الصور اللفظية فيه عن مضامينها . هذه المضامين التي كلما كانت صلتها بالمعتقدات والمقاصد ألق ، كان تأثيرها في المخاطب أعمق .

- أن يكون متعدد الوظائف ومتداخل المستويات : تتراوح فيه الأقوال ، ويتمازج فيه الاعتقاد بالانتقاد .

- أن يكون موجهاً توجيهها علمياً ، تتداخل فيه الوقائع مع القيم ، والمعطى مع المبنى ، والمعنى مع المبنى .

- أن يكون مفتوحاً فتحاً مستمراً ، تبنى موضوعاته بناءً تدريجياً ، ذلك أنّ هذه الموضوعات تنقلب في أحوال دلالية متعددة ، تنتقل فيها من الإجمال إلى التفصيل ، ومن الإشكال إلى التبيين ، ومن الخفاء إلى الظهور .

" علماً أنّ الخطاب اللغوي الحواري تتعدد أساليبه وتتلون تعابيره من الإنشائي إلى الخبري ، ومن الخبري إلى الإنشائي ، ومن ثابتة إلى متغيره ، وبالعكس ، سواء تعلق الأمر بجمل بسيطة أو مركبة " (2) ، ومن ثمّ فإنّ الخطاب قابل للجمع بين ما هو ظاهر صريح ، وما هو باطن وضمني .

ب- الاجتماعية :

إنّ المحاور يتوجه إلى غيره مطلعاً إياه على ما يعتقد ويعرف ، ومطالباً إياه بمشاركته اعتقاداته ومعارفه وفي هذا " الاطلاع " وهذه " المطالبة " يكمن البعد الاجتماعي للحوارية .

فالحوارية تقوم إذن على " مبدأ التعاون " مع الغير في طلب الحقائق والحلول وتحصيل المعارف واتخاذ القرارات والتوجه بها إلى العمل . (3) وعليه فإن الجاني الاجتماعي في كلّ حوار " يبقى المحدد الأساس ، الذي تسيّر وفقه طرق الحجاج والاستدلال والاستنباط والتأويل من المتحاورين إعلاناً وإظهاراً " . (4)

ج- الإقناعية :

1 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

2 - بنعيسى عسو أزييط ، الخطاب اللساني العربي ، ج 2 ، ص 287 .

3 - طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام ، ص 37 - 38 .

4 - العياشي أدراوي ، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني ، ص 109 .

لا يُعتبر هذا الشرط ضرورياً إلا إذا كان الخطاب الحوارى ذا طابع منطقي صرف ، وكان من أهدافه أن يؤثر بالإقناع . أمّا إذا كان الخطاب الحوارى لا يتوخى هذا الهدف ، كما في المحادثات العادية ، فإنّ شرط الإقناعية ليس أساسياً .⁽¹⁾

أمّا الإقناعية الخاصة فتحصل " عندما يُطالب المحاور غيره بمشاركته باعتقاداته ، فإنّ مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه ، ولا تُدرج على منهج القمع ، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلاً استدلالية متنوعة تجرّ الغير جرّاً إلى الاقتناع برأى المحاور " .⁽²⁾

وعليه ، يستفاد أنّ الخطاب " يمر عبر قنوات عدة ، ويستند إلى خلفيات يرتبط بعضها بالوقائع التي ينصب عليها النظر ، وبعضها الآخر بعوامل منها ما هو ذاتي وما هو جماعي " ⁽³⁾ ، ذلك يستدعي استحضار عوامل ثقافية واجتماعية تتصل بالخلفيات المعرفية المشتركة بين المتخاطبين ، إضافة إلى معطيات أخرى تتضافر فيما بينها ليحصل الإقناع والاقتناع . " فالقصد الأساس لكلّ أنواع الحوار هو الفهم والإفهام بغاية الإقناع والاقتناع بفعل أمر أو تركه " .⁽⁴⁾

د- الاعتقادية :

ينصب هذا الشرط على مجموعة من القضايا والآراء التي يؤمن بها المتحاورون على جهة الاعتقاد قوة وضعفاً ، يقينا أو شكاً فـ " كلّ محاور يعتقد القضايا الضرورية والبديهية والمسلم بها ، فضلاً عن كونه يعتقد الرأى الذي يعرضه على الغير ، ويعتقد صحة هذا الاعتقاد وما يلزم عنه وصحة الدليل الذي يقيمه على رأيه ، كما أنّه يعتقد الانتقاد الذي يُوجّهه إلى رأى الغير ، ولا يقتنع برأى الغير إلا إذا اعتقد أنّ هذا الرأى مقبول " .⁽⁵⁾

مما تقدم ، يتضح أنّ نظرية " غرايس " بمبدئها التعاوني وقواعده الفرعية " تسعى إلى أن تكون نظرية عامة ، وفي الخطاب اللغوي الحوارى بصفة خاصة " ⁽⁶⁾ باعتبار أنّ القواعد المقترحة في هذه النظرية ترسم للمشاركين في الحوار ما يجب عليهم فعله لتتم عملية التحوار بالطريقة المثلى التي تقوم

- 1 - بنعيسى عسو أزييط ، الخطاب اللساني العربى ، ج 2 ، ص 288 .
- 2 - طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام ، ص 38 .
- 3 - العياشى أدراوى ، الاستلزام الحوارى في التداول اللسانى ، ص 109 .
- 4 - المرجع نفسه ، ص 110 .
- 5 - طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام ، ص 38 .
- 6 - بنعيسى عسو أزييط ، الخطاب اللسانى العربى ، ج 2 ، ص 289 .

على التعاون والعقلانية والفعالية ، أي أن يتحدثوا بصدق ووضوح مقدمين معلومات كافية على حدّ
تعبير " ليفنسون " .⁽¹⁾

تسعى التداولية لتجاوز النظرة الصورية للغة ، لتدعو إلى ضرورة إيلاء العناية الكافية بالظروف
المناسبة عند استعمال اللغة ، منطلقة في ذلك من اقتناعها أنّ اللغات الطبيعية بنيات تُحدد
خصائصها ظروف استعمالها ، في إطار وظيفتها الأساسية ، وظيفّة التواصل .

1 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

المبحث الثاني

الوظيفية ودورها في
تشكيل النظام اللغوي

شهدت الفترة الممتدة بين أواخر القرن التاسع عشر وما بعد الحرب العالمية الثانية تراكما معرفيا كبيرا في مجال الدراسات اللغوية ، فهي " ذات جذور فكرية تعود إلى أصول سبقتها " (1) وانطلاقا من المناهج المعتمدة في دراسة وتحليل المواد اللغوية وما يرتبط بها من صيرورات ذهنية ومؤثرات خارجية فإنه يمكننا أن نُتميّز بين ثلاثة مدارس ، هي : الوصفية البنيوية ، والتوليدية التحويلية ، والوظيفية التداولية . أو هي بمصطلحات طه عبد الرحمن على التوالي : مرحلة الدّاليات ، ومرحلة الدّاليات ، ومرحلة التداوليات (2).

1- الوصفية البنيوية (مرحلة الدّاليات) :

يعود الفضل في الثورة التي عرفها الدرس اللساني في القرن العشرين إلى أعمال " دي سوسير " (3) حول العلامة اللغوية التي اقتصر فيها على ثنائية الدال والمدلول ، وأسند مرجع العلامة إلى علم آخر هو " السميولوجيا " ، إضافة إلى تمييزه بين اللغة والكلام ، فحصر بذلك موضوع اللسانيات في اللغة بعدّها نظاما من العلامات (3).

وقد ركّزت البنيوية أبحاثها على تفتيت الدوال اللغوية (كلمات أو جمل) إلى عناصرها الأساسية للبحث في العلاقة التي تنظمها ، والكشف عن القوانين الداخلية المتحكمة فيها .

فالموضوع الوحيد والحقيقي للدراسة اللغوية عنده هو " اللغة التي ينظر إليها كواقع قائم بذاته

1 - يحي بعبطيش ، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي ، أطروحة دكتوراه دولة ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2005 - 2006 ، ص 35 .

2 - ينظر كتابه : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 28 . إذ يرى أنّ اللسانيات تنقسم إلى ثلاثة أقسام : أ- الدّاليات : يُقصد بها الدراسات التي تختص بوصف الدال الطبيعي في نُطقه وصوره وعلاقاته . فالدّاليات تشمل الأقسام الثلاثة : الصوتيات والصرفيات والتكبيبات .

ب- الدّاليات : هي الدراسات التي تختص بوصف العلاقات التي تجمع بين الدوال الطبيعية ومدلولاتها سواء اعتبرت تصورات في الذهن أو أعيانا في الخارج .

ج- التّداليات : هي الدراسات التي تختص بوصف العلاقات التي تجمع بين الدوال الطبيعية ومدلولاتها وبين " الدالين " بها ، أي مستخدميها .

* نشير هنا إلى أنه تزامنت مع ثورة " سوسير " اللغوية ثورات قادها بعض الفلاسفة واللغويين ، أمثال : شارل موريس ، فيتغنشتاين ، بيرس ، ترويتسكوي ، هلمسليف ، مارتيني ، وغيرهم .

3 - سوسير ، محاضرات في الألسنية العامة ، ص 27 . فسوسير لا يتردد أدنى لحظة في جعل اللسانيات من حقل عام هو حقل السميولوجيا ، ومعنى هذا أنه لا يعتبر اللسانيات إلا جزءا من السميولوجيا ، مع أنه هو شخصيا فترق تفريقا واضحا بين العلامة اللغوية والعلامة الإشارية ، وبين ما هو منطوق وما هو مخطوط ... ينظر : عبد الجليل مرتاض ، لسانيات النص التحليلية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2013 ، ص 22 .

يبحث فيها لذاتها".⁽¹⁾ فابتعد بذلك عن النظر في اللغات من وجهة نظر تاريخية أو مقارنة .

ولما تحوّلت البنيوية إلى إطار نظري مهيمن على تفكير تلك الفترة ، فقد تأثر بهذا الاتجاه اللساني كثير من اللغويين ، أمثال : " لويس هلمسليف " و " تروبتسكوي " و "مارتيني " و " بلومفيلد " .⁽²⁾

2- التوليدية التحويلية (مرحلة الدّالات) :

ترتبط هذه المرحلة بالمنهج التوليدي التحويلي الذي ثار على المنهج البنيوي الذي اكتفى بوصف الظاهرة اللغوية وتصنيفها انطلاقاً من مدونة لغوية محددة ، في حين أنّ منهج " تشومسكي " منهج ذهني يجعل ملكة اللغة قدرة فعّالة غريزية وفطرية " ⁽³⁾ ، فهو يصف ويفسر ويعلل ما يُعرف عنده بالقدرة اللغوية للمتكلم والمتلقي ، وهي قدرة تمكّن من إنتاج وفهم عدد لا نهائي من الجمل الصحيحة انطلاقاً من عدد محدد من الكلمات ، وهو ما يُعرف بالصفة الإبداعية للغة .

وبهذا فقد رسم " تشومسكي " اتجاهها جديداً في اللغة ، " سار فيه أتباعه أمثال : " كاتز J.J.Katz " و " فودور J.A.Fodor " و " لايكوف G.Lakoff " [...] أنتجوا نماذج نحوية ، في إطار هذا المنهج التوليدي التحويلي بصفة عامة ، وفي إطار الدلالة التوليدية بصفة خاصة " .⁽⁴⁾

وقد اعتنى كل من " كاتز " و " فودور " بالقضية الدلالية وحاولا تطويرها ، فوضعا نوعين من القواعد الدلالية : ⁽⁵⁾

- القواعد المعجمية .

- القواعد التفسيرية .

فوظيفة القواعد المعجمية هي إيضاح المفردات المعجمية ثم تبين وظائفها الدلالية في التركيب .

أمّا وظيفة القواعد التفسيرية فهي تحديد الطريقة التي من خلالها يمكن للمفردات المعجمية أن

1 - علي زوين ، منهج البحث بين التراث وعلم اللغة الحديث ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط 1 ، 1986 ، ص 10 .

2 - ينظر : نعمان بوقرة ، المدارس اللسانية المعاصرة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ص 76 وما بعدها .

3 - المرجع نفسه ، ص 140 .

4 - يحي بعبطيش ، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي ، ص 38 .

5 - ينظر : نعمان بوقرة ، المدارس اللسانية المعاصرة ، ص 159 .

تنضم بعضها إلى بعض ، وذلك من أجل تفسير التركيب دلاليا .

3- الوظيفية التداولية (مرحلة التداوليات) :

كانت اللغة في المرحلتين السابقتين (الداليات والداليات) تُدرس بعيدا عن المواقف والظروف الاجتماعية التي تنتج فيها ؛ لكن اللغة ككيان مستقل لا قيمة لها ، فهي ليست صيغا وتراكيب مقصودة لذاتها ، وإنما وُجدت للتعبير عن وظائف وأفعال كالأمر والنهي والترجي والدعاء والوصف ، وغيرها من الوظائف اللغوية .⁽¹⁾ فليست " بنية اللغات الطبيعية مستقلة عن وظيفتها التواصلية " .⁽²⁾ وعليه أُعيد الاعتبار للسياق خاصة مع فلاسفة اللغة العادية ونظرية أفعال اللغة (كارناب وأستين وسيرل مثلا) ، ونظريات النحو الوظيفي (خاصة نظرية النحو الوظيفي مع سيمون ديك) .

وقد كان الفضل لـ " ديل هايمز " في الدعوة إلى توسيع مجال اللسانيات ليشمل مظاهر تداولية وخطابية ونصية ، من خلال انتقاده نظرة " تشومسكي " للغة التي جعلها " مجردة عن الاستعمال وملابساته ، ومجردة عن كلّ العوامل الخارجية التي تؤثر فيها ، نفسية أو اجتماعية أو غيرها " .⁽³⁾ وقد حصر بذلك " تشومسكي " مظاهر اللغة في المظاهر التركيبية والدلالية والصوتية متحاشيا تحليل السياق الاجتماعي .

والنتيجة أنّ اللسانيات تنقلت عبر مراحل تطورها من العناية بالدراسة الصوتية والصرفية إلى العناية بالتركيب ثم الدلالة . وهي في كلّ مرحلة كانت تكشف لنفسها مظاهر جديدة تساهم إلى جانب المظاهر الأخرى في بنية اللغة .⁽⁴⁾ وكان على اللسانيات " أن تتابع تطورها في اتجاه بحث العلاقة بين بنية اللغة وبين استعمالاتها " ⁽⁵⁾ خاصة وأنّ جهودا سابقة كجهود لسانيي مدرسة براغ

1 - ينظر : نايف خرما وعلي حجاج ، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1988 ، ص 185 .

2 - أحمد المتوكل ، مسائل النحو العربي ، في قضايا نحو الخطاب الوظيفي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2009 ، ص 8 .

3 - عز الدين البوشيخي ، لسانيات النص في ضوء نظرية النحو الوظيفي الخطابي ، ضمن كتاب " لسانيات النص وتحليل الخطاب " ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2013 ، ج 2 ، ص 120 .

4 - ينظر : المرجع نفسه ، ص 123 .

5 - المرجع نفسه ، ص 124 .

وفيرث وغيرهم كانت قد مهدت لذلك . فلا يُمكن مثلا أن ندرك العلاقة القائمة بين وسائل التواصل المختلفة " إلا إذا انطلقنا من مستوى ليس هو الصّوارة أو التركيب أو الدلالة ، إنه مستوى أفعال الكلام الذي يشمل الوسائل غير اللفظية مثل حركات الجسد " .⁽¹⁾

فالمعطيات اللغوية التي يشتغل بها اللساني هي " معطيات مستمدة من مقامات تواصلية تُستعمل فيها ، ومرتبطة بالتفاعل الكلامي القائم بين المتكلم والمخاطب لحظة إنتاجها " ⁽²⁾ ، ما جعل " سيمون ديك " يُقيم نظريته النحوية الوظيفية على الاهتمام بالخطاب وظروف إنتاجه .

كان النحو الوظيفي من ثمرات الدراسات الوظيفية . وهو " يهتم بوظيفة اللغة الأساسية التواصل " .⁽³⁾ ويُحدد موضوع اللسانيات في " وصف القدرة التواصلية لدى المتكلم والسامع " .⁽⁴⁾ فهو يُعدّ نظرية في التركيب والدلالية من وجهة نظر تداولية .^(*) فالشروط التداولية هي التي تحدد الخصائص التركيبية والصرفية ، أي " أن ظروف التواصل تحدد بنية اللغة " .⁽⁵⁾

فالنحو الوظيفي يهدف إلى أن " يُكوّن نظرية خطاب شاملة ، وتفسر الوصف والتفسير الملائمين ، خصائص الخطاب الطبيعي أيّا كانت أشكاله وأنماطه وظروف إنتاجه " .⁽⁶⁾

ويراه " سمون ديك " جزءا من نظرية تداولية موسعة مجالها التفاعل الكلامي ، إذ يعكف على كشف خصائص العبارات اللغوية ، وكيفية استعمالها ، وطرق ارتباطها بقواعد التفاعل الكلامي .^(**)

وبذلك لم تكتفِ اللسانيات الوظيفية باتخاذ النص موضوعا للدراسة وإنما تعدّته إلى الاعتداد بالمقام " وجعل الخطاب موضوعا للدرس اللساني " .⁽⁷⁾

1 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

2 - المرجع نفسه ، ص 126 .

3 - أحمد المتوكل ، من البنية الحملية إلى البنية المكونية ، الوظيفة المفعول في اللغة العربية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1987 ، ص 5 .

4 - خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 40 .

* ينظر : أحمد المتوكل : - الوظائف التداولية في اللغة العربية ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 1985 .

- الوظيفية بين الكلية والنمطية ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، الرباط ، ط 1 ، 2003 ، ص 19 .

5 - خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 61 .

6 - أحمد المتوكل ، قضايا اللغة العربية واللسانيات الوظيفية ، بنية الخطاب من الجملة إلى النص ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، الرباط ، ط 1 ، 2001 ، ص 276 .

** ينظر : مصطفى غلفان ، اللسانيات العربية الحديثة ، ص 258 - 259 .

7 - خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 62 .

فالدراسة الوظيفية تهتم بدراسة الوحدات اللغوية داخل الخطاب ، إلى جانب اهتمامها بما هو خارج الخطاب ، أي دراسة المحتوى غير اللغوي ، فهي بذلك تعتدّ بالسياق والمتكلم والمخاطب .

وهكذا ، فإنّ الدرس التداولي تميّز بتحديدده لما يُعرف بالوظيفة التداولية للغة ، إذ تجاوز فكرة الوظيفة الوحيدة للغة وهي التواصل إلى تعدد الوظائف وأهمها الوظيفة التأثيرية إذ " أنّ اللغة ذات وظيفة تأثيرية في السلوك الإنساني ، وتبني عليه تغيّرات في المواقف والآراء " .⁽¹⁾

إنّ مهمة الوظائف التداولية حسب " المتوكل " تتمثل في تحديد وضعية مكونات الجملة ، بالنظر إلى البنية الإخبارية والمعلوماتية ، وفي علاقة الجملة بالطبقات المقامية المحتمل أن تُنجز فيها⁽²⁾ ، فهي إذًا وظائف مرتبطة بالسياق والمقام ، ويمدّى إنجازيتها ، في واقع التواصل .⁽³⁾

ويُبيّن " المتوكل " أنّ التواصل بوجه عام يقتضي ثلاث بُنى متضافرة ، هي : البنية التداولية ، والبنية التركيبية ، والبنية الدلالية .

فالبنية التداولية تحكمها طبيعة التواصل وشروط الأداء . وتحدد البنية التركيبية (المكونية) العلاقات القائمة بين الوحدات اللسانية للبنية . أما البنية الدلالية فيحددها مستوى تشكيل معنى الملفوظ سياقًا ومقامًا .⁽⁴⁾

تختص البنية التداولية بوظيفة بيان " علاقة التخابر التي تقوم بين المتخاطبين في موقف تواصلية معيّن . بتعبير آخر يرتبط إسناد الوظائف التداولية بكمّ ونوعيّة المعلومات التي يعتقد المتكلم أنّها متوفرة في مخزون المخاطب حين عملية التخاطب " .⁽⁵⁾

وقد جعل " المتوكل " الوظائف إستنادًا إلى " سيمون ديك " نوعين : داخلية وخارجية .⁽⁶⁾

تتسم **الوظائف الداخلية** " بكونها تُسند إلى عناصر تنتمي إلى الجملة ذاتها " ⁽⁷⁾ ، وهي تشمل

1 - المرجع نفسه ، ص 117 .

2 - ينظر : أحمد المتوكل ، الجملة المركبة في اللغة العربية ، ص 25 .

3 - ينظر : خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 119 .

4 - ينظر : أحمد المتوكل ، الوظيفة بين الكلية والمنطقية ، ص 73 .

5 - أحمد المتوكل : قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، بنية الخطاب من الجملة إلى النص ، ص 109 .

6 - ينظر : أحمد المتوكل : - بنية الخطاب من الجملة إلى النص ، ص 110 .

- الوظائف التداولية في اللغة العربية ، الكتاب كاملا .

- الجملة المركبة في اللغة العربية ، ص 25 .

7 - أحمد المتوكل ، بنية الخطاب من الجملة إلى النص ، ص 110 .

وظيفتي المحور والبؤرة .

أما الوظائف التداولية الخارجية فهي غير مرتبطة بعناصر الجملة . وتشمل وظائف المبتدأ والخبر

(*) .

1- الوظائف الداخلية :

1-أ- الوظيفة المحور : (***) تُسند إلى المكون الدال على ما يُشكل المحدّث عنه داخل الحمل

. والمحور " هي الذات التي تشكّل محط خطاب ما ، أو الذات التي تشكل موضوع حمولة المعلومات الواردة في الخطاب " (1) ، مثل : - متى رجع زيد ؟

- رجع زيد البارحة .

يشكّل (زيد) محور الجملتين ، وهو محط الحديث فيهما ، ويؤدي وظيفة المحور بمقتضى الوضع التخابري القائم بين المتكلم والمخاطب في طبقة مقامية معيّنة (محور الاستخبار في الأولى ، ومحور الإخبار في الثانية) .

1-ب- الوظيفة البؤرة : (***) تُسند إلى المكوّن الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزا

في الجملة . وهي عند " المتوكل " قسمان :

- بؤرة الجديدة : ترتبط بالمكوّن الحامل للمعلومة المجهولة لدى المخاطب لا المعروفة . لا تدخل في القاسم الإخباري المشترك بين المتكلم والمخاطب .
- بؤرة المقابلة : ترتبط بالمكوّن الحامل للمعلومة التي هي محلّ شكّ أو إنكار من المخاطب .

2- الوظائف الخارجية :

2-أ- الوظيفة المبتدأ : (****) المبتدأ هو ما يحدد مجال الخطاب الذي يعتبر الحمل بالنسبة

* ينظر أحمد المتوكل : الوظائف التداولية في اللغة العربية ، الفصل الثاني من الكتاب (ص 113 وما بعدها) .

** ينظر : أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، ص 69 وما بعدها .

1 - خليفة بوجادي ، في السانبات التداولية ، ص 120 - 121 .

*** ينظر : أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، ص 28 وما بعدها .

**** ينظر : المرجع نفسه ، ص 115 وما بعدها .

إليه واردا ، نحو : زيد ، أبوه مريض .

ومن خصائصه أنه معروف لدى كلّ من المخاطب والمتكلم ، وأن تكون إحالته مرتبطة بالمقام ، أي بالوضع التخاطبي بين المتخاطبين ، فجملة (الشجرة ، تساقطت أوراقها) مثلا غير محيلة ؛ لأنّ الشجرة وإن كانت محلاةً بـ(أل) ، فهي لا تُقدّم معرفة كاملة .

2-ب- الوظيفة الذليل^(*): تُسند إلى المكوّن الدال على الذليل ، وهو الحامل للمعلومة التي

توضح معلومة داخل الجمل أو تعديلها أو تصحيحها ، نحو : أخوه مسافر ، زيد ، ساءني زيد سلوكه ، زارني خالد ، بل عمرو .

2-ج- الوظيفة المنادى^(**): تُسند إلى المكوّن الدال على الكائن المنادى في مقام معيّن

. وينبغي التمييز بين النداء بعده فعلا لغويا شأنه شأن الإخبار أو الاستفهام أو الأمر ، وبين المنادى بعده وظيفة ؛ أي علاقة تُسند إلى أحد مكوّنات الجملة . فالوظيفة المنادى وظيفة تداولية مرتبطة بالمقام على نحو ارتباط وظيفة المبتدأ أو الذليل ، نحو : يا زيد ، أخوك مقبل .

وقد تبنى " أحمد المتوكل " نظرية النحو الوظيفي واتخذها إطارا منهجيا لمعالجة قضايا اللغة العربية لأنها⁽¹⁾:

- النظرية الأكثر استجابة لشروط التنظير من جهة وللمقتضيات " النمذجة " ^(***) من جهة أخرى .

- المقاربة التي تتميز بنوعية المصادر ، فهي محاولة لصهر بعض من مقترحات نظريات لغوية (النحو العلاقي ، نحو الأحوال ، الوظيفية ، نظريات فلسفية ، ونظرية الأفعال اللغوية) .

ومن هنا فإنّ النحو الوظيفي " يستجيب لمجموعة من الشروط المنهجية في التنظير إضافة إلى

* ينظر أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، ص 144 وما بعدها .

** ينظر : المرجع نفسه ، ص 161 .

1 - ينظر : المرجع نفسه ، ص 9 .

*** النمذجة : عملية بناء الجهاز الواصف ، الذي يصف بناء لغة ما من اللغات ، وتنظيم مكوناته وفق منظور صوري ، بحيث يكفل هذا الجهاز التمثيل الملائم للظاهرة المروم رصدها ، اللغة في هذا السياق ، ويتم بناء الجهاز الواصف أم النموذج انطلاقا من المبادئ المنهجية المتضمنة في النظرية التي تخلقه . ينظر : أحمد المتوكل ، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ، الأصول والامتداد ، ص 38 .

مقتضيات النمذجة وآلياتها ومفاهيمها الإجرائية " (1) لذلك أطلق " المتوكل " مصطلح " النظرية الوظيفية المثلى " (*) على النظرية الوظيفية التي من صفاتها: (2)

- أنها تنطلق من مبدأ اعتبار اللغة أداة ترجع وظائفها الممكنة إلى وظيفة التواصل ، وتؤسس على هذا المبدأ وصفا لبنية اللغات صرفا وتركيبا وصوتا .

- تجعل من وظيفة التواصل أساسا للبحث في قضايا التنظير اللساني الكبرى كقضية اكتساب اللغة وقضية الكليات اللغوية .

- من هذه المواصفات التي تهدف إليها النظرية الوظيفية المثلى مجاوزة الأهداف التقليدية (كالوصف المحض لظواهر اللغة والتفعيد للغة نفسها تفعيدا تعليميا للحفاظ عليها من اللحن) إلى هدف أساس هو تحصيل الكفاية اللسانية ، أي مجاوزة كفاية الوصف إلى كفاية التفسير من خلال ربط دراسة اللغات بقدرة المتكلم والسامع ، وباكتساب اللغة .

يرى " أحمد المتوكل " أنّ مستعملي اللغة الطبيعية " لا يتواصلون بقطع جملة بل بخطابات متكاملة " (3) ، وعليه ، فهدف النظرية الوظيفية هو تجاوز حدود الجملة إلى الخطاب ، لذلك فهو يؤكد أنّ غاية النحو الوظيفي هي " وصف وتفسير ظواهر اللغة العربية (ضمن اللغات الطبيعية) الجُمليّة منها والنصية [...] يمدّ الجسور بين الجملة والنص " (4).

فالمتوكل يرمي إلى تجاوز حدود الجملة إلى ما هو أعمق ؛ الخطاب ، إضافة إلى التركيز على الوظيفة التواصلية والإبلاغية والإقناعية للخطاب ، وبذلك يكون قد أسّس لنحو وظيفي يفني بتحقيق

1 - ينظر : عبد الوهاب صديقي ، لسانيات الخطاب ، من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص ، دراسة في بعض مؤلفات مشروع أحمد المتوكل الوظيفي ، الجنان ، مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز البحث العلمي ، جامعة الجنان ، طرابلس ، لبنان ، ع 2 ، 2011 ، ص 181 - 182 .

* ينظر : أحمد المتوكل ، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد ، مكتبة دار الأمان ، الرباط ، ط 1 ، 2006 ، ص 43 . والنظرية الوظيفية " المثلى " هي مجموعة من المواصفات تستخلص مما تطمح إليه النظريات ذات المنحى الوظيفي وتجتهد في تحقيقه أو في تحقيق القسط الأوفر منه .

2 - ينظر : راضية بن عريبة ، من لسانيات الجملة إلى لسانيات الخطاب ، أعمال أحمد المتوكل أنموذجا ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، السنة 18 ، العدد 71 ، سبتمبر 2010 ، دبي ، الإمارات العربية المتحدة ، ص 87 - 88 . وأحمد المتوكل ، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد ، ص 43 وما بعدها .

3 - عبد الوهاب صديقي ، لسانيات الخطاب من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص ، ص 182 .

4 - أحمد المتوكل ، بينة الخطاب من الجملة إلى النص ، ص 10 .

هدفين : (1)

- استكشاف ما يوحد بين بنية الكلمة وبنية المركب وبنية الجملة وبنية النص .
 - الاقتصار على نفس المبادئ والإواليات في وصف بنية كل من هذه المستويات الأربعة .
- فنظرية النحو الوظيفي هي " نظرية تطمح إلى الربط بين بنية اللسان الطبيعي ووظيفته الأساسية ، وظيفته إتاحة التواصل داخل المجتمعات البشرية " (2) ، فكان من الطبيعي لها أن تتخذ لها الخطاب لا الجملة الواحدة ، أي النص مؤطرا بطروف إنتاجه .
- والخطاب عند " المتوكل " هو " كلّ تعبير لغوي أيّا كان حجمه ، أنتج في مقام معيّن قصد القيام بغرض تواصلية معيّن " (3) ، فهو كلّ تجاوز للجملة كمجرد سلسلة لفظية تحكمها آليات الاتساق الداخلي الشكلية (الصوتية والتركيبية والدلالية) .
- ومعنى ذلك أنّ الخطاب :(*)
- تعبير قد يكون شفويا أو مكتوبا .
 - إنتاج مقام ، أي أنه يُنتج في مقام معيّن وسياق معيّن .
 - غايته تحقيق التواصل بين متخاطبين (متكلم وسماع) .
- ولا يكون هذا التواصل ناجحا إلا إذا راعى المتكلم مخزون المخاطب المعلوماتي . ويتضمن مخزون كلّ من المتكلم والمخاطب : (4)
- معارف عامة تتعلق بمدرجات المتخاطبين عن العالم .
 - معارف مقامية مشتقة من عناصر المقام الذي تتم فيه عملية التواصل .
 - معارف سياقية يُوفرها للمتخاطبين ما تم إيرادها في قطعة خطابية سابقة .

1 - ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

2 - أحمد المتوكل ، بنية الخطاب ، من الجملة إلى النص ، ص 15 .

3 - المرجع نفسه ص 17 .

* ينظر : عبد الوهاب صديقي ، لسانيات الخطاب ، من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص ، ص 184 .

4 - أحمد المتوكل ، بنية الخطاب من الجملة إلى النص ، ص 19 .

وقد صنّف " المتوكّل " الخطاب إلى أنواع تبعا للمعايير الآتية: (1)

- أ- الغرض التواصلّي المستهدف : خطاب سردي ، وصفي ، حجّاجي ، تعليمي ، ترفيهي ...
- ب- نوع المشاركة : خطاب ثنائي ، خطاب جماعي ، خطاب فردي ، أي " مونولوج " ، لا يوجهه المتكلم لغير نفسه
- ج - طرق المشاركة في الخطاب : مباشر ، بين متخاطبين متواجهين أثناء عملية التخاطب . وغير مباشر كأن يكون الخطاب مكتوبا ، أو شبه مباشر ، خطاب هاتفي ، خطاب إذاعي ، أو تلفزي ...
- د- نوع القناة : خطاب شفوي ، خطاب مكتوب ...
- هـ - الوجه : خطاب موضوعي حاليا من تدخل ذات المتكلم ، خطاب ذاتي مصدره المتكلم يُضمّنه انفعالاته وعواطفه ووجهات نظره .

وبذلك نرى بأنّ الخطابات تتعدد بتعدد المعايير التي تُعتمد في تصنيفها .

وعليه ، فالخطاب هو كلّ وحدة تواصلية في سياق ومقام معيّنين ، دون الاعتداد بحجمه ، نصا أو جملة . فالخطاب أعمّ من النص الذي يُحدّد بأنه وحدة بنيوية تتكون من متواليات من الجمل ، تربطها علاقات شكلية (آليات الاتساق) ومعنوية (آليات الانسجام) (*) ، فالشعار " ممنوع التدخين " مثلا إنّ وُجد في سياق داخل حافلة ، فهو خطاب . إذن ، يتحدد النص بعدد الجمل المكونة له ، وعلى العكس من ذلك الخطاب .

والنتيجة ، أنّ نظرية النحو الوظيفي " نظرية خطاب تجاوزت قضاياها الجملة صوتا وتركيبا إلى قضايا الخطاب " (2) ، باعتبار أنّ الخطاب إنتاج لغوي تواصلّي يرتبط بسياق ومقام معيّنين .

وبذلك تكون اللسانيات الوظيفية قد تجاوزت النص واتجهت إلى المقام وجعلت الخطاب موضوعا للدرس اللساني ، وهي الأسس التي اعتمدت عليها التداولية .

1 - ينظر : المرجع نفسه ، ص 20 وما بعدها .

* ينظر : أحمد المتوكّل ، اللسانيات الوظيفية وتحليل الخطاب ، ضمن كتاب " لسانيات النص وتحليل الخطاب " ، ج 1 ، ص 34 .

2 - عبد الوهاب صديقي ، لسانيات الخطاب ، من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص ، ص 190 .

وما يمكن استخلاصه فيما يتعلق بالدرس التداولي :

- كان لفلاسفة اللغة العادية الأثر في نشأة هذا الاتجاه خاصة فيتغنشتاين وأعلام مدرسة أكسفورد : أوستين وسييرل وغرايس .

- للتداولية صلة وثيقة بعلوم أخرى ، كعلم الدلالة ، وعلم النفس اللغوي ، وعلم اللغة الاجتماعي ، وتحليل الخطاب . وأشدّها التباساً بما علم الدلالة⁽¹⁾ ؛ لأنّ الباحثين لم يلتزموا الحدود التي رسمت لكلا العلمين . فعلم الدلالة يدرس العلاقة بين العلامة اللغوية والعالم ، والتداولية تدرس العلاقة بين العلامات اللغوية ومفسريها .

- البحث في التداولية محكوم بأعراف لغوية واجتماعية⁽²⁾ ، فهو معني بكيفية وصول السامع إلى مراد المتكلم ، وما يقدمه المتكلم من وسائل لغوية في سياق اجتماعي وثقافي معيّن ليساعد السامع على الوصول إلى مراده .

- لا يمكن الاستغناء عن الدراسة الشكلية ودراسة الاستعمال في تحليل الظاهرة اللغوية ، إذ أنّ دراسة اللغة دراسة صورية معزولة عن السياق الاجتماعي والسياسي تبقى منقوصة ما لم توضع على محك الاستعمال . وكذلك دراسة الاستعمال اللغوي فإنه لا يتم على الوجه الصحيح إذا عُزل عن الدراسة الشكلية ، فالجانبان متكاملان ، لا يجوز الاستغناء بأحدهما عن الآخر⁽³⁾ .

1 - محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 52 .

2 - محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 52 - 53 .

3 - المرجع نفسه ، ص 53 .

المبحث الثالث

التحليل اللساني من
الجملة إلى النص

عرفت الدراسات اللسانية في القرن العشرين تحولات مهمة على المستوى المعرفي والمنهجي نتيجة اتصالها بمعارف وعلوم عصرية متعددة ، خاصة منها أعمال " فردينان دي سوسير " من خلال محاضراته الشهيرة التي جُمعت بعد وفاته في كتاب " محاضرات في اللسانيات العامة " إذ عُدَّت (هذه المحاضرات) " تأسيسا لمرحلة جديدة مخالفة لتصورات وآراء الدارسين السابقين ، وإن كانت قد أفادت من النحو التقليدي من قبل " .⁽¹⁾ وهي بذلك عُدَّت اللسانيات درسا جديدا " له مقوماته التي تميّزه عن البحوث السابقة ، وله مقولاته التي يستند إليها " ⁽²⁾ باعتباره علما مستقلا ضمن الحقل المعرفية .

ومعنى النظر في آراء " سوسير " من خلال محاضراته يمكنه أن يلاحظ ما أُطلق عليه " الثنائيات السوسيرية " ، والتي تتمثل في : ⁽³⁾

1- التفريق بين اللسان واللغة ، وبين اللغة والكلام .

2- التمييز بين الدراسة الآنية للغة والدراسة التعاقبية .

3- العلاقة بين الدال والمدلول وطبيعة العلامة اللغوية .

من الثنائيات المشهورة التي قدّمها " دي سوسير " تفريقه بين اللغة والكلام . ويقصد بالكلام " ما ينشأ عن الاستخدام الفعلي للغة ، أي ناتج النشاط الذي يقوم به مستخدم اللغة عندما ينطق بأصوات لغوية مفيدة " .⁽⁴⁾ في حين تتسم اللغة بالطابع الاجتماعي " بوصفها ظاهرة اجتماعية كامنة في أذهان أفراد المجتمع " .⁽⁵⁾

فاللغة ظاهرة إنسانية لها أشكال متعددة تنتج من الملكة اللغوية ، بينما الكلام مفهوم فردي

-
- 1 - بلقاسم دفة ، التركيب اللغوي في قصيدة " ليلي المقدسية مهري البندقية " للشاعر مصطفى محمد الغماري ، الملتقى الدولي الخامس " السيمياء والنص الأدبي " ، 15 - 17 نوفمبر 2008 ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، ص 74 .
 - 2 - خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي الحديث ، ص 13 .
 - 3 - ينظر : أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط 3 ، 2007 ، ص 120 وما بعدها . وصلاح فضل ، مناهج النقد المعاصر ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2002 ، ص 69 - 70 .
 - 4 - محمد محمد يونس علي ، مدخل إلى اللسانيات ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، لبنان ، ط 1 ، 2004 ، ص 53 .
 - 5 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها . ولعله بهذا الفصل يكون " سوسير " قد وضع حدا بين اللغة كأداة تواصل دلالي يقوم على جملة من الأركان (الأصوات والكلمات والتراكيب والدلالات) وبين اللغة كمكون فكري عقلي يقتبس من العوامل الاجتماعية والثقافية والتاريخية ... ينظر : محمد محمد الخري ، مفهوم اللغة في ضوء النظريات اللسانية الحديثة ، مجلة علوم اللغة ، مج 10 ، ع 3 ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2007 ، ص 152 .

ينتمي إلى اللسان ، ويشمل ما يعتري أداء الفرد للسان من ملامح فردية .⁽¹⁾ واللسان عند " سوسير " هو جزء معين متحقق من اللغة بمعناها الإنساني الواسع ، وهو اجتماعي ، عربي ، مكتسب . ويشكل نظاما متعارفا عليه داخل جماعة إنسانية محددة مثال ذلك : اللسان العربي .⁽²⁾

إنّ تمييز " سوسير " بين الجانبين اللسان والكلام ، أي بين الجانب الاجتماعي في اللغة وبين الجانب الفردي فيها " يُعدّ منطلقا جيدا لتتبع ظهور التداولية فيما بعد البنيوية " .⁽³⁾

ويذهب " محمد محمد يونس علي " إلى أنّ ثمة صلة بين التمييز بين اللغة والكلام من جهة ، والتفريق بين المعنى والقصد من جهة أخرى " وهي صلة لم يشر إليها دو سوسور صراحة ، ولكنها ترسّخت في الدراسات البراغماتية الحديثة التي استفادت من تمييز دو سوسور بين اللغة والكلام " .⁽⁴⁾ فعندما نتكلم فإننا بذلك نقل اللغة إلى كلام ، والجملّة إلى قولة ، والمعنى إلى قصد ، ودلالات الألفاظ إلى إشارات .⁽⁵⁾

وبتمييز " سوسير " الجانب الاجتماعي عن الجانب الفردي " يكون قد حصر المفاهيم المشتركة بين أفراد المجموعة اللغوية الواحدة ، وهي القوانين العامة (النظام) الذي يُؤدى فيه التواصل ، فيكون الخطاب ناجحا ما احترمها ، ومخفقا ما خالفها " ⁽⁶⁾ ؛ لأن اللغة في جانبها الاجتماعي تحكمها قوانين الظواهر الاجتماعية ، فهي " تحتكم إلى قوانين الجماعة اللغوية ونظام تواضعها " ⁽⁷⁾ وبذلك يأخذ اللفظ صيغته الاجتماعية وإنّ تلفظ به فرد معين .

إنّ ما يطبع البحث اللساني الحديث انطلاقه من فكرة أنّ اللغة اجتماعية " وهي كلّ بنيوي " ⁽⁸⁾ ، ومن ثمّ اعتبر مهمة اللسانيات الأساسية " هي الكشف عن القوانين الداخلية لهذا النظام سواء

1 - خليفة بوجادي ، اللسانيات النظرية ، دروس وتطبيقات ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، العلمة ، ط 1 ، 2012 ، ص 32 .

2 - ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

3 - خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 14 .

4 - محمد محمد يونس علي ، مدخل إلى اللسانيات ، ص 54 .

5 - ينظر : المرجع نفسه ، ص 55 .

6 - خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 14 .

7 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

8 - المرجع نفسه ، ص 15 .

أكانت قوانين ثابتة أم متطورة " (1).

يُعدّ كتاب " سوسير " ثورة في مجال دراسة اللغة ، ومحاضراته تكشف عن أول مقترح بنيوي للغة ، وبذلك شهدت العقود الخمسة اللاحقة تقدما نشطا لم يسبق له مثيل (2). وبذلك فقد ارتبطت " المدرسة البنيوية " باللساني " سوسير " الذي دعا " إلى التمييز بين الدراسات التزامنية ، وتشديده على مفهوم البنية ، والنظام في اللغة " (3).

ولم يكن " سوسير " معارضا للمنهج التاريخي في دراسة اللغة ؛ ولكنه رأى أنّ اللغويين كثيرا ما يخلطون بين دراسة بنية اللغة في مرحلة زمانية معينة ، ودراسة تاريخ تلك اللغة وتطورها ، فمتكلمي اللغة " عندما يستخدمون كلمة ما ، أو جملة ما لا يخطر ببالهم كيف كانت تستخدم تلك الكلمة ، أو تلك الجملة ، ولذا فإنّ الاستخدامات السابقة التي تنتمي إلى مرحلة تاريخية منقطعة عن المرحلة الحالية ليس لها تأثير في وضع اللغة الحالي (4). فالتأثير الذي يجب أن نوليه اهتمامنا هو الذي ينشأ عن علاقة العنصر اللغوي الذي يستخدمه المتكلم بالعناصر اللغوية الأخرى .

لقد عدّ " سوسير " اللغة " نظاما من الإشارات " (*) مجردا منفصلا عن تاريخه ، وعن الواقع الخارجي ، إلا أنّ هذا النظام المجرد " يُمكن أن يُجتلى ، ويتحقق في الواقع الفعلي ، ويرتبط بما هو خارج اللغة عندما ننقله من حيز الوجود بالقوة إلى حيز الوجود بالفعل عن طريق الكلام ، أو الاستعمال " (5). فعندما يقول القائل : " أنتم رجالان كريمان " لم يعد تحديد معنى كلمة (أنتم) في علاقتها بغيرها من الضمائر هي الوسيلة الوحيدة لفهم دلالتها ، بل ينبغي أيضا معرفة ما يشير الضمير في العالم الخارجي ، أي معرفة الشخصين اللذين يقصدهما المتكلم . وعليه فإنّ البنيويين "

1 - رومان ياكوبسون ، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ، تر : علي حاكم صالح وحسن ناظم ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 2002 ، ص 13 .

2 - رومان ياكوبسون ، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ، ص 28 .

3 - محمد محمد يونس علي ، مدخل إلى اللسانيات ، ص 65 .

4 - المرجع نفسه ، ص 66 .

* فاردنينان دي سوسير ، محاضرات في الألسنية العامة ، تر : يوسف غازي ومجيد النصر ، منشورات المؤسسة الجزائرية للطباعة ، 1986 ، ص 27 . حيث " لا يمكن تحليل الظواهر اللغوية بعزلها عن غيرها ، فهي أجزاء في نسق أكبر " . (خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 18) . ويقول بول ريكور : " ليس لأية وحدة منخرطة في بنية نظام معين مستقل بذاتها ، بل هي تستمد معناها من النظام ككل " . بول ريكور ، نظرية التأويل ، الخطاب وفائض المعنى ، تر : سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 2 ، 2006 ، ص 29 .

5 - محمد محمد يونس علي ، مدخل إلى اللسانيات ، ص 67 .

خلافًا لعلماء التخاطب يعنون باللغة لا بالكلام ، أو الاستعمال " (1).

تُعنى بنيوية " سوسير " بدراسة " بنية (أو بُنى) اللغة في حد ذاتها على نحو مستقل ، ليس فقط بعزلها عن التاريخ ، أو العالم الخارجي ، بل أيضا عن نسيجها الاجتماعي التي تعيش فيه ، والعمليات النفسية التي يقوم بها متكلموها عند فهمها ، أو اكتسابها " (2).

2- حلقة براغ :

تأسست " حلقة براغ " على يد بعض اللغويين الروس أمثال : " رومان ياكبسون Roman Jakobson " و " نيكولاي تروبسكوي Nicola Troubetskoy " و " كرسيفسكي " . وهي تُعدّ أولى المدارس اللسانية التي تجلت فيها أفكار " سوسير " فـ " أنشطتها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتيارات اللسانية الغربية والروسية المعاصرة " (3).

ومن الآراء التي تبنتها هذه المدرسة : (4)

- يتكون النظام اللغوي من وسائل تعبيرية ، تؤدي وظيفتها تواصليا ، ومهمة اللساني دراسة الوظيفة الفعلية للغة .
- اللغة حقيقة واقعية فعلية ، يحكم نمطها عوامل خارجية كالسياق والوسط الاجتماعي وطبيعة المتلقي ... وعلى اللساني دراستها في ضوء ذلك .
- للمنهج الآني الأولوية عن التاريخي لما له من تأثير على واقع اللغة الفعلي .

3- البنيوية الأمريكية :

ظهر في أمريكا ، في الثلث الأول من القرن العشرين ، تيار عُرف بـ " علم اللغة البنيوي " (*) ممثلا

1 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .
2 - محمد محمد يونس علي ، مدخل إلى اللسانيات ، ص 67 . يقول " سوسير " في آخر محاضراته : " إنّ هدف الألسنية المنفرد والحقيقي إنما هو اللغة منظورا إليها في ذاتها ولذاتها " . محاضرات في الألسنية العامة ، ص 280 .
3 - رومان ياكوبسون ، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ، ص 14 .
4 - ينظر : خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 22 - 23 .
* ينظر : حمو الحاج ذهبية ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، تيزي وزو ، الجزائر ، ط 2 ، 2012 ، ص 68 . هذه الصرامة جعلت هذا الاتجاه هو الأقرب إلى تطبيق المفهوم الدقيق للسانيات ، الذي يُعرف بأنه الدراسة العلمية للغة . (ينظر : محمد محمد يونس علي ، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ، ص 26) .

في أعمال ثلاثة أعلام مثلوه ، هم : " فرانز بواز F.Boas " و " إدوارد ساپير E.Sapir " و " بلومفيلد Bloomfield ". وقد تميّز هذا الاتجاه بالصرامة العلمية والمنهجية ، وهي تشترك مع اللسانيات الأوروبية في هيمنة الوصفية (الآنية) على اللغة .⁽¹⁾

ويرجع الفضل في بروز هذا الاتجاه إلى رائده " بلومفيلد " الذي تأثر إلى حد كبير بعالم النفس السلوكي " واطسن Watson " . وقد اشتهر " بنقل أفكار السلوكيين إلى مجال اللغة ، وتطبيقها على الدراسات اللغوية " ⁽²⁾ ، رافضا بذلك كلّ المعايير الذهنية في التحليل .

تقوم النظرية السلوكية على مبدئين اثنين ، هما المثير والاستجابة المعروفين في علم النفس السلوكي .⁽³⁾ فالأحداث التي تسبق الكلام تسمى المثير ، وتكون سببا في كلام المتكلم ، وتدعى الأحداث التي تلي الكلام ، استجابة السامع .

وعليه ، فإنّ الموقف الكلامي يتكون من : ⁽⁴⁾

أ-الأحداث العملية السابقة لعملية الكلام .

ب-الكلام .

ج-الأحداث العملية اللاحقة للكلام .

وقد دعا " بلومفيلد " إلى إبعاد دراسة المعنى من الوصف اللغوي " بسبب صعوبة البحث فيه بحثا موضوعيا " ⁽⁵⁾ ، مُرجعا ذلك إلى الأسباب الآتية :⁽⁶⁾

- صعوبة التعامل مع المعنى ؛ لأنه يحتاج إلى الإحاطة بكلّ شيء في عالم المتكلم ، وهو ما لا

1 - ينظر : محمد محمد يونس علي ، مدخل إلى اللسانيات ، ص 68 . وخليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 27 .

2 - محمد محمد يونس علي ، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ، ص 24 .

3 - ينظر : كلاوس هيشن ، القضايا الأساسية في علم اللغة ، تر : سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط 2 ، 2010 ، ص 155 . وهو الحاج ذهبية ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، ص 70 . وخليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 28 .

4 - محمد محمد يونس علي ، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ، ص 25 .

5 - محمد محمد يونس علي ، مدخل إلى اللسانيات ، ص 69 .

6 - ينظر : محمد محمد يونس علي ، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ، ص 26 . ومحمد محمد محمد الخري ، مفهوم اللغة في ضوء النظريات اللسانية الحديثة ، ص 164 . يقول الخري : " ثم إنّ بلومفيلد ومن سار حذوه من البنيويين اعتقدوا أنّ المعنى أمر موسوعي والإحاطة به تتطلب الإحاطة بكلّ ما توصل إليه الإنسان من خبرات في عالم الحياة ، وبما أنّ مثل هذه الإحاطة الكاملة مستحيلة فإنّ البحث في علم المعنى يظلّ يشكّل نقطة ضعف في الدراسات اللغوية " .

يمكن الإمام به .

- اختلاف شخصيات المتكلمين ، والتاريخ الثقافي لكلّ منهم ، وخبراتهم الشخصية ، ما يُسبغ المعنى بطابع شخصي ، ويجعل من الصعب التنبؤ بما يقوله المتكلم .

- أنّ التعامل مع المعنى يحتاج إلى الاستبطان ، أي التحقق بالنظر في داخل عقل الإنسان ، وهو عند السلوكيين منهج غير موضوعي .

فالمعاني عند السلوكيين موضوع يختص به علم النفس ، فهي (المعاني) لا تعدو أن تكون " وحدة عقلية أشبه باللغز " ⁽¹⁾ وبالتالي تقتضي معرفته معرفة كاملة من طرف المتكلم بالعالم الذي يحيط به . ما نتج عن ذلك اهتمام " بلومفيلد " وأتباعه بالنماذج الصورية أي " الصياغة الشكلية المجردة من أيّ سياق أو تأويل ، وهو ما يؤدي إلى الوقوع في أخطاء أثناء تحليل الخطاب " ⁽²⁾.

إنّ هذه النظرة التي أبعدت جانبا مهما في اللغة أثناء عملية التحليل ، وهو المعنى ، وجعلت دراستها تقتصر على تحديد المواقع المختلفة التي يحتلها عنصر ما في النظام " أسهمت في تأسيس المنهج التوزيعي " ⁽³⁾ على يد " بلومفيلد " ثم طوّره من جأؤوا بعده ، فقد جعلوا تحليل اللغة مقتصرًا على جانبها البنيوي " حيث تُوصف الفونيمات ثم المورفيمات ، وتُشرح كيفية بنائها وانتظامها في المفردات والجمل ، مع إبقاء الجوانب الدلالية ودراسة المعنى أضعف نقطة في التحليل " ⁽⁴⁾.

ومن الانتقادات التي وُجّهت للبنيوية :

- أنّ البنيوية تنظر إلى النص والجملة بعدّهما بنيتين ثابتتين ، خلافا للنظرة الوظيفية ⁽⁵⁾.

- أنّ البنيوية جعلت دراسة النص الأدبي داخلية مغلقة ، مما لم يسمح بتحليل قضايا عديدة بقيت عالقة ⁽⁶⁾.

- تكتفي البنيوية بالنظر في العلاقات الداخلية بين العلامات في النص ، مما حوّلها إلى تدريب

1 - هو الحاج ذهبية ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، ص 70 - 71 .

2 - المرجع نفسه ، ص 73 .

3 - خليفة بوحادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 28 . وينظر : محمد محمد محمد الخري ، مفهوم اللغة في ضوء النظريات اللسانية الحديثة ، ص 164 - 165 .

4 - خليفة بوحادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 29 .

5 - المرجع نفسه ، ص 30 .

6 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها . وينظر : عيد بلع ، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس ، ص 54 .

لغوي ، لا يتجاوز وصف هذه العلاقات إلى مساءلتها .⁽¹⁾

- لم تستطع البنيوية إنارة النص ، وبحث مقولاته ، ويرجع ذلك إلى :⁽²⁾

أ- انشغالها بآليات ونظامها عن ماهيتها .

ب- انحباسها في اللغة ؛ لأنّ النموذج اللغوي ليس بالضرورة موافقا للأنظمة غير

اللغوية .

- تمثل البنيوية قطيعة بين البنية النحوية ، وبين استعمالها في الواقع أو في النص الأدبي ، ولم تهتم

بالعلاقة بينهما ، وهي المهمة التي ستضطلع بها التداولية .⁽³⁾

كان لتأثير الفلسفة ، في منتصف القرن العشرين ، أثر على الدرس اللساني ، فقد استندت

اللسانيات إلى مقولاتها " وصار للفلسفة الحديثة أكثر من اتصال باللغة " ⁽⁴⁾ مما جعلها مصدرا من

المصادر الهامة في تطور اللسانيات الحديثة .

لقد بيّنا في المبحث الأول كيف أنّ فلسفة اللغة قد ميّزت بين لغتين ، اللغة العادية ، وهي اللغة

الطبيعية ، ولغة مثالية صناعية تخضع لكلّ الشروط المنطقية والنحوية ، كما وردت في بحوث

" روسل " و " فيتغنشتاين " ... وغيرها .⁽⁵⁾

ومن أهم تأثيرات فلسفة اللغة في الدرس اللساني عند " سوسير " أنّ العلاقة بين الدال

والمدلول التي شرحها سوسير ، وأوضح أنّها اعتباطية ، أصبحت علاقة بين الدال وبعض تأثيرات

بيانه . وقيمة العلامة تصبح قيمة جدالية على الأقل ، لا قيمة مستقلة ثابتة " .⁽⁶⁾ ويتفق ذلك مع

مثال " سوسير " عندما شبه اللغة بلعبة الشطرنج ، إذ يرى أنّ البيدق لا تتحدد قيمته ، ولا تبدو

خطورته إلا من خلال حركته . " وكذلك تتصف قيم العلامات بالجدلية " .⁽⁷⁾

1 - عبد العزيز حمودة ، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ،
أفريل 1998 ، ص 207 .

2 - المرجع نفسه ، ص 9 - 10 .

3 - خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 31 .

4 - المرجع نفسه ، ص 32 .

5 - ينظر : محمود فهمي زيدان ، في فلسفة اللغة ، ص 29 وما بعدها .

6 - خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 34 .

7 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

ومن التيارات اللسانية لما بعد البنيوية ، والتي ارتكزت على معطيات " سوسير " اللسانية ، واستندت إلى مقولات الفلسفة اللغوية :

1- المدرسة التوليدية :

وهي مجموعة من النظريات اللسانية التي وضعها وطورها اللساني الأمريكي " ناعوم تشومسكي Chomsky " . و" تعتمد هذه المدرسة في منهجها على استخدام ما يُعرف بالقواعد التوليدية " (1).

وقد صُنِّف " تشومسكي " ضمن لسانيات ما بعد البنيوية لسببين :

أولهما : أنّ ما قدمه " تشومسكي " في هذه النظرية يُعدّ نقطة تحوّل بارزة في الفكر اللساني الأمريكي . إضافة إلى الانتقادات التي وجهها إلى البنيوية التي اهتمت بالتحليل الشكلي للغة وأهملت المعنى بدعوى التمسك بالموضوعية في التحليل (2) ، فهي اكتفت بدراسة البنى السطحية دون العميقة ، لذلك فهي لم تلقَ الاهتمام الأكبر رغم مسيرتها الطويلة .

وثانيهما : أنّ دراسته للغة لم تكن تعتمد على إبراز جوانب اللغة فحسب ، وإنما يُصنّفها الدارسون ضمن إسهامات اللغويين أنفسهم في فلسفة اللغة ، إذ يبحث في طبيعة اللغة ، وكيف يتعلمها الطفل ، وكيف تتطور القدرة اللغوية ... (*)

والفكرة الأساسية التي يقوم عليها الاتجاه التوليدي هي " سمة الإنتاجية في اللغة التي بمقتضاها يستطيع المتكلم أن يؤلف ، ويفهم جملا جديدة غير متناهية لم يسبق له أن سمعها من قبل " (3). فاللغة عنده إبداع .

1 - محمد محمد يونس علي ، مدخل إلى اللسانيات ، ص 82 .

2 - ينظر : محمد محمد يونس علي ، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ، ص 27 .

* ينظر : محمود فهمي زيدان ، في فلسفة اللغة ، ص 15 وما بعدها . كانت أفكار تشومسكي رد فعل لأفكار بلومفيلد وتصوره السلوكي للنشاط اللساني لدى الإنسان . لقد تبني تشومسكي ما يسمى بالنظرية العقلية التي تربط اللغة بالعقل وليس بالسلوك ، وتدرسها على أنّها نشاط إبداعي ، وأن اللغة نشاط من عمل العقل ، فهناك عوامل كامنة أي ليست سطحية تعمل على توليد تراكيبيها ، أو بعبارة أخرى يوجد شكل خارجي (آلي) وشكل داخلي عضوي للغة ، ويعتبر الشكل الداخلي العضوي الأساس في التحليل اللساني لأنه يمثل البنية العميقة لما يحدث للبنية السطحية . ينظر : محمد محمد محمد الخري ، مفهوم اللغة في ضوء النظريات اللسانية الحديثة ، ص 172 .

3 - محمد محمد يونس علي ، مدخل إلى اللسانيات ، ص 83 . وينظر : حمو الحاج ذهبية ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، ص 73 .

يرى " تشومسكي " أنّ اللغة ليست قوانين ثابتة وُبنى جامدة ، مثلما ذهب إليه البنيويون ، وإنما هي تصنيف لعدد غير متناه من الجمل انطلاقاً من عدد محدود من الكلمات ، ويضرب لذلك مثالا عن الطفل الذي يستطيع أن يُكوّن عددا لا محدوداً من الجمل انطلاقاً من عدد محدود من الجمل المسموعة ، ويرجع سبب ذلك إلى الاستعداد الفطري عند الطفل وكفاءته اللغوية .⁽¹⁾

ومن أبرز المبادئ التي يعرضها " تشومسكي " في نظريته :⁽²⁾

- ينبغي الربط بين النحو والمعنى .

- اعتمد في دراسته على شطر من الميراث اللغوي الذي ساد قبله .

- يميّز بين الكفاءة والأداء . فالكفاءة هي المعرفة الضمنية التي يملكها مستخدم اللغة والتي بها يُكوّن عددا هائلا من الجمل ، أمّا الأداء فهو تحقيق هذه الملكة وإنجازها .^(*)

- يبني على المفهوم السابق (الكفاءة والأداء) نوعان من البنية : البنية العميقة ، وهي أصل الجملة الذي يحمل دلالة المتكلم . والبنية السطحية ، وهي ما يظهر أثناء التعبير ، وتكتنفها الإضافة والحذف والتقديم والتأخير ، ويقوم السامع بتحويلات عدة للوصول إلى قصد المتكلم الذي تحمله البنية العميقة .^(**)

وما يمكن أن يُوجه لهذه المدرسة من انتقاد أنّها " تعاملت في نموذجها التحليلي للغة مع لغة مثالية ، وأبنية مثالية ، في مواقف مثالية " .⁽³⁾

- 1 - ينظر : خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 37 . ومحمد محمد يونس علي ، مدخل إلى اللسانيات ، ص 84 .
- 2 - خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 37 - 38 .
- * ينظر : سمير شريف استيتية ، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد ، عمان ، جدارا للكتاب العالمي ، عمان ، الأردن ، ط 2 ، 2008 ، ص 177 .
- ** درس " تشومسكي " الوحدات اللسانية المكوّنة للمدونة اللغوية ، ولكن بوضع قوانين ضابطة للتحويلات الإجبارية والاختيارية التي تحدث عن طريق تغيير ترتيب العناصر ، أو عن طريق الحذف ، أو الإضافة ... فقد كشف مبادئ التحويل في شرح الحوادث المحققة في الخطاب إلى النماذج الافتراضية لكل الجمل الممكنة في خدمة اللغة ، تمثل هذه النماذج نواة ثابتة مفروضة آتية من البنية العميقة مقابل البنية السطحية الناتجة عن التحويلات . ينظر : حمو الحاج ذهبية ، لسانيات التلغظ وتداولية الخطاب ، ص 72 - 73 . وينظر : محمد الشايب ، المدرسة التوليدية التحويلية ، ضمن كتاب " أهم المدارس اللسانية " ، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية ، تونس ، ط 2 ، 1990 ، ص 76 .
- 3 - خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 38 .

2- المدرسة الوظيفية :

تمثل المدرسة الوظيفية اتجاهها متفرعا عن البنيوية ، إذ أنها أفادت من الاتجاهات البنيوية كحلقة براغ والمدرسة النسقية .^(*) وغاية الدراسة اللغوية عند الوظيفيين هي " تحديد المبادئ العامة المرتبطة باستعمال اللغة " ⁽¹⁾ ، وفي ذلك خروج عن المبدأ الذي نادى به " سوسير " من أنّ البنية اللغوية ينبغي أن تدرس في حد ذاتها بغض النظر عن العناصر الخارجة عن اللغة بوصفها نظاما مجردا مستقلا .⁽²⁾

وتقوم المدرسة الوظيفية على وجهة نظر تتمثل في " صعوبة الفصل بين البنية اللغوية ، والسياق الذي تعمل فيه ، والوظيفة التي تؤديها تلك البنية في السياق " .⁽³⁾

ويحصر رائد هذا الاتجاه " أندري مارتينيه **Andrée Martinet** " الوظيفة اللغوية في " العملية التواصلية القائمة بين أفراد المجتمع على اختلاف اتجاهاتهم وتصوراتهم " .⁽⁴⁾ فاللغة عند الوظيفيين إذاً " نظام من العلامات المترابطة بشبكة من العلاقات وأداة تواصل وظيفية " .⁽⁵⁾ وهذه الوظيفة أي العلاقة التي تنشأ في الملفوظ بين مختلف العناصر المكونة له هي الأساس الذي يعتمد عليه اللساني ليختار من الملفوظات ما هو أساسي في التواصل والتبليغ .

* اعتمدت الوظيفية في نشأتها على " أعمال حلقة براغ " التي ميّز أصحابها بين علم الأصوات وعلم الأصوات الوظيفي الذي يقوم على مفهوم الفونيم . وقد وُصفت أعمالهم بأنها تهتم بالوجهة الوظيفية للجملة ؛ لاهتمامهم بدراساتها ضمن مفهوم التواصل ، بعده وظيفة أساسية في النشاط اللغوي عند الإنسان ، وقد قدّم في ذلك " ياكبسون " مخطط التواصل المعروف بوظائفه الست ، والذي تعرّض لانتقادات ، إذ يرى منتقدوه أن التواصل ليس ثابتا بل هو حركة .

كما استندت الوظيفية على ما قدّمته " المدرسة النسقية " التي تعدّ اللغة ظاهرة بشرية متكاملة ، إنّ دراستها في مستوياتها الجزئية تفقد طاوعها التواصل الذي يميّزها ، لذلك دعت إلى ضرورة عدم إغفال أبعادها الثقافية والاجتماعية والنفسية ، وطوّرت في هذا المجال مفهوم " سياق الحال " الذي يدرس اللغة في سياقها المادي والمعنوي ؛ لأنها ظاهرة سيميائية واجتماعية ، وينبغي دراستها انطلاقا من هذه المبادئ . ينظر : خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 39 - 40 .

- 1 - ينظر : محمد محمد يونس علي ، مدخل إلى اللسانيات ، ص 70 . وخليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 40 .
- 2 - محمد محمد يونس علي ، مدخل إلى اللسانيات ، ص 70 .
- 3 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .
- 4 - حنفي ناصر ومختار زعر ، اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط 2 ، 2011 ، ص 77 .
- 5 - محمد محمد محمد الخري ، مفهوم اللغة في ضوء النظريات اللسانية الحديثة ، ص 162 .

3- فيرث والنظرة السياقية :

يرى " جون روبرت فيرث J.R.Firth " - وهو اللساني البريطاني الذي ترتبط به النظرية السياقية - أنّ على عالم اللغة إذا ما أراد أن يصل إلى المعنى في الحدث الكلامي أن يكشف عن العلاقات بين الوحدات اللغوية وصلتها بالظروف الاجتماعية والنفسية المحيطة بها .⁽¹⁾ فالمعنى عنده " وظيفة في السياق " .⁽²⁾ وقد كان ذلك تحولا جوهريا في النظر إلى المعنى من كونه علاقة علقية بين الحقائق والرموز والدلالة عليها ، أي بأنه علاقة بين اللفظ وما يحيل عليه في الخارج ، إلى مركب من العلاقات السياقية .⁽³⁾ وهو بذلك يفتح نهجا جديدا في دراسة المعنى يُراعى فيه الاستخدامات الفعلية للغة بعيدا عن البحث في المعنى بوصفه عمليات ذهنية كامنة . وهكذا ، فبدلا من الحديث " عن العلاقة الثنائية بين اللفظ والمعنى صار الحديث في المدرسة السياقية عن مركب من اللفظ والمعنى في علاقته بغيره من المركبات التي يمكن أن تحلّ محلّه في نفس السياق " .⁽⁴⁾

وعلى الرغم من أهمية النهج الجديد الذي نهجه " فيرث " في دراسة المعنى ؛ إلا أنه لم يعرض نظريته عرضا كاملا فقصرها على الجملة ، ما دفع بـ " هاليداي " ليقدم شرحا وتفسيرا لهذه النظرية " ويضمنها أبعادا جديدة بحيث لم تعد قاصرة على مستوى الجملة بل تجاوزتها إلى ما هو أكبر منها " ⁽⁵⁾ ، فتحول بذلك النص إلى وحدة صغرى للتحليل . فالنص من منظور " هاليداي " لا يمكن أن يكون إلا وحدة دلالية تمثل اللغة في التواصل فقد يكون كلمة أو جملة أو عدّة جمل أو قصة ، فهو عملية تفاعل في واقعه الاجتماعي .⁽⁶⁾

ويكون بذلك " هاليداي " قد فتح آفاقا جديدة للبحث النصي ، وأعطى أهمية كبيرة في الدراسات اللسانية لعنصر السياق ، والأبعاد الوظيفية للغة ، فمهد بذلك السبيل للتوسع في الدراسات التخاطبية " .⁽⁷⁾

- 1 - ينظر : حمو الحاج ذهبية ، لسانيات التلغظ وتداولية الخطاب ، ص 75 - 76 .
- 2 - محمد محمد يونس علي ، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ، ص 27 . فهي تنظر إلى اللغة كعنى يدل على وظيفة في سياق مخصوص .
- 3 - محمد محمد يونس علي ، مدخل إلى اللسانيات ، ص 78 - 79 .
- 4 - المرجع نفسه ، ص 80 .
- 5 - المرجع نفسه ، ص 80 - 81 .
- 6 - ينظر : نعمان بوقرة ، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل ، ص 20 - 21 .
- 7 - محمد محمد يونس علي ، مدخل إلى اللسانيات ، ص 81 .

وكان الفضل لـ " فيرث " في تأصيل نظرية السياق من خلال وصفه للإطار المنهجي لتحليل المعنى والذي يعتمد عنده على عوامل أربعة ، هي :⁽¹⁾

- تحليل السياق اللغوي صوتيا وصرفيا ونحويا ومعجميا .
- بيان شخصية المتكلم والمخاطب والظروف المحيطة بالكلام .
- بيان نوع الوظيفة الكلامية : مدح ، هجاء ، طلب ...
- بيان الأثر الذي يتركه الكلام كالإقناع أو التصديق أو التأكيد ...
- وهي المبادئ التي قامت عليها التداولية فيما بعد .
- وما يُميّز الوظيفيين عمّن سبقهم من البنيويين :⁽²⁾
- عدم الفصل بين البنى اللغوية ووظائفها .
- عدم إمكان عزل اللغة عن نسيجها الاجتماعي .
- التشديد على التفاعل بين النظام (أو البنية) والسياق .
- إعطاء الوظيفة أهمية أكبر من البنية نفسها .
- عدم الالتزام بالتفريق الجازم بين الدراسات التعاقبية والتزامنية كما حدده " سوسير " .

4- لسانيات النص وتحليل الخطاب :

اهتمت اللسانيات النصية بوصف " الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي وأشكال الاتصال وتوضيحها " ⁽³⁾ بالكشف عن الخصائص المشتركة بين هذه الأشكال اللغوية وبين أوجه الاتصال .

وتهتم لسانيات النص أثناء التحليل بالدلالات غير الملفوظة والتي يُدركها كلٌّ من المتكلم والسامع

1 - ينظر : محمد محمد محمد الخري ، مفهوم اللغة في ضوء النظريات اللسانية الحديثة ، ص 168 - 169 .

2 - ينظر : محمد محمد يونس علي ، مدخل إلى اللسانيات ، ص 82 .

3 - فان دايك ، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، تر : سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة للكتاب ، مصر ، ط 1 ، 2001 ، ص 11 . فهي تكشف عن التناغم بين البنية وظروف إنتاجها ودلالاتها التي تحقق للنص وجوده واستقلالته ولغة قيمتها التواصلية في صلب الأنظمة العلامية الأخرى . ينظر : نعمان بوقرة ، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل ص 7 .

أثناء الحديث دون علامة معلنة واضحة .⁽¹⁾

كما عدّت الخطاب كلّ كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء أكان مكتوباً أم ملفوظاً . كما تعدّ النص إنجازاً لغوياً من خلال وصف الشروط التي يُنجز فيها .⁽²⁾ فهي تدعو إلى تجاوز الاعتداد بالجملة على أنّها الوحدة الأساسية للتحليل إذ " الجملة في حد ذاتها بحاجة إلى عناصر خارجها للإيضاح والإبلاغ " ⁽³⁾ فيصبح بذلك النص هو الوحدة الأساسية للتحليل .

ويذهب عمر بلخير إلى أنّ لسانيات النص ترى أنّ الجملة لا تُشكّل في حال من الأحوال الوحدة القاعدية للتبادلات الكلامية والخطابية ، بل تعتبر النص هو الوحدة التي يتم فيها التبليغ والتبادل . ومن هنا فإنّ النص قد يكتسب انسجامه وخصافته من خلال التبادل والتفاعل ، ويتجاوز إطار الجملة الملفوظ للاهتمام بأنواع النسيج الناتجة عن ممارسة المتكلمين الكلامية .⁽⁴⁾

أفادت لسانيات النص من كلّ الموروث اللساني الذي كان سائداً قبلها ، أفادت من البنيوية والوظيفية ، ومن الدراسات التي اهتمت بالمعنى ، كما أفادت من نظرية أفعال الكلام ومبادئ " غرايس " في المحادثة ، إلى جانب اللسانيات الاجتماعية واللسانيات النفسية . فهي " حلقة من حلقات التطور الموضوعي المنهجي في اللسانيات الحديثة ، وصيغ التعامل مع الظاهرة اللسانية في الوضع والاستعمال " .⁽⁵⁾

أمّا في مجال النقد اللساني ، فقد عدّت اللسانيات النصية " آخر المناهج ، وأكثرها استيعاباً للمقولات السابقة ، وجعلت مفهوم النص يشمل العناصر الداخلة في تشكيله والمرتبطة بالشروط الخارجية المحيطة به " .⁽⁶⁾ فهي تعمل على تحليل النص بوصفه خطاباً بين مرسل ومتلقٍ في عملية تواصل . ومن ثمّ تأخذ اللسانيات النصية في الحسبان العناصر الخارجية عن النص من ملابسات متعلقة بالمرسل والمتلقي وما يتعلق بعملية الاتصال من عناصر زمانية ومكانية ... وعليه ، تتقاطع

1 - ينظر : خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 41 - 42 .

2 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

3 - المرجع نفسه ، ص 43 . وينظر : فولفجانج هاينه وديتر فيهفيجر ، مدخل إلى علم لغة النص ، ص 10 وما بعدها .

4 - ينظر : عمر بلخير ، قراءة في كتاب اللسانيات النصية لجان مشال آدم ، مجلة اللغة والأدب ، جامعة الجزائر ، العدد 17 ، جانفي 2006 ، ص 296 .

5 - نعمان بوقرة ، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل ، ص 15 .

6 - خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 43 . وينظر : صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص 128 . ونعمان بوقرة ، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل ، ص 19 .

لسانيات النص مع التداولية اللسانية في الموضوع المتمثل في عنايتها بالبحث في كيفية تماسك النص ليحقق غرضاً معيّناً في التبليغ .⁽¹⁾

كانت لدعوة " سوسير " إلى استقلال اللسانيات بوصفها موضوع دراسة في حد ذاتها الأثر في المناهج النقدية المهمة بدراسة تشكيل البنية اللغوية الداخلية (البنيوية ، الشكلانية الروسية ومدرسة براغ) . وقد عرّف " سوسير " اللغة بأنها نظام من العلامات ، تتحدد فيه كلّ علامة بحسب علاقتها بغيرها من علامات النظام ، وميّز بين مصطلحين هامين ، هما : اللغة والكلام ، ودراسة اللغة دراسة تزامنية . مما كان له الأثر القوي في تركيز المناهج النقدية الحديثة على " استقلال بنية العمل الأدبي ، ودراستها دراسة منفصلة عن أيّ تأثيرات تاريخية أو اجتماعية أو نفسية محيطية بالعمل الأدبي " .⁽²⁾

وعليه ، فقد فصل البنيويون العمل الأدبي عن طرفي التواصل ، خاصة المبدع (المؤلف) " مستعينين بمبدأ خرافة القصيدة ، أي انتفاء القصد من جانب المبدع " .⁽³⁾

كما فصل البنيويون أيضاً بنية العمل الأدبي عن المتلقي ، وركزوا اهتمامهم على دراسة الوظيفة الشعرية التي تتولد بالتركيز على الرسالة ، بتحليل التشكيلات اللغوية لبنية العمل الأدبي ، وعدّوا الوظيفة الشعرية أهم الوظائف اللغوية لأنها هي المحولة بتحقيق أدبية الرسالة اللغوية .

لقد واكبت الدراسات التداولية التحولات الجذرية للمناهج النقدية ، وانتقالها " من دراسة أنساق البنية اللغوية المغلقة للأعمال الأدبية إلى التأكيد على تأثير العمل الأدبي بأحوال أطراف الاتصال ، وأهمية استحضار السياق في تصحيح عملية التلقي والتأويل " .⁽⁴⁾

وقد أعادت بذلك النص إلى ارتباطه بمؤلفه (مبدعه) ومتلقيه . كما أعادت النص إلى الظروف المحيطة به ، السياق الثقافي والاجتماعي والتاريخي .

- 1 - ينظر : الجلال دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص 45 .
- 2 - أسامة محمد إبراهيم البحيري ، انغلاق البنية وانفتاحها في البنيوية والتداولية والبلاغة العربية ، ص 758 .
- 3 - المرجع نفسه ، ص 764 - 765 . وقد نادى بهذا المبدأ من قبل أعلام النقد الجديد ، تحت شعار موضوعية العمل الأدبي ، ممثلاً في مقولة رولان بارت الشهيرة " موت المؤلف " . ينظر : رولان بارت ، نقد وحقيقة ، تر : منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، سورية ، ط 1 ، 1994 ، ص 15 وما بعدها . وعبد العزيز حمودة ، المرايا المحدبة ، ص 288 . ويقول محمد الناصر العجيمي في هذا ما نصه : " لقد أدى اكتشاف الآلية الذاتية للغة وانتظامها في سنن مجردة مستجيبة لمنطقها الخاص إلى اختفاء هذا الكائن ، والمقصود به المؤلف المعتدّ في السابق بنفسه والمنتصب فاعلاً مريداً معبراً عن ذاته وعن رغباته تعبيراً وفيّاً أميناً بواسطة آلة اللغة الطيّعة " . محمد الناصر العجيمي ، النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية ، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع ، صفاقس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، سوسة ، ط 1 ، 1998 ، ص 83 .
- 4 - أسامة محمد إبراهيم البحيري ، انغلاق البنية وانفتاحها في البنيوية والتداولية والبلاغة العربية ، ص 770 .

إنّ التركيز الزائد ، من طرف البنيويين ، على البنية اللغوية الداخلية للنص والإفراط في فصلها عن كلّ الظروف والمؤثرات التي تتصل بها وتؤثر فيها ، لقي انتقادات من اللغويين والنقاد والتداوليين ، أسهمت في ازدهار اتجاهات نقدية وعلوم لغوية اهتمت بأطراف عملية التواصل والمقام في فهم الخطاب ، فاهتمت اللسانيات النصية بعناصر جوهرية تتصل بالنص ، كمنتج النص ، ومتلقيه ، وسياق التلقي ، وعملية التلقي...⁽¹⁾ كما أعادت التداولية الاعتبار إلى طريقي الاتصال (المنتج والمتلقي) والسياق المحيط بالخطاب .

وبذلك فقد غيّرت التداولية المشهد النقدي في القرن العشرين لأنها " أتاحت للدراسات الأدبية حيّزا واسعا للدراسة المفتوحة ، وأخرجتها من الدائرة المغلقة الضيقة التي وسمتها بالجفاف ، والصرامة ، والانغلاق إبان البنيوية " .⁽²⁾

1 - ينظر : سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، مصر الجديدة ، ط 1 ، 2004 ، ص 21 - 22 .

2 - أسامة محمد إبراهيم البحيري ، انغلاق البنية وانفتاحها في البنيوية والتداولية والبلاغة العربية ، ص 772 .

الفصل الثاني

السياق و دوره في
تشكيل الدلالات

توطئة :

حظيت فكرة السياق في الدراسات اللغوية الحديثة بعناية خاصة من كل المدارس اللغوية الحديثة ، فقد شغل هذا الأخير " حيزًا واسعًا واستحوذ دوره في تحديد الدلالة على انتباه الباحثين " (1) ، وقد استأثر باهتمامهم إلى أن تحوّل إلى نظرية متكاملة .

وقد كان الاهتمام بالسياق والبحث فيه مرتبطًا بعلم الدلالة اللغوي ، وهو علم حديث النشأة في الغرب مقارنة بباقي مستويات الدرس اللساني الأخرى ، والتي كانت منصبة على دراسة الأصوات والتركيب والمعجم ، إذ تبيّن أنه لا يمكن لمستويات الدرس اللغوي الاستغناء عنه (الدلالة) . (2)

لقد أكد العلماء في دراستهم للسياق على " الوظيفة الاجتماعية للغة ، وبيان أثر السياق في البنية ، ودوره في تنوع الدلالة " . (3)

وارتبطت نظرية السياق بجهود علماء كثيرين على رأسهم العالم الإنجليزي " فيرث firth " (*) الذي كان له الفضل في بلورة هذه النظرية حتى أصبحت نظرية متكاملة " عاجل من خلالها جميع الظروف اللغوية لتحديد المعنى ، ومن ثمّ محاولة إثبات صدق مقولة بأنّ المعنى وظيفة في السياق " . (4)

لقد ارتبطت فكرة السياق من قبل بالعالم الانثروبولوجي " مالينوفسكي " ، الذي اعتمد عليه

- 1 - خالد عبود الشخلي ، نظر في نظرية السياق بين القدماء والمحدثين ، موقع على الانترنت : www.articles.e-marifah.net
 - 2 - ينظر : عبد النعيم خليل ، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين ، دراسة لغوية نحوية دلالية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ط 1 ، 2007 ، ص 119 - 120 .
 - 3 - محمد العبد ، المفارقة القرآنية ، دراسة في بنية الدلالة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 2 ، 2006 ، ص 31 .
 - * نشير هنا إلى أنّ " فندريس " قد أشار إلى أهمية السياق في عملية التحليل ، إلا أنّ اهتمامه انصب على الجانب الخاص بالتركيب اللغوي دون العناية كثيرا بالجانب الاجتماعي ، إذ يقول : " الذي يُعَيّن قيمة الكلمة في كلّ الحالات إنما هو السياق ، إذ أنّ الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا . والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها ؛ والسياق أيضا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها ، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية " . ينظر : فندريس ، اللغة ، تعريب : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1950 ، ص 231 .
 - 4 - أحمد مصطفى أحمد الأسطل ، السياق في توجيه شرح الأحاديث عند ابن حجر العسقلاني ، دراسة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في علم اللغة الحديث ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، 2011 ، ص 112 .
 - ** ولكن فيرث شعر بأنّ سياق الحال عند مالينوفسكي لم يكن مرضيا للاتجاه اللغوي الأكثر دقة وإحكاما ، ولكنه فضّل " أن ينظر إلى سياق الحال باعتباره جزءا من أدوات عالم اللغة ، مثله مثل الفصائل النحوية التي يستخدمها " . ينظر : إدريس بن حويا ، النظريات الدلالية الحديثة في تراثنا اللساني العربي ، قراءة معاصرة في الثقافة الإسلامية ، موقع على الانترنت : www.uofk.edu
- وبالم ، علم الدلالة ، إطار جديد ، تر : صبري إبراهيم السيد ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1995 ، ص 77 .

كثيراً " فيرث " (**). ويؤكد " مالمينوفسكي " أن وظيفة اللغة لا تنحصر في كونها وسيلة لإيصال الأفكار والانفعالات أو التعبير عنها أو نقلها ، وإنما هناك وظائف أخرى كثيرة لها ؛ لأن اللغة نوع من السلوك⁽¹⁾ ، لذلك يرى " فيرث " أن المعنى " لا ينكشف إلا عن طريق تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة " (2) ، فالمعنى عنده علاقات موقفية في سياق الموقف ، وهو كذلك مركب من العلاقات السياقية .⁽³⁾ فهو يقترح أن يُستخدم كلّ عنصر لغوي في علاقة بسياق ما .

يقسم " فيرث " المعنى إلى خمس وظائف أساسية مكوّنة⁽⁴⁾ ، هي :

1- الوظيفة الأصواتية للصوت باعتباره مقابلاً إبدالياً ، فالأصوات لها مواضعها في السياق وفي نظام العلاقات الذي يدعوه البنية الأصواتية للغة .

2- الوظيفة المعجمية للمبنى أو الكلمة ، بوصفها مقابلاً إبدالياً .

3- الوظيفة التصريفية (بنية الكلمات ، الصيغ الشائعة ، الصيغ الغريبة ...) .

4- الوظيفة التركيبية ، كما إذا نطقت جملة بتنغيم استفهامي (عفوتَ عن القاتلة ؟) أو تعجبي (عفوتَ عن القاتلة !) .

5- الوظيفة الدلالية ، ولا تتأتى هذه الوظيفة إلا بالتحقق السياقي للقولة في موقف فعلي معيّن ، ويُسمى هذا السياق سياق الموقف .

ويعتقد " فيرث " أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية ، وأنّ الكلمات لا تقل من الناحية العملية عن أنشطة الإنسان الأخرى التي نلاحظها في المقام أو في المواقف الخاصة ، ويرى أنّ ما يدعو إلى الاهتمام بالمقام أو السياق ، هو أنّ الكلمة لا معنى لها إذا أُخذت منعزلة عن المقام أو السياق .⁽⁵⁾

ومن هنا يتحدد مفهوم " فيرث " للمعنى على أنه " علاقة بين العناصر اللغوية والسياق

1 - ينظر : محمود السعران ، علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ص 338 .

2 - خالد عبود الشبخلي ، نظر في نظرية السياق بين القدماء والمحدثين ، موقع على الانترنت :
www.articles.e-marifah.net

وينظر : أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 5 ، 1998 ، ص 68 .

3 - محمد محمد يونس علي ، المعنى وظلال المعنى ، أنظمة الدلالة في العربية ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 2007 ، ص 118 .

4 - ينظر : المرجع نفسه ، ص 119 - 120 .

5 - ينظر : ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، تر : كمال محمد بشر ، مكتبة الشباب ، مصر ، ص 62 . ومحمد محمد يونس علي ، المعنى وظلال المعنى ، ص 123 .

الاجتماعي " (1) فالعنى كلُّ مرَّكب من مجموعة من الوظائف اللغوية (وتشمل الوظيفة الصوتية ، والوظيفة الصرفية ، والوظيفة النحوية ، والوظيفة المعجمية) فضلا عن سياق الحال غير اللغوي (ويشمل عناصر عدة تتعلق بالمتكلم والمخاطب والظروف والملابسة والبيئة ...) . (2)

ويذهب " ستيفن أولمان " إلى أنّ نظرية السياق تمثل الحجر الأساس في المعنى إذا طبقت بحكمة (3) . يقول أولمان : " وقد وضعت لنا نظرية السياق مقاييس لشرح الكلمات وتوضيحها عن طريق التمسك بما سماه الأستاذ فيرث (ترتيب الحقائق في سلسلة السياقات ، أي سياقات كل واحد منها ينضوي تحت سياق آخر ، ولكل واحد منهما وظيفة لنفسه ، وهو عضو في سياق أكبر ، وفي كل السياقات الأخرى ، وله مكانه الخاص فيما يمكن أن نسميه سياق الثقافة) . والحق أنّ هذا المنهج طموح إلى درجة لا نستطيع معها في كثير من الأحيان إلا تحقيق جانب واحد منها فقط ، ولكنه مع ذلك يعدنا بمعايير تمكننا من الحكم على النتائج الحقيقية حكما صحيحا " (4)

لقد أعطى " فيرث " للسياق أهمية كبرى حتى إنّه لا يتصور علما للدلالة دون دراسة السياق ، بل إنه يتقدم أكثر فيطلق على الدراسة السياقية علم الدلالة (5)

ويرى علماء اللغة المحدثون أنّ نظرية السياق تطرح منهجا عمليا في دراسة المعنى جعلوا له ثلاثة أركان رئيسة ، هي : (6)

الأول : وجوب اعتماد كل تحليل لغوي على ما يُسمى بالمقام أو سياق الحال ، وهو جملة

1 - أحمد مصطفى أحمد الأسطل ، أثر السياق في توجيه شرح الأحاديث عند ابن حجر العسقلاني ، ص 115 . لذلك يرى " فان ديك " أنّ المحيط اللساني يشمل : مستخدم اللغة (المتكلم والسامع) ، الحدث الذي ينجزه ، النظام اللغوي المستخدم ، مواقع مستخدمي اللغة ، أنظمة المعايير الاجتماعية والعادات والالتزامات ... وغيرها من العناصر التي تحدد بنية المنطوق وتفسره . ينظر : فان دايك ، علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ، تر : سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة للكتاب ، القاهرة ، ط 1 ، 2001 ، ص 117 - 118 .

2 - ينظر : ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ص 61 .

3 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

4 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

5 - الطلحي (ردة الله بن ردة بن ضيف الله) دلالة السياق ، مطابع جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط 1 ، 1424 هـ ، ص 194 .

6 - سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 2004 ، ص 24 . وينظر : حلمي خليل ، الكلمة ، دراسة لغوية معجمية ، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع ، مصر ، ط 2 ، 1998 ، ص 157 . وعلي آيت أوشان ، السياق والنص الشعري ، من البنية إلى القراءة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 2000 ، ص 33 - 34 . وبراون ويول ، تحليل الخطاب ، تر : محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي ، النشر العلمي والمطابع ، جامعة الملك سعود ، 1997 ، ص 47 وما بعدها .

العناصر المكونة للموقف الكلامي ، وهذه العناصر هي :

- الكلام الفعلي نفسه .
- شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع إن وُجدوا وبيان مدى علاقتهم بالسلوك اللغوي .
- الأشياء والموضوعات المناسبة المتصلة بالكلام وموقفه .
- أثر الكلام الفعلي في المشتركين كالإقناع أو الألم أو الإغراء ...
- العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي لمن يُشارك في الموقف الكلامي كمكان الكلام وزمانه والوضع السياسي ...

الثاني : وجوب تحديد بيئة الكلام المدروس وصيغته لكي نضمن عدم الخلط بين لغة وأخرى أو لهجة وأخرى ، وعليه يجب تحديد البيئة الاجتماعية أو الثقافية التي تحتضن اللغة المراد دراستها ، لوجود الصلة الوثيقة بين اللغة والثقافة المحتفة بها وهو ما يمكن أن يُسمى بالسياق الثقافي ، وهو أمر مهم بالنسبة إلى الفصل بين المستويات الكلامية كلغة المثقفين ولغة العوام .

الثالث : وجوب النظر إلى الكلام اللغوي على مراحل ، لأنه مكوّن من أحداث لغوية مركّبة ومعقّدة وتحليله على هذا المنهج أيسر وأسلم ، إذ تقود كلّ مرحلة إلى التي تليها في سهولة ويُسر . وهذه المراحل هي فروع علم اللغة .

وللوصول إلى معنى أيّ نص لغويّ يستلزم ما يأتي :⁽¹⁾

1- أن يحلل المستوى اللغوي على المستويات اللغوية المختلفة : الصوتية ، الصرفية ، النحوية ، والمعجمية .

2- أن يبيّن نوع الوظيفة الكلامية من تمّن وإغراء واستفهام وتعجب وغير ذلك .

1 - محمود السعران ، علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي ، ص 312 .
* يذهب أصحاب النظرية السياقية إلى أنّ السياق وحده هو المسؤول عن إيجاد المعنى الدقيق لأيّ نص لغوي لا العلاقة بين الدال والمدلول التي جاء بها " سوسير " ثمّ طورها كلّ من " أوجدن Ogdan " و " ريتشاردز Richards " في مثلثهما الشهير ، فقد ميّزا من خلاله بين أركان الدلالة الثلاثة ، وهي : الفكرة (أو المحتوى الذهني) والرمز (أو الدال) والمشار إليه (أو الشيء الخارجي) .

3- أن يذكر الأثر الذي يتركه الكلام من اقتناع أو سخرية أو ضحك ...

من هنا نجد أنّ " فيرث " يرفض أنّ يكون المعنى عبارة عن علاقة بين الأشياء والرموز^(*) ، وإنما يتحدد المعنى عنده " من علاقات في مواقف وتوزيعات ، ويفهمه على أنه علاقات موقفية في سياق الموقف ".⁽¹⁾ فهو يهتم بالجانب المستعمل في اللغة في إطارها الاجتماعي^(**).

أنواع السياق :

يقسّم علماء اللغة المحدثون السياق إلى :

1- السياق اللغوي :

ويَعنون به " البيئة اللغوية للنص من مفردات وجمل وخطاب ".⁽²⁾ أو هو " النظم اللفظي للكلمة وموقعها من النظم الذي يشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة ، والنص الذي ترد فيه ، أي موقعها من الجملة والنص وما يكسبها من توجيه دلالي ".⁽³⁾ وهو يشمل عند " ستيفن أولمان " القطعة كلّها والكتاب كلّّه .⁽⁴⁾ لذلك يرى أصحاب هذه النظرية وجوب تحليل النص وفق المستويات المختلفة للغة ، وهي : المستوى الصوتي ، والمستوى الصرفي ، والمستوى النحوي ، والمستوى المعجمي لفهم معناه . فهو يشمل مجموع العناصر المكونة للحدث اللغوي ، ومجموع العلاقات التي تربط هذه

1 - جرهارد هلبش ، تاريخ علم اللغة الحديث ، تر : سعيد حسن بحيري ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط 1 ، 2003 ، ص 160 .

** فالمدسة اللغوية الاجتماعية تسعى للإجابة عن سؤال مهم : " كيف تعمل اللغة في المجتمعات المختلفة ؟ " . لذلك فقد وضعوا عناصر تكون مسؤولة عن توجيه الدلالة في النص ، منها ما يكون لفظيا (السياق اللغوي) ، ومنها ما يكون غير لفظي (سياق الموقف) . ينظر : نايف خرما ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، سبتمبر 1978 ، ص 170 . ومحمود السعران ، علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي ، ص 313 .

2 - عرفات فيصل المتّاع ، السياق والمعنى ، دراسة في أساليب النحو العربي ، مؤسسة السيّاب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، لبنان ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، منشورات ضفاف ، لبنان ، ط 1 ، 2013 ، ص 13 .

3 - أحمد مصطفى أحمد الأسطل ، أثر السياق في توجيه شرح الأحاديث عند ابن حجر العسقلاني ، ص 115 .

4 - ينظر : ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ص 57 . وفايز الداية ، علم الدلالة العربي ، النظرية والتطبيق ، دراسة تاريخية ، تأصيلية ، نقدية ، دار الفكر ، دمشق ، دار الفكر المعاصر ، لبنان ، ط 2 ، 1996 ، ص 218 .

والسياق اللغوي يتضمن إطارين ، هما : الإطار اللغوي والإطار التركيبي . فالإطار اللغوي هو السياق الصوتي مثل نوع الصوت وسرعته ، والسياق الصرفي والسياق النحوي ، مثل حجم الجمل وتداخلاتها ، والسياق المعجمي . أما الإطار التركيبي فيشير إلى بداية الجملة أو الفصيحة أو المسرحية ووسطها ونهايتها وعلاقة النص بالوحدات النصية القريبة منه ، والوزن والشكل الأدبي والوضع النمطي . ينظر : صلاح فضل ، علم الأسلوب ، مبادئه وإجراءاته ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 1 ، 1998 ، ص 244 - 245 .

العناصر بعضها ببعض .

وعناصر السياق اللغوي المكونة للحدث اللغوي عندهم تتكون من :⁽¹⁾

أ- الوحدات الصوتية والصرفية للكلمات التي يتحقق بها التركيب والسبك .

ب- طريقة ترتيب هذه العناصر داخل التركيب .

ج- طريقة الأداء اللغوي المصاحبة للجمل أو ما يُطلق عليه التطريز الصوتي ، وظواهر هذا الأداء

المصاحب المتمثلة في النبر والتنغيم والفاصلة الصوتية (أو الوقف) .

فالسياق اللغوي يعتمد على عناصر لغوية في النص " من ذكر جملة سابقة أو لاحقة ، أو عنصر

في جملة سابقة أو لاحقة ، أو في الجملة نفسها يُحوّل مدلول عنصر آخر إلى دلالة غير المعروفة له

" .⁽²⁾ ويمثل محمد حماسة لذلك بقوله تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل - 1] إذ

تُعد جملة (فلا تستعجلوه) قرينة لغوية سياقية تصرّف الفعل (أتى) عن دلالاته على الماضي إلى

دلالاته على المستقبل . وصرّف الفعل عن دلالاته بصرف بدوره الفاعل (أمر الله) عن دلالاته ليبدل

على قيام الساعة .

يقوم اختيار المفردات ووضعها معا في إطار جملة واحدة بدور كبير في تحديد دلالة السياق

اللغوي الذي ينعكس بدوره على دلالة المفردات في الجملة .⁽³⁾

2- السياق غير اللغوي :

يمثل أهم نظرية من نظريات علم الدلالة في العصر الحديث ، ويُنسب إلى " فيرث " من مدرسة

لندن اللغوية ، وقد توصل إليها من خلال أبحاثه العقلية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية .⁽⁴⁾

1 - ينظر : حمدان رضوان أبو عاصي ، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى ، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) ، فلسطين ، المجلد 17 ، العدد 2 ، يونيو 2009 ، ص 78 - 79 .

2 - محمد حماسة عبد اللطيف ، النحو والدلالة ، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 1 ، 2000 ، ص 116 .

3 - ينظر : المرجع نفسه ، ص 157 . فايز الداية ، علم الدلالة العربي ، النظرية والتطبيق ، دراسة تاريخية تأصيلية نقدية ، دار الفكر ، دمشق ، دار الفكر المعاصر ، لبنان ، ط 2 ، 1996 ، ص 218 .

4 - ينظر : حمدان رضوان أبو عاصي ، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى ، ص 79 .

هو البيئة غير اللغوية التي تحيط بالخطاب وتُبيّن معناه .⁽¹⁾ وعناصر هذا النوع من السياق ، هي : المتكلم والمخاطب ، موضوع الخطاب وزمانه ومكانه . فهو يشمل كلّ الظروف والملابسات المحيطة بالكلام .

يرى " فيرث " ضرورة اعتماد كل تحليل لغوي على سياق الحال الذي يُعتبر أحد الأركان الرئيسية التي قامت عليها نظريته في المعنى ، يقول كمال بشر : " كان فيرث منطقيا مع نفسه ومبادئه حين جعل السياق " غير اللغوي " (أو الاجتماعي) أو ما سميناه نحن (المسرح اللغوي) أساس نظريته في التحليل اللغوي . فعنده أنّ الكلام ليس ضربا من الضوضاء يُلقى في فراغ . ومدار فهم الكلام والقدرة على تحليله إنما يكون بالنظر إليه في إطار اجتماعي معيّن سماه سياق الحال "⁽²⁾ .

ويمكن استخلاص رؤية " فيرث " في إطار نظريته السياقية في :⁽³⁾

أ- ينبغي أنّ يُنظر إلى الكلام سواء أكان شفويا أو كتابة باعتباره يحدث في سياق للحال أو الموقف الذي يحث فيه .

ب- إنّ الحدث الكلامي في سياق الحال إنما هو تجريد فني للمنطوق وإتّه يمكن تقسيمه إلى أجزاء فرعية . وإنّ الأحداث الكلامية هي تعبيرات من نظام اللغة .

ج- إنّ الكلام يتكون من أحداث كلامية لا حصر لها ، وهي تقع في سياقاتها الخاصة بها في كلّ موقف أو حدث .

ولهذا فإنّ أهم عناصر هذا النوع من السياق :⁽⁴⁾

1 - شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي وشخصيات من يشهد الكلام غيرهما ، وما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي .

2 - العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي في الموقف الكلامي ،

1 - عرفات فيصل المتاع ، السياق والمعنى ، دراسة في أساليب النحو العربي ، ص 25 . وعبد المنعم خليل ، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين ، ص 84 - 85 .

2 - كمال بشر ، التفكير اللغوي بين القديم والجديد ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2005 ، ص 154 .
3 - ينظر : عبده الراجحي ، فصول في علم اللغة ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1997 ، ص ص 77 - 82 - 97 .
وحمادان رضوان أبو عاصي ، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها على المعنى ، ص 79 .

4 - ينظر : محمود السعران ، علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي ، ص 311 . وعبد المنعم خليل ، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين ، ص 282 - 283 .

كحالة الجو ومكان الكلام وزمانه وأوضاع الحياة وغيرها .

- أثر الحدث الكلامي في المشتركين ، كالإقناع ، أو اللأم ، أو الإغراء ، أو الضحك ...
وعند " فيرث " لا بد من النظر في هذه الجوانب كلّها وعلاقتها بعضها ببعض ، حتى يُمكن فهم الكلام فهما جيّداً ، وحتى يُمكن تحليله تحليلاً دقيقاً أيضاً .⁽¹⁾
يساعد سياق الحال في الوصول إلى فهم معنى النص فهما سليماً حيث " إنّ بنية النص محكمة بسياق الحال ... وهذا السياق يمكن استخدامه لصنع تنبؤات معينة حول بنية النص " .⁽²⁾
ويرى عبده الراجحي أنّ " فيرث " كان يهدف من وراء نظريته السياقية هذه إلى أغراض ثلاثة ، هي :⁽³⁾

أ- معرفة الأساليب المختلفة للنطوق ، وتصنيفها حسب المواقف الصحيحة .
ب- وصف الاستعمال الفعلي لنطق معيّن في موقفه الخاص باعتباره شيئاً فريداً .
ج- معرفة الوظائف الدلالية التي ترجع إلى التركيبات النحوية ، وأنواع التنغيم .
ويؤيّن تمام حسان أهمية سياق الحال في الكشف عن المعنى الدلالي فيقول : " وفكرة المقام هذه المركز الذي يدور حول علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر وهو الأساس الذي يبني عليه الشقّ أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال " .⁽⁴⁾

3- السياق الثقافي :

يحدّه أحمد مختار عمر بأنه تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي نشأ فيه النص⁽⁵⁾ ، فكلّ عصر له ثقافته الخاصة - سواء على المستوى الديني أو الاجتماعي أو السياسي أو الثقافي - تميزه

- 1 - ينظر : محمود السعران ، علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي ، ص 155 . وكمال بشر ، دراسات في علم اللغة ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 9 ، 1986 ، ص 56 .
- 2 - ينظر : صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 2000 ، ج 1 ، ص 108 .
- 3 - فصول في علم اللغة ، ص 81 . صلاح الدين ززال ، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان ، ط 1 ، 2008 ، ص 282 - 283 .
- 4 - اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الرباط ، 1994 ، ص 337 .
- 5 - ينظر : علم الدلالة ، ص 71 .

عن غيره من العصور ، وعليه فإنّ دراسة أية لغة بمعزل عن المحيط الثقافي الذي نشأت فيه هي دراسة فاشلة بحسب تعبير " مالمينوفسكي " ⁽¹⁾ ، فكلّ إنتاج للكلام وتلقيه لا يكون منقطعاً عن محيطه الثقافي والحضاري .

ويشتمل هذا النوع من السياق على المتكلم من حيث حياته ومكانته الاجتماعية والمخاطب وعلاقته بالمتكلم من حيث العمر والجنس والألفة والطبقة الاجتماعية ، فضلاً عن السمات والصلات النفسية .⁽²⁾

إنّ اللغة دوراً أساسياً في الكشف عن طبيعة المجتمعات ، فهي " ظاهرة اجتماعية ، وهي أداة للتعبير عما يدور في المجتمع ، فهي تسجل لنا في دقة ووضوح الصور المختلفة المتعددة الوجوه لهذا المجتمع ، من حضارة ونظم وعقائد واتجاهات فكرية وثقافية وعلمية وفنية واقتصادية وغير ذلك " .⁽³⁾ لذلك فقد عرّفوا المعنى بأنّه " حصيلة استعمال الكلمة في اللغة من حيث وضعها في سياقات مختلفة ، فالدارس المعجمي يلاحظ كلّ كلمة في سياقها كما ترد في الحديث أو النص المكتوب " .⁽⁴⁾

فالعلاقة بين اللغة والمجتمع دفعت علماء اللغة في العصر الحديث إلى الاهتمام أكثر بعلم الاجتماع ، فيقول " آلان جاردنر Gardiner " " إن العلم الذي له دَيْن على النظرية اللغوية في النهاية ليس المنطق ولا علم النفس ، وإنما هو الاجتماع " .⁽⁵⁾

ما يُلاحظ على هذه الأنواع كلّها من السياق أنّه يمكن إدراجها ضمن ما أسماه " فيرث "

1 - ينظر : م.م. لويس ، اللغة في المجتمع ، تر : تمام حسان وإبراهيم أنيس ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، 1959 ، ص 294 .

فالمقصود بالسياق الثقافي هو المحيط الاجتماعي الذي يحيط بالمتكلم أثناء تكلمه ، ومن الطبيعي أنّ تُسهم الإحاطة بمعرفة البيئة الاجتماعية التي تحتضن المتكلم وكلامه ، وهذا ما ذهب إليه الغدامي إذ يقول : " إنّ العمل الإبداعي (جماعي) في مصدره من اللاشعور الجمعي ومن الموروث البشري مما هو مخزون داخل النفس . وهو جماعي في تحقّقه اللغوي من خلال اللغة ... وهي ذات وجود كلي ... والعمل الإبداعي أخيراً جماعي من حيث توجهه إلى الجماعة بناء على (الحاجة إلى نحن) " . ينظر : عبد الله الغدامي ، الخطيئة والتكفير ، من البنيوية إلى التشريح ، قراءة نقدية لنموذج معاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 4 ، 1998 ، ص 149 .

2 - ينظر : سحر كاظم حمزة الشجيري ، نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، الأردن ، مؤسسة دار الصادق الثقافية ، العراق ، ط 1 ، 2011 ، ص 235 . وصبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي ، ج 1 ، ص 109 .

3 - حاتم صالح الضامن ، علم اللغة ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ، مطبعة التعليم العالي ، الموصل ، 1989 ، ص 37 .

4 - أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، دار الفكر ، دمشق ، ط 3 ، 2008 ، ص 294 .

5 - لويس ، اللغة في المجتمع ، ص 294 .

بالسياق الثقافي ، فهو يعني عنده مجموع العادات وطرق السلوك والتقاليد والمعتقدات والخزعات والفلكلور الشعبي والأحاجي ووسائل التكسب والعواطف الجماعية والنظرة الجماعية إلى الأحداث والأشياء .⁽¹⁾

يضاف إلى الأنواع السابقة من السياق نوع آخر هو **السياق الأدبي** ، والمقصود به " الجنس الأدبي الذي تنتمي إليه الرسالة والأعراف والسنن الأدبية التي تشترك بها الرسالة المخصصة مع مثيلاتها من الرسائل الأخرى " ⁽²⁾ ، فالنص الأدبي " لا يستمد شرعيته إلا من مجموعة النصوص الأخرى وعملية التواصل تكون سهلة واضحة إذا تعوّد المتقبل على التعامل مع النصوص الأدبية لأن هناك مجموعة من العادات التي يجب أن يتعوّد عليها المتقبل حتى يتمكن من القبض على مفتاح السرّ في الفهم ، وتحتل النصوص الأخرى مركزها في هذا المجال ، إذ تصير بمثابة السياق الذي يتم من خلاله عملية التواصل أو المحيط الذي يمر فيه النص " .⁽³⁾

من هنا تبرز أهمية السياق في دراسة المعنى لعنايته بالجانب الاجتماعي للغة فإجلاء المعنى على المستويات اللغوية (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) " لا يعطينا إلا معنى المقال ، أو (المعنى الحرفي) وهو معنى فارغ من محتواه الاجتماعي والثقافي منعزل عن القرائن ذات الفائدة الكبرى في تحديد المعنى " .⁽⁴⁾ لذلك يقول برتراند راسل " الكلمة تحمل معنى غامضا لدرجة ما . ولكن المعنى يُكتشف فقط عن طريق ملاحظة استعماله . الاستعمال يأتي أولا ، وحينئذ يتقطر المعنى منه " .⁽⁵⁾

كما تبرز أهمية السياق في الوصول إلى المعنى النحوي الدلالي ، يقول محمد حماسة " ولا تكون للعلاقة النحوية ميزة في ذاتها ، ولا للكلمات المختارة ميزة في ذاتها ، ولا لوضع الكلمات المختارة في موضعها الصحيح ميزة في ذاتها ما لم يكن ذلك كله في سياق ملائم " .⁽⁶⁾

كما يساعد السياق الاجتماعي في فهم النص الأدبي إذ " أنّ الجمهور لا يتفاعل مع النص أو يستجيب له إلا إذا كان ذا صلة بواقعه وحياته سواء أكانت عاطفية أو اجتماعية أو فكرية ، وهذا

1 - ينظر : تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 351 .

2 - سحر كاظم حمزة الشجيري ، نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث ، ص 236 .

3 - حسين خمري ، بنية الخطاب النقدي ، ص 101 - 102 .

4 - خالد عبود حمودي الشبخلي ، نظر في نظرية السياق ، موقع على الانترنت

5 - أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ص 72 .

6 - محمد حماسة ، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ، ص 98 .

شأن لا مناص من التسليم به والإقرار بفاعليته " (1).

ويُساعد السياق أيضا في الكشف عن المعنى وتوضيحه حيث " لا يمكننا أن نحدد أيّ قضية يجري التعبير عنها دون معرفة السياق " (2).

لا يُمكن إنكار ما للسياق اللغوي وسياق الموقف الملابس للنص من تأثير على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف ، والتقديم والتأخير ، كما لا ينكر ما للسياق من دور في تغيير معنى الجملة ذات الصيغة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها ، إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة ، وذلك يعود إلى اختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة وسداحتها (3).

وعليه ، فإنّ السياق " هو الرصيد الحضاري للقول وهو مادة تغذيته بوقود حياته وبقائه . ولا تكون الرسالة بذات وظيفة إلا إذا أسعفها السياق بأسباب ذلك ووسائله " (4).

من الانتقادات التي وُجّهت لنظرية السياق (5):

- أنّ " فيرث " لم يُقدم نظرية شاملة للتركيب اللغوي ، واكتفى فقط بتقديم نظرية للسيمانتيك ، مع أنّ المعنى يجب أن يُؤخذ مركبا من العلاقات السياقية ، ومن الأصوات والنحو والمعجم والسيمانيك .

- لم يكن " فيرث " محمدا في استعماله مصطلح السياق ، وكان حديثه عن الموقف غامضا غير واضح ، وكان قد بالغ كثيرا في إعطاء ثقل زائد لفكرة السياق .

- لم يدع " فيرث " في نظريته للمعنى مجالا لفكرة علاقات المعنى التي تضبط مجموعة المفردات المعجمية من مثل علاقة التضمين ، والتضاد ، والترادف ... (6)

- كما أنّ المعنى الصادر عن السياق ليس من صنع السياق وحده لكي يُنسب إليه ، فالمعنى المعجمي هو معنى إفرادي في المقام الأول ، وذلك أنّ دور السياق لا يتجاوز إقصاء بقية

-
- 1 - محمد المبارك ، استقبال النص عند العرب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1999 ، ص 83 .
 - 2 - جون لاينز ، اللغة والمعنى والسياق ، تر : عباس صادق الوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط 1 ، 1987 ، ص 225 .
 - 3 - ينظر : محمد حماسة عبد اللطيف ، النحو والدلالة ، ص 113 .
 - 4 - الغدامي ، الخطيئة والتكفير ، ص 10 .
 - 5 - ينظر : أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ص 73 - 74 .
 - 6 - ينظر : محمد محمد يونس علي ، المعنى وظلال المعنى ، ص 242 .

الدلالات التي تكمن في الكلمة المعينة وإبعادها بحيث تُرجح دلالة واحدة للكلمة ، والمرجح في ذلك هو السياق .⁽¹⁾

وعلى الرغم من هذه الانتقادات التي وُجّهت لهذه النظرية ، إلا أنّ المنهج السياقي له ميزات ظاهرة ، من أهمها :⁽²⁾

- أنّه اقتصر في تحليله على اللغة دون الخروج منها إلى مناهج أخرى غريبة عنها .
- أنّه يجعل المعنى سهل الانقياد للملاحظة والتحليل الموضوعي ، وعلى حدّ تعبير " فيرث " أنّه يُعالج الكلمات باعتبارها أحداثاً وأفعالا وعادات تقبل الموضوعية والملاحظة في حياة الجماعة المحيطة بنا .

إنّ دراسة اللغة وفق العلاقات الداخلية من جهة وربطها بالحياة الاجتماعية ، هما من أهمّ النتائج التي يقصدها علم اللغة الحديث بوصفه علما وصفيا لا معياريا وبوصفه علما ينظر في الوظيفة اللغوية من جهة أخرى .⁽³⁾

وما يمكن أن نستخلصه ، أنّه لا يمكن تجاهل السياق في الدراسة اللغوية ، كما لا يمكن أن ننكر أنّ التداولية " هي ذلك الفرع من اللغة الذي يجب أن يتناول مساهمة السياق في إنتاج التعبير اللغوي وبنائه وتفسيره " .⁽⁴⁾ فهدف التداولية هو " النظر إلى شكل لغوي أو أسلوب لغوي ملفوظ في سياق معيّن أيّ مقام معيّن " .⁽⁵⁾ وما المقامات عند " حمادي صمود إلا " جملة الظروف الحافطة بالنص بما في ذلك السامع نفسه " .⁽⁶⁾

فالاتجاه التداولي لا يهمل تحليل البنية اللغوية الداخلية ؛ ولكنه يضيف إليها تحليل العناصر الخارجية المؤثرة في تشكيل تلك البنية " فهو يُعدّ مزجا متوازنا بين العناصر البلاغية والتداولية الخارجية

1 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

2 - ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها . وأحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ص 73 .

3 - الطلحي ، دلالة السياق ، ص 195 .

4 - منال النجار ، مفهوم البراغماتية ونظرية المقام في المقولات المعرفية ولدى علماء العربية ، ضمن كتاب : التداوليات علم استعمال اللغة ، إعداد وتقديم : حافظ إسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد ، ط 1 ، 2011 ، ص 63 - 64 .

5 - المرجع نفسه ، ص 72 .

6 - حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب ، أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة) ، منشورات الجامعة التونسية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس ، السلسلة 6 ، مجلد عدد 21 ، 1981 ، ص 302 .

، وبين التشكيلات اللغوية الداخلية ، لإضاءة النص من جوانبه المختلفة " (1) للوصول إلى تحديد معالمه الدلالية بدقة .

استأثر السياق باهتمام علماء اللغة المعاصرين ، فجمعوا بين دراسة البنية الداخلية ودراسة العوامل التواصلية المحيطة بها ، فاهتموا باستحضار " عناصر العمل الأدبي مجتمعة ، وبيان فاعليتها في اكتمال الدلالة المقصودة " (2) لقراءة النص الأدبي قراءة " ذات أبعاد ثقافية ونفسية وأخلاقية " (3) ، والتعامل معه على أنه نص مفتوح " تتحرك دلالاته في إطار سياق خارجي محيط يُسهم في توجيه البؤرة الدلالية بما يتوافق مع آليات التلقي ، والظروف والمقامات المتنوعة التي قد تحيط بالعمل الأدبي " (4) مع الاهتمام بالسياق اللغوي وبذلك تتكامل الوظيفتان الاجتماعية (السياق الخارجي) والشعرية (السياق الداخلي أو اللغوي) للخطاب الأدبي . (5)

إنّ اللغة في جوهرها " حدث أو فعل تواصل لا يتحدد بمراعاة النظام اللغوي العام الذي يقف بدلالة العلامات اللغوية عند حدود البنية اللسانية وإنما يرتبط أيضا بالظروف والملابسات التي يتم فيها هذا الفعل ، والتي تحيط به " (6) . فالتعبير اللغوي يكون في كثير من الأحيان مفتقرا في دلالاته واستخدامه وفهمه إلى الإلمام بما يُحيط بعملية التواصل اللغوي من ملابسات وعوامل ، فهي بذلك (اللغة) تُعدّ جزءا من هذه الظروف والملابسات .

اهتمت التداولية بهذه العناصر غير اللسانية أو العناصر المحيطة بالحدث اللغوي إلى الحدّ الذي جعل " فرانسواز أرمينكو " تنظر إلى موضوع التداولية على أنه دراسة المعنى في علاقته بمقام التخاطب أو السياق ، فتقول : يُعدّ السياق " مفهوما مركزيا ، يمتلك طابعه التداولي " (7) .

- 1 - أسامة محمد إبراهيم البحيري ، انغلاق البنية وانفتاحها في البنيوية ، والتداولية ، والبلاغة العربية ، ص 774 .
- 2 - المرجع نفسه ، ص 776 .
- 3 - صابر الحباشة ، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية ، ص 143 .
- 4 - أسامة محمد إبراهيم البحيري ، انغلاق البنية وانفتاحها ، ص 794 .
- 5 - المرجع نفسه ، ص 794 - 795 .
- 6 - شكري الطوانسي ، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد 1 ، المجلد 42 ، يوليو - سبتمبر 2013 ، ص 64 .
- 7 - فرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية ، تر : سعيد العلوش ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، 1986 ، ص 48 . وينظر : جورج يول ، معرفة اللغة ، تر : محمود فراج عبد الحافظ ، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية ، 1999 ، ص 136 .

وإلى هذا يذهب عيد بلبع ، فالعناصر السياقية جميعها عنده تمثل في الوقت نفسه عناصر تداولية يدخل بها السياق بأبعاده المختلفة ضمن المكونات التداولية للمعنى ، وهذا الذي يدفع إلى القول بأن نظريات السياق تُعدّ أحد أهم روافد البحث

لقد حصرت " فرانسواز أرمينكو " أنواع السياق من المنظور التداولي في : (1)

1- السياق الظرفي والفعلي والوجودي والإحالي : أي هوية المتخاطبين ومحيطهم الفيزيقي ومكان التخاطب وزمانه .

2- السياق الموقفي أو التداولي : تتم الممارسات الخطابية في مواقف محددة يعترف بها اجتماعيا ، بتضمنها غاية أو غايات ، ومعنى تتقاسمه الشخصية المنتمية إلى الثقافة نفسها . هنا يتجاوز السياق الوسط أو المحيط الفيزيقي إلى الوسط الثقافي - الاجتماعي (ومن أمثله إحياء احتفال ديني) .

3- السياق المتداخل الأفعال : يُقصد به تسلسل أفعال اللغة في مقطع متداخل الخطابات ، حيث يتخذ المتخاطبون أدوارا تداولية محضة كالاقتراح ، الاعتراض ... ومن شأن فعل لغة ما أن يستدعي فعلا آخر ، غير أنه يخصص بحسب بعض العوائق المقطعية .

4- السياق الاقتضائي : ويتكون من كل ما يحسب به المتخاطبون من اقتضاءات ، أي من اعتقادات ومقاصد .

وانطلاقا من النظر إلى النص بوصفه صورة من استعمال اللغة في ظروف وملابسات أو سياقات خاصة ، يُقدم " فان ديك " تصنيفا لمختلف أنواع السياق ، هي : (2)

1- السياق التداولي : النص كفعل أو أفعال للغة

يتعلق بالنص باعتباره فعلا كلاميا أو أفعالا كلامية . فنحن لا ندرس الأفعال اللسانية والنصوص كذلك من حيث بُناها فقط ، وإنما ندرسها أيضا من حيث وظيفتها ، لأننا لا نريد أن نعرف الأشكال والمضامين فحسب ، ولكن الوظائف الممكنة التي قد يؤديها بفضل الشكل والمضمون .

التداولي ، فليس ثم شك في التداخل الشديد بين التداولية والسياقية . ينظر : عيد بلبع ، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس ، ص 194 .

1 - ينظر : فرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية ، ص 48 - 49 .

2 - فان ديك ، النص بنياته ووظائفه ، مدخل أولي إلى علم النص ، ضمن كتاب : نظرية الأدب في القرن العشرين ، تر : محمد العمري ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ط 2 ، 2005 ، ص 66 وما بعدها . وينظر : علي آيت أوشان ، السياق والنص الشعري ، من البنية إلى القراءة ، ص 82 وما بعدها .

ويقوم السياق التداولي على تأويل النص كفعل كلامي مثل الوعود والتعهدات والتأكيدات والأوامر والأسئلة ... ومهمة التداولية هي تحديد الشروط التي يجب أن تتوفر في كلّ فعل كلامي حتى يكون ملائماً لسياق معيّن مثل الشروط التي يجب أن تتم بها الملفوظات .

يتألف السياق التداولي من جميع العوامل النفسية والاجتماعية ، مثل : المعرفة التي يمتلكها مستعملو اللغة ، ورغباتهم وإرادتهم وآراؤهم وعلاقاتهم الاجتماعية .

2- السياق المعرفي / الإدراكي : فهم النصوص

ينطلق " فان ديك " من افتراض مؤداه أنه حتى يتمكن السامع / القارئ من استخدام نص معيّن في مقام تواصل ما عليه أن يفهم هذا النص .

إنّ مستعمل اللغة سيفهم بالدرجة الأولى الكلمات ومجموعة الكلمات والجمل ، ثم يفهم متتاليات الجمل ، وعليه يمكن أن نقول إنّ سياق الفهم يؤول إلى تحليل المعلومة المنقولة بواسطة بنية النص السطحية وترجمتها إلى مضمون يكون في شكل معلومة مفهومة ، وفي هذا الصدد يشير " فان ديك " إلى مجموعة من المعطيات التي يجب أن تُؤخذ بعين الاعتبار في إطار توضيح سياق الفهم :

- استعانة المستعمل بمعرفته للعالم انطلاقاً من مكتسباته المعرفية المخزونة في الذاكرة .
- تخزين القضايا في الذاكرة الطويلة الأمد ، فلنستطيع أن نفهم نصاً معيناً علينا أن نقيم الروابط الضرورية في الذاكرة العملية .
- لكي نتمكن من إضفاء ترابط خطي على نص ما يجب حفظ بعض المعلومات في الذاكرة العملية ، وهكذا لا يكون علينا أن نسجلها باستمرار في الذاكرة الطويلة الأمد .
- لأجل فهم النص ، يجب تنظيم المعلومات المستنبطة من بنية نص ما ، فالقارئ لا يستطيع تكرار نص كلمة كلمة ولا جملة جملة ، وإنما يتذكر فقط أهم موضوعات النص . وهنا تتدخل بنية النص الكبرى ، التي تُقاوم النسيان بوجه خاص .

3- السياق النفسي الاجتماعي : تأثير النصوص

ويُقصد به الأثر الذي تحدثه النصوص في مستعملي اللغة سواء فردياً أو جماعياً ، فلم يعد

المقصود الآن هو التساؤل عما يفعله أحد القراء / المستمعين بنص ما ، إنما ما هي العوامل الاجتماعية التي تلعب دورا في فهم النص ؟

4- السياق الاجتماعي : النص في التفاعل وفي المؤسسة

إننا ونحن نلتزم بنصوص في سياق معيّن نقوم بأفعال كلامية ، والأفعال الكلامية هي أفعال اجتماعية ، تنتج في سياقات من التفاعل التواصلي ، وهذا التفاعل يندرج في مقامات اجتماعية .

ويشير " فان ديك " إلى أنّ اللسانيات الاجتماعية وسوسيلوجيا اللغة تولي الكثير من الاهتمام للعلاقات القائمة بين السياق الاجتماعي واستعمال اللغة .

إنّ تأثير النص على المقام الاجتماعي وكذلك تأثير المقام الاجتماعي على النص يمارسان بواسطة الاستعداد الإدراكي للمستعمل ، ذلك أنّ تفسير هذا الأخير للواقع الاجتماعي ، مهما كان اصطلاحيا هو الذي يُمارس تأثيرا على توجيه الإنتاج النصي وفهم النص ، من خلال آرائه ومواقفه ورغباته ومصالحه . ولما كان المستعمل يرغب في أن يكون ملفوظه تأثير أفضل على مخاطبه في المقام التواصلي فإنّ مستعمل اللغة سيلجأ إلى استراتيجيات عدّة والتي تلعب دورا في البنى البلاغية والأسلوبية بمعزل عن هذا الدور الذي تلعبه النصوص / الأفعال الكلامية في التفسير الاجتماعي .

5- السياق الاجتماعي : النص كظاهرة ثقافية

يُمثل النص ظاهرة ثقافية ، إلى جانب كونه أحد عناصر التفاعل الاجتماعي ، يُمكن أن نستخلص منها بعض الاستنتاجات حول البنية الاجتماعية للجماعات الثقافية . ويُمكن أن نستخلص من النصوص والحوارات المستعملة في المقامات دور أعضاء المجتمع وحقوقهم وواجباتهم والقواعد والأعراف السائدة بينهم .

وباختصار فإنّ التحليل النصي هو طريقة ذات قدرة كبيرة في إطار التحليل العام للثقافة .

من خلال هذه المستويات يأخذ " فان ديك " بعين الاعتبار كلّ الأبعاد الدلالية والتداولية المكونة للنص ، فهو يدعو " إلى تجاوز الخصائص الداخلية التي تتصف بها النصوص إلى الخصائص

الخارجية والشروط التي يخضع لها ضمن سياقات معينة".⁽¹⁾

وبما أنّ المعنى يكون وليد التفاعل بين العبارات والوحدات اللسانية والسياق ، فإنّ مثل هذا التحليل للسياقات المختلفة التي يُستعمل فيها النص يكون " غير منفصل أو مستقل عن التحليل اللساني (النحوي والدلالي) ".⁽²⁾ فالعلامات اللغوية تتحدد دلالتها من خلال استعمالها في سياق ما . ما جعل التداولية تدعو إلى الدراسة الوظيفية للغة وفهم علاقاتها التواصلية في الاستعمال ، وهو ما يُعرف بالسياق وأثره في الاستعمال اللغوي .⁽³⁾

إنّ السياق عنصر أساسي في تحقيق التفاعل بين الكاتب والنص ، وبين المتلقي والنص ، وله مجالات معرفية عديدة " تتنوع عبر فضاءات معرفية كثيرة ، منها ما هو مرتبط بالمتكلم والمتلقي وشروط الإنتاج اللغوي والزمان والمكان ... وغيرها ".⁽⁴⁾

وعليه ، فالخطاب القابل للفهم والتأويل " هو الخطاب القابل لأن يُوضع في سياقه " ⁽⁵⁾ ، لذلك فإننا نسعى في هذا المبحث للإلمام بالسياق الثقافي الذي أنتج فيه الخطاب الشعري عند الغماري " قراءة في آية السيف " لإبراز دوره في تشكل الدلالات . فالاستدلال على دلالة الخطاب إنما يتم بالرجوع إلى السياق " لكونه المؤسس للفرضيات التي يُقيمها المخاطب حول المعنى ".⁽⁶⁾

السياق الثقافي :

ولما كان السياق هو الحارس الأمين للبحث عن المعنى وتأويله ⁽⁷⁾ ، فإننا سنتوسل به لحصر

- 1 - حمو الحاج ذهبية ، النص بين السياق والتلقي في الفكر الأدبي ، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية ، مركز البحث العلمي ، لبنان ، العدد 4 ، ديسمبر 2014 ، ص 70 .
- 2 - شكري الطوانسي ، المقام في البلاغة العربية ، دراسة تداولية ، ص 65 . وينظر : عيد بلع ، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس ، ص 200 .
- 3 - ينظر : عبد اللطيف حني ، التداولية الإبداعية في الشعر الثوري الجزائري ، ديوان أطلس المعجزات للشاعر صالح خرفي أمودجا ، مجلة الأثر ، جامعة ورقلة ، العدد 12 ، 2011 ، ص 216 .
- 4 - علي آيت أوشان ، السياق والنص الشعري ، من البنية إلى القراءة ، ص 16 - 17 .
- 5 - محمد خطايي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1991 ، ص 56 .
- 6 - ربعة العربي ، في تصور الخطاب : آليات الإنتاج والتأويل ، ضمن كتاب : لسانيات النص وتحليل الخطاب ، كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ط 1 ، 2013 ، م 1 ، ص 106 .
- 7 - ينظر : محمد خطايي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص 52 .

مجالات التأويل وجعلها تتواءم مع المواقف السياسية والاجتماعية والعقائدية التي واكبت ظهور المجموعات الشعرية الأولى عند الغماري ، ومجموعته " قراءة في آية السيف " على الخصوص .

إنّ الاستعانة بالمحددات السياقية - عقائدية أو اجتماعية أو سياسية - تُعين على فتح آفاق عملية التأويل للكشف عن المعاني والدلالات الكامنة في الخطاب .

إنّ المتمعن في المجموعة الشعرية " قراءة في آية السيف " ، التي نُشرت سنة 1983 ، يتبيّن أنّ الدين الإسلامي يُمثل الخلفية الثقافية والإيديولوجية للشاعر .^(*) وقد ظلّ الدين الإسلامي هو موضوع الغماري في أغلب مجموعاته الشعرية ، وبات هاجسه الوحيد في ظلّ غربة الإنسان الحضارية إذ " حوّل القيم الروحية للإسلام إلى مادة شعرية تعبّر عن رؤيته الفكرية ، وبشكل شعري مُغاير أظهر مقدرة على امتلاك الأدوات الفنية ، التي يمتلكها كثير من شعراء جيله " .⁽¹⁾

عاش الغماري في فترة تميزت بواقعه الحضاري الممزق المشوه ، فكانت ردة فعله قوية في توجهه إلى التراث الإسلامي كوعاء أذاب فيه ما هو فكري في ما هو إبداعي ، وقد انعكس ذلك في إنتاجه الشعري عامة ، ومجموعته " قراءة في آية السيف " خاصة .

سادت في تلك الفترة التي نشر فيها الغماري مجموعته الشعرية " قراءة في آية السيف " عادات وتقاليد أفقدت بعض القضايا الحضارية للأمة معناها إذ يقف موقف المنتقد للعادات التي يتبعها الشعب الجزائري بذكرى المولد النبوي والتي حصرها في الأناشيد الإذاعية المفتعلة في الدعاء والتضرع ، على أنّ الذكرى الحقيقية لمولد النبي في القلوب ، في التمثل بصفاته صلى الله عليه وسلم واتخاذ الإسلام نظاما في الحياة ، يقول الغماري :

ذِكْرَى نَبِيِّ اللَّهِ فِي الْقُلُوبِ

لَا فِي الضَّحِيجِ الْفَارِغِ الْمَكْدُوبِ

ذِكْرَى نَبِيِّ اللَّهِ فِي التَّمَثُّلِ

بِخُلُقِهِ الْكَرِيمِ ... وَالتَّبَتُّلِ

* وهي الخلفية ذاتها التي سادت فترة السبعينيات والتي أعلن فيها الغماري ثورته الإيمانية حينما أصدر مجموعته الشعرية الأولى " أسرار الغربة " سنة 1978 ، وأعيد طبعها ثانية سنة 1982 .

1 - أحمد يوسف ، يتم النص والجيولوجية الضائعة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2002 ، ص 231 .

لَا فِي نَشِيدٍ يَمْلَأُ الإِدَاعَةَ
مُفْتَعِلِ الدُّعَاءِ وَالضَّرَاعَةَ
ذِكْرَى الرَّسُولِ أَنْ تَرَى الإِسْلَامَا
يَعِيشُ فِي حَيَاتِنَا نِظَامًا (1)

فالذكرى الحقيقية لمولد الرسول صلى الله عليه وسلم إنما تكون بتقوية الإيمان والسمو بالروح
لكُنْهِ سِرِّ الوجود :

أَنْ تَصْهَرَ الوجودَ فِي الإِيمَانِ
وَتَقْرَأَ الوجودَ بِالْقُرْآنِ (2)

إنَّ الغاية الأسمى من الاحتفال بالمولد النبوي إنما هو بعث العزائم بالتشبع بالقيم والمبادئ
والأفكار التي بفضلها يمكن للفرد أن يغزو العالم لا بالأقوال والشعارات الفارغة التي لا تفيد في
شيء :

أَنْ تَغْزُوَ العَالَمَ بِالأفْكَارِ
لَا بِرَخيصِ القَوْلِ والشَّعَارِ ! (3)

إنَّ الذكرى الحقيقية بالمولد النبوي هي أن تملكنا سنَّته اعتقادا وواقعا وفكرا :

نَحْيَا النَّبِيَّ واقِعاً وَفِكْراً
فِيهِ ... وَلَيْسَ حِصَّةً وَأُخْرَى !! (4)

ومن المحددات السياسية التي تُعين على الوقوف على الدلالات الشعرية عند الغماري موقفه
من تخلي الحُكَّام العرب عن القضية الفلسطينية وتخليهم عن الجولان بسوريا ، ويُعدّ ذلك مذلة للعرب
وإهانة إذ يقول :

1 - مصطفى محمد الغماري ، قراءة في آية السيف ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1983 ، ص 93 .
2 - الديوان ، الصفحة ذاتها .
3 - الديوان ، ص 94 .
4 - الديوان ، ص 118 .

كَمْ عَفَرُوا جَبِينَنَا زَمَانًا
وَيَسْكُرُونَ الْيَوْمَ مِنْ دِمَانًا
وَتَاَجَرُوا بِالْقُدْسِ وَالْجَوْلَانِ
وَذَبَّحُوا الْخِيُولَ فِي لُبْنَانَ (1)

هؤلاء الحكام المتقاعسون فرطوا في القدس كما فرطوا في الجولان السورية وانغمسوا في لعبة سياسية هي اتباع طريق المفاوضات التي لم يَجْنِ منها الشعب الفلسطيني غير البؤس والحرمان :

وَالْعَصْرُ مِنْ لُجْبَتِهِ السِّيَاسَةِ !
وَالْحَقُّ أَنْ تَتَّبَعَ الْكِيَاسَةَ !
هَلْ نَفَعَتْ مَشْرِقَنَا الْوَتَائِقُ ؟
أَوْ كُشِفَتْ عَنِ الْعِدَى الْحَقَائِقُ ؟ (2)

هؤلاء الحكام الذين بدوا بأنهم مهتمون بالقدس السلبية لكنهم في حقيقة أمرهم يخافون زوال الكرسي :

وَكُلُّهُمْ يَبْكِي عَفَافَ الْقُدْسِ
وَمَا بَكَى إِلَّا اهْتِزَّازَ الْكُرْسِيِّ !! (3)

لذلك ينجي الغماري القدس جازماً بأن يوماً سيأتي لكنّه سيكون مُرّاً على هؤلاء :

يَا قُدْسُ .. يَا بِنْتَ الضِّيَاءِ الْحُرِّ
لَأَبْدَ مِنْ يَوْمٍ عَلَيْهِمْ مُرٌّ !
يَوْمٌ يَجُوبُ فِيهِ " ذُو الْفِقَارِ "
مَوَاطِنَ النَّفَاقِ وَالْأَسْرَارِ ! (1)

1 - الديوان ، ص 95 .

2 - الديوان ، ص 102 - 103 .

3 - الديوان ، ص 115 .

يوم يفضح حقيقة هؤلاء الذين تقاعسوا عن الدفاع عن القدس وتغنّوا بالسلم حتى تحوّل إلى
مفخرة بالنسبة إليهم :

وَالْقُدْسُ يَا لِحَبِيبِ الْقُدْسِ مُنْعَفِرًا
وَالْقَادَةَ السُّمْرُ كَمْ غَنُّوا وَكَمْ طَرَبُوا !!
تَأْتَقَ السَّلْمُ حَتَّى صَارَ مَفْخَرَةً
وَفُلْسِفَ الْجُبْنَ حَتَّى أَحْمَدَ الْهَرَبُ !⁽²⁾

هؤلاء الذين تغنّوا بالشعارات (القومية) ادّعاءً ليتستروا بها عن هزيمتهم ضد إسرائيل برفع
الشعارات :

مَنْ بَاعَ وَجْهَ الْقُدْسِ لِلْيَهُودِ !
وَأَدْمَنُوا صِنَاعَةَ الْوُعُودِ !
فِي كُلِّ دَرْبٍ مِنْهُمْ شِعَارُ
الْكُفْرِ فِي أَعْمَاقِهِ وَالْعَارُ !!
قَدْ أَدْمَنُوا الْأَعْرَاسَ وَالْوَلِيمَةَ
وَفِي الْحُرُوبِ أَدْمَنُوا الْهَزِيمَةَ !
وَيَصْنَعُونَ النَّصْرَ فِي الْأَغَانِي
وَيَبْلُغُ لَهُمْ مِنْ وَطَنٍ يُعَانِي !⁽³⁾

يُعبّر الغماري في مجموعته " قراءة في آية السيف " عن وعيه العميق بمحيطة الاجتماعي في
فترة الثمانينيات ، الفترة التي ظهرت فيها الصحوة الإسلامية عند فئة الشباب في المجتمع الجزائري ممّن
اعتقدوا بأنّ المظهر وحده كافٍ لإقامة الدين الإسلامي إذ يُنكر عليهم اعتقادهم الخاطيء بأنّ المظهر
وحده كفيل بإقامة الدين ، فيقول :

1 - الديوان ، ص 117 - 118 .

2 - الديوان ، ص 124 .

3 - الديوان ، ص 99 - 100 .

ذَكَرَى نَبِيَّ اللَّهِ يَا شَبَابُ
أَنْ تَخْشَعَ الْقُلُوبُ لِأَلِّ الرَّقَابِ !
هَلْ تَنْفَعُ اللَّحِيَّةُ إِذْ تَطُولُ
وَالدِّينُ فِي رُبُوعِهِ فُلُولُ !
الدِّينُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ
وَأَيْسَ فِي الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ ! (1)

فإقامة الدين لا تكون بإطالة اللحية أو إسبال الثوب ، إنما الدين هو سلوكات - أقوال
وأفعال - يُلزَمها الإنسان في حياته .

ولما كانت فئة الشباب هي الركن الركين في المجتمع فإنّ الغماري يلوذ بها لهذه الأمة ولهذا
الدين :

وَيَا شَبَابُ أَنْتُمْ الطَّلِيْعَه
وَأَنْتُمْ سَوَاعِدُ الشَّرِيْعَه
كُونُوا شُهُودَ الْحَاضِرِ الضَّبَابِي
لِأَمْسِنَا .. وَغَدِنَا الْأَوَّابِ
كُونُوا إِذَا دَعَاكُمْ الْإِسْلَامُ
سَيْفَ عَلِيٍّ مِلْؤُهُ الْإِقْدَامُ (2)

ولما كان الشاعر هو " أكثر الناس تحمرا " (3) كونه ينطلق من رؤيته الخاصة للعالم من حوله
فهو الأقدر على التغيير ومواجهة ذلك الخنوع وانقياد بعض الحكام العرب الذين ضيّعوا قضايا الأمة
ومصالحها فقتنوا بالذلل والواقع المهين في مقابل الحفاظ على الكراسي .

1 - الديوان ، ص 111 .

2 - الديوان ، ص 113 .

3 - بول ريكور ، نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى ، تر : سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط
2 ، 2006 ، ص 104 .

هذه ردّة فعل قوية من الغماري ناتجة عن تفاعله مع واقع حضاري ممزق صعب بمعطياته وإبدالاته .

إنّ الاستدلال على دلالة الخطاب عند مصطفى الغماري يتم بالرجوع إلى السياق ذلك لكونه وسيطاً محدد الأبعاد التي تُيسّر فهم الخطاب ، فهو الموجه للبحث عن المعنى .⁽¹⁾

الحوافز الخارج نصية :

لا تنبني نصيّة النص الشعري المعاصر التي تمكنه من التداول في مجتمع ثقافي معاصر إلا " انطلاقاً من مجموعة من العتبات النصية الداخلية التي تضمن له نَسَباً رمزياً يحمل توقيعه كاسم المؤلف ، أو الذي تعيّنهُ أو تبوّبه كالتحديد الأجناسي ، العنوان ، العناوين الفرعية [...] أو التي تقدمه للقارئ والجمهور كالمقدمة وكلمة الناشر ...".⁽²⁾ فهو مجموع " العناصر الموجودة على حدود النص ، داخله وخارجه في آن ، تتصل به اتصالاً يجعلها تتداخل معه إلى حدّ تبلغ فيه درجة من تعيين استقلاليتها ، وتنفصل عنه انفصالاً يسمح للدخل النصي ، كبنية وبناء ، أن يشتغل وينتج دلالاته".⁽³⁾

و لا يمكن للنص الشعري المعاصر أن يحقق نصيته خارج هذه العتبات أو المتعاليات ، كما لا يمكنه أن يعبر نحو البناء والدلالة إلا من خلال الانتقال من الاهتمام بالمتن النصي إلى ما يحيط به ويسيّجُه من متعاليات ، وفي هذا يقول جينيت : " في الواقع ، ولحد الآن ، لا يعينني النص إلا من حيث تعاليه النصي ، معرفة كل ما يضعه في علاقة - ظاهرة أو خفية - مع نصوص أخرى".⁽⁴⁾

1 - ربيعة العربي ، في تصور الخطاب : آليات الإنتاج والتأويل ، م 1 ، ص 106 .
2 نبيل منصر ، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط 1 ، 2007 ، ص 6 . وينظر : عبد الفتاح الحجمري ، عتبات النص : البنية والدلالة ، منشورات الرابطة ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1996 ، ص 16 - 17 .

3- محمد بنيس ، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها 1- التقليدية ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط 2 ، 2001 ، ص 76 .

4- جيار جينيت ، مدخل إلى جامع النص ، تعريب : عبد العزيز شبيل ، مراجعة : حمادى صمود ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1999 ، ص 70 .

* من مكونات المصاحب النصي : العنوان ، التمهيد ، عناوين الفصول ، فموضعه داخل فضاء الكتاب . وتكون عناصر المحيط النصي خارج الكتاب ، وهو كل عنصر لا يلحق مادياً بالكتاب . (نبيل منصر ، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ، ص 27 - 28) .

وقد ميّز جيار جينيت بين نوعين من النصوص الموازية ، يعملان على تقديم العمل الأدبي وتهيئة القراءة الجيدة له ، هما : المصاحب النصي (Péritexte) والمحيط النصي (Epitexte) .(*)

فالنص الموازي " هو جملة عناصر تحيط بالنص وتمدده ، تحديدا من أجل تقديمه بالمعنى المؤلف لهذه الكلمة ، وأيضا بمعناها القوي [أي] جعل النص حاضرا ، وذلك لتأمين حضوره في العالم وتأمين تلقيه واستهلاكه في هيئة كتاب " .⁽¹⁾ فمجموع هذه العناصر التي تصاحب النص وتعضده " هي في مجموعها تمثل وسائل انخراط النص في المؤسسة الأدبية ، وانكتابه في المجتمع الثقافي " ⁽²⁾ مما يضمن له اكتساب الهوية الثقافية النوعية " ضمن تداولية عامة أو خاصة " .⁽³⁾ كما يعمل على توجيه القراءة ليحد من انحراف التأويل أثناءها .

ويحدد جينيت الوظيفة الأساسية للعتبات في " تقديم النص وضمان تلقيه وتداوله " ⁽⁴⁾ ، إذ من خلالها يمكن للمتلقي التعرف على طبيعة الخطاب ، فيضمن حسن تلقيه وتأويله ، فهو (أي النص الموازي) يساهم في توجيه القراءة وبناء الدلالة وحسن التأويل .

إذن ، من هنا تبرز أهمية العتبات ، إذ ليس هناك نص من دونها . وعليه ، فللنص الموازي " سلطة لا تخفى ، لكنها سلطة تنهض أساسا [...] على وجود المتن " .⁽⁵⁾ فالنص – بهذا المعنى – يبقى عاجزا عن التأثير من دون نصه الموازي .

بعد هذا التأسيس للنص الموازي سنتوقف عند جنس خطابي من المصاحبات النصية ، يتمثل في العنوان لرصد وظائفه وإحالاته ودلالاته في ديون مصطفى الغماري (قراءة في آية السيف) .

1-1 - عتبة العنوان :

- 1- نبيل منصر ، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ، ص 25 .
- 2- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .
- 3- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .
- 4- الهاشم اسمهر ، عتبات المحكي القصير في التراث العربي والإسلامي ، الأخبار والكرامات والطرف ، الشركة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 2008 ، ص 76 . يقول عبد الفتاح الحجمري : " يندرج الاهتمام بعتبات النص ضمن سياق نظري وتحليل عام يعتني بإبراز ما للعتبات من وظيفة في فهم خصوصية النص وتحديد جانب أساسي من مقاصده الدلالية " .
- 5- المرجع نفسه ، ص 57 .

يُعرّف " ليو هويك " (Leo Hoek) العنوان - كما يقول الهاشم اسمهر - بأنه : " مجموع الدلائل اللسانية من كلمات وجمل وحتى نصوص قد تظهر على رأس نص لتدل عليه وتعيّنه وتشير إلى محتواه الكلي ولتجذب جمهوره المستهدف " .⁽¹⁾

فهو مجموعة من الدلالات اللسانية يمكن تثبيتها في بداية النص من أجل تعيينه ، والإشارة إلى مضمونه بغية جذب الجمهور المقصود ، لذلك عدّه محمد مفتاح " بمثابة الرأس للجسد ، والأساس الذي تبنى عليه " .⁽²⁾

أمّا " دوشي " فعرّف العنوان بأنه " رسالة مشفرة أو مسننة في حالة تسويق ، ينتج عنه التقاء ملفوظ روائي بملفوظ إشهاري تتقاطع فيه الأدبية والاجتماعية ، إنه يتكلم عن الأثر الأدبي في عبارات الخطاب الاجتماعي ، ولكن الخطاب الاجتماعي في عبارات روائية " .⁽³⁾

ومع أن " دوشي " يتحدث عن عنوان الرواية إلا أن هذا لا يمنع من سحبه على عنوان القصيدة .

أمّا محمد فكري الجزار ، فيُعرف العنوان تعريفا اصطلاحيا ، فيقول : " العنوان للكتاب كالاسم للشيء ، به يُعرف ويفضله يُتداول ، يُشار به إليه ، ويدل عليه ، يحمل وسم كتابه ، وفي الوقت نفسه يسمه العنوان - بإيجاز يناسب البداية - علامة ليست من الكتاب جعلت له ؛ لكي تدل عليه " .⁽⁴⁾

كما يحدده عبد الملك مرتاض بأنه " عبارة صغيرة تعكس عادة كل عالم النص المعقد الشاسع الأطراف " .⁽⁵⁾

1- الهاشم اسمهر ، عتبات المحكي القصير ، ص 74 .

2- محمد مفتاح ، دينامية النص : تنظير وإنجاز ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 3 ، 2006 ، ص 72 .
3 - Christiane Achour et Simone Rezzoug , convergences critiques , introduction à la lecture du littéraire , O.P.U , Alger , 1990 , p 28 .

وللأمانة العلمية فإننا نورد النص الأصلي كما ورد في الكتاب :

« Le titre du roman est un message codé en situation de marché ; il résulte de la rencontre d'un énoncé romanesque et d'un énoncé publicitaire ; en lui se croisent nécessairement littérarité et socialité : il parle l'œuvre en termes de discours social mais le discours social en termes de roman. »

4- محمد فكري الجزار ، العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998 ، ص 15 .

5- عبد الملك مرتاض ، تحليل الخطاب السردية معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية " زقاق المدق " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 ، ص 277 .

يمكننا ، من خلال التعاريف السابقة ، أن نتبين أن هذه التعاريف التي حددت العنوان انطلقت في مجملها من وظيفة العنوان ، فهو يُعيّن الكتاب ويحدد مضمونه ، كما أنه يجذب القارئ إليه .

كما يمكننا أن نلاحظ علاقة العنوان بالنص ، والتي اعتبرها الهاشم اسمهر بأنها " علاقة جدلية : تنازلية من العنوان إلى النص ، وتصاعدية من النص إلى العنوان " .⁽¹⁾ فهي علاقة تبادل مكاني ، إذ العنوان " مرتبط ارتباطا عضويا بالنص الذي يعنونه ؛ فيكملة ولا يختلف عنه ؛ ويعكسه بأمانة ودقة . فكأنه نص صغير يتعامل مع نص كبير : فيأخذ به ، ويهيء له السبيل للمقروئية لأنه يكشف عما أراد الكاتب أن يبلغه إلى متلقيه " .⁽²⁾ وما دام العنوان كذلك " فهو ممتلك لبنية ولدلالة لا تنفصل عن خصوصية العمل الأدبي ، ولذلك فحينما يتم اعتبار النص مجموعة من العناصر المنظمة ، فإنّ العنوان الذي يُعتبر جزءا من تلك العناصر ، لا يُظهر فقط خاصية التسمية ، فالعنوان يتضمن العمل الأدبي بأكمله مثلما يستتبع هذا الأخير ويتضمن العنوان أيضا " .⁽³⁾

لذلك يُعتبر العنوان مكونا أساسا من مكونات النص الموازي لما له من سلطة على النص والقراءة والتأويل ، فهو " عنصر تسلطي يمنهج القراءة " .⁽⁴⁾

وتتمظهر تداولية العنوان حسب الهاشم اسمهر في مظهرين⁽⁵⁾ :

الأول نفسي إدراكي ، لما للعنوان من مقصدية للتأثير والإقناع . والثاني اجتماعي ، فالعنوان يتداول في سياق اجتماعي ثقافي تتفاعل فيه فئات مخصوصة .

وقد حدد عبد الحق بلعابد ثلاثة عناصر تتحقق من خلالها العميلة التواصلية التداولية للعنوان ، تتمثل في : المرسل ، والرسالة ، والمرسل إليه .⁽⁶⁾

1- الهاشم اسمهر ، عتبات المحكي القصير ، ص 74 .

2- المرجع السابق ، الصفحة ذاتها .

3- عبد الفتاح الحجمري ، عتبات النص ، ص 17 - 18 .

4- الهاشم اسمهر ، عتبات المحكي القصير ، ص 62 .

5- المرجع نفسه ، ص 75 .

6- عبد الحق بلعابد ، عتبات (جيزار جينيت من النص إلى المناص) منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط 1 ، 2008 ، ص 71 وما بعدها .

فالمرسل هو المعنُون أو الكاتب ، والمرسل إليه هو المعنُون له أو القارئ ، أما الرسالة فهي العنوان .

أما عن وظائف العنوان فقد جعلها جيرار جينيت أربعاً⁽¹⁾ ، هي :

1- الوظيفة التحديدية (Fonction de désignation) : وتسمى أيضا الوظيفة التعيينية . وهي تعمل على تحديد وتعيين هوية العمل .

2- الوظيفة الوصفية (Fonction descriptive) : أو الواصفة . تعيين مضمون العمل .

3- الوظيفة الإيحائية (Fonction connotative) : تعتمد على مدى قدرة المؤلف على التلميح والإيحاء انطلاقاً من التراكيب اللغوية البسيطة .

4- الوظيفة الإغرائية أو الإغوائية (F. séductive) : تبرز قيمة العمل ، ولها علاقة بإغواء الجمهور وإغرائه .

وهي وظائف متلازمة ، فالوظيفة الإيحائية على صلة بالوظيفة الوصفية ، والوظيفة الإغوائية مرتبطة بالوظيفة الإيحائية⁽²⁾ .

وما تجدر الإشارة إليه هنا أن شعرنا العربي القديم لم يعرف العنوان لعدم اهتمام الشعراء به " لسبب مفهوم هو عدم كونه [= أي العنوان] عتبة ضرورية وتقليداً إبداعياً في أدبيات الشعر العربي لطابع هذا الأخير الشفهي بالدرجة الأولى " .⁽³⁾ لذلك لم تحدد القصائد عندهم بعناوين ، وإن حدث ذلك " فإن العنوان حينئذ يكون صوتياً ، دلالياً ، كأن يُقال لامية العرب ، لامية العجم ، سينية البحري " .⁽⁴⁾

إذن ، يُعدّ العنوان من بين أهم مكونات النص الموازي لأنه مفتاح الولوج إلى عمق النص والنفوذ إلى طياته وسير أغواره .

1- نبيل منصر ، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ، ص 47 .

2- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

3- الهاشم اسمهر ، عتبات الحكيم القصير ، ص 36 - 37 .

4- فيصل الأحمر ، معجم السيميائيات ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط 1 ، 2010 ، ص 225 .

1- العنوان الخارجي :

" قراءة في آية السيف " هو العنوان الرئيس للمجموعة الشعرية الصادرة سنة 1983 للشاعر الجزائري مصطفى محمد الغماري ، والتي تضم سبع عشرة قصيدة . إنه المحور الذي تدور في فلكه بقية العناوين في الديوان لذلك حظي بأن يكون عتبة الغلاف ، فتحول بذلك إلى مؤطر لكل نصوص الديوان فاعتلى عرش العنونة .

" قراءة في آية السيف " قصائد موضوعها النقد الاجتماعي والسياسي السائد في المجتمع العربي والإسلامي - والجزائر أرض الأمير عبد القادر جزء من هذا المجتمع - وما كان له من انعكاسات على الشعوب جعلتها لقمة سائغة للأعداء ، ويتجلى لنا ذلك عبر قصيدتين تعتبران مركز ثقل الديوان ، هما : " وسل الأمير " و " قراءة في آية السيف " .

وقد أدرك الغماري وأيقن أن خلاص الشعوب مما هيمن عليها من ابتداءات دخيلة على دينها وعاداتها من جهة ، ورفع يد الظلم - سواء ممن تسلطوا عليها من حكام أم مستعمر - من جهة أخرى إنما يكون برفع سيف الجهاد مثلما رفعه الأمير عبد القادر ، وهو ما بدا واضحا في عتبة الإهداء حينما يقول : " إلى رائد الجهاد الإسلامي في العصر الحديث [...] إليه رمز تحدٍ وعلم جهادٍ أهدي هذه المجموعة من أشعاري " (1).

يعلن الغماري عبر هذه العتبة منذ البداية أن قصائده دعوة إلى نبذ العادات المبتدعة في الدين (وسل الأمير) وأن الحق لا بد أن يُسترد إن تسلح أصحابه بالإيمان والجهاد (لن ينال الحق) .

أما من حيث نوعه ، فيمكن تصنيف العنوان الخارجي للديوان على أنه من العناوين **المضمونية ذات خلفية توجيهية** ، فعنوان الديوان " قراءة في آية السيف " يعمل على توجيه القارئ على أن المضمون ديني اجتماعي بحث .

أما من حيث وظيفته ، فيمكن إدراجه ضمن **الوظيفة الدلالية الضمنية** التي توحى بالاتجاه الديني المحض من خلال اللفظتين المؤلفتين للعنوان (آية السيف) اللتين تَشِيَان بالزرعة الإسلامية ، فالعنوان يشير إلى ما يسمى بآية السيف ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ

1- مصطفى محمد الغماري ، قراءة في آية السيف ، صفحة الإهداء .

كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿ [التوبة ، الآية : 36] . فالآية تدعو إلى قتال المشركين جميعا مثلما يقاتلون المسلمين جميعا .⁽¹⁾

فهذه الإحالة تجعل القارئ يطمئن منذ أول اتصال له بالعنوان على أن موضوع الديوان ديني اجتماعي ويظهر ذلك من خلال موضوع القصيدة الثانية عشرة - التي تحمل نفس عنوان الديوان - الذي يصور حال الأمة الإسلامية فيما ابتدعت ما ليس في دينها مُثَمَّلًا في ذكرى مولد نبيها صلى الله عليه وسلم .

فضاء العنوان في ديوان " قراءة في آية السيف " :

ينتمي العنوان إلى النص الموازي ، وهو بنية مستقلة عن النص (هذا الاستقلال لا يعني الانفصال الكلي عن البنية الكبرى النص) باعتباره رسالة لغوية ، كما أنه رسالة سيميائية أيقونية (خط + ألوان) قابلة للدرس ، إضافة إلى مرجعيته الاجتماعية والإيديولوجية التي تمكن القارئ من تدبر الخطاب اللساني و تأويله انطلاقا من مرجعيته الثقافية ، فكذا تكون " الحال في تدبر صفحة الغلاف باعتبارها نصا موازيا ؛ تتعالق فيه الأشكال والألوان فتتجاوز المادة والسكون إلى الانتظام كيانا تواصليا تتأزر عناصره لأداء معنى ، ولتجسيد موقف "⁽²⁾.

فمن أبرز وظائف العنوان الوظيفة المرجعية التي ترتبط بالسياق الذي يتم فيه التواصل . والوظيفة التأثيرية التي تتصل بقانون التواصل⁽³⁾ ، إذ الهدف من وضع العنوان هو التأثير في المتلقي لما يحمله العنوان من إيجازات تغري المرسل إليه بقراءة العنوان ، ومن هنا يبرز الجانب التداولي في العنوان ، فالمتلقي بمجرد تلقيه للرسالة (العنوان) يتفاعل معها .

ويتشكل الفضاء العنوي في ديوان مصطفى محمد الغماري من مستويين اثنين :

- الجانب الخطي (الكاليفرافي)

- والجانب التأثيري الذي يعتمد على عناصر الإغراء من ألوان وتشكيل .

1- يُراجع في هذا : تفسير ابن كثير ، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 2002 ، ج 2 ، ص 355 .
2- رشيد شعلال ، النص والنص المصاحب قراءة في تشكل الحدث الشعري " اللغة والغفران " عينة ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، العدد السادس ، 2010 ، ص 10 .
3- قانون التواصل الذي يفترض وجود مرسل (الشاعر) ومرسل إليه (القارئ / المتلقي) ورسالة (العنوان) .

فالعنوان الخارجي (عنوان الديوان) عند الشاعر يتكون من المعادلة الآتية :

البنية اللغوية + فضاء العنوان (الخط + الألوان + التشكيل + تموقع عناصر
العنوان) + المستوى الإيحائي

وقد تناولنا فيما سبق البنية اللغوية والمستوى الإيحائي للعنوان " قراءة في آية السيف " ،
وستتناول فيما يلي المستوى الثالث الذي يُطلق عليه " فضاء العنوان " وهو الجانب السيميائي
الممثل في المستوى الأيقوني لأن العنوان علامة مكونة من جانبين : الخط واللون .

فطبيعة العنوان ووظائفه ومستوياته يدفع المتلقي إلى استحضار كل طاقاته المخزنة في الذهن
لفك الرموز وتحديد الدلالات الكامنة في العنوان وفضائه ، وعناصره الأساسية هي : الخط والألوان
والتشكيل .

الفضاء العنوي هو الإطار المشكل لصفحة العنوان بكل عناصره التي تقع عليها العين ، والتي
تُخفي بُعدا سيميائيا ، أي الانتقال من العنوان كعلامة لغوية إلى العنوان كعلامة أيقونية تسهم في
تحليل العمل الأدبي وفهمه ، و " تساعد القارئ على تلمس الدلالات الخفية في النص " .⁽¹⁾

ومادام فضاء العنوان هو تلك المساحة المكونة للواجهة الأولى للديوان أين يمارس العنوان دوره
التأثيري في المتلقي ، فإن مسألة إدراك الأشكال وتحليلها (في البعد البصري للعنوان) يستدعي
الاستفادة من النظرية الجشطالتيّة (*) الألمانية التي أفادت " بشكل كبير في مجال الإدراك اعتمادا على
التجربة المباشرة المعتمدة نقطة انطلاق لكل سيكولوجيا ولكل علم ، إذ اعتمادا على التجربة المباشرة
يقلل الجشطالتيون من دور الانتباه والثقافة في الوظيفة الإدراكية عبر المعطيات البصرية ، فهم يرون أن
العالم والصورة يفرضان بنياتهما على الذات الناظرة المتأملة " .⁽²⁾

1- نصيرة زوزو ، الفضاء النصي في رواية " كتاب الأمير " للأعرج وسيني ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ،
جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، العدد 6 ، 2010 ، ص 10 .

* والجشطالتيّة كلمة ألمانية (Gestalt) اقترحت لها ترجمات عدة ، منها : الشكل ، والتشكيل أو الصياغة ، والهيئة ، والبنية ،
والجوهر وغيرها . ويفضل الدكتور شاكر عبد الحميد ترجمته على أنه " الصيغة الكلية " . والفكرة الجوهرية التي يقدمها هذا
المصطلح هي أنّ الكلّ مختلف عن مجموع الأجزاء أو هو ليس مجرد لتجميع الأجزاء . فالمرعب مثلا ليس مجرد أربعة أضلاع ، بل
الصيغة الكلية التي تُنظّم هذه الأضلاع الأربعة من خلالها ، كي تأخذ الصفة الكلية الخاصة بالمرعب . انظر : شاكر عبد
الحميد ، التفضيل الجمالي ، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني ، عالم المعرفة ، مارس 2001 ، ص 159 .

ويذهب أصحاب هذه النظرية إلى أن الإنسان يدرك الشكل ككلّ دون الفصل بين أجزائه " فالجزء لا معنى له إلا في ضوء الكلّ الذي يحتويه ، وإذا انفصل عنه اكتسب معنى آخر " (1) فكلما غيّرنا في الأجزاء أو حذفنا منها حصلنا على أشكال جديدة مغايرة للأول .

هذا من حيث علاقة الكلّ والأجزاء . أمّا عن العمق والشكل أو الأرضية والشكل فينطلق الماكري من السؤال القائل : " ماذا ندرك داخل حقل متجانس كليا ؟ " (2) وهي مسألة تتعلق بدراسة التنظيم الداخلي والخارجي للأشكال البصرية . ليتوصل للإجابة عن السؤال في " أنّ الأشياء المحسوسة لا توجد إلا في علاقتها بعمق معين " (3)

ويحدد الماكري خمسة قوانين تؤثر بها طبيعة العمق في خصائص الصورة (4) ، هي :

1- قانون الصغر : Loi de petitesse : حيث الشكل الصغير يبرز عن عمق أكبر

حجم .

2- قانون البساطة : Loi de simplicité : الشكل البسيط أبرز وأظهر من الشكل

المعقد .

3-4- قانون الانتظام والتقابل : Loi de régularité et de symétrie :

ويتعلق الأمر بالتقسيم المناسب أو المتقابل لعناصر شكل ما .

5- قانون الاختلاف : Loi de différenciation : حيث الشكل ذو البنية المميزة

يبرز بصورة أفضل .

كما يتحدث الماكري عن " رسوخ الشكل " Prénance de la forme والذي

يقصد به قدرة الشكل على شدّ الانتباه أكثر من غيره ، ويكون قابلا للرسوخ أكثر " في الوقت الذي

2- محمد الماكري ، الشكل والخطاب ، مدخل لتحليل ظاهراتي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1991 ، ص 18 .

1- حلمي المليحي ، علم النفس المعاصر ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ص 193 .

2- محمد الماكري ، الشكل والخطاب ، ص 21 .

3- المرجع نفسه ، ص 22 .

4- المرجع نفسه ، ص 23 .

يخضع فيه أكثر من سواه لقوانين الجشطالت التي سلف توضيحها " (1) خاصة فيما يتعلق بالبساطة والانتظام (التناسب) والتقابل .

وكثيرا ما تُستخدم هذه الأساليب كتقنية في الإشهار للتأثير الجمالي والنفسي .

أمّا فيما يتعلق بإدراك الفضاء ، فالماكري يرى بأن العناصر التي تضبط علاقة الكلّ بالأجزاء والشكل والعمق تبقى ناقصة " ما لم تكتمل بتفصيل الحديث عن الفضاء " (2).

ويقصد أصحاب نظرية الجشطالت بإدراك الفضاء كلّ المظاهر الهندسية للأشياء انطلاقا من الموضوع (Localisation) والاتجاه (Direction) والكبر (Grandeur) والمسافة (Distance) (3).

وهم يلحون " على المظهر العلائقي ، في مقابل المظهر النوعي في إدراك الأشكال ، إذ يرون المظهر الأول أغلب من الثاني سواء في إدراك وتلقي رجل الهندسة أو في إدراك العادي ، لهذا فإنهم يعتبرون الأشكال تحت المظهر المذكور " (4).

فالفضاء ينقسم إلى عنصرين :

الموقع بجميع أبعاده ، و**فضاء الكتابة** الذي يتفاعل مع العنصر الأول .

ويُبرز الماكري أثر المستوى الفكري والثقافي والاجتماعي في مستويات التفاعل والتلقي فيقول : " إنّ الإدراك البصري عموما مرتبط بال نماذج والقيم الثقافية ، فبدون تربية ، ودون نقل التجارب يكون الفرد المعزول أسير نظرة نفعية (Utilitaire) . من هنا فإن التربية البصرية يجب أن تراعي المظاهر الطبيعية في أغلبها . إمّا بهدف تأويل عقلائي أو على العكس من ذلك من أجل اكتشاف مختلف دلالات خطاب بصري معين " (5).

بعد هذا التأسيس النظري لفضاء العنوان نتساءل : كيف ساهم كلٌّ من الخط واللون في تشكيل شعرية العنوان في ديوان مصطفى الغماري " قراءة في آية السيف " ؟

1- محمد الماكري ، الشكل والخطاب ، ص 25 .

2- المرجع نفسه ، ص 27 .

3- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

4- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

5- المرجع نفسه ، ص 29 .

وللإجابة عن هذا السؤال لابد من إبراز العلاقة بين اللغة والشكل . فالشكل الخطي في العنوان على علاقة وطيدة باللغة إلى حد لا يمكن فصله عنها .

إنّ للخط مساهمة فعالة في شعرية العنوان ، فهو يُعدّ أداة من أدوات التعبير ، لذا كان للخط العربي حضور في الثقافة العربية ما دفع القلقشندي لأن يُفرد فصلا في الجزء الثالث من كتابه أبرز فيه فضيلة الخط وبيان حقيقته وأصل وضعه .⁽¹⁾

فالخط وُضع " لأداء اللفظ المقصود فهمه للنظر فيه " ⁽²⁾ ، ومن ثمّ فهو ليس مجرد زينة وإنما يشترك مع اللفظ في البيان " من حيث إنّ الخط دالٌّ على الألفاظ " ⁽³⁾ فهما يُعبّران عن المعاني .

للخط أهميته وقيمته التي تبرز في علاقته بالمتلقي الذي يتبع كلّ حسن جميل ، فإذا كان الخط حسنا جيدا " بعث الإنسان على قراءة ما أودع فيه " ⁽⁴⁾ . ومن هنا يتجاوز المتلقي البُعد الفني والجمالي للخط لينتقل إلى ما شُحن به من بُعد ثقافي واجتماعي .

ولما كانت مادة الخط الأولى هي الحرف العربي فقد خصص القلقشندي أربعة عشرة صفحة لطُرق رسم الخطوط .⁽⁵⁾

فالخط في العنوان علامة لغوية كما أنّه علامة أيقونية يمكن تأويلها وتفسيرها في سياق دلالي احتفِيّ به في ديوان الغماري بغية التأثير في المتلقي لدفعه إلى التفاعل مع النص .

وظّف العنوان في المجموعة الشعرية (قراءة في آية السيف) الخطين الديواني والكوفي .

أمّا الخط الديواني فجاء به العثمانيون لكتابة الرتب الرفيعة ، وتقليد الأوسمة ، وكل ما يصدر عن الديوان السلطاني .⁽⁶⁾ ويمتاز بأنه " يُكتب على سطر واحد ولا ينزل من تحت السطر غير

1- القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، 1914 ، ج 3 ، ص 5 : 10 .

2- المصدر نفسه ، ص 9 .

3- المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .

4- المصدر نفسه ، ص 10 .

5- المصدر نفسه ، ص 28 : 42 .

6- حنان قرقوتي ، اللغة العربية والخط وأماكن العلم والمكتبات الترجمة وآثارها ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 1 ، 2006 ، ص 35 .

* أما هذه الحروف فهي : (ج ح خ ع غ م والهاء الوسطية والكاف الممتدة) .

حروف (*)⁽¹⁾ . كما يمتاز هذا الخط أيضا " بالمرونة الكاملة في كتابة جميع حروفه . ودرجة ميل هذا الخط أكثر من درجة ميل أي نوع آخر مع المرونة الدائرية في كل الحروف " .⁽²⁾

وقد تفرّع عن هذا الخط الأصلي **الخط الديواني الجلي** " وهو خط ديواني مشكول ، ومعنى الجلي : الواضح [...] وفي هذا الخط يحتاج الخطاط إلى كثير من التعديل والتزويق لكتابة حروفه المتميزة بالتقويسات " .⁽³⁾

فكثرة التعديل والتزويق لكتابة حروف الخط الديواني ورغم المرونة التي يتميز بها ، إلا أنّ ذلك يستدعي من الخطاط جهدا .

وأما **الخط الكوفي** فقدم ، وهو " خط يابس حاد ، ذو زوايا ، تتميز حروفه بالاستقامة الرأسية والأفقية . ومن سماته أنه بطيء عند الكتابة " .⁽⁴⁾

وقد تفرّع عن الخط الكوفي خطان ، هما : **الخط الكوفي المصحفي** الذي استعمل في رسم المصاحف ، ويمتاز بالمرونة والليونة .⁽⁵⁾ و**الخط الكوفي الهندسي** ، ويوصف بأنه " تنضد فيه الكلمات والحروف بتصميم هندسي بديع ، يقوم على أسس علم الجمال ، كمبادئ التناظر والانسجام والوحدة [...] ويكتب هذا الخط بأشكال هندسية فنية " .⁽⁶⁾

فالخط الكوفي يتميز :

- باستقامة حروفه وحدة زواياه .
- الدقة الهندسية .
- يُنخذ للزخرفة .
- يحتاج إلى عناية كبيرة .

1- حنان قرقوتي ، اللغة العربية والخط ، ص 35 .

2- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

3- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

4- المرجع نفسه ، ص 37 .

5- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

6- المرجع نفسه ، ص 37 - 38 .

إنّ توظيف الخطين الديواني والكوفي قالبا للعنوان في مجموعة الغماري الشعرية (قراءة في آية **السيف**) له دلالاته الفنية والجمالية لما يتميزان به من دقة في الإنجاز للدقة الهندسية والحاجة إلى التعديل والتزيين ، كلُّ ذلك له بُعد **تأثيري في المتلقي** لدفعه إلى التفاعل مع الديوان فينتقل بذلك المتلقي من الرؤية إلى القراءة ثم إلى التصفح . وإنّ لم يكن ذلك ، فأضعف المواقف هو إبداء الإعجاب بجمال الخط وطريقة إنجازه .

ولما كان العنوان هو الواسطة بين الديوان (النص) والمتلقي فإنّ الجمع بين الخطين الديواني والكوفي يُعدّ منبها ومثيرا لما يحمله هذان الخطان من سلطة ثقافية تتمثل في كونهما من أقدم الخطوط (إن لم يكونا معا ، فالكوفي على الأقل) في الحضارة الإسلامية واستُعمِلَا في الزخرفة والزينة (خاصة في المساجد) ودوّن بالثاني منهما المصحف الشريف .

إنّ هذه الخصائص مجتمعة تمثل بعض مقومات الهوية الإسلامية التي يلح عليها مصطفى الغماري في مجموعته الشعرية (قراءة في آية **السيف**) .

فكلمة (**السيف**) المشكلة للعنوان تحيل في الثقافة الإسلامية على القوة والصلابة والفصل بين الحق والباطل ، وهذا ما تبرزه خصائص الخط الكوفي الذي رُسمت به حروفها :

فالسّين ، شكل مرّكب من خمسة خطوط : منتصبٍ ، ومقوّسٍ ، ومنتصبٍ ، ومقوّسٍ ، ثم مقوّس .⁽¹⁾ وأما **الياء** ، فشكل مرّكب من ثلاثة خطوط : مستلقٍ ، ومنكبّ ، ومقوّس .⁽²⁾ وأما **الفاء** ، فهي شكل مرّكب من أربعة خطوط : منكبّ ، ومستلقٍ ، ومنتصبٍ ومنسطح .⁽³⁾

وقد حظي الشكل الهندسي للكلمة في العنوان بعناية فائقة ، فزوايا الخط شديدة الحدة ، وهو ما يدل على الجهد المبذول في شكل يثير الانتباه ، علما أنّ هذه الكلمة (**السيف**) قد استحوذت على الفضاء الأكبر في واجهة الديوان .

هذا عن الخط ودلالاته في الفضاء العنوي ، فماذا عن اللون الموظف فيه ؟

يتمثل المستوى الثاني من فضاء العنوان في الجانب الفني المتصل بالألوان ، وسنركز فيه على

دراسة دلالة اللون .

1- القلقشندي ، ص 31 .

2- المصدر نفسه ، ص 38 .

3- المصدر نفسه ، ص 33 .

وقد كان عالم اللون شديد الارتباط بحياة الإنسان منذ أن وُجد ، فقد عمل الإنسان على التمييز بين الألوان لتوظيفها في التعبير عن أحاسيسه ومشاعره المختلفة .

ويتم إدراك الألوان بالاعتماد على الجانب الفيزيائي للون . ويتحدد اللون الفيزيائي لسطح ملون من خلال الهوية أو الصبغة ، وهي إحدى الخصائص المميزة للألوان . " ويُقصد بالهوية أو الصبغة تلك الخاصية التي تميز أحد الألوان عن الألوان الأخرى ، فيقال مثلا إنَّ هذا اللون أخضر وهذا أحمر ... إلخ . إنها تشير إلى ذلك الاخضرار في اللون الأخضر وذلك الاحمرار في اللون الأحمر وذلك الاصفرار في اللون الأصفر وهكذا " .⁽¹⁾

وانطلاقا من هذا ، فإنَّ للإشارة اللونية ثلاثة أبعاد ، هي :

- 1- اللون المسيطر ، وهو ما أُطلق عليه سابقا الهوية أو الصبغة .
- 2- النغمة أو الإضاءة⁽²⁾ ، وتُسمى النصوع والقيمة . وهي ترتبط بدرجة الإضاءة أو الظلمة في أي لون من خلال الحضور الخاص للأبيض (الضوء) أو الغياب الخاص له ، ومن ثَمَّ الحضور الخاص للأسود (العتمة) .

3- التشبع أو الكثافة ، فكلما كان اللون كثيفا كان ذلك دليلا على تشبعه " وعند ذروة التشبع يوصف اللون بأنه كثيف (أي لا يمكن أن يكون أكثر من هذا) ، وأيِّ إضافة بعد ذلك لتعميق نغمته (الأبيض والأسود) يترتب عليها فقدانه لكثافته من خلال هذا النصوع المضاف " .⁽³⁾

إنَّ للألوان تأثيرها الواضح على الكائنات الحية عامة ، والإنسان خاصة إذ " يعتقد علماء النفس أنَّ الألوان تؤثر في الإنسان بشكل مباشر ، وعند مستوى ربما كان يقع أدنى أسفل مستوى التفكير المنطقي المباشر ، عند مستوى يسميه البعض ما قبل الشعور ، وهو مستوى يقع ما بين الشعور واللاشعور أو الوعي واللاوعي أو التفكير الحاضر والتفكير الغائب . وفي هذه المنزلة بين المنزلتين ، كما يقول بعض العلماء ، يحدث تلقينا الخاص للألوان . وتحدث أيضا بدايات الخيال والإبداع . نحن نحتاج إلى التفسير العقلي بالضرورة ، كي نتعرف على الشكل . والتفسير في بعض

1- شاكر عبد الحميد ، التفضيل الجمالي ، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني ، ص 259 - 260 .

2- المرجع نفسه ، ص 260 .

3- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

جوانبه منطقي ومحدود ومحدد وقاصر أيضا ، بينما نستجيب للون بشكل تلقائي ، عفوي ، حر " (1).

هذا عن علاقة الارتباط بين الإنسان والألوان ، وعن كيفية إدراكه لهذه الألوان ، فما دلالة اللون في المعجم العربي ؟ سنركز في هذا على دلالة اللونين اللذين وُظفا في العنوان ، وهما : اللون الأخضر واللون الأحمر .

1- الأخضر : الحُضرة من الألوان ، ومن الحُضرة في ألوان الخيل أخضر أحْمُ ، وهو أدنى الحُضرة إلى الدُّهْمَة . وفي قوله تعالى : ﴿ مُدْهَامَتَانِ ﴾ [الرحمن ، الآية : 64] أي تميلان إلى السواد من شدة الحُضرة ، ويُقال كتيبة حضراء إذا غلب عليها لبس الحديد ، شبه سواده بالحُضرة ، والعرب تطلق الحُضرة على السواد . (2)

2- الأحمر : الحُمرة من الألوان المتوسطة ، يُقال احمر الشيء احمراراً إذا لزم لونه ولم يتغير من حال إلى حال . واحمرارٌ يحمازُ احمرارا إذا كان عَرَضاً حادثاً غير باقٍ . ويُقال أهلك النساء الأحمران ، يعنون الذهب والزعفران ، أي أهلكهن الحلي والطيب . وأهلك الرجال الأحمران ، أي اللحم والخمر . ويُقال أتى الناس أسودهم وأحمرهم وليس أبيضهم أي عربهم وعجمهم ، والعرب لا تقول رجل أبيض لبياض اللون ، ولكن الأبيض عندهم هو الطاهر النقي من العيوب ، فإذا أرادوا الأبيض من اللون قالوا أحمر . والسنة الحمراء الشديدة لأنها واسطة بين السواد والبياض ، أي شديدة الجذب . والموت الأحمر هو موت القتل لما فيه من حمرة الدم أو لشدته . قالوا : الحسنُ أحمرُ أي شاق أي من أحب الحسن احتمل المشقة ، أي أن صاحبه يلقي منه ما يلقي صاحب الحرب من الحرب . وكثيرا ما يطلقون الحمرة على الشدة . (3)

فما دلالة توظيف هذين اللونين في العنوان في المجموعة الشعرية (قراءة في آية السيف) ؟

ما يلاحظ على عنوان الديوان أنه وُظّف فيه اللونان الأخضر والأحمر .

1- المرجع نفسه ، ص 270 .

2- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خ ض ر) ، ج 4 ، ص 120 .

3- المصدر نفسه ، مادة (ح م ر) ، ج 3 ، ص 316 .

أما اللون الأخضر ، فيحيل على البعد الإيجابي ، إته لون يشير إلى الطبيعة والتجدد ، والحياة المفعمة بالنشاط والحيوية ، وهو لون الدعوة الإسلامية . وقد وُظف في عنوان الديوان لتحقيق هذه الأبعاد عامة ، ودلالة المدونة الكبرى / النص تعضد ذلك .

إنّ القراءة تستدعي استحضار الأدوات والوسائل لاستنكاه ما يُقرأ ، وذلك يوحي بالغنى والخصب والتنوع ، وهو ما يدل عليه اللون الأخضر .

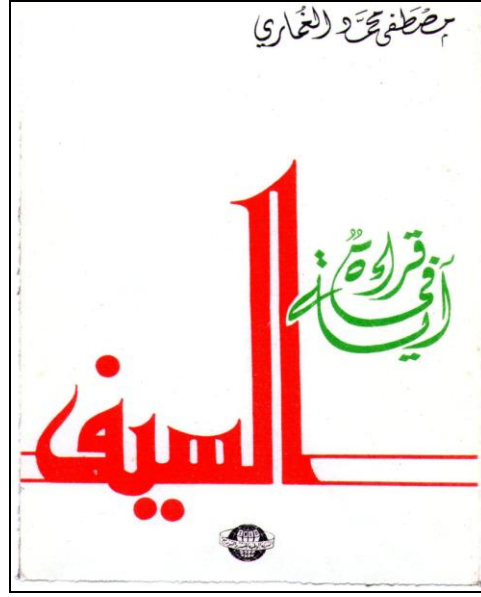
كما أنّ الآية أو العلامة في معناها اللغوي تدل على النماء والبهاء ، وهو ما ترمز إليه خُضرة الطبيعة .

فتوظيف اللون الأخضر في الغلاف في (قراءة في آية) يحيل على الرغبة في التفكير والتدبر بعقول حيّة فاعلة يمكنها أن تنهض بالأمة مما هي عليه ، فهو (= اللون الأخضر) رمز للبعث والنهضة .

أما اللون الأحمر ، فإنّ حضوره في الغلاف يفوق حضور اللون الأخضر ، إذ احتل أغلب مساحة الغلاف ، وقد شكّلت به كلمة (السيف) ، ومن ثمّ فالخُمرّة تدل على القتال والمنازعة والنزال ، فالشاعر من خلال الديوان يدعو إلى إعادة قراءة آية السيف - وهي الآية السادسة والثلاثون من سورة التوبة والتي تدعو إلى قتال المشركين - بتدبر وتمعن وأخذ العبر منها لمواجهة ما حلّ بالأمة من ذل وهوان بفعل أعدائها الكافرين أو حكامها الظالمين ، ولا يكون ذلك إلا بإشهار سيف الحق .

فالأحمر لون يرتبط بالقوة والثورة ، والدم والحريّة ، وهو رمز الحياة بقوتها وحيويتها ، وهي الدلالات التي تحيل عليها كلمة (السيف) التي لُونت بالأحمر .

وفيما يتعلق بدور التشكيل في تحقيق الإثارة الجمالية فإننا نلاحظ أنّ غلاف الديوان خلا من اللوحات التشكيلية ما عدا اللوحة الحروفية (المشكلة من الحروف) التي برزت بالخط الديواني ذي اللون الأخضر والتي شكّل بها المقطع الأول من البنية اللغوية للعنوان (قراءة في آية) ، وقد بدت بشكل شبه دائري (انظر صورة الغلاف) ذي بعد فنيّ الهدف منه إثارة المتلقي وجلبه ومحاوله إقناعه بالتعرف على العمل الشعري .



وبخصوص شعرية الحجم - كعنصر من عناصر الإثارة العنوانية - فقد أخرجت المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع (SNED) الديوان بحجم متميز من مقياس : 18 سم × 13 سم ، وهو حجم يسمح للمتلقي بحمل العمل الشعري في جيبه أينما حلّ .

2- العناوين الداخلية :

في دراستنا للعناوين الداخلية للمجموعة الشعرية " قراءة في آية السيف " ، سنعمل على استكشاف بنيتها التركيبية ووظيفتها .

أ- البنية التركيبية للعناوين الداخلية :

نميز في البنية التركيبية للعناوين الداخلية الأنماط الآتية :

- نمط : مركب فعلي

اسم	مركب فعلي	حرف عطف
الأمير	سل	الواو

ما يمكن أن نسجله هنا أن الفعل في هذا المركب الفعلي جاء بصيغة الأمر (سل) ، فهو يحمل سلطة (سلطة اللغة) تدفع بالمتلقي للنظر في سيرة الأمير عبد القادر الجهادية .

- نمط : لن + مركب فعلي + اسم

اسم	مركب فعلي	أداة نصب
الحق	ينام	لن

ونلاحظ في هذا المركب الفعلي دخول أداة النصب (لن) على فعله فنفت حدوثه وحصوله ، على أنّ الحق لا ينام ولن ينام لإعطائه استمرارية الطلب حتى تحقيقه .

- نمط : اسم + أن + مركب فعلي + اسم

اسم	مركب فعلي	أداة نصب	اسم
الشمس	نعشق	أن	قدرٌ

وهذا النمط أكثر تركيباً . وفي بدايته ذكّر لاسم يبرز الإيمان القوي والرضى ، على أن هذا الحب الإلهي إنما هو قدرٌ .

- نمط : مركب اسمي + حرف جر + اسم

اسم	حرف جر	مركب اسمي	
الله	مع	ي	وحد

ولعل حرف الجر (مع) هنا ، الذي يفيد المعية ، يعبر عن استغناء الشاعر بالله عمّا سواه من خلال لفظ (وحدي) .

- نمط : مركب فعلي + مركب فعلي

مركب فعلي		مركب فعلي	
العشق	ثوى	واو الجماعة	قال

وهذا النمط اشتمل على مركبين فعليين ، الرأس الأول فيهما أسند لضمير الغائب ، فالشاعر صوفي يريد أن لا تغيب عنه ومضات الحبّ التي يراها دفعا للحياة .

- نمط : مركب اسمي

مركب اسمي	
الخلود	شوق

ونلمح هنا أن المركب الاسمي اقتصر على لفظتين أضيفت إحداهما للأخرى ، من باب إضافة النكرة للمعرفة ، لتخصيصها وتعيينها ، فهذا الشوق لا لشيء إلا لتحقيق الخلود .

- نمط : اسم + حرف جر + مركب اسمي

اسم	حرف جر	مركب اسمي	
حنين	إلى	خضراء	الظلال

والملاحظ هنا أن المركب الاسمي اشتمل على اسم دال على لون مضاف إلى معرفة بعده لتخصيصه .

- نمط : مركب اسمي + اسم

اسم	مركب اسمي	
اليقين	الحلم	زهرة

واشتمل المركب الاسمي على اسم معرفة مضافٍ إليه (الحلم) عُدَّ نواة حيث يتمنى الشاعر أن يزهر هذا الحلم ويورق .

- نمط : نفي + حرف جر + ضمير + أداة حصر + مركب اسمي

نفي	حرف جر	ضمير	أداة حصر	مركب اسمي
-----	--------	------	----------	-----------

ليس	اللام	الياء	إلا	هوى	الهاء
-----	-------	-------	-----	-----	-------

وهذا النمط أكثر تركيباً من سابقه . ولعل الأداة (إلا) فيه قد خرجت من الدلالة على الاستثناء للدلالة على الحصر والتخصيص ، إذ ليس للشاعر من هوى غير هوى الجزائر الخضراء .

- نمط : مركب اسمي + أداة نداء + اسم (منادى)

مركب اسمي		أداة نداء	المنادى
هذي	المصاحف	يا	إله

ونلمح في هذا النمط تقديم جواب النداء (هذي المصاحف) على أسلوب النداء (يا إله) ، فهو يستغيث لهذه المصاحف ، وما يترتب عن ذلك من ألم وحرقة .

- نمط : مركب اسمي + مركب فعلي

مركب اسمي		مركب فعلي
زمن	الطاغوت	ولّى

واضح أن هذا النمط قد كُسر فيه المعيار ، فقد قُدّم فيه الفاعل على عامله (ولي) لتخصيصه .

- نمط : اسم + حرف جر + مركب اسمي

اسم	حرف جر	مركب اسمي	
قراءة	في	آية	السيف

ما يمكن تسجيله هنا ، أن حرف الجر (في) الذي يفيد الظرفية ، قد حدد موضوع القراءة ومجالها .

- نمط : مركب اسمي

مركب اسمي	
الزمان	فتوى

حذف في هذا النمط المبتدأ من المركب الاسمي للاهتمام بالخبر الذي عُرِّف بإضافته لما فيه (أَل) لتعيينه .

- نمط : اسم + حرف جر + اسم + حرف عطف + اسم

اسم	حرف عطف	اسم	حرف جر	اسم
أغنية	اللام	الحزن	الواو	الجهاد

وما يلاحظ على هذا النمط ورود حرفي الجر (اللام) والعطف (الواو) اللذين يفيدان على الترتيب الملكية والجمع بين المتعاطفين في الحكم .

- نمط : مركب فعلي + مركب اسمي

مركب فعلي		مركب اسمي	
أغلى	ثُ	حَبَّ	الكاف

ونلمح في هذا المركب الفعلي بروز ضمير المتكلم (التاء) ، وذلك يُبرز احتفاء الشاعر بذاته .

- نمط : مركب اسمي

مركب اسمي	
درب	المحبين

ويتناسب هذا النمط مع النمط الثالث عشر (فتوى الزمان) الذي حُذف فيه المبتدأ من المركب الاسمي للاهتمام بالخبر .

- نمط : مركب فعلي

مركب فعلي	
لَبِّي	الكاف

والواضح أن هذا النمط يشير إلى صيغة الاختصار ، الذي لا يخلو من بلاغة وجمال ، فقد عبّر باللفظ القليل عن المعنى الكثير .

الخلاصة :

- وما يمكن استخلاصه من هذا الرصد للبنى التركيبية للعناوين الداخلية :
- هيمنة الأسماء والمركبات الاسمية ، ما يعطي للعناوين صفة الثبات والسكون .
 - سيطرة الجمل الخبرية ، ما يحقق الوظيفة الإخبارية .

ب- وظيفة العناوين الداخلية :

تُدرِكُ معظم وظائف العنوان من خلال النص . فالنص وحده من يحدد طبيعة هذه الوظيفة . وما دام العنوان رسالة فإنه يمكننا من خلال النص فهم رسالة العنوان . فعبر العنوان يستطيع القارئ أن يستشف محتوى النص ومضمونه ، فالعنوان يعمل على توجيه القراءة ويختصر المضمون .

فإلى أي مدى يمكن إسقاط هذه الوظائف على العناوين الداخلية لديوان مصطفى الغماري (قراءة في آية السيف) ؟

1- الوظيفة التعيينية :

تجلت هذه الوظيفة في عنوانين اثنين في الديوان ، هما : (وسل الأمير) و (قالوا ثوى العشق) ، حيث كلُّ عنوان منهما تعيين لموضوع القصيدة وتسميته . فالأول يتحدث عن جهاد الأمير عبد القادر ، وبذلك تحمل القصيدة صفة الثورة والجهاد ، وتسعى إلى إحياء هذا الركن المقدس في النفوس .

أما الثاني (قالوا ثوى العشق) فيعبّر عن مضمون القصيدة ويُعيّنُها ويُعرّفها ، إذْ تتحدث عن الحب والعشق ، وما يلاقيه المحب من حرقة ووجد .

فوظيفة التعيين هنا ، تعود إلى طبيعة موضوع القصيدتين الذي يتحدث في الأولى عن الجهاد والثورة ، وفي الثانية عن الحب ومعاناته .

وقد وَسَمَ كلُّ عنوان منهما مضمون قصيدته بدقة لا يمكن للقارئ معها أن يتخيّل أنّ مضمون النص مخالف لما ورد في العنوان . وهي أقلّ الوظائف حضورا في الديوان إذ بلغت نسبتها 11.76 % .

2- الوظيفة الوصفية :

تتداخل هذه الوظيفة كثيرا مع الوظيفة التعيينية ، حيث يُعدّ كلُّ منهما وصفا لمضمون النص ، فلا يمكن الفصل بينهما إلا من خلال النص . فالنص هو الفيصل بين وظيفة هذه العناوين .

وقد حضرت الوظيفة الوصفية في الديوان في ثلاث قصائد :

الصفحة	العنوان
21	لن ينام الحق
55	حنين إلى خضراء الظلال
63	زهرة الحلم اليقين

تظهر الوصفية في العناوين الثلاثة من خلال وصفها لمحتوى قصائدها ، فهي تمنح القارئ لمحة عن مضمون القصيدة قبل المباشرة في الاطلاع عليها .

إنّ العنوان الأول (لن ينام الحق) يحمل صفة الثورية والتحدي إذ تنبض قصيدته بمعاني الثورة وتشيد برموز الجهاد (طارق ، وعقبة ، ومروان) .

وإنّ العنوان الثاني (حنين إلى خضراء الظلال) تُصوّر قصيدته ألم الغربة وما ينجم عنه من حنين ووجد .

وتناول العنوان الثالث (زهرة الحلم اليقين) نفس موضوع العنوان الثاني .

ويبدو أنّ العنوان الثاني أكثر وصفية ، وذلك أنّ لفظة (حنين) تُعبّر في الأذهان عادة عن الغربة وآلامها ، فالعنوان هنا اختزال لمحتوى القصيدة .

3- الوظيفة الإيحائية / الدلالية :

ثبت وجود هذه الوظيفة في أربعة عناوين من الديوان ، هي :

الصفحة	العنوان
35	وحدى مع الله
69	ليس لي إلا هواها
77	هذي المصاحف يا إله
91	قراءة في آية السيف

وما يميّز هذه الوظيفة هو إيجائها غير المباشر بمضمون النص . فعناوين هذه القصائد تعيّن نصوصها لكن لا تسمّها كلّ الوسم . فهي توحى إلى القارئ بموضوع القصيدة ومحتواها . وقد تناولنا في دراستنا للعنوان الخارجي العنوان الرابع (قراءة في آية السيف) ، وسنعرضه هنا بالعنوان الثاني (ليس لي إلا هواها) .

توحي الألفاظ المؤلفة للعنوان بالمنحى الديني والسياسي للقصيدة . فموضوع النص يصور ما يكيده أعداء الدين والأمة لها من مكائد ، وما الألفاظ الواردة في القصيدة إلا دليل على ذلك (لاهور ، طهران وكابول) .

وكذلك بالنسبة للعنوان الثالث (هذي المصاحف يا إله) فيدل دلالة ضمنية على ما لحق رموز الأمة (المصاحف / المساجد) من أذى من طرف الرافضين لهذا الدين . فالسمة الدينية غالبية على القصيدة ، وقد أوحى العنوان بذلك من خلال ألفاظه (المصاحف - يا إله) .

ويتبين لنا من هذا التحليل أن الوظيفة الإيجائية / الدلالية يمكنها أن تؤثر في الجمهور أكثر من الوظيفتين السابقتين التعيينية والوصفية .

4- الوظيفة الإغرائية :

تقدمت الوظيفة الإغرائية كل الوظائف الأخرى وهذا ما يبدو في كثير من عناوين قصائد الديوان ، فهي عناوين مغرية هدفها إغواء القارئ ودفعه إلى قراءة نصوصها .

والعناوين التي تجلت فيها الوظيفة الإغرائية ثمانية ، هي :

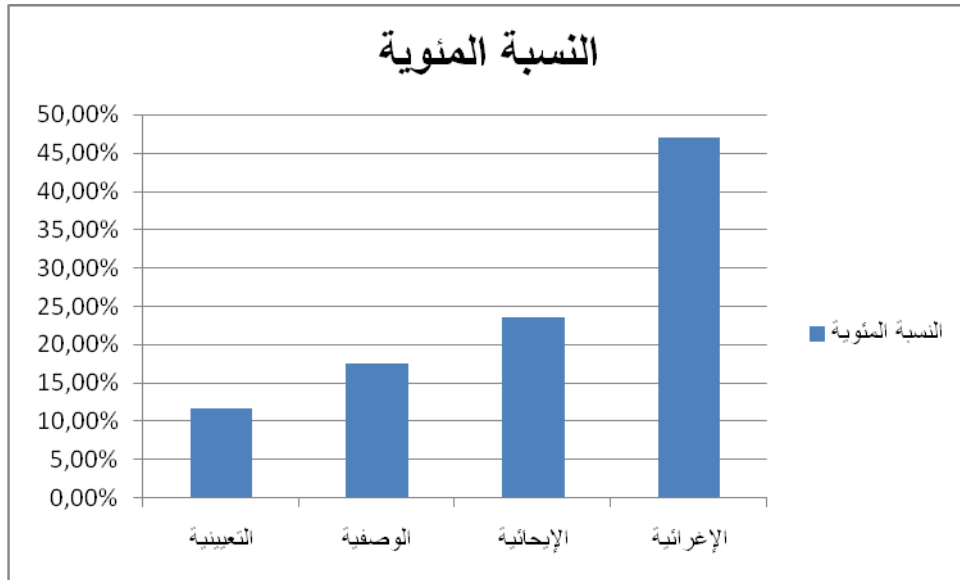
الصفحة	العنوان
31	قدر أن نعشق الشمس
47	شوق الخلود
85	زمن الطاغوت ولى
119	فتوى الزمان
127	أغنية للحزن والجهاد
141	أغليتُ حبك
153	درب المحبين
161	لييك

فمثل هذه العناوين في الديوان تدفع القارئ لولوج النص لكشف خباياه وسبر أغواره .
فالغماري من خلال اختياره الدقيق لعناوين قصائده يثير القارئ ويحرك فيه فضوله لخوض غمار النص ، كيف لا ، ومثل هذه العناوين تثير في نفسه تساؤلات عدة لا يمكنه الإجابة عنها إلا بعد قراءته لنصوصها .

فالعنوان (فتوى الزمان) يجعل القارئ له يتساءل : كيف يكون للزمان فتوى ؟ والقصيدة وحدها تجيب عن هذا السؤال حيث تتحدث عن الحكام العرب الذين خذلوا شعوبهم وباعوا أوطانهم بعرضٍ من حطام الدنيا ، مثلما بيعت سيناء بمصر (اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل) .

وكذلك العنوان السادس في المجموعة (أغليثُ حبك) فالقارئ للعنوان يتبادر إلى ذهنه لأول وهلة بأن الشاعر يغازل محبوبته ؛ ولكن مَنْ تكون هذه المحبوبة ؟ إنها الجزائر الأمّ التي يرفض الشاعر أن يتاجر بحبها في سوق النخاسة .

ويمكن لنا أن نمثل هذه الوظائف بيانيا لنبرز من خلاله تباين حضور وظائف العنوان في شعر مصطفى الغماري :



من خلال الرسم البياني نلاحظ أن الغماري يمزج بين مختلف الوظائف في صياغة عناوينه ، مع تباين نسبة حضورها ، إذ كانت الغلبة للوظيفة الإغرائية بنسبة 47.05 % تليها الوظيفة

الدلالية بنسبة مئوية مقدرة بـ 23.52 % ثم الوظيفة الوصفية بنسبة 17.64 % فالوظيفة التعيينية بنسبة 11.76 % .

وما يمكن استخلاصه بعد هذا التحليل لوظائف العنوان عند الغماري :

1- تمحورت قصائد الغماري في ديوانه (قراءة في آية السيف) حول موضوعين اثنين هما الدين الإسلامي والوطن الجزائر .

2- اهتمام الغماري وعنايته بصياغة العنوان - سواء الخارجي أو العناوين الداخلية - باعتماده على الوظيفة الإغرائية تحديدا والإيحائية الدلالية التي تعضدها ، إذ بلغت نسبتها مجتمعين 70.57 % . فمثل هذه العناوين المغربية تثير فضول القارئ وتدفعه لقراءة نصوصها .

الفصل الثالث

استراتيجيات النص
الشعري

يتم تحقيق الإنسان لأهدافه من خلال الأفعال التي يمارسها في حياته اليومية إذ ترتبط هذه الأفعال بسياق معين . وتختلف أفعال الإنسان باختلاف المواقف والأهداف التي يريد تحقيقها وبذلك فهو يسعى إلى اتباع طرق وخطط مختلفة تتناسب والسياق لتحقيق هذه الأهداف ، تسمى هذه الطرق والخطط " الاستراتيجية " .

في مفهوم الاستراتيجية :

يرجع مفهوم كلمة استراتيجية " **stratégie** " إلى أصول إغريقية ، وأصلها " **stratégos** " وهو قائد الجيش ⁽¹⁾ ، وأنها نشأت من تلاحم أصلين إغريقيين هما : الجيش " **stratos** " والقيادة " **agein** " . وبهذا تكون كلمة " **stratégos** " دالة على شخص القائد المنتج لاستراتيجيات الحرب .⁽²⁾

ويجمل مصطلح " استراتيجية " في الموسوعة الفلسفية العالمية إلى معنى عام جدا على فن القيادة ، أي مَنْ يقود جيشا ، وهو في الأصل معنى عسكري أساسا [...] وانطلاقا من هذه الوجهة ، عُرِّفت الاستراتيجية على أنها ذات موضوع يتعلق بإعداد العُدَّة للعمليات العسكرية وتسييرها العام ، وتحديد أفضل الوسائل باختيار أوفقها لتحقيق المقاصد ، وأخيرا أعمال تلك الوسائل واستخدامها⁽³⁾ .

وفي معجم تحليل الخطاب يشير المؤلفان إلى هذا المعنى الأصلي الذي يفيد المصطلح : " جاء لفظ استراتيجية من فن قيادة عمليات الجيش في ميدان القتال (وهو يقابل إذ ذاك **tactique** خطة) إلى حد أنها آلت إلى تعيين جزء من الفنون العسكرية وأمكن لها أن تكون موضوع تعليم دروس الاستراتيجية في المدرسة الحربية " .⁽⁴⁾

1 - ينظر : الموسوعة العسكرية ، مجموعة من المؤلفين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1977 ، ج 1 ، ص 66 - 67 .

2 - ينظر : اندريه بوفر ، مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية ، تر : أكرم ديري والهيشم الأيوبي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط 3 ، 1978 ، ص 118 .

3 - ينظر :

Encyclopédie philosophique universelle , les notions philosophiques , publié sous la direction d'André Jacob , volume dirigé par Sylvain Auroux , presses universitaires de France , Paris , 1998 , 2 / 2459 .

4 - باتريك شارودو و دومينيك منغو ، معجم تحليل الخطاب ، تر : عبد القادر المهيري وحمادي صمود ، منشورات دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة ، تونس ، 2008 ، ص 532 .

مما تقدم نتبين أنّ مفهوم الاستراتيجية يقوم على محددات ، هي : السعي إلى تحقيق مجموعة من المقاصد والأهداف المنشودة باستعمال منظومة وسائل متاحة .

هذا المعنى الأولي نشأت عنه دلالة ثانية أعمّ من الدلالة الأولى حيث " انتهى الأمر بهذا المفهوم إلى اكتساب معنى أعمّ يفيد كلّ عمل يتم القيام به بصفة منسقة لبلوغ هدف ما " .⁽¹⁾
ومن هذا المنطلق دخل مصطلح الاستراتيجية مجال الدراسات اللسانية " التي ترصد الخطاب في صورة الاستعمال والتواصل " ⁽²⁾ ، بل اقترنت بها اتجاهات لسانية بعينها ، إذ عُدتّ أحد اتجاهات التداولية .

وعليه تنبني استراتيجية الخطاب " على تلازم وظيفي رابط بين نسق المسالك التي يتبعها المؤلف في إنشاء الخطاب وشبكة الانتظارات البانية للمشروع المنشود من التأليف " .⁽³⁾
ويمكن التمييز بين مكونات متنوعة تقوم عليها صياغة استراتيجية الخطاب ، أبرزها :

- **استراتيجية الاستهواء** : وهي موجهة " نحو إغراء الطرف المشارك في التبادل التواصلي أو إقناعه بحيث ينتهي به الأمر إلى الدخول في عالم التفكير الذي يركز عليه عمل التواصل فيتبني هكذا ما يتضمنه من قصدية وقيم وانفعالات " .⁽⁴⁾

- **استراتيجية المصادقية** : مبنية على اتباع المتكلم لمسار حجاجي من شأنه أن يفضي بالمتلقي إلى منحه صفة الصدق ، وأساس هذا النوع من الاستراتيجيات كامن في حرص الباث المتكلم على وسم خطابه بسمات تتيح له أن يكتسب صفة الصدق . فأساس استراتيجية المصادقية كامن في صورة الباث المتكلم كما يوحي بها خطابه .⁽⁵⁾

- **استراتيجية إضفاء المشروعية** : ومدارها سعي الذات المتكلمة إلى الدخول " في مسار

1 - معجم تحليل الخطاب ، ص 532 .

2 - إبراهيم براهيم ، استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة للبشير الإبراهيمي ، منشورات بونة للبحوث والدراسات ، عنابة ، الجزائر ، ط 1 ، 2013 ، ص 4 .

3 - هشام القلفاط ، استراتيجية الحجاج التصوري في خطاب الجرجاني ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد 58 ، 2013 ، ص 141 .

4 - باتريك شارودو ودومينيك منغو ، معجم تحليل الخطاب ، ص 94 .

5 - ينظر : معجم تحليل الخطاب ، ص 151 - 152 .

خطاب يجب أن ينتهي بالاعتراف لها بالحق في الكلام ومشروعية أن تقول ما تقول " (1) .
ومن ثم كان السعي إلى إضفاء المشروعية سبيلا من سبل اكتساب السلطة المساعدة على
التواصل إلى إقناع المتلقي .

ويذهب صاحبنا معجم تحليل الخطاب إلى أنّ العلاقات الرابطة بين هذه المكونات الثلاثة تقوم
على التكامل لا التنافي والتعارض ، فهي : " رهانات لا يقصي بعضها بعضا ولكن يتميز مع ذلك
بعضها عن بعض بطبيعة غائيتها " (2) .

لما كان الخطاب حدثا تلفظيا يروم فعل التواصل المؤثر ، وإنتاجا إبداعيا متجددا ، اتجهت
الدراسات اللسانية إلى التركيز عليه في القرن العشرين ، فبحثت أنماطه وبنياته ، وكان نتيجة ذلك
ازدهار مباحث اللسانيات التداولية والاجتماعية ، ومن هنا " فإنّ البحث في الخطاب يعني النظر في
الوجود الفعلي للغة ؛ أي وجودها في صورة الاستعمال من خلال عملية التخاطب " (3) .

ويذهب " أحمد نخلة " إلى أنّ مكانة اللغة وإمكانية البحث فيها لا يمكن حصره في الوصف
المجرد للأشكال اللغوية بعيدا عن الوظائف والأغراض التي وُضعت هذه الأشكال لتحقيقها بين الناس
فالناس يتوقعون أنّ ينجزوا بكلامهم عددا كبيرا من الأهداف المختلفة والأغراض المتباينة (4) .

ومن أبرز الوظائف التي تؤديها اللغة وظيفتان رئيستان تضطلع بهما في سياق عملية التخاطب ،
هما :

- **الوظيفة التعاملية** : إنّ الوظيفة الأكبر التي تؤديها اللغة هي إيصال المعلومات ، وأنّ مفهوم
الاتصال يشمل المشاعر والأمزجة والمواقف ، وربط الحقائق بالأقوال (5) .

- **الوظيفة التفاعلية** : إذ لا يقتصر دور اللغة على نقل المعلومات والمعارف إلى الغير بل
" تستخدم للتفاعل مع الآخرين في العالم الاجتماعي (وهي أنا وأنت) . وتبرز أهمية هذه
الوظيفة باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع الفكك من أسر جماعته . فنحن
نستخدم اللغة وتبادلها في المناسبات الاجتماعية المختلفة ونستخدمها في إظهار الاحترام

1 - المرجع نفسه ، ص 329 .

2 - المرجع نفسه ، ص 533 - 534 .

3 - إبراهيم براهيم ، استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة للبشير الإبراهيمي ، ص 23 .

4 - أحمد نخلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 267 .

5 - ينظر : براون ويول ، تحليل الخطاب ، ص 2 .

والتأدب مع الآخرين " (1).

يرى " سعيد يقطين " أنّ دور اللغة يتعدى إقامة العلاقات الاجتماعية وتثبيتها ، وأنّ الوجه الذي تظهر وتتحقق به اللغة هو التنسيق والمشاورة والمشاركة والتدافع والمحااجة وغيرها ، وعليه ، يغدو الخطاب تواملا لسانيا يُنظر إليه كإجراء بين المتكلم والمخاطب ؛ أي كفاعلية تواصلية يتحدد شكلها بواسطة غاية اجتماعية (2).

يشكّل التفاعل اللغوي الواقع الأساسي للغة ، واستكشاف مدى استجابة اللغة وآدائها لهذه الفاعلية محكوم بالنظر إلى عناصر الخطاب ، والتي يأتي في صدارتها :

- **المرسل** : هو منتج الخطاب وبعائه ، ويمثل محور العملية التواصلية " وهو الذات المحورية في إنتاج الخطاب ؛ لأنه هو الذي تلفظ به ، من أجل التعبير عن مقاصد معينة " (3) ويلجأ المرسل للوصول إلى هذه الغاية إلى استعمال اللغة . ودونه لا يمكن أن تؤدي اللغة وظيفتها ، فهو مصدر الخطاب المقدم للمرسل إليه في شكل رسالة .

- **المرسل إليه** : الركن الثاني في الخطاب ، الذي يقابل المرسل ويفكك أجزاء الرسالة .

- **الرسالة** : هي الجانب الملموس في العملية التخاطبية حيث تتجسد أفكار المرسل في صورة سمعية في الخطاب الشفوي ، أو علامات خطية في الرسالة المكتوبة . وهي تمثل محتوى الإرسال وتتمحور حول إطار مرجعي معيّن . ولكي تكون الرسالة فعّالة فإنّها " تقتضي سياقاً تتصل به وتندرج فيه " (4).

- **السياق** : لكلّ رسالة مرجع تحيل عليه وسياق معيّن مضبوط قيلت فيه ، ولا تُفهم مكوناتها الجزئية أو تفكك رموزها إلا بالإحالة على الملابس التي أنجزت فيها هذه الرسالة .

يمثل السياق المحيط الذي ولدت فيه الرسالة وتشكلت أبنية خطابها فيتضمن الموقع أو الإطار

1 - جمعة سيد يوسف ، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد 145 ، يناير 1990 ، ص 21 . وينظر : براون ويول ، تحليل الخطاب ، ص 3 .

2 - ينظر : سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي (الزمن - السرد - التبئير) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 3 ، 1997 ، ص 44 .

3 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 45 .

4 - محمد عبد المنعم خفاجي ومحمد السعدي فراهود وعبد العزيز شرف ، الأسلوبية والبيان العربي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط 1 ، 1992 ، ص 18 .

الزماني والمشاركين في العملية التواصلية من حيث عددهم ومميزاتهم وعلاقاتهم .

مفهوم استراتيجيات الخطاب :

يُعرّف " عبد الهادي بن ظافر الشهري " الاستراتيجيات بأنها " طرق محددة لتناول مشكلة ما ، أو القيام بمهمة من المهمات ، أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة ، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة ، والتحكم بها " .⁽¹⁾

من هنا ، يتضح أنّ الاستراتيجية هي خطة يرسمها المخاطب للوصول إلى الغرض المنشود ، وتتجسد هذه الخطة من خلال مستويين ، أولهما ذهني ، حيث تكون الخطة مرسومة في ذهن المرسل باستحضار الكفاءات اللغوية والمعرفية والافتراضات المسبقة ، وثانيهما مادي تتجسد فيه الاستراتيجية لتتبلور فيه فعلا ، وكلّ ذلك يتحقق بفعل تدخل السياق الذي يتحكم في اختيار الاستراتيجية المناسبة لتحقيق الغرض المراد .

وقد نظر " فوكو " إلى الاستراتيجية على أنّها ذات معانٍ متعددة من خلال تعريفاته للاستراتيجية ، من ذلك أنّها " عمل عقلي ، مبني على افتراضات مسبقة ، وتتجسد من خلال أدوات ووسائل تناسب سياق استعمالها " .⁽²⁾

تُعدّ الاستراتيجية الخطابية عملا إبداعيا يمارسه المخاطب للتعبير عن مقاصده وتحقيق أهدافه وفقا لما يتطلبه السياق ويستحسنه المتلقي .

ولما كان الشاعر بوصفه مبدعا يسعى إلى إقناع المتلقي والتأثير فيه كان لزاما عليه أن يختار استراتيجية معينة لإنتاج خطاب يُحقق له ذلك ، ولا يتأتى له هذا إلا إذا كان يمتلك كفاءة لغوية تؤهله لذلك .

ويُعدّ مصطلح الكفاءة (الملكة) من المصطلحات التي حدد مفهومها " تشومسكي " للدلالة " على القدرة التي يتمتع بها الناطقون بلغة ما والتي تمكنهم من إنتاج وفهم عدد لا متناهٍ من

1 - استراتيجيات الخطاب ، ص 53 .

2 - المرجع نفسه ، ص 55 .

الجملة الجديدة" (1) وهي ذات بُعدين ، هما القدرة والأداء .

أما في الدراسة الإثنية (مذهب يرمي إلى تصنيف الجماعات الإنسانية على أساس انتمائها إلى عرق أو أصل معيّن) فقد اعتمدت مفهوم الملكة / الكفاءة الاتصالية / الإبلاغية (التبليغية) ، لكي " يقيض للفرد الكلام ، لا بد أن يحسن استعمال اللغة بكيفية مناسبة تتماشى والمقامات والأحوال المتنوعة " (2).

فنجاح المخاطب في تفعيل استراتيجيات الخطاب مرهون بامتلاكه " الكفاية التبليغية " باصطلاح هايمز . إنّ الكفاية الإبلاغية (قدرة الفرد على استعمال اللغة في سياق تواصلية لأداء أغراض تواصلية معينة) هي تلك التي تسمح بإدراك الجمل لا بوصفها وقائع لغوية فحسب ، بل أيضا بوصفها وقائع مناسبة اجتماعيا . (3)

ما يمكن استنتاجه أنّ استراتيجيات الخطاب كبنية للتواصل الفعّال والإيجابي محكومة بالكفاءة اللغوية والكفاءة الإبلاغية .

إنّ غياب الكفاءة الإبلاغية في عملية التواصل يُعدّ شرط اختلال لاستراتيجيات الخطاب ، فبفضل اكتساب هذه الكفاءة يصبح الفرد قادرا على تمييز اللحظات التي يتعيّن فيها الكلام أو عدمه ، ويتعلم ما يلزم الكلام فيه وما لا يلزم ؛ وأين يتكلم وكيف يتكلم . وهكذا يصبح قادرا على المشاركة بنفسه في مناشط الجماعة اللغوية وتقوم قيام الآخرين بهذه المناشط . (4)

أمّا الملكة عند " مانغونو " فهي " الملكة الخطابية " التي تدل على " القدرة التي يجب على الفرد أن يتمتع بها لإنتاج ملفوظات تنتمي إلى تشكيلة خطابية محددة " . (5)

وتنقسم هذه الكفاءة إلى قسمين ، هما :

- **الكفاءة اللغوية** : تتمثل في كلّ ما يحوّله المعجم اللغوي من ألفاظ وتراكيب تساعد المرسل

1 - دومينيك مانغونو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ص 22 . وينظر : بريجيت بارتشت ، مناهج علم اللغة من هرمان بول حتى نعوم تشومسكي ، تر : سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 2004 ، ص 284 .

2 - دومينيك مانغونو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ص 23 .

3 - ينظر : جوليت غارمادي ، اللسانة الاجتماعية ، تر : خليل أحمد خليل ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1990 ، ص 101 .

4 - ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

5 - المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ص 23 .

على اختيار استراتيجية وتوظيفها .

- **والكفاءة التداولية** : التي هي ليست نسقا بسيطا ، بل هي " أنساق متعددة متألفة إذ تتألف القدرة التواصلية لدى مستعمل اللغة الطبيعية من خمس ملكات على الأقل ، وهي : الملكة اللغوية والملكة المنطقية والملكة المعرفية والملكة الإدراكية والملكة الاجتماعية " .⁽¹⁾

إنّ تضافر هذه الملكات في إنتاج الخطاب هو ما تصنعه الكفاءة التداولية ، وعليه فالكفاءة اللغوية وحدها لا تكفي لعملية التواصل المناسب للسياق ، رغم أنّها أساس فيها ، وهو ما ذهب إليه محللو الخطاب إذ يرون أنّه لا يمكن " الاكتفاء بهذه الملكة النحوية ، ذلك أنه تنضاف إليها الملكة التداولية التي تنطوي على قواعد تسمح للمتكلم بتأويل ملفوظ بالنسبة إلى سياق بعينه ، ومن بين هذه القواعد قواعد الخطاب **les lois du discours** " .⁽²⁾

من هنا ندرك تلك العلاقة الوطيدة بين الاستراتيجية الخطابية والكفاءة التداولية حيث تعتبر الاستراتيجية الخطابية نتيجة لصناعة الكفاءة التداولية . وحسب النحو الوظيفي فإنّ قدرة المتكلم " تواصلية بمعنى أنّها معرفة القواعد التداولية بالإضافة إلى القواعد التركيبية والدلالية والصوتية ، التي تمكن من الإنجاز في طبقات مقامية معينة ، وقصد تحقيق أهداف تواصلية محددة " .⁽³⁾

- 1 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 57 . ويرى ديك أن تلك الملكات خمس في الأقل : **الملكة اللغوية** : وهي التي تمكّن مستعمل اللغة الطبيعية من إنتاج عبارات لغوية معقدة ومتباينة في عدد كبير من المواقف التواصلية المختلفة ، وتمكنه كذلك من تأويل تلك العبارات . **الملكة المعرفية** : وهي التي تمكّن مستعمل اللغة الطبيعية من تكوين مخزون معرفي منظم وحفظه ، وتوظيفه عند الحاجة ، كما تمكنه هذه الملكة من اشتقاق معارف من عبارات لغوية ، وتخزينها ، ثم استعمالها في تأويل عبارات لغوية أخرى . **الملكة المنطقية** : وهي التي تمكّن مستعمل اللغة الطبيعية من اشتقاق معارف إضافية من معارف أخرى ، وذلك بالاعتماد على مبادئ الاستدلال والاستنباط المنطقية . **الملكة الإدراكية** : وهي التي تمكّن مستعمل اللغة الطبيعية من توظيف المعارف التي يستخلصها من إدراكه لمحيطه في إنتاج العبارات اللغوية وفهمها . **الملكة الاجتماعية** : وهي مجموع القواعد والمبادئ الاجتماعية التي تمكّن مستعمل اللغة الطبيعية من استعمال العبارات اللغوية المناسبة لوضع مخاطبه ، وللموقف التواصلية ، وللغرض المروم تحقيقه . **ينظر** : أحمد المتوكل ، الوظيفة بين الكلية والنمطية ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، الرباط ، ط 1 ، 2003 ، ص 35 وما بعدها . وقضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية - بنية الخطاب من الجملة إلى النص ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، الرباط ، 2001 ، ص 36 - 37 .
- 2 - دومينيك مانغونو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ص 22 - 23 . وإلى ذلك يذهب أحمد المتوكل فيقول : " يجب ألا تتعامل مع العبارات اللغوية على أساس أنّها موضوعات منعزلة بل على أساس أنّها وسائل يستخدمها المتكلم لإبلاغ معنى معين في إطار سياق تحدده العبارات السابقة وموقف تحدده الوسائط الأساسية لموقف التخاطب " . **ينظر** : المنهج الوظيفي في البحث اللساني ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، منشورات ضفاف ، بيروت ، كلمة للنشر والتوزيع ، تونس ، دار الأمان ، الرباط ، ط 1 ، 2016 ، ص 248 .
- 3 - المرجع السابق ، ص 61 . وهو ما يسعى إليه المرسل في أيّ من خطاباته لثّبات له فرصة إنتاج الخطاب بمزج الكفاءة اللغوية والتداولية فيصير خطابا منجزا " **بالقوة الصانعة** " كما ورد عند حازم القرطاجني عند تقسيمه للقوى التي يمكن بها قول

ولا يتأتى للمرسل ذلك إلا بإدراك السياق الذي يجري فيه التواصل بجميع أبعاده المؤثرة ، وتحديد العلاقة بين السياق والعلامة المستعملة ، ليتم اختيار الاستراتيجية الخطابية الملائمة ، فالتلفظ بالخطاب .⁽¹⁾

للغة دور فعال في إنتاج الخطاب وتبني استراتيجية ملائمة له ، والتعبير عن معاني ومقاصد المرسل فيه بمراعاة السياق الذي يُنتج في ظروفه الخطاب إلى جانب القصد الذي يُعدّ شرطاً من شروط نجاح الرسالة والتفاعل بين أطراف الخطاب .

لذلك تُعدّ المقاصد من أهم العوامل المؤثرة في استعمال اللغة وتأويلها كما تؤثر في توجيه المرسل إلى اختيار استراتيجية الخطاب .

إنّ الدور الأساسي الذي تؤديه المقاصد يتمثل في بلورة المعنى كما هو عند المرسل ، إذ يتوجب عليه مراعاة كيفية التعبير عن قصده وانتقاء الاستراتيجية التي تتكفل بنقله مع مراعاة العناصر السياقية الأخرى .⁽²⁾

استراتيجيات الخطاب في " قراءة في آية السيف " :

1- الاستراتيجية التضامنية :

يحدّ ابن جني اللغة بأنها " أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم " ، لذلك فالعلاقات الاجتماعية بين الناس يتم تجسيدها من خلال اللغة . وقد عُدّت هذه العلاقة من عناصر السياق المؤثرة ، حتى وإن لم تكن هذه العلاقة موجودة سابقاً بين طرفي الخطاب فإنّ المخاطب يسعى إلى إيجادها من خلال خطابه .

الشاعر على الوجه المختار وهي " القوة الحافظة والقوة المائزة والقوة الصانعة " فالقوة الحافظة هي ما يمكن تسميتها بالذاكرة الواعية التي تحتزن الصور والمعاني حتى يتم استدعاؤها عند القول . والقوة المائزة مختصة بالتمييز بين ما يلائم النظم وما لا يلائمه . والقوة الصانعة التي تتولى العمل في ضم بعض أجزاء الألفاظ والمعاني والتركيبات . فوظيفتها تنسيقية تقوم على أساس التنظيم والتركيب ينتج عنها القول الشعري . ينظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط 3 ، 2008 ، ص 38 - 39 . وعليه ، فالكفاءة التداولية تعادل القوة الصانعة عند القرطاجني ، وذلك في كون هذه الملكة تتولى جميع ما تلتم به كليات صناعة الشعر . (م ن ، ص 39) .

1 - ينظر : استراتيجيات الخطاب ، ص 63 .

2 - ينظر : المرجع نفسه ، ص 180 .

والحديث عن العلاقة بين طرفي الخطاب ، يجر إلى وصله بالوظيفة التفاعلية للغة التي تُسهم بشكل كبير في إقامة تلك العلاقات الاجتماعية وتثبيتها " ومن أوضح ما يمثل هذا الجانب من الاستعمال اللغوي أنّ قدرا كبيرا من المعاملات بين الناس إنما يقوم على اللغة ؛ بوصفها بالدرجة الأولى أداة اتصال بين الأفراد أكثر من قيامه على اللغة بوصفها أداة تعامل " (1) ، سواء من خلال المحادثات اليومية بين الناس أو من خلال ما يُستعمل كتابة للتعبير عن علاقاتهم .

وبذلك يشترك معيار العلاقة بين طرفي الخطاب ودور اللغة التفاعلي في نفس الهدف والمتمثل في السعي لإقامة هذه العلاقة بين طرفي الخطاب ، وهي علاقة تساهم في اختيار استراتيجية الخطاب الملائمة للتعبير عن المقاصد والغايات بحسب ما يتلاءم مع السياق .

يميل المخاطب لإقامة علاقة بينه وبين مخاطبه إلى استعمال ملفوظات " مؤدبة " يقصد بها استمالة المتلقي والتأثير فيه ، وهو ما يُعرف بمبدأ التأدب في الخطاب . (2) وهو من مبادئ التداولية التي تساهم في بناء التخاطب والتي رسمت معالمها " روبن لايكوف " ملخصة إياه في صيغة " كن مؤدبا " . (3) فمن أجل تسهيل عملية التواصل وتحقيق الغاية التي جاء من أجلها الخطاب وجب على طرفي الخطاب التحلي بهذا المبدأ .

ومن المبادئ المتفرعة عن هذا المبدأ صاع " طه عبد الرحمن " مبدأ على علاقة وثيقة به هو " مبدأ التصديق " . (4) وقد استلهمه من التراث الإسلامي ، وصاغه في قوله : " لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك " ، ومعناه أنّ هذا المبدأ ينبغي على عنصرين اثنين : " أحدهما ، " نقل القول " الذي يتعلق بما أسمىناه بالجانب التبليغي من المخاطبة ، والثاني ، " تطبيق القول " الذي يتعلق بما أسمىناه بالجانب التهذيبي منها " . (5)

يتعلق الجانب الأول ، بالصدق في نقل الكلام أو الصدق في الخبر كما يمسه " طه عبد الرحمن " وهو المستوى الأول من مستويات الصدق قبل " الصدق في العمل " ومطابقة " القول للعمل " . (6)

1 - براون ويول ، تحليل الخطاب ، ص 3 .

2 - ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 97 .

3 - المرجع نفسه ، ص 265 .

4 - اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 249 .

5- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

6 - ينظر : المرجع نفسه ، ص 251 .

يُعدّ الصدق في تبليغ الكلام من مستويات المرسل ، فالكلمة الصادقة لها قيمتها ووزنها الخاص ، إذ تستريح لها نفس المرسل إليه ، وأنّ الكلام الصادق يطمئن له قلبه ، ويتمكن به المرسل من التأثير في المرسل إليه والنفوذ إلى أعماق روحه .

وقد اشتق " طه عبد الرحمن " من مبدأ التصديق قاعدتين هامتين ، هما : قواعد التواصل وقواعد التعامل . وقد سمي قواعد التواصل بشروط الكلام ، وقسمها إلى أربعة شروط ، هي :⁽¹⁾

1- أن يكون الكلام لداع يدعو إليه ، إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر .

2- أن يأتي به في موضعه ويتوخى به إصابة فرصته .

3- أن يقتصر من الكلام على قدر حاجته .

4- أن يتخيّر اللفظ الذي به يتكلم .

أما قواعد التعامل ، فتتمثل في :⁽²⁾

1- قاعدة القصد : لتتفقد قصدك في كل قول تلقي به إلى الغير .

2- قاعدة الصدق : لتكن صادقا فيما تنقله إلى غيرك .

3- قاعدة الإخلاص : لتكن في توددك للغير متجردا من أغراضك .

2- وسائل التضامن اللغوية :

يذهب " عبد الهادي بن ظافر الشهري " إلى أنّ الاستراتيجية التضامنية ، هي تلك التي " يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها ، وأنّ يُعبّر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها ، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما ، وإجمالا هي محاولة التقرب من المرسل إليه ، وتقريبه " .⁽³⁾

فالمرسل يتوخى استعمال الاستراتيجية التضامنية للتقرب من المرسل إليه وتحقيق أهدافه ومقاصده

1 - ينظر : المرجع نفسه ، ص 249 .

2 - ينظر : المرجع نفسه ، ص 250 .

3 - استراتيجيات الخطاب ، ص 257 .

بالاعتماد على أدوات وآليات لغوية تمكنه من الحفاظ على العلاقة الاجتماعية بينهما .

يرتكز استعمال الاستراتيجية التضامنية على ركيزة أساسية هي شرط الإخلاص الذي اشتقه " طه عبد الرحمن " من مبدأ التصديق في قواعد التخاطب بمقصد التنزيه عن كلّ غرض ، إذ الكلمة " إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تُجاوز الآذان " (1) بتعبير عامر بن عبد قيس .

لذلك ينبغي على المرسل أن يعتمد على أدوات وآليات لغوية تكون دليلاً على تضامنه مع المرسل إليه ، من هذه الأدوات والآليات : اسم العلم ، ألفاظ التحية ، ألفاظ التأييد والصدقة والأخوة ، الإشارات ، آية المكاشفة ...

وقد تجسدت هذه الظاهرة في الخطاب الشعري عند الغماري بمساهمة مجموعة من الأساليب والصيغ التي تقوي علاقات التضامن والصدقة بينهما تمثلت في :

أ- اسم العلم :

أداة لغوية تتفاوت من حيث تجسيدها لاستراتيجية التضامن إذ أنّ أبرزها : الاسم فالكنية فاللقب . (2) وهو الترتيب الأصل في قوة دلالتها على التضامن . ويقتصر بحثنا على الاسم في قصائد الديوان لأنه الأقوى دلالة على تضامن أطراف عملية التخاطب .

إنّ من أهم ما يوظفه المرسل للتقرب من المرسل إليه والتضامن معه اسم العلم . وما يجسد هذه الآلية في ديوان مصطفى الغماري " قراءة في آية السيف " ما ورد في صفحة الإهداء إذ نجد الغماري يستعمل اسم المرسل إليه مع كنيته ، وفي القصيدة الأولى في الديوان ، إذ يقول في الإهداء :

" إلى رائد الجهاد الإسلامي في العصر الحديث : الأمير عبد القادر الجزائري " .

فالشاعر يذكر رمز الجهاد والتحدي الذي يُهدي له مجموعته الشعرية باسمه " الأمير عبد القادر " وذلك دليل على تضامنه معه وهو تضامن مع كلّ نفس تتوق إلى تحويل الظاهرة الصوفية في الميدان إلى حركة رسالية جهادية تقتبس نورها من أقباس الأنبياء .

1 - المحاظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ، البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط 7 ، 1998 ، ج 1 ، ص 83 - 84 .

2 - ينظر : استراتيجيات الخطاب ، ص 270 .

كما نجده يذكر اسم " الأمير " في مواضع ثمانية في الديوان ، إذ يقول في قصيدة " وسل الأمير " :

.....
وَسَلِ الْأَمِيرَ يُجِبْكَ تَارِيحٌ تَدَجَّى بِالْقُضْبِ !
بِعَمَائِمِ الْأَحْرَارِ فِي لُغَةِ الْجِهَادِ الْمُحْتَسَبِ !
وَبِكُلِّ مَا تَهَبُ النُّفُوسُ وَمَا يَجُودُ بِهِ الْحَسَبِ !
لَمْ تُزْهِرِ الْأَيَّامُ إِلَّا فِي مَرَايِنَا الْقُشْبِ !
وَسَلِ الْأَمِيرَ تَرِ الْأَمِيرَ يَدًا وَأَخْلَاقًا وَحُبًّا !
فِي مُقْلَتَيْهِ جَزَائِرِيٌّ أُمُّ الْمَغَاوِيرِ النَّجْبِ (1)

.....
اللَّهُ أَكْبَرُ .. مَا أَجَلٌّ وَمَا أَلَدٌّ وَمَا أَحَبُّ !
إِشْرَافُهَا الْقُدْسِيُّ مَا النَّسَبُ الْعَرِيضُ ؟ وَمَا اللَّقَبُ ؟
" أُمُّ الْبَنِينَ " تَسَاءَلَتْ حُلْمًا يَدُوبُ وَمَا انْسَكَبَ
جُرْحًا عَلَى شَفَةِ الْأَمِيرِ وَغَضَبَةَ السَّيْفِ الْعَجَبُ ؟ (2)
ثم يقول :

وَقَضَى الْأَمِيرُ مُجَاهِدًا بَيْنَ التَّامِرِ وَالرَّيْبِ !
يَتَسَاءَلُونَ وَأَنَّهُمْ سُؤْلُ يَلُوبُ وَيَصْطَخِبُ
وَقَضَى الْأَمِيرُ مُجَاهِدًا بَيْنَ الْكَتَائِبِ وَالْكُتُبِ
لَوْلَا التَّامِرُ مَا انْثَنَتْ خَيْلُ الْأَمِيرِ وَلَا اغْتَرَبَ

1 - الديوان ، ص 13 .

2 - الديوان ، ص 14 .

وَمَضَى الْأَمِيرُ وَمَا لَهُ غَايٌ سِوَاكَ وَلَا أَرْبَ
لَمْ يَنَّا عَنْكَ وَلَا هَفَا إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا انْتَسَبَ (1)

.....

وَقَضَى الْأَمِيرُ مُجَاهِدًا بَيْنَ التَّأْمُرِ وَالرَّيْبِ
لَكَ يَا جَزَائِرُ مَا أَسْرَّ وَمَا أَبَانَ وَمَا وَهَبَ (2)

يتحدث الغماري في هذه السطور عن عظمة " الأمير عبد القادر الجزائري " وما ذكره باسمه مباشرة إلا تثبيتا لتلك الصلة المشتركة بين الشاعر و " الأمير عبد القادر " والمتلقي العربي عموما ، إذ هي صلة الدين واللغة والجهاد تجسيدا للتضامن مع خصال الأمير عبد القادر وبطولاته ، وفي ذلك تضامن في النضال والتضحية في سبيل الحفاظ على العقيدة الإسلامية التي بفضلها تمكن الشعب الجزائري من دحر المستعمر الفرنسي .

ويقول في موضع آخر :

.....

لَمَّا يَزَلْ سَيْفُ الْأَمِيرِ مُجَاهِدًا ..

سَيْفُ الْهُدَى ..

قَدَرٌ عَلَى حَدِيثِهِ يُشْرِقُ بِالرَّسَالَةِ الْمَدَى

حَمَلِ الْبَشَائِرِ يَا دُرُوبُ ..

وَكَانَ فِي الرَّوْعِ الْفِدَى

وَاللَّيْلُ مِنْ خَلْفِ الْبَحَارِ يَصِيحُ

وَالْكَهْفُ الصَّدَى (3)

ولما كان الغماري متضامنا مع " الأمير عبد القادر " ومع نضاله ، ولشدة قرابته وعلاقته به فإنه

1 - الديوان ، ص 15 .

2 - الديوان ، ص 16 .

3 - الديوان ، ص 83 - 84 .

يناديه باسمه دليلاً على روح التضامن معه ومع جهاده .

ب- الإشارات :

تُعتبر الضمائر من أهم الإشارات التي يسعى من خلالها المرسل إلى إثبات تضامنه مع المرسل إليه حيث يتجاوز الإسناد إليها الوظيفة النحوية البحتة إلى المعيار التداولي المتمثل في التضامن ، فتتضح بذلك أهمية استعمال الضمائر الشخصية التي تُعدّ بمثابة خدم اللغة المتواضعين ؛ لأنه يمكن تطويعهم للخدمة في إنجاز الوظائف الرمزية ذات المستوى الرفيع .⁽¹⁾

تعمل أسماء الإشارة في الاستراتيجية التضامنية على تأسيس العلاقات الاجتماعية وتطويرها ، كما أنّها تُعدّ مؤشراً على الانتماء إلى جماعة معيّنة أو دليلاً على الاتفاق معها في الرأي .

سنعمل هنا على رصد الضمائر في قصائد الديوان لنستشف من خلالها أواصر التضامن بين أطراف الخطاب .

1- ضمير جمع المتكلمين (نحن - نا) :

يُعتبر هذا الضمير من أهم الإشارات التي تضيف على الخطاب صفة التضامن ، حيث يتخذه الشاعر سبيلاً للجمع بينه وبين المرسل إليه ، يقول الغماري في قصيدته " ليس لي إلا هواها " :

نَهْوَى سِرَّهَا رُؤْيَا رَحِيْبِهِ

وَتَدَاوَيْنَا كَمَا الْهَمْسِ

تَنَاءَيْنَا كَمَا الْحَلْمِ

اَتَّحَدْنَا ..

وَشَرِينَا لِحَطَّاتِ الْعُمْرِ

عَشْنَاهَا أَنْعَاقَاتِ حَبِيْبِهِ

1 - ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 288 .

مَا لَمَسْنَا طَيْفَهَا إِلَّا صَحُونًا
صَحْوَةً تَبَعْتُ فِي الْجَذْبِ الْخُصُوبَةَ

.....

نَحْنُ لَوْلَا ظِلُّهَا لَمْ نَعْرِفِ الْخُبَّ
وَلَوْلَا طَيْفُهَا لَمْ نَرَوْ طَيْبَهُ

نَحْنُ لَوْلَاهَا لَقِيَ مُدَّتْ بِصَحْرَاءَ رَهْيَبِهِ (1)

تواتر ضمير جمع المتكلمين في هذا المقطع اثنتا عشرة مرة ، وفي تبني الشاعر لهذا الضمير في هذه الأسطر إشارة إلى التعبير عن قضية مشتركة بينه وبين مخاطبيه أبناء وطنه وأبناء الأمة الإسلامية . ومن الناحية التداولية فدلالة الضمير (نحن) تكمن في التضامن والاتفاق في الرأي .

2- ضمير المخاطب (الكاف) :

يُقصد بالضمير " أنت " ، أنت التعاونية التي تشير إلى أنّ المشاركين في الخطاب على علاقة حميمة من الناحية الاجتماعية باعتبار أنّ العلاقة الحميمة هي تلك " التعابير عن القيم المشتركة ، والقرباة ، والجنس ، والجنسية ، والموقع الوظيفي ، وتكرار التواصل " (2) فالضمير " أنت " مؤشر على القرباة والتضامن والحميمية .

ومن هذا النوع قول الغماري :

.....

وَحُطَّاكَ يَا شَعْبِي إِبَاءً صَاهِلًا
وَهَوَاكَ إِنْ شَحَّ ادِّعَاءُ أَمْطَرًا (3)

هنا تودد من الشاعر إلى شعبه تضامنا ، وقد استعمل لذلك ضميرين هما ضمير المخاطب

1 - الديوان ، ص 73 - 74 .

2 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 288 .

3 - الديوان ، ص 148 .

(الكاف) وياء المتكلم المضافة إلى كلمة (شعب) للدلالة على التقرب والتضامن ، فهو يُبرز تضامنه مع شعبه كفرده منه انتماءً له ليحثه على متابعة خطاه بثبات وإباء .

ج- ألفاظ الصداقة والأخوة :

تُعدّ ألفاظ الصداقة والأخوة من الألفاظ المنتقاة من المعجم اللغوي ، فيتم توظيفها للدلالة على التضامن ، كما يمكن اعتبارها مؤشرا على كفاءة المرسل اللغوية التي تطغى على الاستراتيجية التضامنية ، يقول الغماري في قصيدة " لن ينام الحق " :

.....

آهٍ يَا أَحْبَابَنَا جُنَّتْ مَسَافَاتُ الْبِعَادِ

فَاعْتَرَيْنَا ..

وَلَدَيْنَا مِنْ ضِيَاءِ اللَّهِ زَادٌ

.....

آهٍ يَا أَحْبَابَنَا هُبُّوا نَسِيمًا أَوْ شِمَالًا

عَلَّنَا نَسْتَلِهِمُ الشُّوقَ ..

وَنَرْتَادُ الظَّلَالَآ ..

فَلَكُمْ حَالُ ضَبَابِ الْعَصْرِ دُونَ الشُّوقِ حَلَاً

.....

آهٍ يَا أَحْبَابَنَا الْأَغْلِينَ . مَا جَدَوَى الْحَيَاهِ !

حِينَ غِبْتُمْ .. فَتَنَاءَيْنَا عُيُونًا وَشَفَاهِ

.....

آهٍ يَا أَحْبَابَنَا وَالْحُبُّ رَفُضٌ مُسْتَمِرٌّ

يُزْهِرُ السَّيْفُ عَلَى أَيَّامِهِ ...

يَمْتَدُّ مُهْرٌ .. (1)

تعتبر لفظة (أحبابنا) هذه التي تكررت أربع مرات في هذا المقطع من أكثر الألفاظ استعمالاً للدلالة على تضامن طرفي الخطاب والمساهمة في تجسيد صلة القرابة والعلاقة بين المتخاطبين ، وفي ذلك دليل على اتفاقهم في القضية والهدف معا .

د- آلية المكاشفة :

يسعى المرسل إلى التصريح ببعض الحقائق ، كما نجده يكني عنها بحسب السياق الذي يرد فيه الخطاب ، لذلك يُعتبر كشف الذات والحقيقة عنصراً من عناصر التضامن ودليلاً على القرب ، ومن بين الكنى التي يوظفها (كم) وهي " كناية عن العدد المبهم تقع على القليل والكثير [...] ولها موضعان هما الاستفهام والخبر " .⁽²⁾ يقول الغماري :

.....

كَمْ عَشِقْنَاهُ فَكُنَّا مَوْتُنَا فِيهِ الْوُجُودِ

حُلْمًا كَانَ أَعْنَا وَرُؤَى نَحْنُ وَوُلُودِ

.....

كَمْ تَمَارَوْا بِالْتُّدْرِ وَزَنُّوا بِالْكَلِمَاتِ !

بِحَشِيشٍ وَقَمْرٍ ! وَهَجِينِ الْفَلْسَفَاتِ !⁽³⁾

استعمل الغماري في البيتين (كم) الخبرية للدلالة على كثرة عشقه وحبّه للجزائر ، فهي مصدر إلهامه . ثم يُعظّم الشاعر صنيع أعداء الأمة الذين علقوا الأفكار المستوردة الملحدة التي لا تتناسب ومبادئ الأمة الإسلامية التي أكثروا فيها الفساد .

1 - الديوان ، ص 26 - 27 - 28 - 29 .

2 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 302 .

3 - الديوان ، ص 87 - 88 .

وفي موضع آخر من الديوان يستعمل الغماري (كم) الخبرية ليعبر عن كثرة مكر أعداء الأمة إذ ملئوا قلوب شعوبهم صديدا ومرارة وبددوا وحدتهم فيقول :

كَمْ مَلَأُوا قُلُوبَنَا صَدِيدًا

وَجَعَلُوا وَحْدَتَنَا بَدِيدًا !

.....

كَمْ عَقَرُوا جَبِينَنَا زَمَانًا

وَيَسْكُرُونَ الْيَوْمَ مِنْ دِمَانًا⁽¹⁾

ليعبّر عن تضامنه مع أبناء شعبه وأبناء الأمة العربية في مواجهة هذا الطغيان الذي سيطر على نفوس الأمة منذ أمد بعيد .

هـ - الإعجاب :

آلية من آليات الاستراتيجية التضامنية ، وقد وردت في الديوان بصيغة المدح الذي يُعدّ ضربا من الإعجاب ، فالمدح إعجاب بالممدوح ، وفي ذلك تقرب من المرسل من ممدوحه . يقول الغماري في صفحة الإهداء : " إلى المعلم الكبير الذي علّم المسلمين كيف تستحيل .. الظاهرة الصوفيّة .. في الميدان إلى حركة رسالية جهادية ... " ثم يقول : " إليه رمز تحدّ وعلم جهاد أهدي هذه المجموعة من أشعاري " .

يظهر من خلال هذا الإهداء تضامن الشاعر مع " الأمير عبد القادر " الذي تجسّد من خلال إعلاء منزلته والإشادة بمكانته .

كما ورد الإعجاب بصيغة (أفعل ب) للتعبير عن الإعجاب بالأوراس الذي عدّه الغماري نقطة تحوّل في تاريخ الشعب الجزائري ، هذا التاريخ المشرق بجهاد شعب صنع ملحمة شهد لها التاريخ :

أُورَاسُ يَا سَيْفًا يَثُورُ وَيَا خَيْولًا تُرْتَقَبُ

1 - الديوان ، ص 94 - 95 .

أَشْرُقُ بِتَارِيخِ الْجِهَادِ وَمُدَّ مَلْحَمَةِ الرَّهْبِ (1)

2- الاستراتيجية التوجيهية :

تُعرّف الاستراتيجية التوجيهية بأنها " الاستراتيجية التي يرغب المرسل بها تقديم توجيهات ونصائح وأوامر ونواهٍ يفترض أنها لصالح المخاطب أو المرسل إليه ، ولا يُعدّ التوجيه هنا فعلا لغويا فحسب ، وإنما يُعدّ وظيفة من وظائف اللغة التي تُعنى بالعلاقات الشخصية حسب تصنيف هاليداي " (2) . وعليه ، يُعدّ التوجيه فعلا لغويا ووظيفة من وظائف اللغة إذ إنّها " تعمل على أنّها تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجهات المرسل إليه وسلوكه " (3) .

ومن المسوغات التي تدعو لاستعمال الاستراتيجية التوجيهية :

- الطابع الرسمي في العلاقات التواصلية
- الشعور بالتفاوت الفكري أو الاعتبار الاجتماعي أو الطبقي
- الحفاظ على التراتبية التي تضمن استمرار الاحترام والتوقير
- إصرار المرسل على تنفيذ قصده عند إنجاز الفعل .

يستعمل المرسل الاستراتيجية التوجيهية في خطابه لاهتمامه بتبليغ قصده وتحقيق أغراضه الخطابية ، كما يسعى إلى فرض قيدٍ على المرسل إليه ، أو يمارس بها فضولا خطابيا على المرسل إليه بتوجيهه لمصلحته بما يعود عليه بالمنفعة أو يبعد عنه ضررا . (4)

وبذلك يكون الخطاب التوجيهي " ضغطا وتداخلا ، ولو بدرجات متفاوتة على المرسل إليه ، وتوجيهه لفعل مستقبلي معيّن " (5) .

1 - الديوان ، ص 17 .

2 - إدريس مقبول ، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، المجلد 8 ، العدد (2 / 15) ، 2014 ، ص 549 .

3 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 324 .

4 - ينظر : المرجع نفسه ، ص 322 .

5 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

ويسمي " رومان جاكبسون " التوجيه في اللغة بالوظيفة الإيعازية أو الندائية .⁽¹⁾

تنتسب أفعال الاستراتيجية التوجيهية إلى نظرية الأفعال اللغوية التي يرجع فضل الكشف عنها إلى " أوستين " من خلال نظرية أفعال الكلام .⁽²⁾

ويُعرّف الفعل الكلامي بأنه " كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي إنجازي تأثيري ... ويُعدّ نشاطا ماديا نحويا يتوسّل بأفعال قولية (actes locutoires) إلى تحقيق أغراض إنجازية (actes illocutoires) ، كالطلب والأمر والوعد والوعيد ... إلخ وغايات تأثيرية (actes perlocutoires) تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول " .⁽³⁾

ويميّز " أوستين " بين ثلاثة أنواع من الأفعال اللغوية ، هي : الفعل القولي والفعل الإنجازي وفعل جعل الإنجاز .⁽⁴⁾ وانطلاقا من هذه الأفعال اللغوية أحصى " أوستين " خمسة أصناف منها ، هي :

- أفعال حكمية (a . verdictifs)

- أفعال تمرسية (a . exercitifs)

- أفعال التكليف (a . commissifs)

- أفعال عرضية (a . expositifs)

- أفعال سلوكية (a . comportatifs)⁽⁵⁾

أما " سيرل " فقد صنّف الأفعال اللغوية إلى خمسة أصناف من الأفعال التوجيهية حددها بأنّها " كلّ المحاولات الخطابية التي يقوم بها المرسل ، بدرجات مختلفة ، للتأثير في المرسل إليه ليقوم بعمل معيّن في المستقبل . وتندرج هذه الأفعال من درجة التواضع أو اللين ، بوصفها مجرد محاولات ،

1 - ينظر : فاطمة الطبال بركة ، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون دراسة ونصوص ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 1 ، 1993 ، ص 66 - 67 .

2 - عبد المجيد جحفة ، مدخل إلى الدلالة الحديثة ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط 1 ، 2000 ، ص 29 .

3 - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 54 - 55 . ويذهب مسعود صحراوي إلى أنّ نظرية أفعال الكلام قد انبثقت من الدرس التداولي المعاصر باعتبار أنّ الفلسفة التحليلية هي المهاد لأول مفهوم تداولي هو الأفعال الكلامية بما احتوته من مناهج وتيارات وقضايا ، فإنّ لهذه الظاهرة جذورا في التراث العربي ، إذ تندرج ضمن مباحث علم المعاني فيما يُعرف بالخبر والإنشاء . ينظر : التداولية عند العلماء العرب ، ص 75 .

4 - للمزيد من التوضيح ينظر : عبد المجيد جحفة ، مدخل إلى الدلالة الحديثة ، ص 30 .

5 - ينظر : فرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية ، ص 62 - 63 .

الاقتراح أو الدعوة لعمل الشيء [...] والأفعال التي تمثل هذا الصنف هي أفعال السؤال والطلب والالتماس أو الاستجداء والتضرع والتوسل أو الاستعطاف والتشجيع والإذن وكذلك النصح والتحديات⁽¹⁾.

أمّا " محمود نخلة " فيصنّف الأفعال الإنجازية ضمن قسم الطلبيات ، وهي تضم كلّ من الأفعال الكلامية الدالة على الطلب بغض النظر عن صيغتها⁽²⁾ . فالتوجيه يتم عبر سلسلة من الأفعال كالطلب والأمر والنهي والنداء .

صيغ التوجيه اللغوية :

تتحقق الاستراتيجية التوجيهية باستعمال مجموعة من الوسائل منها أسلوب الأمر والنهي .

1- صيغ فعل الأمر : ينشأ الأمر بصيغ أربعة ، هي :

1-1- الأمر الصريح : ويكون بصيغة (افعّل) ، ولا تستعمل إلا مع المخاطب ، فيكون

الأمر بها مباشرة من الأمر إلى المأمور وهو حاضر ، أو في حيّز الحاضر في المقام .

1-2- اسم الفعل الدال على الأمر : ويدل على ما يدل عليه الفعل .

1-3- الفعل المضارع المقرون بلام الأمر : سمي النحويون هذا التركيب أمراً ، أي طلب

الفعل على سبيل الاستعلاء .

1-4- المصدر النائب عن فعل الأمر :

1-5- ألفاظ الوجوب : منها : يجب ، لابد ، فرض ، كُتِب ، قضى ، أوحى ...

1-6- ورود فعل الأمر بصيغة الخبر : هو الذي تأتي فيه الجملة خبرية اللفظ طلبية المعنى .

1-7- ورود فعل الأمر بصيغة الاستفهام : يرد أسلوب الأمر بصيغة الاستفهام فيزيده إيجاءً

جمالياً نحو قوله تعالى : ﴿ فهل أنتم متبهون ﴾ [المائدة - 91] أي انتهوا .

1-8- ورود الأمر بالإشارة : قد يتوجه المتكلم للمخاطب رسالة بالإشارة ، بحيث يتلقاها هذا

1 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 336 .

2 - ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 79 .

الأخير ويفك شفرة هذه الرسالة .

أ- الأمر :

يذهب مسعود صحراوي إلى أنّ الأمر ظاهرة أسلوبية ، وهي ضرب من الإنشاء الطلي الذي يشمل الدعاء والالتماس . وأنّ نظرة القدماء للأمر - الكاتيبي - تُعدّ نظرة تداولية تُعنى بمنزلة المتكلم وحالته أمام المخاطب . فالطلب يُعدّ أمراً إذا صاحبه استعلاء المتكلم على المخاطب . وهذه المنزلة هي عامل من العوامل الأساسية التي تصبغ الطلب بطابع خاص ، ويؤدي بما للفظ غرضاً خطايا ووظيفة تواصلية معيّنة .⁽¹⁾

وعليه ، فإنّ الأمر هو " استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه " .⁽²⁾ وهو ما يتشابه مع ما ذهب إليه " أوستين " في حديثه عن الصنف الثاني من أصناف الفعل الكلامي بـ " الفعل الإنجازي " .⁽³⁾ ويعتبر بعض المعاصرين ، أمثال براون وليفنسون وسيرل ، أنّ الأمر جزء من الأفعال التوجيهية باعتبار نظرهم إلى كون الخطاب أمراً ، وكيف يخرج هذا الفعل إلى مقاصد وأغراض أخرى يدل عليها السياق .

وما يعيننا هنا هو الوقوف على الخلفية اللغوية والتداولية للأمر كفعل طلي يتجلى في أفعال كلامية ضمن أسلوب إنشائي .

- فعل الأمر (افعال) :

هو الصيغة الأصلية للأمر التي تدل على طلب هو طلب الفعل ، إما على وجه الإلزام أو على وجه الندب أو الإرشاد .⁽⁴⁾ والسياق وحده هو الذي يحدد هذه الأوجه والمقاصد . يقول الغماري :

.....

وَكُنِ الْجِهَادَ .. فَإِنَّهُ بَعْدُ تَوَرَّدَ بِاللَّهَبِ

1 - التداولية عند العلماء العرب ، ص 137 - 138 .

2 - المرجع نفسه ، ص 185 .

3 - ينظر : عبد المجيد جحفة ، مدخل إلى الدلالة الحديثة ، ص 30 .

4 - ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 344 .

إِنَّ الْجَزَائِرَ يَا ابْنَهَا تَفْدِي الْعَقِيدَةَ بِالنَّسَبِ

حَسْبُ الْجَزَائِرِ حَسْبُهَا دِينٌ وَمَكْرَمَةٌ وَحُبٌّ (1)

جاءت الدعوة إلى الجهاد بصيغة الأمر الصريحة (كُنْ) وفي ذلك دعوة من الشاعر إلى أبناء وطنه إلى ضرورة الجهاد والتضحية في سبيل العقيدة الإسلامية باعتباره شاعرا صاحب سلطة لغوية قاصدا التوجيه والتأثير .

ويقول في قصيدة " شوق الخلود " :

.....

الشَّوْقُ تَعْشَقُهُ الْقُلُوبُ فَدَعْ عُقُولاً مِنْ جَلِيدٍ !!

فَكَّرْ بِقَلْبِكَ هَادِيًا .. فَهَدَى الْقُلُوبَ إِلَى الْخُلُودِ !

وَاضْرِبْ عَنِ النَّاعِينَ صَفْحًا إِنَّهُمْ شَفَّةٌ كُنُودِ

عَلِّقُوا بِأَهْدَابِ السُّكُونِ وَأَدْمِنُوا الصَّمْتَ الْبَلِيدِ !

كَمْ صَفَّقُوا لِخَطَا الْفُهُودِ ! وَعَطَّرُوا نَتْنَ الْأُسُودِ ! (2)

يُوجه الغماري خطابه إلى أبناء أمته لمواجهة أولئك الذين زعموا الإصلاح ، لكنهم في حقيقة أمرهم أفسدوا على الأمة أمرها ، من خلال سلسلة من الأفعال التوجيهية (دع ، فكر ، اضرب) ، فهو يحذر ويوجه ويحث ، يحذر من تلك العقول المتصلبة التي استوردت للأمة أفكارا غريبة عنها ، ويوجه أفراد المجتمع العربي الإسلامي إلى ضرورة التفكير بالقلب لأنه خير هادٍ ومُلهمٍ ، ثم يحثهم على لزوم التخلي عن هؤلاء الذين عملوا على تغريب هذه الأمة بدعوى التنوير .

ثم يقول في موضع آخر من الديوان :

.....

عَانِقِي كَبْرَ الْمَسَاجِدِ وَأَزْرَعِي نُورَ الْإِلَهِ

1 - الديوان ، ص 20 .
2 - الديوان ، ص 52 - 53 .

وَلِدِي الْجِيلَ الْمُجَاهِدُ مَا لِأَتِيكَ سِوَاهُ
سَجَّلِي يَا خَيْرَ شَاهِدُ سَجَّلِي بِاسْمِ الشَّهِيدِ
إِنَّ جَيْلًا لَا يُجَاهِدُ فَجَرُّهُ جِدُّ بَعِيدُ (1)

استعمل الغماري في هذا المقطع الشعري صيغا خمسة لتوجيه طلبه (عانقي ، ازرعني ، لدي ، سجلي ، سجلي) إلى الجزائر الأم لتمسك بكلمة لا إله إلا الله والله أكبر وغرسها في نفوس الجيل المجاهد الثائر . وقد وردت صيغة الأمر موافقة للمقام فكانت توجيهها مباشرة .

ثم يقول :

رَكِبُوا الْجُوعَ مَطِيَّهَ بِاسْمِ " حَمْرَاءَ " وَقَاخُ
و..... بِالْقَرْمَطِيِّهَ بِشَعَارَاتِ السَّفَاحِ !
فَاشْرَيْبِي يَا جِيَادُ وَأَسْكُنِي الْجُرْحَ الْمُقَاتِلِ
وَاطْرِحِي دَعْوَى الْحِيَادُ وَأَسْكُنِي دُعْرَ الْقَنَابِلِ (2)

هنا حثُّ من الشاعر على الجهاد ، إذ يطلب من الشعب أن ينهض لمواجهة أعداء الجزائر تشجيعا وتحميسا له لترك الحيادة وركوب مطية مواجهة باستعمال صيغ الأمر الصريحة (اشربي ، اسكبي ، اطرحي ، اسكبي) وهي جميعا تحمل المخاطب على الثورة والنهوض .

ويخاطب الغماري الشباب الجزائري أمرا إياه فيقول :

وَيَا شَبَابُ أَنْتُمْ الطَّلِيَعَه
وَأَنْتُمْ سَوَاعِدُ الشَّرِيَعَه
كُونُوا شُهُودَ الْحَاضِرِ الضَّبَابِي
لَأَمْسِنَا .. وَغَدِنَا الْأَوَابِ
كُونُوا إِذَا دَعَاكُمْ الْإِسْلَامُ

1 - الديوان ، ص 88 .

2 - الديوان ، ص 89 .

سَيْفَ عَلِيٍّ مَلُؤُهُ الْإِقْدَامُ⁽¹⁾

فقد استعمل صيغة الأمر (كونوا) مرتين مطالبا إياه أن يكون شاهدا على حاضره وماضيه ومستقبله وأن يُلبّي دعوة الإسلام كما لبّاه الإمام عليّ (ض) وذلك من باب النصح والتوجيه .

- الفعل المضارع المقرون بلام الأمر :

ورد الأمر بهذه الصيغة في موضعين في الديوان ، هما :

.....

تَأْبَى الْجَزَائِرُ غَيْرَنَا جِيلاً وَغَيْرَ اللَّهِ رَبَّ

تَأْبَى الْجَزَائِرُ أَنْ تَمُدَّ يَدًا لِمَنْ زَرَعُوا السَّغَبَ

طَابَتْ أُصُولٌ ... فَلْتَطِبْ ..

يَا أَيُّهَا الْفَرْعُ الْأَشْبُ⁽²⁾

وقوله :

كُلُّ يُعْنِي فِي الْهَوَى لِيْلَاهُ

يَنْتَظِرُ الْإِبْعَازَ مِنْ عَزَاهُ !

وَيَصْطَلِي بِنَارِهِ الْإِخْوَانُ

وَلِتَنْتَحِرْ مِنْ بَعْدِهِ الْأَوْطَانُ !⁽³⁾

في المقطع الأول إغراء من الشاعر لجيل الشباب في الجزائر ودعوة له لأن يطيب كما طابت أصوله ، وقد استعمل لذلك التوجيه صيغة الفعل المضارع المقترن بلام الأمر أو لام الطلب كما تسمى ؛ لأنه يُطلب بها الفعل .

ويذم الغماري في المقطع الثاني الحكّام العرب الذين ضيّعوا القدس والجولان :

1 - الديوان ، ص 113 .

2 - الديوان ، ص 19 .

3 - الديوان ، ص 115 .

لَا ضِفَّةٌ تَبْقَى .. وَلَا ضِفَافٌ !

قَدِ التَّقَى الذَّنَابُ وَالْخِرَافُ !!

لَا زَعْتَرٌ يَبْقَى وَلَا صَفْصَافٌ

وَفِي الْخِلَافِ .. يُورِقُ " الْخِلَافُ " !! (1)

هؤلاء الحكماء الذين ينتظرون الإشارة من عزّاهم فهم لا يهتمهم دين ولا تهمهم الأوطان فهم يقولون - على لسان الشاعر - فلتتحر الأوطان ، فهي لا تُساوي شيئاً في مقابل الكرسي :

كُلُّهُمْ يَبْكِي عَفَافَ الْقُدْسِ

وَمَا بَكَى إِلَّا اهْتِرَازَ الْكُرْسِيِّ !! (2)

- ورود الأمر بصيغة الخبر :

وهو طريق من طرق الأمر في اللغة ترد فيه الجملة خبرية اللفظ طلبية المعنى ، فهو خروج بألفاظ الخبر إلى الإنشاء . يقول الغماري :

نَحْنُ مَاضٍ وَغَدٌ مُشْرِقٌ نَحْنُ الشَّبَابِ

وَهَوَى يَتَّقِدُ يَصْنَعُ الْمَجْدَ الْعُجَابِ (3)

إذ يوجه الغماري دعوة إلى شباب الأمة ليكونوا أصحاب عزائم وهمم فيصنعوا مستقبلهم كما صنعوا أمسهم الجيد .

ومن الأساليب التي تفيد التوجيه أيضاً ، نجد التحذير الذي يُعرّف بأنه " تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليحجته " (4).

ويُعدّ التحذير أسلوب توجيه يتم من خلال استعمال أدوات معيّنة في أشكالها المباشرة ،

1 - الديوان ، ص 114 .

2 - الديوان ، ص 115 .

3 - الديوان ، ص 88 .

4 - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 261 .

ويوظفها المتكلم في بعض خطابه لـ " ينزه نفسه عن تهمه التلاعب بعواطف الآخرين ، كما أنه يعطي خطابه قبولاً من خلال حضور الصراحة ، التي تدل المرسل إليه على صدق المرسل في التوجيه ، وبالتالي تكسبه الثقة في خطابه " (1).

وقد استعمل الغماري آلية التحذير مرة واحدة في هذه المجموعة الشعرية بصيغة (فَعَالٍ) في قوله

:

.....

اللَّيْلُ مَجْنُونُ الْخَطَا .. فَحَذَارِ يَا دَرْبَ الشَّهِيدِ
حَبَلَتْ بِهِ الْأَيَّامُ رُؤْيَا مُرَّةً .. وَصَدَى بَلِيدِ
أَبْنَاءَ مَنْ ذَبَحُوا السَّلَامَ رَأَيْتُهُمْ ذَبَحُوا الْوُرُودَ
حَمَلَ السَّعِيرَ سَعَارُهُمْ وَطَعُوا كَمَا فَعَلَتْ تَمُودُ (2)

يُعدّ التحذير توجيهها ، إذ يوجه الغماري المتلقي باستعمال أسلوب التحذير بذكر لفظه " حذار " صراحة لغرض تداولي ضمني يتمثل في التوجيه والحث والإرشاد .

2- النهي :

يُعدّ النهي من الإنشاء الطلبي إلا أنّ معناه غير معنى الأمر ، فهو يدل على " طلب الكفّ " (3).

وقد أجمع العلماء العرب - كما يرى مسعود صحراوي - على أنّ النهي لا يختلف عن الأمر من حيث كونه فعل طلب على وجه الإلزام والاستعلاء ، فإن تحقق ذلك فهو يُفيد الوجوب ، وإن لم يتحقق شرط الاستعلاء أفاد الترك فحسب (4) وعليه ، فالنهي يُراد به كفّ النفس عن الفعل .

1 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 355 .

2 - الديوان ، ص 80 - 81 .

3 - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 139 - 140 . غير أنّ السكاكي فزق بينهما على أساس أنّ الأمر طلب لحصول ثبوت متصور ، والنهي طلب لحصول انتفاء متصور . ينظر : مفتاح العلوم ، ص 302 .

4 - ينظر : السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 320 .

وللنهي صيغة واحدة هي " لا الناهية " مع الفعل المضارع المجزوم بما (لا تفعل) .

والنهي فعل كلامي أصلي ، فقد " صرحوا بأنّ النهي فيها أصالة ، ثم تُحمل عليه مجازاته ، من الالتماس والدعاء والتهديد والإرشاد ، ونعتقد أنّ النهي فيها هو فعل كلامي أصلي أما البقيّة فهي أفعال متضمنة في القول منبثقة من الأصل ... [...] إنما هي أفعال كلامية تؤدي أغراضا خطابية ووظائف تواصلية معيّنة يحكمها مبدأ " الغرض " أو " القصد " الذي يبتغيه المتكلم من الخطاب " (1) .

ويُعدّ استعمال النهي بصيغته الأصلية (لا تفعل) توجيهها للمخاطب والغائب خاصة عند استعمال الحرف " لا " الجازمة لأنه يقع على فعل الشاهد والغائب .(2)

ومن استعمالات أسلوب النهي في الديوان قول الغماري :

.....

وَمِنْ أَفْرَاحِنَا الْخُضْرُ انْتَشَيْنَا

وَعَلَى أَهْدَابِنَا الْهِيمِ إِلَى اللَّقْيَا سَعَيْنَا

لَا تَسَلْ كَيْفَ سَعَيْنَا ؟ !

كَيْفَ كُنَّا أَلَمَّا يُورِقُ نَارًا

كَيْفَ عَانَيْنَا الْمَدَى اللَّيْلِيَّ

ثُرْنَا مِنْ سُجُونِ الْقَهْرِ نَارًا .. (3)

استعمل الشاعر النهي بصيغته (لا تسَل) لغرض تواصلية يتمثل في توجيه المخاطب بغرض الالتماس .

وقوله أيضا :

أَيُّهَا الْمَرْأَةُ .. كُونِي فَاطِمَةَ

1 - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 143 - 144 .

2 - ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 350 .

3 - الديوان ، ص 25 - 26 .

عَفِيفَةً عَنِ الْفُجُورِ صَائِمَهُ

لَا تَكُونِي يَا فَتَاةُ .. مَارِي

تَرْفُهَا الْأَوْزَارُ لِلْأَوْزَارِ !

تُبَاعُ فِي " بَارِيس " كَالجَوَارِي

مَعْرُوضَةً مَهْتُوكَةً الْأَزْرَارِ !! (1)

يحذر الغماري الفتاة الجزائرية من أن تنسلخ وتتجرد من مبادئ الإسلام وقيمه وتتبع سبيل الفجور والرذيلة ، وقد استعمل لهذا التحذير صيغة توجيهية تمثلت في صيغة النهي (لا تكوني) ليحثها على عدم التشبه بمن بعن أنفسهن كالجواري .

إنّ مثل هذه الصيغ لا تخلو من توجيهات الشاعر للمرسل إليه ، وما خرجت إليه من أغراض ومقاصد .

3- الاستراتيجية التلميحية :

تُعرّف الاستراتيجية التلميحية بأنها الاستراتيجية التي يُعبّر فيها المرسل عن قصده عن طريق دلالة غير مباشرة (كالتضمن والافتضاء) دون التصريح المباشر والدلالة الظاهرة . كما يحتاج فيها المرسل إليه إلى أعمال آليات الاستدلال للوصول إلى القصد الأصلي للمرسل . وعليه ، فهي استراتيجية يحتاج فهمها الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المضمّر الخفي الذي يدل عليه السياق .

ونشير هنا ، إلى أنّ القدماء - الفقهاء والأصوليين - كان لهم اهتمام بمثل هذه الاستراتيجية ، فقد درسوا مباحث الحقيقة والمجاز كمدخل لعلومهم (مباحث الفقه وأصول الفقه) بتوضيح ماهيتها وعلاقتها بالحقيقة والمجاز . كما عالجوا مختلف الآليات الذهنية لتجاوز المعنى الحقيقي للغة ، وعملية التأويل . وقد نتج عن اجتهاداتهم تلك عدد من المصطلحات يرى " عبد الهادي بن ظافر الشهري " أنّها تضاهي ما توصل إليه العلماء المحدثون كمفهوم الافتضاء وفحوى الخطاب ودلالة العبارة ودلالة

الإشارة . (1)

وقد كانت البلاغة العربية عامة الميدان الخصب للاستراتيجية التلميحية ، وعلم البيان بشكل خاص ، فقد استطاعت البلاغة العربية أن ترصد الآليات المتعلقة بهذه الاستراتيجية ، ذلك ما نجده عند " عبد القاهر الجرجاني " و " السكاكي " .

فقد أكد " الجرجاني " في نظرية النظم على أنّ ما يأتي مخالفا للأصل يستلزم غير الظاهر ، وعقد فصلا في " اللفظ يُطلق والمراد به غير ظاهره " (2) وذلك في حديثه عن التلميح في الكناية والمجاز معتبرا أنّ الحقيقة والمجاز يردان معا في الكناية باعتبارها " أنّ يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوميء به إليه ويجعله دليلا عليه " . (3)

كما أشار " الجرجاني " إلى قضية التلميح من خلال ضرب الكلام ، فخصص فصلا في " الكلام على ضربين " ، ضرب " أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده [...] وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل " . (4)

وهو بذلك يُشير إلى ظاهرة المعنى والتي تُعنى بالمفهوم من ظاهر اللفظ ومعنى المعنى الذي يدور حول التلميح الذي هو " أنّ تعقل من اللفظ معنىً ثم يُفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر " . (5)

أمّا " السكاكي " فقد نظر في الإنشاء الطلبي وما يخرج إليه عن معانيه إلى معانٍ أخرى وفق قاعدة " خروج الأسلوب عن مقتضى الظاهر " ، حيث تتولد من الأغراض الأصلية من أمر ونهي واستفهام ونداء أغراض فرعية حسب ما يناسب المقام ، يقول السكاكي : " متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل ، تولد منها ما ناسب المقام " . (6)

1 - استراتيجيات الخطاب ، ص 375 - 376 .

2 - دلائل الإعجاز ، ص 79 .

3 - المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .

4 - المصدر نفسه ، ص 250 .

5 - المصدر نفسه ، ص 251 .

6 - مفتاح العلوم ، ص 304 .

أمّا عند المعاصرين ، فهناك العديد من النظريات والبحوث التي تناولت بالدراسة الاستراتيجية التلميحية . فقد ظهرت من خلال نظريات مستقلة مثلما نجده عند " ديردر ولسن D.Wilson ودان سبربر D.Sperber " اللذان أسّسا نظرية الملاءمة التي تكمن أهميتها في كونها تنتمي إلى العلوم المعرفية الإدراكية ، إذ تدمج بين مشروعين معرفيين الأول منها مستمد من علم النفس ، والثاني من مجال فلسفة اللغة ، كما أنها تُبيّن موقع المفاهيم التداولية من اللسانيات ومن علم التراكيب .⁽¹⁾

كما ظهرت في أعمال " براون وليفنسون " في تصنيفهما لخمس استراتيجيات عامة في التخاطب ، منها استراتيجية التلميح التي يمكن أن ينتج عنها أكثر من قصد .⁽²⁾

وقد ظهرت الاستراتيجية التلميحية مع أعمال " سيرل " في دراسته الشهيرة للأفعال الكلامية خاصة تلك التعديلات التي أجراها على نظرية " أوستين " في أفعال اللغة ، وتقسيمه الأفعال الكلامية إلى مباشرة وغير مباشرة ، وهي المقصودة .⁽³⁾

وتُعدّ أعمال " غرايس " المصدر الأساسي لدراسة الاستلزام الحواري ، فهو يرى بأنّ العملية التواصلية قائمة أساسا على مبدأ التعاون الذي تنجح بفضل هذه العملية ، وبفشله تفشل .

يرى " غرايس " أنّ عملية التخاطب يقوم بها المتخاطبون تستند إلى مبادئ ومعارف مشتركة بينهم ، تخضع لقواعد حوارية تهدف إلى تفعيل عملية التواصل التي ترمي في الأساس إلى تحقيق الهدف من الحوار ، ، لذلك فهو يرى أنّ التخاطب ليس عملية عشوائية ، وإنما هو عملية خاضعة لجملة من القواعد تسمح بإيصال الحوار وتبادلته بين طرفي العملية التخاطبية ؛ وهو ما دفع " غرايس " إلى القول بأنّ كلّ حوار يقوم على مبدأ عام يخضع له كلّ المتحاورين أطلق عليه (مبدأ التعاون) .⁽⁴⁾

وما يمكن أن نستخلصه مما تقدم أنّ اللغويين - العرب والغربيين - ميّزوا بين معنيين : المعنى الحرفي الصريح ، والمعنى الضمني أو المستلزم ، وإن كان ذلك بمصطلحات مختلفة ، منها : المعنى ومعنى

1 - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 49 - 50 .

2 - ينظر : محمد السيدي ، إشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري ، موقع على الانترنت :

www.aljabriabed.net/n25-07sayidi.htm

3 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 377 .

4 - ينظر : ليلي كادة ، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ، ظاهرة الاستلزام الحواري أنموذجا ، رسالة دكتوراه ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب واللغات ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، الجزائر ، 2012 .

المعنى⁽¹⁾ والمعاني الإيمائية والمعاني الاصطلاحية⁽²⁾ والتقريب والإيجاء⁽³⁾.

ويتم التمييز بين المعنى الصريح والمعنى المستلزم الضمني في أنّ الأول يدل عليه لفظ العبارة ، أمّا الثاني فتدل عليه العبارة في استعمالها في مواقف تواصلية معيّنة ، ومن ثمّ وجب البحث في طبيعة العلاقة بين المعنى الصريح والمعنى المستلزم وكيفية الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني .

وقد عمل علماء البلاغة على الفصل بين المعنى الحرفي الصريح والمعنى الضمني المستلزم أو الكنائي غير الظاهر من خلال تمييزهم بين وجوه المجاز ، فقد شكّل هذا المبحث (المجاز) قاسما بين دراساتهم على اختلاف اتجاهاتها .

وإلى هذا يذهب " محمد السيدي " إلى أنّ " الجرجاني " يفترض في دارس المعنى أن لا يكون عارفاً بدلالة الألفاظ فحسب ، بل عليه معرفة مدى مطابقتها لمقتضى الحال .⁽⁴⁾

ويرى " محمد السيدي " أيضا أنّ " السكاكي " يرى أنّ الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى الضمني المستلزم يتم بواسطة استدلالات ذات طبيعة غير لغوية تُعرف عند المناطق المعاصرين بالخلفية الثقافية الاجتماعية .⁽⁵⁾

ويتم التمييز بين الاستعمال الحرفي والاستعمال غير الحرفي للغة ، حسب ما تذهب إليه التقاليد اللغوية المتجذرة عن البلاغة التقليدية ، على النحو الآتي :⁽⁶⁾

- يوجد حدّ واضح بين الاستعمال الحرفي والاستعمال غير الحرفي .
- لا تُؤوّل الأقوال الحرفية والأقوال غير الحرفية بالطريقة نفسها .
- ليس للأقوال الحرفية إلا معنى واحد وهو المعنى الحرفي ، أمّا الأقوال غير الحرفية فلها معنيان ،

1 - ينظر : عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 251 . يقول الجرجاني : " ... فهنا عبارة مختصرة وهي أن تقول المعنى ومعنى المعنى تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة ومعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنًى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر كالذي فسرت لك " .

2 - ينظر : نور الدين السد ، الأسلوبية وتحليل الخطاب ، دراسة في النقد العربي الحديث ، تحليل الخطاب الشعري والسردية ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ج 2 ، ص 82 .

3 - رولان بارت ، س / ز ، ترجمة : محمد بن الرأفة البكري ، دار الكتاب الحديث المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2016 ، ص 13 - 16 .

4 - ينظر : إشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري ، موقع على الانترنت .

5 - ينظر : المرجع نفسه .

6 - ينظر : آن روبول وحاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص 182 - 183 .

المعنى الحرفي والمعنى المجازي (غير الحرفي) .

- نَميِّز ضمن الاستعمال غير الحرفي قسمين كبيرين من الوجوه البلاغية (وجوه التراكيب اللغوية ذات الصلة بالاستعمال غير الحرفي) : الوجوه البلاغية مثل الاستعارة أو الكناية ، وصور التفكير مثل السخرية .

ويمكن عموماً القول بأنّ عملية التمييز والانتقال من المعنى الحرفي الظاهر إلى المعنى المستلزم الضمني يتم التماسها غالباً في وجوه المجاز حيث يرى " سيرل " أنّ القائل : (1)

- إمّا أنه يقول شيئاً وهو يقصد شيئاً آخر مختلفاً عن المعنى المستفاد من الجملة (الاستعارة) .

- إمّا أنه يقول شيئاً وهو يقصد عكس ما يستفاد من الجملة (السخرية) .

- إمّا أنه يقول شيئاً وهو يريد أن يقول شيئاً آخر (الاستدلال والأعمال اللغوية غير المباشرة) .

- وإمّا أن يقول شيئاً يطابق بالضبط ما يستفاد من الجملة .

نتبيّن من خلال هذا أنّ " سيرل " قد حدد المواقف المختلفة التي تصاحب الخطاب للدلالة على القصد انطلاقاً من المعنى الحرفي الظاهر والمعنى المجازي المضمّر ، و " أنّ المعنى الحرفي لجملة ما لا يُدرك خارج المقام " (2).

فمن حيث شكل الدلالة ، يتضح لنا أنّ المرسل لا يتجاوز نوعين من الاستراتيجيات في إنتاج خطابه : (3)

- استراتيجية مباشرة يتضح فيها القصد بصفة مباشرة . فهي تنحصر في كيفية التعبير عن القصد الظاهر أصلاً في الخطاب حسب ما يستلزمه السياق ، أيّ شكل الخطاب .

- واستراتيجية غير مباشرة يتم التعبير فيها عن القصد باطنياً ، يحتاج المرسل فيها إلى عمل ذهني يتجاوز فيه الشكل اللغوي للوصول إلى القصد .

لذلك يمكن تعريف الاستراتيجية التلميحية " بأنّها الاستراتيجية التي يُعبّر بها المرسل عن القصد بما

1 - المرجع نفسه ، ص 262 .

2 - المرجع نفسه ، ص 263 .

3 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 369 .

يغايّر معنى الخطاب الحرفي ، لينجز بها أكثر مما يقوله ، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه ، فيعبّر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق " (1)

وعليه ، فعلى المرسل أن يتجاوز ، في الاستراتيجية التلميحية ، الكفاءة اللغوية إلى امتلاك الكفاءة التداولية وأن يكون على معرفة تامة بمختلف الأبعاد التي ترتبط بالسياق الذي يحيط بالعملية التخاطبية . ذلك يدلنا على أبرز الشروط التي تُحوّل للمرسل استعمال الاستراتيجية التلميحية في الخطاب كما يحددها " الشهري " : (2)

- أن يمتلك المرسل مهارة العمليات الذهنية في الكفاءة التداولية لإنتاج الخطاب المناسب للسياق ، بما في ذلك عناصر السياق وبلورتها في الخطاب ليرتبط فيه اللفظ بقصد المرسل بشكل من أشكال الخطاب المتعددة باستعمال الآلية الواحدة من آليات التلميح المقاربة مثل الكناية .

- أن يعرف المرسل الأبعاد الثقافية بصورة عامة بما في ذلك المعلومات والخلفية المختزنة لدى أطراف الخطاب لأن الانتقال من دلالة المعنى الحرفي الظاهر إلى دلالة المعنى المستلزم الضمني يتم بواسطة استدلالات ذات طبيعة غير لغوية ، تتمثل في الخلفية الثقافية الاجتماعية باصطلاح بعض المناطق المعاصرين .

وما تجدر الإشارة إليه في استعمال الاستراتيجية التلميحية هو مراعاة العلاقة بين ما يتلفظ به وقصده من تلك الملفوظات ، ويتم ذلك عبر حالتين أو إحداهما ، إذ يبدع في الحالة الأولى دلالاته على القصد بتوليدها لغويا " فيستعمل آليات معينة مثل المجاز بأنواعه ، إذ لا يحدّ قدرته أي حد ، لأنه يتكئ على السمات الدلالية في المعجم الذهني المشترك بينه وبين المرسل إليه ، لإيجاد العلاقة بين الملفوظات والقصد " (3) وأن يستعمل في الحالة الثانية " القوالب اللغوية المأثورة . مثل التعبيرات الاصطلاحية المحفوظة عنده بشكلها اللغوي ومعناها ، إذ إنّ لهما معنى قارا في ذهن المرسل إليه ، ويتفق معناها مع قصده . وبهذا فهو يستعيز عن التصريح بالتلميح إلى ذلك المعنى " (4)

1 - المرجع نفسه ، ص 370 .

2 - المرجع نفسه ، ص 378 . وينظر : محمد السيدي ، إشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري ، موقع على الانترنت .

3 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 380 - 381 .

4 - المرجع نفسه ، ص 381 .

ويعمد المرسل إليه لاكتشاف مقاصد المرسل في الخطاب إلى التعرّف على المعنى الحرفي واستثمار الظروف السياقية المحيطة بالخطاب للوصول إلى القصد الفعلي . فهو يعمل أولاً على اشتقاق المعنى الحرفي ، ثم فحصه في السياق المرتبط به ، ثم محاولة البحث عن المعنى المستلزم المقصود من الخطاب . وعموماً ، يعمد المرسل إلى توظيف الاستراتيجية التلميحية إذا أدرك " أنّ معنى الخطاب الحرفي لن يناسب السياق ، ولن يعبر عن القصد المراد " .⁽¹⁾

إنّ للمرسل دوافعاً يفرضها عليه السياق في الغالب لاستعمال الاستراتيجية التلميحية ، فيعمد إلى تأسيس خطابه على الطريقة غير المباشرة لتبليغ أغراضه ، من هذه الدوافع :

- مراعاة السياق وما يفرضه على المرسل من عدم التصريح بالمعنى مباشرة لأسباب اجتماعية أو ضوابط أخلاقية تراعي مشاعر وقناعات المرسل إليه .

- قد يكون التعريض بالمرسل إليه والانتقاص من شأنه سبيلاً إلى انتهاج التلميح والابتعاد عن التصريح .

- محاولة المرسل التملص والهروب من مسؤولية الخطاب ، مما يدفعه إلى فسح مجال التأويل حول المقاصد التي يرمي إليها من خطابه .

- ابتعاد المرسل عن الضغط على المرسل إليه وفرض أمور قد تتعارض مع قناعاته .

الوسائل المعتمدة في الاستراتيجية التلميحية :

يوظف المرسل جملة من الصيغ اللغوية والآليات البلاغية لتبليغ مقاصده والتلميح إلى أغراضه بطريقة غير مباشرة لأنّ هناك طرقاً عديدة لتقول شيئاً ما وأنت تعني شيئاً آخر ، منها التهمك والسخرية والتشبيه⁽²⁾ ، وهذه الطرق العديدة تجعل المرسل إليه يبحث عن المقصود " فيشتق المعنى الحرفي ، ثم يفحص هذا المعنى في السياق ، ويبحث عن المعنى غير الحرفي ، إذا أخفق المعنى الحرفي في تعريفه بالقصد " .⁽³⁾

1 - المرجع نفسه ، ص 384 .

2 - ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

3 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

والوسائل المعتمدة في الاستراتيجية التلميحية على ضربين :

- الوسائل اللغوية .

- والآليات البلاغية .

وهو ما سنحاول الكشف عنه فيما يلي ، محاولين استثمار تحليلها في قصائد الديوان مع تبيان ما لها من دور حجاجي فيها .

1- الوسائل اللغوية :

وتجسدها ألفاظ منها : كم الخبرية وحتى ولو ولولا وإنما ، إلى جانب الأفعال اللغوية غير المباشرة التي تنشأ عن الاستلزام الحوارية وذلك بالانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى الضمني .

1-1- كم الخبرية :

تتجسد هذه الأداة في قول الغماري :

لَا كَمَنْ طَارُوا خِفَافًا لِلرُّمُوزِ الْمَلْحَدَةِ !

تَخِذُوا الْكُفْرَ مَطَافًا وَالرُّؤْيَ الْمَسْتَوْرَدَةَ !

كَمْ تَمَارَوْا بِالنُّذْرِ وَزَنَّا بِالْكَلِمَاتِ !

بِحَشِيشٍ وَقَمَرٍ ! وَهَجِينِ الْفَلْسَفَاتِ !⁽¹⁾

لا يرغب الشاعر في إخبار المرسل إليه ، لا بالهرولة إلى اتباع رموز الإلحاد ، ولا بالذين اتخذوا الكفر مطايا ، ولا بأولئك الذين سكروا بالنذر وزنوا بالكلمات ، بل يلمح الغماري إلى أنّ وعودهم وعهودهم قد كثرت ولكنهم لم يوفوا بها .

وقوله :

وَالْقَوْمُ بَيْنَ الْخَمْرِ وَالْأَفْيُونِ

وَفِي نَشَاذِ اللَّحْنِ وَالْفُنُونِ !

وَالْمُصْحَفُ الشَّرِيفُ لَا يُجَابُ

1 - الديوان ، ص 88 .

وَسُنَّةُ الرَّسُولِ - كَمْ تُعَابُ (1)

يذم الشاعر أولئك الذين تآمروا على شعوبهم وأرادوا إشغالهم بما يبعدهم عن دينهم ، فهم لأهون بين خمر وأفيون ولحن ومجون . والشاعر في هذا المقام لا يريد أن يخبر عنهم ، بل قصد إلى التنبيه إلى ما لحق سنة الرسول صلى الله عليه وسلم التي تُعاب من طرف هؤلاء .

ويقول أيضا :

.....

لَا زَعْتَرٌ يَبْقَى وَلَا صَفْصَافُ

وَفِي الْخِلَافِ ... يُورِقُ " الْخِلَافُ " !!

كَمْ نَقَّبُوا بَحْثًا عَنِ الْأَجْدَادِ

وَكَمْ دَفَنَّا آيَةَ الْجِهَادِ

نَدْفِنُهَا فِي وَضْحِ النَّهَارِ

وَنَنْتَخِي بِكُلِّ رَمَزٍ عَارٍ ! (2)

يُنكر الغماري على الحُكَّام العرب فعلمهم ، فقد ضيَّعوا الكثير من البلاد العربية (تل الزعتر - صفصاف) بسبب خلافاتهم وانشقاقهم في حين يتشبَّث العدو الصهيوني بأوهام وخرافات ، فهو يلمح إلى حرص اليهود في بحثهم عن دولتهم التي وُعدوا بها ، غير أنَّ المسلمين تقاعسوا وتركوا آية الجهاد التي تُمكنهم من تخلص الأمة مما ينخر جسدها . فالمعنى الضمني الذي يلمح إليه الغماري هو أنَّ العرب والمسلمين حينما ابتعدوا عن دينهم ومنهاجهم القويم تمكَّن منهم أعداؤهم فأذلوهم وسلبوهم أرضهم وأوطانهم ، وفي ذلك تعريض هؤلاء الحُكَّام .

ويقول الغماري في موضع آخر من الديوان :

يَا غَارَةَ اللَّهِ غَاضَ النَّيْلُ وَاعْتَصَرَتْ

دُرُوبُهُ عُصْبَةً بِالذَّلِّ تَعْتَصِبُ

1 - الديوان ، ص 107 - 108 .

2 - الديوان ، ص 114 - 115 .

بَاعَتَكَ يَا نَيْلُ بِالدُّوَلَارِ وَاقْتَنَعْتُ
أَنَّ المَرْوَةَ لَا حَرْبَ وَلَا حَرْبُ !
كَمْ كُنْتُ يَا نَيْلُ وَالتَّارِيخُ مَلْحَمَةٌ
سَيْفًا تَمَازَجَ فِيهِ التُّورُ وَاللَّهَبُ !
أَسْفَارُكَ الخُضْرُ .. ثَارَتْ فِي مَسَافَتِهَا
طَلَانِعُ الفَتْحِ وَالبِنَاءِ وَالقُطْبُ
الخَالِدُونَ إِذَا الحُكَّامُ مَا خَلَدُوا
وَالوَاهِبُونَ وَمَا أَغْلَى الَّذِي وَهَبُوا⁽¹⁾

يُشيد الشاعر بالنيل ، وفي ذلك إشادة بمصر حينما كانت قبلة للعرب ، حكّاما وشعوبا ، فهي الحضن الذي شهد ميلاد حركة " فتح " الفلسطينية ، وهي مهد لكثير من الحركات الإسلامية ، حسن البنا والسيد قطب ، هذا ظاهر المعنى . أمّا المعنى الضمني في هذا المقطع الشعري فينصبّ حول إنكار الدور الذي تؤديه مصر في المنطقة حيث تخلت عن دورها واقتنعت بأنّ اتفاقيات السلام ، التي هي في الأصل استسلام ، هي الحلّ الأجدى والأمنع لها وللشعوب العربية ؛ لكن الحقيقة أن الاتفاقيات كانت استجابة لرغبة أمريكية ، وبالتالي وأدّت الآمال العربية .

1-2- حتى :

تُستعمل " حتى " في اللغة العربية بوصفها " علامة على حدّ من سلّم تراثي " ⁽²⁾ . ويكمن دورها في ترتيب عناصر القول ، وفهم معناها الوظيفي من السياق الذي ترد فيه ، كما في قول الغماري في قصيدته " قراءة في آية السيف " :

كَمْ مَالًا وَأَوْ قُلُوبَنَا صَدِيدًا
وَجَعَلُوا وَحَدَّتْنَا بَدِيدًا !

1 - الديوان ، ص 121 - 122 .

2 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 386 .

حَتَّى اشْرَابَ الْكُفْرَ فِي حَمَاةٍ

وَوَلَّوْا الْأَثِيرَ بِالمَأْسَاةِ

وَوَلَّغَ الدَّجَالَ فِي الدَّمَاءِ

بَيْنَ السُّكُونِ المَرِّ وَالرِّيَاءِ (1)

تُعَدُّ " حَتَّى " من الروابط الحجاجية والأدوات القارة في السلم الحجاجي لدورها في ترتيب عناصر السلم ومنح صفة السلمية لمعانيها واستعمالاتها ، فيتمثل الاستعمال الأول في " حَتَّى " الجارة التي يقصد بها انتهاء الغاية مع احترام المرسل لشروط مجرورها عند توظيفها (2) . وثاني استعمالاتها هو ما يُعرف بـ " حَتَّى " العاطفة مع مراعاة شروط المعطوف ، كأن يكون غاية لما قبلها في زيادة والزيادة تشمل القوة والتعظيم أمّا النقص فيشمل الضعف والتحقير . (2)

بالعودة إلى المقطع الشعري يقصد الغماري أنّ الحكّام العرب قد أكثروا الفساد ، والمؤشر " حَتَّى " يربط بين الحجّة والنتيجة ، لتكون الحجّة التي بعدها هي أقوى وهي " حتى اشْرَابَ الكفر في حماة " . ومعنى هذا أنّ الشاعر يلمح إلى ارتفاع عقيرة الكفر والإلحاد في سوريا (حماة) .

كما أن قوله " حتى اشْرَابَ الكفر في حماة " حجة أقوى في السلم الحجاجي من تلك المذكورة قبلها ، وتخدم نتيجة ضمنية واحدة في هذا المقطع هي تعظيم صنيع هؤلاء الحكام .

1 - الديوان ، ص 94 - 95 .

* شرطها الأول أن يكون مجرورها ظاهراً ، والثاني أن يكون آخر جزء أو ملاقي آخر جزء . ينظر : الحسن بن قاسم المرادي ، الجنى الداني في حروف المعاني ، تحقيق : فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1992 ، ص 543 .

2 - ينظر : استراتيجيات الخطاب ، ص 517 - 518 . وينظر : المرادي ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص 544 .

النتيجة : تعظيم صنيع هؤلاء الحكام



اشرب الكفر في حماة

حتى

كم ملأوا قلوبنا صديدا

وجعلوا وحدتنا بديدا !

وقوله :

وَمَنْ تَهَادَوْا عَلَىٰ أَعْتَابِنَا مِرْقًا

سُودَاءَ .. يَسْكُرُ مِنْ أَيَّامِهَا الشَّبَقُ !

تَبَارَكَ " الْجِنْسُ " رَبًّا فِي مَسَافَتِهِمْ !

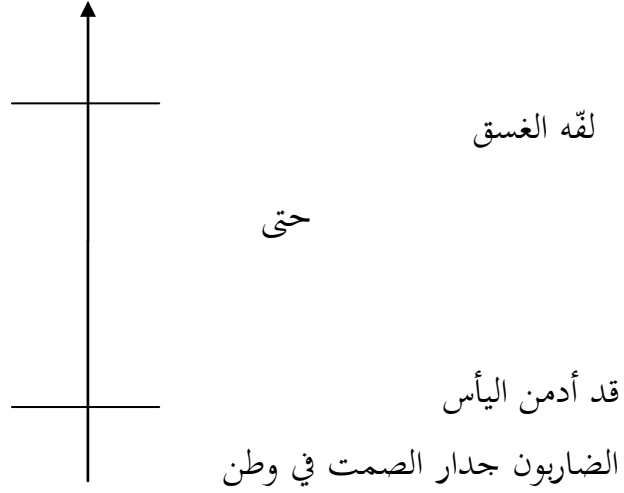
إِذِ الْعَقِيدَةُ فِي أَفْكَارِهِمْ رَهَقُ !

الصَّارِبُونَ جِدَارَ الصَّمْتِ فِي وَطَنِ

قَدْ أَدْمَنَ الْيَأْسُ حَتَّىٰ لَقَّهُ الْغَسَقُ ! (1)

استعمل الغماري " حتى " العاطفة لئلمح إلى قصد ويربط بين حجتين وتكون الحجة الثانية التي بعد " حتى " أرقى من الحجة التي قبلها . فهو يقصد بقوله : " قد أدمن اليأس حتى لقه الغسق ! " أن الذين جانبوا العقيدة الإسلامية يعتقدون أنها تعب بالنسبة إليهم ما جعلهم يضربون بها عرض الحائط . ومن هنا نجد الغماري يحاول أن يثبت شدة غيِّ أولئك الذين تخلوا عن عقيدتهم ، ما يعد " حتى " أقوى حجة وأعلى درجة في درجات السلم الحجاجي من الحجة التي قبلها . ويمكن تمثيلها كما يلي :

النتيجة : شدة غميّ الذين جانبوا العقيدة



نلاحظ أنّ الرابط " حتى " أدى دورا حجاجيا قويا ؛ ذلك لأنّ الحجة الثانية التي ترد بعد الرابط الحجاجي تكون أقوى من الحجة التي تسبقها ، فيوجه الشاعر الخطاب نحو النتيجة التي يقصدها ، فيقتضي الأمر إقناعا وتأثيرا مخصوصا في المتلقي .

العوامل الحجاجية :

ومن العامل الحجاجي " هو صرفة تحول الاحتمالات الحجاجية للمضمون المطبقة عليه ، وتمدّ العبارات بإمكانية استعمالها لغايات حجاجية " (1) ، حيث تتقيد الجملة بعده ، ويتم الإسناد فيها في بعض الأساليب كالحصر والتأكيد والاستثناء والنفي والشرط وغيرها .

ومن هذه العوامل الحجاجية :

- لو - لولا :

يقول الغماري :

.....

وَقَضَى الْأَمِيرُ مُجَاهِدًا بَيْنَ الْكُتَّابِ وَالْكَتُبِ

1 - محمد طروس ، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ، دار الثقافة ، المغرب ، ط 1 ، 2005 ، ص 112 .

لَوْلَا التَّامِرُ مَا انْشَتَّ خَيْلُ الْأَمِيرِ وَلَا اغْتَرَبَ (1)

ويقول في قصيدته " ليس لي إلا هواها " :

نَحْنُ لَوْلَا ظِلُّهَا لَمْ نَعْرِفِ الْحُبَّ

وَلَوْلَا طَيْفُهَا لَمْ نَرَوْ طَيْبَهُ

نَحْنُ لَوْلَاهَا لَقَى مُدَّتْ بِصَحْرَاءَ رَهْيَبِهِ

عَسَعَسَ اللَّيْلُ بِهَا وَأَنْشَقَّ عَنْ رُؤْيَا جَدِيدِهِ

طَيْفُهَا يَعَشُّهُ الْوَرْدُ عُيُونًا وَلَهَاءَ

وَتَبَارِيحَ سَكِيْبِهِ (2)

ويقول أيضا :

وَيَشْمُخُ الْمُفَكِّرُ الْقَوْمِيَّ !

الدِّينُ ، لَوْ تَدْرُونَ ، يَعْرُبِيَّ !!

قَوْمِيَّةً أَرَادُوهَا فُجُورًا

إِفْكًَا عَلَى عَقِيدَتِي وَزُورًا ... (3)

تدل لولا على " امتناع الشيء لوجود غيره ، تقول لولا زيد لضربتك وإنما امتنعت من ضربه لأجل زيد " (4) أما لو " فتدل على امتناع الشيء لامتناع غيره ، فامتنع هذا لامتناع هذا " (5)

وعليه ، تضمن دخول " لولا " و " لو " على العبارات في المقاطع الشعرية السابقة تلميحا . فالمقصد الضمني ل (لولا) في المقطع الأول يتمثل في أنّ التأمير كان سببا في توقف جيش الأمير عبد القادر كما كانت سببا في اغترابه من خلال نفيه .

1 - الديوان ، ص 15 .

2 - الديوان ، ص 74 .

3 - الديوان ، ص 97 - 98 .

4 - ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن فارس بر زكريا الرازي اللغوي) ، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، تحقيق وضبط : عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط 1 ، 1993 ، ص 168 .

5 - المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .

كما أدت (لولا) معنى ضميا في المقطع الثاني يتجلى في إبراز فضل الصحوة الإسلامية التي من دونها لم يكن الشاعر ليعرف الحبّ ولم يرو طيبة . هذه الصحوة التي كانت النور الذي أثار درب الشاعر المظلم وأبان له عن أفق رحيب .

أمّا المقصد الضمني الذي أفادته الأداة (لو) في المقطع الثالث التمني ، فدعاة القومية العربية أرادوا أن يكون هذا الدين قوميا محصورا بينهم ، وأتى لهم هذا فالإسلام جاء للعالمين مبشرا ونذيرا .

إنما :

يقول الغماري :

أَشْرُقُ بِتَارِيخِ الْجِهَادِ وَمُدَّ مَلْحَمَةِ الرَّهَبِ
وَاقْرَأْ عُيُونَ الشَّمْسِ تَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ الْأَشْبِ
وَخُضِّ السَّبَاقَ .. فَإِنَّمَا الْغَايَاتُ تُدْرِكُ بِالْخَبَبِ !
أَشْرُقُ فَإِنَّ صَبَاحَكَ الْحُرِّ الْمُضِيِّ قَدْ اقْتَرَبَ (1)
وقوله :

وَمَا حَرَّقُوكَ وَإِنَّمَا بِكَ حُرِّقُوا
حَرَدًا . وَسَاؤُوا مَنظَرًا أَوْ مَخْبَرًا
إِنْ يَحْرِقُوا صُحُفَ الصِّيَاءِ فَإِنَّمَا
قَلْبِي مَصَاحِفُ لَنْ تَبِيدَ وَتَحْسَرًا (2)

المعنى الضمني الذي أفادته دخول " إنما " في العبارة " وخض السباق .. وإنما الغايات تدرك بالخبب ! " هو قصر إدراك الغايات على السعي إليها ، إذ لا يمكن للإنسان أن يحقق مبتغاه ما لم يخطط ويسعى لذلك ، وفي ذلك دعوة ضمنية من الشاعر إلى الحث على ضرورة الاجتهاد والسعي في الحياة والجهاد دونها مثلما جاهد الأمير عبد القادر .

1 - الديوان ، ص 17 .

2 - الديوان ، ص 147 .

كما أدت " إنما " معنى ضمنيا في قوله : " وما حرّقوك وإنما بك حرّقوا ... إن يجرقوا صحف الضياء وإنما قلبي مصاحف لن تبيد وتحسرا " يتمثل في نفى الغماري إمكانية القضاء على الصحوة الإسلامية التي امتد مداها رغم كلّ الأساليب والمحاولات التي حيكت ضدها لأنها حُفظت في الصدور .

أفعال الكلام غير المباشرة :

استقطبت نظرية أفعال الكلام اهتمام الدراسات التداولية ، وتنسب إلى " أوستين Austin " من خلال كتابه " كيف ننجز الأشياء بالكلمات " ثم عمل " سيرل Searle " على تطوير هذه النظرية .⁽¹⁾

ويُعدّ الفعل الكلامي " نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية . وفحواه أنه كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري . فضلا عن ذلك يعدّ نشاطا ماديا ونحويا يتوسل أفعالا قولية إلى تحقيق أغراض إنجازية (كالطلب والأمر والوعد والوعيد ... إلخ) وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول) ."⁽²⁾

إنّ اللغة في ظل نظرية أفعال الكلام ليست مجرد أداة تبليغ ، بل تستعمل لإنجاز أفعال تؤثر في المتلقي ، فحينما يقول الزوج لزوجته أنت طالق يترتب عن ذلك الطلاق في الواقع ، ذلك يعني أنّ " الفعل الكلامي هو الملفوظ المتحقق من قبل متكلم محدد في سياق محدد والذي لا تكون اللغة معه مجرد أداة تواصلية ، بل فعلا اجتماعيا أو سلوكيا فرديا أو مؤسستيا " ."⁽³⁾

وقد لاحظ " أوستين " أن للفعل الكلامي خصائص ثلاثة ، هي :⁽⁴⁾

- إنّه فعل دال .

- إنّه فعل إنجازي (أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات) .

1 - نشير هنا إلى أنّ الجديد الذي جاءت به هذه النظرية أنّ الوحدة الدنيا للتواصل الإنساني ليست هي الجملة ولا أيّ تعبير آخر ، بل هي إنجاز بعض أنماط الأفعال . ينظر : فرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية ، ص 60 .

2 - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 54 - 55 .

3 - مسعود صحراوي ، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي ، رسالة دكتوراه مخطوطة بجامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2004 ، ص

4 - ينظر : مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ، ص 59 .

- إنّه فعل تأثيري (أي يترك آثارا معيّنة في الواقع ، خصوصا إذا كان الفعل ناجحا) .

يقتضي البعد التأثيري لأفعال الكلام إيصال مقاصد المتكلم ، التي يمكن تقسيمها حسب شكل هذه الأفعال إلى قسمين : قسم تكون فيه المقاصد مباشرة صريحة من خلال البنية الحرفية للأفعال ، وهي **أفعال الكلام المباشرة** ، والقسم الثاني تكون فيه المقاصد ضمنية غير مباشرة ، تسمى **أفعال الكلام غير المباشرة** ، وجوهر الأفعال الكلامية هو القسم المسمى الأفعال المتضمنة في القول ، وعليه فهو الذي يستحق الدراسة والتصنيف .⁽¹⁾

ونشير هنا ، أنّ للسياق أهمية في تحديد المعاني الضمنية ، حيث يلجأ المتلقي إلى تفكيك العبارة والكشف عن معانيها المضمرة عن طريق سلسلة من الاستنتاجات والاستدلالات والتأويلات التي تتم بمساعدة السياق لما يتضمنه من معلومات حول المحيط الفيزيقي المباشر أو الأقوال السابقة والتوقعات والترقيات والفرضيات والعقائد والذكريات والمسبقات الثقافية وافتراضات حول الحالة الذهنية للمتكلم⁽²⁾

فالفهم الجيّد للرسائل اللسانية لا يقتصر على اللغة فحسب ، بل يتدخل السياق كعنصر أساس ومركزي في ذلك ، بالإضافة إلى ضرورة المعرفة الواسعة للعالم .⁽³⁾

والفعل اللغوي غير المباشر عند " سيرل " يتمثل في أنّ المرسل في خطابه يحقق عملا أوليا متضمنا في القول بواسطة عمل ثانوي متضمن في القول ، وهو يقصد ذلك مع علم المخاطب بذلك .⁽⁴⁾

وتبعا لذلك فإنّ الأفعال اللغوية تصاحبها قوتان :

- **قوة إنجازية حرفية** : يكون الفعل اللغوي فيها مباشرا وتكون القوة الإنجازية مدلولا عليها بصيغة العبارة .

- **قوة إنجازية متضمنة** : يأتي فيها القول في سياق محدد حاملا لقوة إنجازية غير القوة الإنجازية

1 - ينظر : آن روبرول وحاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص 267 - 268 .

2 - ينظر : عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغيّر مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2006 ، ص 59 .

3 - ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

4 - ينظر : آن روبرول وحاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التخاطب ، ص 268 .

التي يدل عليها مؤشر القوة الإنجازية الحرفية .

وعليه ، تكون الأفعال اللغوية غير المباشرة هي الكيفية التي يعتمدها المرسل ليقول شيئاً في وقت يقصد فيه شيئاً آخر ، فهي " تلك الحالات التي يتم فيها إنجاز عمل دال معيّن بشكل غير مباشر عن طرق إنجاز عمل آخر " .⁽¹⁾

وتجدر الإشارة هنا ، إلى أنّ نظرية أفعال الكلام غير المباشرة لها جذور في تراثنا ، إذ تنبّه علماء البلاغة إلى خروج الأساليب الخبرية والإنشائية إلى أغراض بلاغية تتعلق بمقاصد المتكلم ومتطلبات السياق ، وبذلك تتجاوز الأفعال الكلامية غير المباشرة البنية الحرفية إلى معانٍ سياقية تُفهم بالاستعانة بقرائن السياق اللغوية والمقامية ، إضافة إلى الكفاءة التداولية للمتكلم .

من أمثلة أفعال الكلام في الديوان قول الغماري :

الْحَقُّ يُدْرِكُ بِالْحَدِيدِ وَلَيْسَ يُدْرِكُ بِالْخُطْبِ⁽²⁾

تضمنت الجملة الخبرية التقريرية تلميحاً مفاده أنّ إدراك الحق واسترجاعه يكون بقوة الحديد والنار ، وفي ذلك دعوة ضمنية إلى التخلي عن سياسة العرائض والمطالب وانتهاج سبيل الاستشهاد على أن يعيش الفرد وسط خطاياها ، فيقول :

إِنَّ مَوْتًا فِي ظِلَالِ الْحُبِّ أَبْقَى

مِنْ وُجُودٍ فِي الْخَطِيئَاتِ مُرِيبٍ !⁽³⁾

كما جاء في الديوان قول الشاعر :

وَاضْرِبْ عَنِ النَّاعِينَ صَفْحًا إِنَّهُمْ شَفَّةٌ كُنُود

عَلِقُوا بِأَهْدَابِ السُّكُونِ وَأَدْمَنُوا الصَّمْتَ الْبَلِيدُ !⁽⁴⁾

ورد في هذا القول فعل كلامي طلب بصيغة الأمر (واضرب) . وقد تجاوز الأمر هنا معناه الحقيقي إلى معنى ضمني يتمثل في الدم والإهانة لأولئك الذين تعلقوا بالصمت والسكون إزاء ما

1 - براون ويول ، تحليل الخطاب ، ص 278 .

2 - الديوان ، ص 17 .

3 - الديوان ، ص 138 .

4 - الديوان ، ص 52 .

يحيط بهم وقد أدمنوا ذلك حتى تمكّن منهم أعداؤهم .

ومن أمثلة الأفعال الكلامية غير المباشرة أيضا قول الغماري :

أَنْسَيْتِ يَا بِنْتَ الْفُتُوحِ الْغَافِقِيَّ وَذُو الْفِقَارِ !⁽¹⁾

تضمن السطر فعلا كلاميا بصيغة إنشائية استفهامية (أنسيّت) تدل على مقصد ضمني يتمثل في توبيخ الشاعر لكلّ نفس جزائرية سلية " الأمير عبد القادر " بأنها نست أو تناست ماضيها المجيد لتترد على ما كان عليه آباؤها وأجدادها في الجهاد والتحرير .

الاستراتيجيات البلاغية للتلميح :

أ- الكناية :

عرّف الجرجاني الكناية بقوله : " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوميء إليه ، ويجعله دليلا عليه ".⁽²⁾ فالكناية ترتبط بقصدية المتكلم الذي يرغب في أن يصل مراده بطريقة غير مباشرة ، فلا يذكر المعنى باللفظ الموضوع له صراحة ؛ وإنما يلمح بلفظ هو دليل على المعنى الضمني المقصود الذي يفهم من السياق .

وعليه ، فالكناية " هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه ، لينتقل من المذكور إلى المتروك ، كما يقال : فلان طويل النجاد . لينتقل منه إلى ما هو ملزومه ، وهو طول القامة ... ".⁽³⁾

فاختيار الكناية وسيلة للتعبير - من منظور السكاكي - وتأويلها يرتبط بالسياق الثقافي للعرب ، فعندما تقول : " فلانة نؤوم الضحى [...] هو كونها مخدومة ، غير محتاجة إلى السعي بنفسها في

1 - الديوان ، ص 83 .

2 - دلائل الإعجاز ، ص 79 .

3 - السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 402 .

إصلاح المهمات " (1) ؛ لأن من عادات العرب أنّ وقت الضحى ليس وقت نوم نسائهم ، ما يدل على أنّ المقصود من قولهم نؤوم الضحى هو المرأة المخدومة ، وليس المعنى الحرفي الذي يفيد النهوض باكرا ، حتى وإن حدث هذا حقيقة .

والنتيجة ، أنّ الكناية تعدّ من الاستراتيجيات البلاغية للتلميح ؛ لأنّ المعنى المقصود ضمني يفهم من السياق ويكون المعنى الظاهر دليلا يقود للمقصود .

من أمثل الكناية ما جاء في قول الغماري :

وَأَنْسَجَ بِآيَاتِ الْجِهَادِ خُرَافَةَ الْقَوْلِ الْكَذِبِ ! (2)

نلمس الكناية في قول الشاعر " خرافة القول الكذب " ، والمعنى الضمني لهذه الكناية هو الادعاء الكاذب لفرنسا من أن الجزائر قطعة فرنسية إذ عدّ الشاعر هذا القول الكاذب خرافة لعدم إمكانية تحقيقه ، ففرنسا تُوهم نفسها بما تزعمه وترغب فيه .

والكناية الثانية في قوله :

مَنْ لِيَالِي الصَّحْوِ وَالْمَحْوِ عَيْرُ الْخَالِدِينَ

فِي رُؤَاهَا

يُورِقُ الْقَلْبُ وَتَحْضُرُ دُمُوعُ الْعَاشِقِينَ (3)

الكناية الواردة في هذا القول هي : " من ليالي الصحو " ، والمعنى الضمني هو الاستقرار وما نتج عنه من طمأنينة يشعر بها مَنْ يتلمس حبّ الذات الإلهية التي تُكسب الشاعر الخلود الأبدي .

وقوله أيضا :

زَرَعُوا الشُّوكَ عَلَى الْأَعْتَابِ مَدُّوا أَلْفَ صَخْرِهِ ! (4)

تظهر الكناية في قول الشاعر " زرعوا الشوك " فقد ذكر الشوك والمقصود منه ما زرعه أعداء الصحوة الإسلامية من عقبات وصعاب في طريقها للحيلولة دون بلوغ هدفها ومرادها .

1 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

2 - الديوان ، ص 17 .

3 - الديوان ، ص 65 .

4 - الديوان ، ص 72 .

ويقول في قصيدة " أغنية للحزن والجهاد " :

تَعْشَقُ البُومَةُ فِيهَا صَوْتَ حَقَّارِ البُيُوتِ !⁽¹⁾

فعبارة " صوت حَقَّارِ البيوت " كناية عن الخراب والدمار الذي ألحقه أعداء الأمة بأهلها . فالمعنى الضمني لهذه الكناية هو التعريض بمن أساء لهذه الأمة فحوّل سعادتها إلى شقاء ؛ لأن ذلك يُعدّ طبيعة متجدرة في نفوسهم .

ب- الاستعارة :

تُعدّ الاستعارة من الاستراتيجيات البلاغية للتلميح ، فهي تقوم على إخفاء أحد الطرفين الأساسيين للتشبيه ، إما المشبه وإما المشبه به ، هذا الحذف ينتج عنه معنى ضمني خفيّ يساعد السياق على فهمه . لذلك فالاستعارة هي " أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر ، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به ، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول : في الحمام أسد وأنت تريد به الشجاع ، مدعياً أنه من جنس الأسود ، فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به " .⁽²⁾

فالأبعاد التلميحية للاستعارة تظهر في اشتغالها على معنيين ، الأول حربي غير مقصود ، والثاني ضمني يُتوصل إليه عن طريق السياق .

وقد توصل " سيرل " إلى أنّ المعنى الحربي يفضي إلى معنى آخر يُفهم من قرينة السياق ف " القول الحقيقي يكمن في وجود التطابق التام بين معنى الملفوظ وما يقصده المتكلم وما يفهم من قبل السامع ، والاستعارة على نقيض ذلك ، فحرفية الملفوظ ليست مقصودة في ذاتها ، بل المقصود ما يفضي به هذا المعنى الحربي إلى معنى آخر بقرينة سياقية " .⁽³⁾

وتظهر القيمة التداولية للاستعارة " أول ما تبدو في لفظها ؛ حيث يكسبه المتكلم في عبارة

1 - الديوان ، ص 135 .

2 - السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 369 .

3 - محمود عكاشة ، النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 1 ، 2013 ، ص 108 .

خطابه معنى غير المعنى المؤلف . وينطلق المخاطب في اكتشاف أبعاد الاستعارة من خلاله " (1) مما يعني أن للسياق دورا في اختيار المتكلم التعبير غير المباشر عن طريق الاستعارة .

ويُعتمد في الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى الضمني على السياق ، فالمتكلم يختار من القرائن ما يتناسب وحال المتلقي ، ما يعني أن الاستعارة " ليست مجرد انحراف لفظي لكلمات معينة ، إنما هي كذلك تفاعل بين السياقات المختلفة " (2).

إن توظيف الاستعارة من طرف المتكلم يرتبط بمقصد يهدف إلى إيصالها إلى المتلقي فتكون الاستعارة هي الطريق الأمثل لذلك ، ويعتمد المتكلم في ذلك على فطنة المتلقي وذكائه ومدى استفادته من عناصر السياق المحيطة بالخطاب .

ومن أمثلة الاستعارة الواردة في الديوان قول الغماري في قصيدة " وسل الأمير " :

لَا الْقَهْرُ يُثْنِي مِنْ خُطَاهُ وَلَا الشَّقَاءُ وَإِنْ حَزَبٌ (3)

الاستعارة الواردة في الشاهد " لا القهر يثني من خطاه " ، والمعنى المشترك بين طرفي الاستعارة هو عدم المنع والصد .

يثني (المستعار له) → المنع ← القهر (المستعار)

المقصد الضمني لقول الشاعر يتمثل في أن القهر لا يمكنه أن يثني ويحدّ من عزيمة الأمير وجنده ؛ بل هو محفز له فيزيد من قوته وعزمته .

ومن أمثلة الاستعارة ما جاء في قوله :

لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ فِي جُرْحِ بِلَادِي ...

لَنْ يَنَامَ (4)

الاستعارة هنا هي قوله " لن ينام الحق " و " جرح بلادي " إذ شبه في الأولى الحق وهو شيء

-
- 1 - خليفة بوحادي ، في اللسانيات التداولية ، مقارنة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية ، ص 64 .
 - 2 - يوسف أبو العدوس ، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث ، الأبعاد المعرفية والجمالية ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط 1 ، 1997 ، ص 107 .
 - 3 - الديوان ، ص 18 .
 - 4 - الديوان ، ص 23 .

معنوي بالإنسان الذي يسيطر عليه التعب فينام ، والمقصد الضمني لهذه الاستعارة أن الحق لا ولن يغفل عنه أهله ، ولا يمكن لنوره أن يخفت أو ينطفئ بل هو ساطع متألئ . أما الاستعارة الثانية " جرح بلادي " فقد جعل الغماري للجزائر جراحا تدمي لما لحقها من جرائم الاستعمار ، فقد شبه الجزائر بالإنسان الذي يخوض المعارك فيجرح على سبيل الاستعارة المكنية .

تتضمن الاستعارتان تلميحا مفاده أن الجراح التي طالت الجزائر لا يمكنها أن تُشغل أهلها عن الحق فيغفلوا عنه .

ومن أمثلة الاستعارة أيضا قول الغماري :

تَأْتِقَ السَّلْمَ حَتَّى صَارَ مَفْخَرَةً

وَفُلْسِفَ الْجُبْنَ حَتَّى أُحْمِدَ الْهَرَبُ !

وَمَا عَلَيْهِمْ وَقَدْ بِيَعَتْ كَرَامَتُهُمْ

أَنْ يُعْبَدَ الْأَصْفَرَانَ الدُّلُ وَالذَّهَبُ ⁽¹⁾

شبه الغماري كلاً من السلم والجبن بالشيء المادي الذي يتأثق ويُفلسف ، كما شبه الكرامة وهي شيء معنوي بالسلعة التي تُباع وتُشترى ، والمعنى الضمني لهذه الاستعارات هو التعريض بالحكام العرب الذي تخلّوا عن فلسطين وتغنّوا باتفاقيات الاستسلام وذلك جُبن منهم وبيع للكرامة العربية .

ج- التشبيه :

يدلّ التشبيه على مشاركة أمر لآخر في المعنى ⁽²⁾ ، فهو يقوم على اشتراك كلّ من المشبه والمشبه به في صفات معيّنة ؛ لأن " تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفا له بمشاركته المشبه به في أمر ، والشيء لا يتصف بنفسه ، كما أن عدم الاشتراك بين الشئيين في وجه من الوجوه يمنعك محاولة التشبيه بينهما " ⁽³⁾ .

تكمن أبعاد التلميح في التشبيه في غياب وجه الشبه ويقصد به " الصفة الجامعة بين الطرفين :

1 - الديوان ، ص 124 .

2 - ينظر : القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 164 .

3 - السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 332 .

المشبه والمشبه به . فإذا أراد المتكلم أن يعقد تشبيها بين أمرين كان عليه أن يُحضر في ذهنه ويحدد الصفة التي استرعت انتباهه في شيء آخر يكون مشبها به ... ويجب أن تكون هذه الصفة بارزة في المشبه به ... ويتحتم على المتكلم أن يعض النظر عما في المشبه به من صفات أخرى غير هذه الصفة وعما بين الطرفين من تباين أو تباعد ... " (1)

إذن " يبقى التشبيه تلميحا مُهْمًا ، ما لم يصرح المرسل بوجه الشبه بين طرفيه ، فإذا صرّح بوجه الشبه ، فإنه ينتفي التلميح إلى التصريح ، مما يحيل استراتيجية الخطاب إلى الاستراتيجية المباشرة " (2)

فغياب وجه الشبه يعني أنّ الصفة المشتركة بين المشبه والمشبه به مضمرة غير صريحة ، فلو قلنا : فلان كالأسد في الشجاعة ، لغاب التلميح وكانت استراتيجية المتكلم مباشرة ، وهي التصريح بصفة الشجاعة ، بينما لو حذفنا وجه الشبه ، وقلنا فلان أسد أو كالأسد ، لكانت استراتيجية المتكلم تلميحية ، إذ يلمح إلى الشجاعة ، فالمعنى الحرفي غير مقصود .

ومن نماذج التشبيه ما ورد في قول الغماري :

فَلَكُمْ حَالٌ ضَبَابُ الْعَصْرِ دُونَ الشَّوْقِ حَالًا

فَتَنَسَّمْنَا بَرِيقَ الْوَهْمِ .. خِلْنَاهُ اخْضِلَالًا

وَشَرِبْنَا مِنْ كُؤُوسِ الْقَهْرِ خِلْنَاهَا زُلَالًا

وَنَسَخْنَا بِالشُّعَارَاتِ الْكِتَابِ !

وَعَدُونَا .. وَعَلَى أَشْلَاتِنَا تَعْلُو الْقَبَابِ !

وَأَنْتَبَهْنَا ..

فَإِذَا مَعْبُودُنَا حُبْرٌ ..

وَنَادِينَا ذُنَابٌ !.. (3)

التشبيه في (معبودنا خبر - نادينا ذناب) ، والمعنى الضمني لهذا التشبيه أنّ الهدف الأسمى لهم

1 - بسيوني عبد الفتاح فيود ، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 4 ، 2015 ، ص 71 .

2 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 410 .

3 - الديوان ، ص 28 .

قد تحوّل إلى لقمة خبز وأنّ الوطن استحال إلى ذئاب لما يكتنفه من وحشة ، فالمقيم فيه عليه أن يتحلى بالخطر لما يحيط به من تربص الأعداء .

ومن أمثلة التشبيه قوله :

وَكُلُّهُمْ يَبْكِي عَفَافَ الْقُدْسِ

وَمَا بَكَى إِلَّا اهْتِرَازَ الْكُرْسِيِّ !!

مَا ذِنْ عَهْدَتْهَا سَجِينَهُ

قَبْلَ السُّقُوطِ سَقَطَتْ حَزِينَهُ

تَعِيشُ فِي الْأَعْمَاقِ كَالْخِرَافَةِ

وَتَنْدُبُ الْفُتُوحَ وَالْخِلَافَةَ ! (1)

يرثي الغماري القدس من خلال رثائه لماذنه التي تخلى عنها أهلها - العرب - ولم يبق منها غير ذكراها التي تعيش في أعماق الثائرين كالخرافة التي تنسلّ من الذاكرة بين الفينة والأخرى . فالمقصد الضمني الذي يمكن استخلاصه أنّ القدس عُيِّت من النفوس ومن ثمّ فقد ضيّعت .

ومن التشبيه أيضا قول الغماري :

وَيَغِيْمُ الْفِكْرُ فِي شَطِّ الْأَغَانِي الْمِلْحِ

يَنْقَضُ شِرَاعُ

عَمَدَتُهُ شَهْوَةُ اللَّيْلِ

تَهَاوَى كَالذَّبِيحِ

مِرْقًا تَلْهُو بِهَا رِيحٌ وَرِيحٌ

رَغْبَةً تُوَعِّلُ فِي رَمَزٍ كَسِيحِ

وَطَنًا كَاللَّفْظِ مَعْسُولًا

وَكَا لَمَعْنَى طَرِيحٍ ! (1)

يتضمن هذا التشبيه تلميحا مفاده أنّ الوطن فُزِمَ فقد تحوّل عند هؤلاء إلى أقوال يعضغونها كاللفظ المعسول ، فهم يتغنّون بمحبّته والدفاع عنه ولكنّه في الحقيقة مثله مثل المعاني المطروحة في الطريق - على رأي الجاحظ .

فالمعنى الضمني لهذا التشبيه هو ذم أولئك الذين يتغنّون بالأوطان لكن في حقيقة أمرهم يعملون على تضييعها .

د- التعريض :

من الآليات البلاغية للاستراتيجية التلميحية التعريض . والتعريض في اللغة ضد التصريح . من المعاني اللغوية التي جاء ابن منظور للتعريض : (2)

- المعارض من الكلام : ما عرّض به ولم يُصرّح .

- التعريض خلاف التصريح . قال الأصمعي : يُقال عرّض لي فلان تعريضا إذا رخرح بالشيء ولم يبيّن .

- والمعارض التورية بالشيء عن الشيء . يُقال : عرّض الكاتب إذا كتب ولم يبيّن الحروف ولم يُقوّم الخط ؛ وأنشد الأصمعي للشماخ :

كَمَا حَطَّ عِبْرَانِيَّةً بِيَمِينِهِ بِتَيْمَاءَ ، حَبْرٌ ثُمَّ عَرَّضَ أَسْطُرَ

- والتعريض في خطبة النساء في عدّتها : أن يتكلم بكلام يشبه خطبتها ولا يصرّح به .

وإلى هذا المعنى يذهب ابن الأثير ، فيقول : " وإنما سُمّي التعريض تعريضا لأن المعنى فيه يُفهم من عُرضه : أي من جانبه ، وعُرض كلّ شيء : جانبه " . (3)

والتعريض - كأسلوب في الكلام - عُرف عند القدماء أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي والفرّاء

1 - الديوان ، ص 135 .

2 - ينظر : لسان العرب ، مادة (عرض) ، ج 9 ، ص 149 .

3 - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ج 2 ، ص 198 .

والجاحظ وابن قتيبة والمبرد والثعالبي وابن رشيق⁽¹⁾ أما الجرجاني فلم يلتفت إلى التعريض في كتابة الأول (أسرار البلاغة) وإنما ذكره في الثاني (دلائل الإعجاز) مقرونا بالكناية جاعلا إياه مرادفا لها ومساويا إذ يقول : " قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح والتعريض أوقع من التصريح ".⁽²⁾ والإفصاح في قول الجرجاني مرادف للتصريح في السياق الذي ورد فيه .

ويقول في موضع آخر : " هذا فن من القول دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، وهو أننا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بأن يذهبوا بها مذهب الكناية والتعريض ... ".⁽³⁾ كما يقول : " ومما هو إثبات للصفة على طريق الكناية والتعريض قولهم : المجد في ثوبيه ، والكرم في برديه ... ".⁽⁴⁾ ويقول أيضا : " كذلك إثباتك الصفة للشيء تبثها له إذا لم نقله إلى السامع صريحا ، وجئت إليه من جانب التعريض والكناية ، والرمز والإشارة ، كان له من الفضل والمزية ، ومن الحسن والرونق ، ما لا يقل قليله ، ولا يُجهل موضع الفضيلة فيه ".⁽⁵⁾

وواضح مما تقدم أن عبد القاهر الجرجاني يثبت مفهوم التصريح ضدا لمفهوم التعريض والكناية والرمز والإشارة على السواء . وعليه ، فهي عناصر متساوية لا تفاوت بينها .

أما الزمخشري فقد فرّق بين الكناية والتعريض بعد تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ [البقرة - 235] فيقول : " فإن قلت : أي فرق بين الكناية والتعريض ؟ قلت : الكناية : أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له ،

1 - للمزيد من التوضيح ينظر : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم ، ترتيب وتحقيق : عبد الحميد هندأوي ، منشورات علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2003 ، ج 3 ، ص 133 . والفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) ، معاني القرآن ، عالم الكتب ، بيروت ، ط 3 ، 1983 ، ج 2 ، ص 362 . والجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ، البيان والتبيين ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 7 ، 1998 ج 1 ، ص 117 . وابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري) ، تأويل مشكل القرآن ، شرح ونشر : السيد أحمد صقر ، دار التراث ، القاهرة ، ط 2 ، 1973 ، ص 263 . وابن قتيبة ، عيون الأخبار ، شرح وضبط وتعليق : يوسف علي طویل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1986 ، ج 2 ، ص 214 . والثعالبي (أبو منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري) ، الكناية والتعريض ، دراسة وشرح وتحقيق : عائشة حسين فريد ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1998 ، ص 167 . ابن رشيق (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي) ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، ط 5 ، 1981 ، ج 1 ، ص 303 .

2 - دلائل الإعجاز ، ص 82 .

3 - المصدر نفسه ، ص 283 .

4 - المصدر نفسه ، ص 286 .

5 - المصدر نفسه ، ص 283 .

كقولك : طويل النجاد والحمايل ، لطويل القامة ، وكثير الرماد للمضياف ، والتعريض : أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره ، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه : جئتك لأسلم ، ولأنظر إلى وجهك الكريم".⁽¹⁾

أمّا عند المحدثين ، فلم ترد أقوالهم متطابقة ، بل اختلفت من باحث إلى آخر ، فهناك من اكتفى بالإشارة إلى الظاهرة من خلال الإشارة إلى اختلاف القدماء حول مفهوم الكناية وتداخله مع مفهوم التعريض ، ثم ذهب إلى تأييد الرأي القائل بالفصل بينهما.⁽²⁾ وهناك من اكتفى بعرض ما ذكره الثعالبي في هذا الباب ، مدرجا التعريض ضمن أقسام الكناية الأربعة ، وهي : التعريض والتلويح والإيماء والرمز.⁽³⁾

ويُعرّف التعريض بأنه " معنى يُفهم من عرض الكلام وجانبه ، وسياقاته وقرائن أحواله فالتلازم بين المعنى التعريضي والمعنى الحقيقي للألفاظ يرجع إلى المواقف الخاصة التي يُقال فيها الكلام".⁽⁴⁾ فالمعنى التعريضي يعتمد على السياق لا على معاني الألفاظ إذ " أن دلالة التعريض سياقية ، وأنها من متبعات التراكيب وتفهم منها دون أن يكون للفظ دلالة عليها".⁽⁵⁾

يرتبط التعريض بمقاصد المتكلم وورغبته في التعبير غير المباشر إذ أنّ خفاء الدلالة في التعريض " هو قصد مقصود للمتكلم"⁽⁶⁾ ، فهو من الآليات الاستراتيجية التلميحية المستعملة عند العرب بكثرة في خطاباتهم ، إذ اعتُبر من علامات الكفاءة التداولية عند المرسل ، ودليلاً على النبوغ الخطابي ، ويُستعمل لغايات معيّنة ومقاصد متنوعة ومراعاة لما يتطلبه السياق.⁽⁷⁾

1 - الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر) ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل ، تحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط 1 ، 1998 ، ج 1 ، ص 459 .

2 - ينظر : فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفانها ، علم البيان والبديع ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 9 ، 2004 ، ص 259 .

3 - ينظر : بكري شيخ أمين ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 5 ، 1995 ، ج 2 ، ص 149 وما بعدها .

4 - بسيوني عبد الفتاح ، علم البيان ، ص 239 .

5 - محمد عبد الله الخولي ، التعريض في القرآن الكريم ، دار البصائر ، القاهرة ، ط 1 ، 2004 ، ص 69 .

6 - المرجع نفسه ، ص 24 .

7 - ينظر : بوقرومة حكيمة ، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم ، مجلة تحليل الخطاب ، العدد 3 ، 2008 ، ص 22 .

والفرق بين الكناية والتعريض أنّ " التعريض لا يأتي إلا في التركيب ، ولا يمكن أن يدل عليه اللفظ المفرد ، وذلك لاحتياجه في الدلالة عليه إلى اللفظ المركب ، أما الكناية فتأتي في المفرد والمركب " (1).

يعتمد التعبير الكنائي على المعنى الحرفي كدليل عليه في حين يعتمد التعريض في تحديد معناه على السياق لا ألفاظ التركيب ، فالمقاصد في التعريض هي مقاصد غير مباشرة تعتمد على المعاني الضمنية التي تستنتج من الكلام الظاهر المذكور .

من أمثلة التعريض في الديوان قول الغماري :

الدِّينُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ

وَلَيْسَ فِي الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ !

أَخَافُ أَنَّ بَيْنَكُمْ جُيُوبًا تُشِيعُ فِي صَفَائِكُمْ عُيُونًا !

تَفْتَعِلُ الصَّرَاعَ وَالْجِدَالَ

وَتَزْرَعُ السُّمُومَ وَالْوَبَالَ (2)

يعيب الشاعر بطريقة غير مباشرة على قومه أنّ بينهم من يفتعل الصراع ويزرع السموم بين أبناء شعبه ، فالمقصد الضمني من هذا التعريض هو التحذير من صنيع هذه الفئة التي تعمل على زرع الفتنة والاضطراب بين فئات المجتمع .

ومن أمثلة التعريض قول الشاعر :

مُتَخَايِلُونَ كَمَا يَشَاءُ خَيَالُهُمْ

مُتَسَكِّعُونَ حُطَامَ فِكْرٍ أَحْمَرٍ ! !

" مُتَأَشْرِكُونَ " عَلَى السَّمَاعِ . وَإِنَّهُمْ

فِكْرٌ عَلَى الْجِنْسِ الرَّخِيسِ تَكْسِرًا ! (3)

1 - بسيوني عبد الفتاح ، علم البيان ، ص 139 - 140 .

2 - الديوان ، ص 111 - 112 .

3 - الديوان ، ص 144 .

التعريض الوارد في الأسطر الشعرية يتضمن تلميحاً مفاده تصوير مدى ضلال هؤلاء الذين أرادوا التشريع لهذه الأمة بغير دينها ، فهم ينهجون لها نهجاً من نسج خيالهم متطفلون على أفكار غيرهم ، شيوعية وغيرها ، فهم عبيد لأفكارهم وشهواتهم الرخيصة التي تهوي في مهاوي الشر .

ومن أمثلة التعريض أيضاً قول الغماري :

وَسَاكِبًا فِي غُنَاءِ الدَّرْبِ ثَوْرَتَهُ

وَقَارِئًا فِي عُيُونِ الوَهْمِ لِيَلَاهُ

" أَطْرُقُ كَرَى " يَا زُكَّامًا فِي مَسَافَتِنَا

مَا أَنْتَ " نَيْرُونُ " فِي الدُّنْيَا وَلَا " الشَّاهُ " !

ارْبَعٌ .. بِأَيِّ كِتَابٍ جِئْتَ مُتَحَكِّمًا

وَأَيِّ عَهْدٍ تَجَلَّتْ مِنْكَ دَعْوَاهُ ! ! (1)

يتمثل التعريض في هذا الشاهد في قول الغماري (اربع بأيّ كتاب جئت متحكماً وأيّ عهد تجلّت منك دعواه ! !) ، والمقصد الضمني منه هو التحقير للذي تشامخ على أبناء جلدته وتناول ظناً منه أنّه فاقهم وتجاوزهم وأتى له هذا .

هـ - السخرية :

تعدّ السخرية آلية من آليات الاستراتيجية التلميحية ، ويظهر بعدها التلميح في تجاوزها للمعنى الظاهري ، أي الضحك ، إلى مقاصد ضمنية تُفهم من السياق .

وبالعودة إلى المعاجم العربية ، وتتبع المعنى اللغوي لكلمة " سخرية " فإنه يستدعي الموقف الأخلاقي . جاء في لسان العرب : سَخِرَ مِنْهُ وَبِهِ سَخْرًا وَسَخْرًا وَمَسَخَرًا وَسُخْرًا ، بالضم وسُخْرَةٌ وَسُخْرِيًّا وَسُخْرِيًّا وَسُخْرِيَّةٌ : هزئ به .. قال تعالى : ﴿ لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ﴾ وقال : ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ وقال : ﴿ إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ ﴾ وقال : ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي ﴾ فهو سُخْرِيًّا وَسُخْرِيًّا . قال أبو زيد : سَخْرِيًّا مِنْ سَخِرَ

إذا استهزأ . والذي في الزخرف : ﴿ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا ﴾ أي عبدا وإماءً . وقال : خادم
سخرة ، ورجل سخرة أيضا يُسَخَّر منه .⁽¹⁾

ووفق المنظور الديني ، فالسخرية رديف للهزء والضحك من الناس ، فهي أمر منهى عنه باعتبارها
استعلاءً وتسلطا وإذلالا .

جاء في تعريف ابن منظور للهزء : الهزءُ والهزءُ : السخرية . هَزَيْتُ بِهِ وَمِنْهُ وَتَهَزَّأْتُ وَأَسْتَهْزَأُ بِهِ : سَخِرَ .
قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ .⁽²⁾

يختلط مفهوم السخرية بمفاهيم أخرى كالتهكم والمزل والطرفة والفكاهة . وهذا الخلط في مفهوم
السخرية نجده حتى في الثقافة الغربية يقول د.س.ميوك : " لأسباب مختلفة ، بقي مفهوم السخرية
مفهوما غير مستقر ، مطاوعا وغامضا ، فهو لا يعني اليوم ما كان يعنيه في القرون السابقة ، ولا يعني
نفس الشيء من بلد إلى آخر ، وهو في الشارع غيره في المكتبة ، وغيره عند المؤرخ والناقد الأدبي .
فيمكن أن يتفق ناقدان أدبيان اتفقا كاملا في تقديرهما للعمل الأدبي ، غير أن أحدهما قد يدعوه
عملا ساخرا ، في حين يدعوه الثاني عملا هجائيا Satirique أو هزليا Comique أو فكاهيا
Humoristique أو مفارقا Paradoxale أو غامضا Ambigue " .⁽³⁾

يتضح من خلال هذا أنّ مفهوم السخرية لم يحظَ بعناية الدارسين مثلما حظيت به موضوعات
أخرى كالاستعارة والكناية والمجاز .

تجمع السخرية بين الخاصية الدلالية والخاصية التداولية :⁽⁴⁾

- **المكون الدلالي** : تستند السخرية إلى ثنائية المعنى داخل نفس المتوالية الكلامية ؛ حيث
العلاقة بين المعنى الحرفي الظاهر والمعنى المشتق المضمّر علاقة تضاد وتعارض . فالمفارقة
والالتباس وازدواجية المعنى هي سمات مميزة للسخرية ، فحينما يتلفظ المخاطب بـ (س) فهو
يريد أن يسمعنا غير (س) ، وإذا كانت الاستعارة تقوم على المشابهة بين الطرفين ،
فالسخرية تقوم على التضاد بينهما .

1 - ينظر : لسان العرب ، مادة (سخر) ، ج 6 ، ص 202 - 203 .

2 - المصدر نفسه ، مادة (هزأ) ، ج 15 ، ص 84 .

3 - سميرة الكنوسي ، بلاغة السخرية في المثل الشعبي المغربي :

4 - ينظر : المرجع نفسه .

- المكون التداولي : يستلزم حضور القصدية . وتذهب الباحثة إلى أنّ " أريكشيوني " ترى أن غالبية الملفوظات المعتبرة ساخرة لا تحتوي أيّ تعارض دلالي ، ، ولا حتى أيّ مسافة دلالية ، إنها فقط هازئة . فأنت تسخر ، حسب كيربر أريكشيوني ، معناه أن تتهكم وتهزأ وتفضح وترمي هدفا . ومن ثمّ فالخطاظة العاملية للسخرية تشمل بالضرورة المرسل والمرسل إليه والعامل الهدف *actant cible* .

وتقترح " أريكشيوني " تعريفا للسخرية يستند إلى التعارض الدلالي والحضور المسبق للقصدية بقولها : إنها تعارض بين ما يقوله (س) ويريد إسماعه . فالسخرية هي تقاطع بنية ضدية مع انفعال هازئ . وترى أريكشيوني أنّ المكون الثاني (انفعال هازئ) هو المهيم قياسا إلى الأول ، تقول : " إنّ القيمة التداولية لمتواليّة ما أكثر من قيمتها الدلالية هي التي تجعلنا نحس أنها ساخرة ، فأنت تسخر معناه أساسا أنّ تستهزئ أكثر من أن تتكلم بالتضاد .⁽¹⁾

إذن ، إذا انطلقنا في قراءة السخرية من البعد التداولي ، ينبغي أن نستند في ذلك إلى ما هو أبعد من النص ، إذ يستوجب الاستعانة بالسياق لتمكين من تحديد المقصود من القول الساخر . تقول " هيتشون Hutcheon " : " الشيء الذي يتفق حوله المنظرون للسخرية هو وجوب قراءة النص الساخر خارج النص ذاته ، نحو تفكيك القصد التقديري لسخرية المخاطب " .⁽²⁾

فالسخرية مرتبطة أولا بالمخاطب وبالمتلقي ثانيا ، وثالثا بما يحيط بالمخاطب من ظروف وملابسات متبلورة في السياق خارج لساني . " إنّ السياق اللغوي والسياق غير اللغوي هما اللذان يسمحان بإدراك المفارقة " .⁽³⁾

والسخرية مفارقة ، وإنّ المستهدف من السخرية غير المعطى من ظاهر الكلام لذلك " يمكن اعتبارها تناقضا فنيا يجمع بنية جمالية ببنية ضمنية يفرضها الواقع ومنطق العلاقات الإنسانية " .⁽⁴⁾

1 - ينظر : المرجع نفسه .

2 - Hutcheon , Linda , « Ironie , Satire , Parodie » , une approche pragmatique de l'ironie , Poétique : Revue de Théorie et d'Analyse Littéraires , n° 46 , Editions du Seuil , 1981 , p 141 .

3 - Groupe u , Rhétorique générale , éditions du seuil . Paris 1982 , p 139 .

4 - جبار نجاة ، السخرية بين الفعل والفاعلية في قصيدة الحروب الصليبية للشاعر تميم البرغوثي ، مجلة النقد والدراسات الأدبية واللغوية ، كلية الآداب واللغات والفنون ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة سيدي بالعباس ، الجزائر ، العدد 3 ، ماي 2015 ، ص 386 .

وقد قدّمت نبيلة إبراهيم تعريفا للمفارقة باعتبارها مرادفة للسخرية فتقول : " ... كانت الكلمة نفسها تعني عند أرسطو الاستخدام المراءغ للغة ، وهي عنده شكل من أشكال البلاغة ، ويندرج تحتها المدح في صيغة الذم ، والذم في صيغة المدح " .⁽¹⁾

فالقاسم المشترك بين السخرية والمفارقة هو الاستعمال المراءغ للغة من خلال التلاعب بدلالات الألفاظ وإعطائها معانٍ غير متوقعة ، ويسمي ميخائيل باختين هذا الوجه بالمحاكاة الساخرة حيث يقصد المتكلم نقيض الدلالة التي يقولها في الظاهر ، وبذلك تتحول صيغ المدح إلى صيغ بغرض الذم لا المدح .⁽²⁾

من هذا المنطلق تظهر الأبعاد التلميحية للسخرية في تجاوزها للمعنى الظاهري ، إلى مقاصد ضمنية تفهم من السياق ، فاختيار الغماري لهذه الاستراتيجية لم يأت من فراغ بل يرتبط بمقاصد ، من ذلك قوله :

.....

النَّارُ تَلْتَهُمُ الْمَسَاجِدَ وَالْمَصَاحِفَ يَا رُقُودُ !

يَا مَنْ بِأَسْوَاقِ الْبَطَاطَا بَعْتُمْ شَرَفَ الْعُهُودِ

شَرَفٌ بِهَامِ الشَّمْسِ يَا أَمْشَاجُ مُوتِي ، يَا لُحُودُ !!

شَرَفٌ مِنَ الْأُورَاسِ يَنْدَى بِالْجِرَاحِ وَبِالْخُلُودِ⁽³⁾

يُعاتب الغماري الحُكَّام العرب الذين غفلوا عن صَوْن المصاحف والمساجد والعهود . نقف على السخرية في قوله : " يَا مَنْ بِأَسْوَاقِ الْبَطَاطَا بَعْتُمْ شَرَفَ الْعُهُودِ " فقد وظف الشاعر عبارة (سوق البطاطا) ولم يقصد منها ظاهر معناها ، وإنما مقصده ضمني ليعزز رخص ما أقدم عليه هؤلاء الذين استكانوا للذل ورضوا الهوان .

ويقول في موضع آخر :

1 - فن القص في النظرية والتطبيق ، سلسلة الدراسات النقدية 1 ، دار قباء للطباعة ، ص 197 .
2 - ينظر : ميخائيل باختين ، الكلمة في الرواية ، تر : يوسف حلاق ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ط 1 ، 1988 ، ص 150 .
3 - الديوان ، ص 81 .

وَالْقُدْسُ .. يَا لَجَبِينِ الْقُدْسِ مُنْعَفِرًا
وَالْقَادَةَ السُّمْرُ كَمْ غُنُّوا وَكَمْ طَرَبُوا !!
تَأَنَّقَ السَّلْمِ حَتَّى صَارَ مَفْخَرَةً
وَفُلْسَفَ الْجُبْنِ حَتَّى أُحْمِدَ الْهَرَبُ!⁽¹⁾

يذم الشاعر الحكّام العرب الذين ضيّعوا القضية الفلسطينية وتاجروا بها ، وبدلا من أن يدافعوا عنها لجأوا إلى طريق أيسر هو طريق السلم والاستسلام ، وقد تفاخروا بذلك ، وعدّوا عملهم هذا إنجازا ، وهم بذلك أضروا القضية أكثر مما نفعوها . فالسطر " تَأَنَّقَ السَّلْمِ حَتَّى صَارَ مَفْخَرَةً " في ظاهره مفخرة لأولئك الذين اتبعوا طريق المفاوضات ؛ لكن المقصد الضمني منه هو الذم .

ينتقد الغماري الحكّام العرب فيقول :

.....

تَبَارَكَ " الْجِنْسُ " رَبًّا فِي مَسَافَتِهِمْ !
إِذِ الْعَقِيدَةُ فِي أَفْكَارِهِمْ رَهَقُ!⁽²⁾

فالشاعر يبارك " الجنس " ويُعلي من قيمته في أفكار هؤلاء الحكّام الذين لا همّ لهم غير إشباع رغباتهم ، هذا في ظاهر القول ، أمّا من حيث المقصد الضمني فهو يذمهم ويسخر منهم لضعفهم ولقصر أنظارهم .

1 - الديوان ، ص 124 .

2 - الديوان ، ص 157 .

الفصل الرابع

القصدية في الخطاب
الشعري

توطئة :

يقوم الخطاب على جملة من العناصر الأساسية تتمثل في المرسل ، الذي يُعدّ طرف الخطاب الأول ، والذي لا يكون الخطاب إلا به ، والمرسل إليه الذي يُوجه إليه المرسل خطابه ليُعبّر له عن مقاصده وأغراضه التي يُريد تحقيقها ، ثم السياق ، وهو مجموع العناصر (كالعلاقة بين المرسل والمرسل إليه والزمان والمكان ...) التي تتضافر فيما بينها لِتُمكن المرسل إليه من الوصول إلى غرض المرسل ، " فالخطاب ، هو ثمرة اجتماع العناصر الثلاثة السابقة " (1).

تتمثل وظيفة اللغة في " تحقيق التفاعل والانسجام بين عناصر الخطاب بما يخدم السياق " (2) ما جعل بعض التداولين يعتبرون القصد قاسما بين كلّ من المتكلم والمتلقي ، رافضين بذلك الاهتمام بالمتكلم وحده باعتباره يمتلك سلطة عُليا حيث يُوجه للمخاطب مجموعة من الأوامر لتنفيذها بطريقة آلية (3).

وتُعدّ المقاصد من أهم العوامل التي تؤثر في استعمال اللغة وتأويلها سواء كانت هذه المقاصد مباشرة ظاهرة أم ضمنية غير مباشرة (4).

ويرى " محمد مفتاح " أنه " لم تخلُ كتابة من الإشارة إلى القصد والقصدية والمقصدية ، ومما يفيد هذا المعنى ؛ فالباحثون جميعهم يجعلون المميز الأساسي بين لغة الإنسان وغيره هي المقصدية ، ولكن هناك مَنْ قصرها على ما ورد فيه جذرها صراحة أو ضمنا (باريت Parret) ، ومنهم مَنْ جعلها مسبقا (كريمة Greimas) ، كما أن منهم مَنْ جعلها ميكانيكية موجهة (أوستين Austin) ، وكرايس Grice ، وسيرل Searle) . بيد أنها لا تقتصر على المتكلم ، ولكنها تشمل المخاطب أيضا ، ولهذا ، فقد تتفق المقصديتان ، درجات من الاتفاق ، وقد تختلفان درجات من الاختلاف (نظرية التلقي) ، مما أدى إلى طرح إشكالياتها الفلسفية والمنهجية ، باعتبار أنها غالبا لا تكون ظاهرة في النص ، وإنما يُفترض أنها تكمن خلفه . لذلك بذلت محاولات لصورتها (بتيطو وأبوسطل) للخروج بها من ميدان علم النفس إلى مجال اللسانيات . إنها - مهما اختلفت وجهات

1 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، المقدمة ، ص 6 - vi .

2 - يونسى فضيلة ، مفهوم المقاصد وعلاقتها بالخطاب تناول تداولي للخطاب الثوري ، مجلة الخطاب ، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر ، العدد 6 ، جانفي 2010 ، ص 283 .

3 - ينظر : جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب ، ص 26 .

4 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 160 .

النظر في كيفية تناولها - مجمع على وجودها . لأنها تكسب الكلام دينامية وحركة ، بل هي منطلق الدينامية " .⁽¹⁾

مفهوم القصد :

تعددت مفاهيم القصد في مختلف الدراسات النظرية ، فهو مفهوم واسع يتقاطع مع التداولية التي تسعى لتحقيق الدلالة في أقصى معانيها كالغاية والهدف ، وهو ما يقترّب من المفهوم اللغوي للقصد الذي يعني النية والعزم والتوجه إلى تحقيق الفعل وإيجاده .⁽²⁾

والقصدية في الاستعمال اللغوي - عند مسعود صحراوي - تترجم بمعنى الغاية أو الغرض الذي يسعى المتكلم أو المخاطب تحقيقها من الخطاب في الوظيفة التواصلية الحامل بها للمتلقي .⁽³⁾

أما فلسفياً ، فالمقصدية هي " الإرادة المتوجهة نحو الفعل ، وهو تلك السمة للحالات العقلية التي تتعلق بموضوعات فعلية خارج ذاتها ، مع نية وتوجه حاضرين مرتبطين بالفعل " .⁽⁴⁾ فعلاقة الذات مع العالم أو الواقع الخارجي باتجاه موضوع ما هو الذي يُطلق عليه القصدية .⁽⁵⁾

تُعتبر أبحاث " أوستين وسيرل " من أهم الأبحاث في علم الدلالة الحديث فيما يتعلق بالمقصدية ، في ضوء نظرية أفعال الكلام التي تنضوي ضمن إطار فلسفة اللغة . ف " أوستين " عندما ألقى محاضراته لم يكن يُفكر في تأسيس اختصاص فرعي في اللسانيات ، وإنما كان هدفه تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة اللغة .⁽⁶⁾

أمّا تلميذه " جون سيرل " فقد واصل البحث بأن أعاد تناول نظرية " أوستين " وطرحها في بعدين من أبعادها الرئيسية هما : المقاصد والمواضعات " .⁽⁷⁾

1 - محمد مفتاح ، دينامية النص تنظير وإيجاز ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 3 ، 2006 ، ص 38 - 39 .

2 - ابن منظور ، لسان العرب ، تصحيح : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 3 ، 199 ، مادة (ق ص د) ، ج 11 ، ص 179 وما بعدها .

3 - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 247 .

4 - هشام محمد مصطفى ، القصدية الإنجازية في مضمون الخطاب النحوي في كتاب سيبويه ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، المجلد 11 ، العدد 3 ، الموصل ، ص 222 .

5- ينظر: جون سيرل ، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي ، تر : سعيد الغانمي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، المركز الثقافي العربي ، لبنان ، ط 1 ، 2006 ، ص 128 .

6 - ينظر : التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص 29 .

7 - المرجع نفسه ، ص 33 .

يصف " سيرل " القصدية بأنها " هي سمة العقل ، التي تُوجه بها الحالات العقلية أو تتعلق بها حالات عقلية تشير إليها أو تهدف نحوها في العالم ، وما يُميّز هذه السمة أنّ الشيء لا يحتاج أن يُوجد فعليا ، لكي تمثله حالتنا الشعورية ، هكذا يُمكن للطفل أن يعتقد أنّ سانتاكلوز سيأتي بالهدايا مساء عيد الميلاد وإن كان سانتاكلوز لا يُوجد " .⁽¹⁾

وتأتي القصدية على مستويات ثلاثة ، هي :⁽²⁾

- ما هو خاص بقصد توليد المنطوق ، أي القصد الحاصل في بناء الخطاب وتأليفه .

- ما هو خاص بقصد إشباع المنطوق ، وهو قصد المعنى ، أي تحقيق استجابة غائية للخطاب .

- قصد الاتصال ، والغاية منه .

وفي هذا يشير " جون سيرل " إلى ضرورة عدم الخلط بين القصدتين الأخيرين ، أي بين قصد المعنى وقصد الاتصال ، فيقول : " ولا يجب خلط قصد المتكلم المحمّل بالمعنى والفائدة في الكلمات بقصد توصيل ذلك المعنى للمستمع . في العادة تتمثل نقطة التكلم بأسرها في الاتصال بالمستمع ، بيد أنّ قصد الاتصال لا يتماهى بقصد المعنى ، أي القصد الذي يجب أن ينطوي فيه المنطوق على شروط الصدق وشروط إشباع أخرى " .⁽³⁾

ويترتب على هذه القاعدة أمران أساسيان " أحدهما ، وصل المستوى التبليغي بالمستوى التهذيبي للمخاطبة ؛ والآخر ، إمكان الخروج عن الدلالة الظاهرة للقول " .⁽⁴⁾ ونعني بالخروج عن الدلالة الظاهرة للقول : المقاصد الضمنية أو الكامنة .

ويرى " طه عبد الرحمن " أنّ حقيقة القصد كامنة في كونه ينبني على قصدتين اثنتين : " أحدهما يتعلق بالتوجه إلى الغير ، والثاني يتصل بإفهام هذا الغير . أمّا القصد الأول ، فمقتضاه أنّ المنطوق به لا يكون كلاما حقا حتى تصل من الناطق إرادة توجيهه إلى غيره ؛ وما لم تحصل منه هذه الإرادة ،

1 - جون سيرل ، العقل واللغة والمجتمع ، ص 102 .

2 - هيثم محمد مصطفى ، القصدية الإنجازية في مضمون الخطاب النحوي في كتاب سيبويه ، ص 224 .

3 - جون سيرل ، العقل واللغة والمجتمع ، ص 211 - 212 .

4 - طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1998 ، ص 250 .

فلا يُمكن أن يُعدّ متكلما حقا [...] وأما المقصد الثاني ، فلا يكون المنطوق به كلاما حتى تحصل من الناطق إرادة إفهام الغير ، وما لم تحصل منه هذه الإرادة ، فلا يُمكن أن يُعدّ متكلما حقا حتى ولو صادف ما لفظ به فهما ممن التقطه ، لأن الملتقط لا يكون مستمعا حقا حتى يكون قد أفهم ما فهم [...] وإذا تقرر أنّ كلّ منطوق به يتوقف وصفه بالكلام على أن يقترب بقصد مزدوج يتمثل في تحصيل الناطق لقصده التوجه بمنطوقه إلى الغير ولقصده إفهامه بهذا المنطوق معنى ما ، فأعترف أنّ المنطوق به الذي يصلح أن يكون كلاما هو الذي ينهض بتمام المقتضيات التواصلية الواجبة في حق ما يُسمّى خطابا ⁽¹⁾. فلما كان الخطاب هو عملية تتم بين مرسل ومتلقٍ فهناك من رأى ضرورة حصول قصد المرسل في الخطاب بمفهوم الإرادة الذي تبني عليه عملية الفهم والإفهام .

ويُخدّ " محمد مفتاح " المقصدية في أنّها " كلّ جملة لغوية (أو نص) وراءها مقصد أولي تتجلى في بعض الحالات مثل الاعتقاد والخوف والتمني والرغبة والحب والكراهية ، وثانوية هو ما يعرفه المتلقي من مقاصد المتكلم والحالات التي وراءها " ⁽²⁾. وعليه ، فالمقصدية تعني ما يكون محركا للمنتج من معتقدات وظنون وأوهام لإنجاز كلامه سواء أكانت مشعورا بها ، أم غير مشعور ⁽³⁾.

أمّا " عبد الهادي بن ظافر الشهري " فقد اعتمد في تحديد مفهوم القصد على المفاهيم العامة للخطاب ، وهي : ⁽⁴⁾ المعيار الاجتماعي ، وهو معيار العلاقات التخاطبية الدال على الإرادة ، والمعيار اللغوي ، وهو معيار شكل لغة الخطاب الدال على المعنى ، ومعيار هدف الخطاب ، الدال على الهدف والغاية من الخطاب .

وعليه ، فالقصد يدل على واحد من المعاني الثلاثة الآتية : ⁽⁵⁾

- 1 - اللسان والميزان ، ص 214 - 215 .
 - 2 - محمد مفتاح ، دينامية النص ، ص 50 .
 - 3 - المرجع نفسه ، ص 82 .
 - 4 - استراتيجيات الخطاب ، المقدمة ، ص vii .
 - 5 - المرجع نفسه ، ص 189 وما بعدها . وينظر : نادية رمضان النجار ، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي ، ص 142 وما بعدها .
- * هذا ما يجعل " اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لساني فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كلّ أمة بحسب اصطلاحاتهم . وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد " . ينظر : عبد الرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ضبط وشرح وتقديم : محمد الاسكندراني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 2005 ، ص 501 .

1- القصد بمفهوم الإرادة :

يؤثر القصد بمعنى إرادة فعل الشيء في الحكم على الفعل نفسه ، فتصبح الأفعال تابعة للمقاصد الباطنة لدى فاعلها ، لا تابعة لشكلها الظاهري فقط ، ومثال ذلك بعض الأفعال المتعلقة بالصداق ، فعندما ينوي المتزوج أن يدفع الصداق إلى المرأة ، فإنه يأخذ حكم الزواج ، أما عند ورود النية بعدم الوفاء به (الزواج) فإنه يتصف بحكم آخر .

وإذا كان الأمر كذلك ، فإن قصد المرسل باعتباره إرادة لِيؤثر في خطابه بدرجة أقوى ، خاصة في إنجاز الفعل اللغوي ، لاعتماده على توفر الإرادة من عدمها .(*)

فالبحث في كيفية الوقوف على مراد المتكلم يتأثر بثلاثة أشياء ، هي :⁽¹⁾

- الألفاظ وما تحمله من دلالات ، إذ الألفاظ قد تحمل أكثر من دلالة ، وقد يعتورها احتمالات تؤدي إلى الخلل في مفهوم مراد المتكلم .

- المتكلم نفسه ، فمعرفة مدى صدق المتكلم ورغبته في توصيل مراده إلى المخاطب ، وعادته في كلامه والطرق التي يسلكها في توصيل مراده ، كلّ ذلك يؤثر في الوقوف على مراده .

- المتلقي ، فقدرات المتلقين على فهم مراد المتكلم تختلف اختلافا كبيرا ، وذلك راجع للتفاوت في الأذهان ، والتفاوت في تحصيل الوسائل التي تُعين على معرفة مراد المتكلم ، والتي لا تتوقف على الألفاظ وحدها . لذلك " يطمح المخاطب إلى أن يكون كلامه مفهوما ودالا يحسن السكوت عليه مراعيًا في ذلك تفاوت درجات المخاطبين في الأفهام "⁽²⁾ .
فحاجة اللغة إلى بيان وإفهام لا تعود إلى المخاطب فحسب " بل إلى قدرة المتلقي على تفكيك رسالة الخطاب "⁽³⁾ .

وعليه ، فإنّ القصدية ترتبط بالطرف المستمع ، لا بوصفه طرفا منتجا أساسيا ، بل لكونه معتبرا في العملية التواصلية " لأننا إذ نتكلم ، لا ننظر إلى الآخرين باعتبارهم طرفا مستهلكا سلبيا ، بل

1 - نادية رمضان النجار ، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي ، ص 143 .
2 - نعمان بوقرة ، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية ، مجلة اللغة والأدب ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الجزائر ، العدد 17 ، جانفي 2006 ، ص 193 .
3 - منقور عبد الجليل ، النص والتأويل ، دراسة دلالية في الفكر المعرفي التراثي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010 ، ص 43 .

طرفا فاعلا ، كما أننا إذُ نفعل ذلك فإنما نتكلم عبرهم ومن خلالهم [...] باعتبار التكلم إنتاجا للدلالة " (1) لذلك عدّ عبد السلام المسدي الكلام هو القول المفيد بالقصد . (2)

2- القصد بمعنى المتكلم :

لا يتجسد القصد إلا باللغة ، فقد جعلت دليلا عليه ، لأنّ " الله عزّ وجلّ ربّ الأحكام على الإرادات والمقاصد بواسطة الألفاظ الدالة عليها ، ولم يُرتّب تلك الأحكام على مجرد ما في النفوس من غير دلالة فعل أو قول ، ولا على مجرد ألفاظ لم يقصد المتكلم معانيها " (3)

هذا ما يتوافق مع ما ورد في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني عندما يتحدث عن إلحاق الألفاظ للمعاني وربطها بمقاصد المستعملين ، فهو يذكر القصدية عند المتكلم تحت مصطلح " معاني النفس " (4) الذي له الدور الحاسم في الترتيب والرصف ، إذ يقول : " ... أم لا يُعقل إلا أن تقول : صلحت ههنا لأن معناها كذا ، ولدالاتها على كذا ، ولأن معنى الكلام والغرض فيه يوجب كذا ، ولأنّ معنى ما قبلها يقتضي معناها ؟ " (5)

فالشكل الخطابي وحده ليس كافيا للدلالة على قصد المرسل في فعل لغوي معيّن ؛ مما نتج علاقة بين شكل الخطاب والقصد ، وبالتالي ، لا يُمكن معرفة قصد المتكلم بمعزل عن السياق . فإنجاز الأفعال يتوقف على الاستخدام ، وبالتالي يصبح " معنى الملفوظات هو القيمة ، التي يكتسبها تركيب الخطاب في سياق التلفظ ، أي أنّ المعنى كقيمة للملفوظ لا تتحكم فيه اللغة ، بقدر ما يتحكم فيه مستعملوها " (6)

إنّ كلّ تحليل للخطاب لا بد وأنّ يتأسس على النسق الذي صيغ من خلاله هذا الخطاب لأجل الوقوف على المنظومة المعرفية للعصر الذي تمّ فيه إنتاج هذا الخطاب فـ " لكلّ خطاب منطقته الخاص

1 - نواري سعودي أبو زيد ، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، سطيف ، الجزائر ، ط 1 ، 2009 ، ص 33 .

2 - عبد السلام المسدي ، التفكير اللساني في الحضارة العربية ، الدار العربية للكتاب ، ط 2 ، ص 146 .

3 - ابن القيم الجوزية ، إعلام الموقعين عن ربّ العالمين ، قراءة وتقديم وتعليق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سمحان ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، رجب 1423 هـ ، ج 1 ، ص 216 .

4 - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، موفم للنشر ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر ، 1991 ، ص 65 .

5 - المصدر نفسه ، ص 67 .

6 - استراتيجيات الخطاب ، ص 22 - 23 .

"(1) ومن ثمّ فالوقوف على القواعد المنظمة لنظام الخطاب هو وقوف على "إبستمية اللغة المحيلة على بنية التفكير في عصر من العصور ، والأخذ بطرائق الممارسة الخطابية " (2) يقول ميشال فوكو : " إنّ تحليل الخطابات نفسها يضعها أمام مشهد انحلال عُرى الروابط ، التي تبدو لنا ظاهرياً أنّها جدّ وثيقة بين الكلمات والأشياء ، وأمام ظهور مجموعة من القواعد الخاصة بالممارسة الخطابية " (3).

3- القصد بمعنى هدف الخطاب :

الهدف هو ما يسعى المرسل إلى تحقيقه بأفعاله (4) ، وما هذه الأفعال إلا الأفعال اللغوية التي يُجسدها المرسل في الخطاب . والتوجه لتحقيق الهدف هو ما يجعل من الخطاب فعلاً لغوياً ، فلكل خطاب هدف ، انطلاقاً من أنّ " الهدف هو القوة الدافعة التي تقف خلف التواصل الإنساني ، وبالتالي فالهدف يؤثر في إنتاج الملفوظات كما يؤثر كذلك في تأويلها . وتساعد الأهداف على تحديد علاقة الأفعال بالملفوظ ، فنتلفظ بالتعبيرات التي نعتقد أنّها ذات علاقة بالهدف الذي نريده . والهدف من عناصر السياق التي تسبق إنتاج الخطاب ، وله بذلك دور في التأثير على المرسل وتوجيهه في اختيار الإستراتيجيات الخطابية ؛ من حيث أدوارها وآلياتها اللغوية المناسبة التي تكفل تحقيقه " (5).

ويضيف " محمد مفتاح " بهذا الخصوص ، فيما يتصل من روابط بين أفعال الكلام والمقصدية يقول : فأما " السلوك اللغوي فهو مشتق من المقصدية ، وليس العكس فهي التي تتحكم في الأفعال الكلامية ، وبتحديد أشكالها وخلق إمكانية معناها " (6).

تولي بعض المناهج اللغوية الهدف أهمية بالغة في دراستها ، منها المناهج الوظيفية التي تُعنى بالمعالجة التداولية لأهداف مُستعمل اللغة ، التي يُحققها من خلال أشكال لغوية معيّنة وتفترض ،

- 1 - منقور عبد الجليل ، النص والتأويل ، ص 149 .
- 2 - المرجع نفسه ، ص 149 - 150 . هذا ما ظهر في الفلسفة التحليلية التي غيرت المسار الأساس من المعرفة إلى النص . يقول صلاح إسماعيل عبد الحق : " وإذا كان فلاسفة الوضعية المنطقية قد رأوا أن الوظيفة الأساسية للغة هي التسمية أو الوصف ، ومن ثمّ راحوا يبحثون عن قواعد التطبيق أو قواعد التركيب ، فإنّ فلاسفة أكسفورد قد ذهبوا إلى وجود استعمالات متباينة منوعة للغة ، وبالتالي راحوا يبحثون عن قواعد الاستعمال ؛ أيّ القواعد التي تحكم استعمال هذه العبارة أو تلك تحت الظرف المعين أو ذاك " . ينظر : صلاح إسماعيل عبد الحق ، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، ص 58 .
- 3 - ميشال فوكو ، حفريات المعرفة ، تر : سالم يفوت ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، الدار البيضاء ، المغرب ط 2 ، 1987 ، ص 47 .
- 4 - استراتيجيات الخطاب ، ص 149 .
- 5 - المرجع نفسه ، ص 149 .
- 6 - محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، ص 165 .

بالتالي ، أنّ ما تنجزه الملفوظات من وظائف ، هو تجسيد لتلك الأهداف " (1).

وإلى ذلك يذهب " تمام حسان " إذ يرى بأنّ " اللغة سلاح من أقوى الأسلحة النفسية للسيطرة على الأفكار والأشياء . وما أمر الدعاية بالخطب والإعلانات بالأمر الهين . وفي الانتخابات النيابية والمحاكم غالباً ما يكون الجانب الظاهر أقدر الجانبين على استخدام سلاح اللغة " (2).

فالقصد ، إذن ، يحيل على مبدأ تداولي اشتقه " طه عبد الرحمن " من التراث الإسلامي سمّاه (التصديق) (*) والذي صاغه في " لا تقل لغيرك قولاً لا يُصدقه فعلك " (3) وقد تفرّع من هذا المبدأ (التصديق) مجموعة قواعد أهمها قاعدة القصد ، وهي : " لتتفقد قصدك في كلّ قول تُلقِي به إلى الغير " (4).

ويذهب " عبد الهادي بن ظافر الشهري " إلى أنّ هناك مَنْ يرى بأنّ المقاصد هي المعاني نفسها أو المعاني هي المقصودة ومنها " أنّ يكون الاعتناء بالمعاني المبتوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم بناءً على أنّ العرب إنما كانت عنايتها بالمعاني ، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها . وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية ؛ فاللفظ إنما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد ، والمعنى هو المقصود " (5).

وتتفاوت المعاني من حيث علاقة القصد بدلالة الخطاب الحرفية ، على الرغم من قدرة المتكلم على التعبير عن مقاصده في أيّ مستوى من مستويات اللغة ؛ غير أنّ معرفة اللغة بأنظمتها المعروفة لا تُعني المرسل إليه في معرفة قصد المتكلم بمعزل عن السياق " لأنّ مدار الأمر ينصبّ على ماذا يعني المرسل بخطابه ، لا ماذا تعنيه اللغة ، حتى ولو كان الخطاب واضحاً في لغته ، لأنّ معرفة قصد المرسل هو الفيصل في بيان معناه " (6) وعليه ، لا يُمكن التوصل للقصد الحقيقي للمرسل داخل الخطاب بعيداً عن السياق ، ما جعل " طه عبد الرحمن " يذهب إلى أنّ " دلالة العبارة هي استلزام القول للمعنى المقصود من سياقه " (7) فامتلاك الكفاءة اللغوية (أدوات اللغة ووسائلها) لا تكفي

1 - استراتيجيات الخطاب ، ص 152 .

2 - تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1990 ، المقدمة .

* وقد اتخذ هذا المبدأ صوراً مختلفة ، منها " مطابقة القول للفعل " و " تصديق العمل للكلام " .

3 - اللسان والميزان ، ص 249 .

4 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

5 - استراتيجيات الخطاب ، ص 195 .

6 - المرجع نفسه ، ص 196 .

7 - اللسان والميزان ، ص 103 .

وحدها لإبلاغ المقاصد بل يتم نقل القصد إلى المرسل إليه باستثمار وبلورة تلك الوسائل والأدوات
" (1).

ومنه ، يُمكن أن ننتيّن أن نظرية المقاصد تجمع بين المستويات اللغوية والسياق ، إذ الاعتماد على
المادة اللغوية وحدها غير كافٍ في عملية الفهم والتأويل ما لم تُعزّد بمعرفة معتقدات المرسل ومواقفه .
فالمقصدية " وسط بين طرفين متضادين : التأويلات اللامتناهية التي قد تكون متناقضة والتأويل
الحرفي الوحيد إذ هي تنطلق من ثبات المعنى لثبات مقاصد المؤلف ، ومن تغيرات التأويل الخاضع
لإلزامات عصر المؤلف والسياق الذي يعيش فيه " (2).

تَهتم التداولية بمختلف استعمالات اللغة وعلاقة العلامات بمستعملها المؤولين لها من أجل تحقيق
التواصل باستخدام جملة الأفعال الكلامية التي ينتجها المخاطب " مع مراعاة قصده ونواياه " (3) ، إذ
التداولية تهتم بدراسة كيف يكون للمقولات معانٍ في المقامات الخطابية . فهي لا تنظر إلى اللغة على
أنها وسيلة إعلام وتمثيل أو إحالة إخبار فحسب ، كما ينظر إليها البنيويون ، بل إن وظائفها " لا
تكاد تنحصر كما لا تنحصر مقاصد المتكلمين فيما يأتون به من انفعالات ومحاولات للحجاج عن
هذه الانفعالات وقصدهم لإقناع مخاطبيهم بصدقها وقوتها " (4).

ومن رحم فلسفة اللغة والطرح اللساني خرج طرح دلالي " يعتبر الطابع الاستدلالي التفاعلي
الجديد للنظرية السياقية ، ويُعبّر أيضا عن أقصى حالات التفاعل داخل اللغة ، إنّها التداولية " (5).
فهي التي تُعنى بدراسة إمكانات العمل المسجلة في اللغة . (6)

فالتداولية تسعى لتحقيق الخطاب عبر المقاصد باستدلالات تتضمن ما يلي : (7)

- 1 - يونسى فضيلة ، مفهوم المقاصد وعلاقتها بالخطاب ، ص 285 .
- 2 - محمد مفتاح ، مجهول البيان ، دار توبقال ، المغرب ، ط 1 ، 1990 ، ص 106 .
- 3 - ياسين سرايحية ، تداولية الخطاب الشعري المعاصر قراءة في عناصر السياق لدى الشاعر عبد المعطي حجازي ، مجلة التواصل
في اللغات والثقافة والآداب ، العدد 33 ، مارس 2013 ، ص 86 .
- 4 - إدريس مقبول ، الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه ، جدارا للكتاب العالمي ، عمان ، الأردن ،
عالم الكتب الحديث ، إريد ، الأردن ، ط 1 ، 2006 ، ص 355 - 356 .
- 5 - نعار محمد ، المقصدية في الخطاب السردي المعاصر قراءة معاصرة ، رسالة دكتوراه مخطوطة بقسم اللغة العربية وآدابها ،
جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2013 - 2014 ، ص 68 .
- 6 - ينظر : قاموس التداولية ، ص 677 .
- 7 - ينظر : عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغيّر مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج أفريقي الشرق ، المغرب ،
2006 ، ص 99 .

1- دراسة مختلف أفعال الكلام ، التي تُنتج لنا فهم الفعل المحقق ، وشروط استعماله مثل : الوعد والأمر والاستفهام ... بحيث إنّ خصائص هذه الأفعال ، تخضع في أساسها إلى شروط الاستعمال ، وهي شروط تُبيّن إلى أيّ حد يكون فعل لغوي ملائماً للسياق الذي يظهر فيه .

2- دراسة مختلف الوسائل اللسانية ، التي يمتلكها المتكلم من أجل إبلاغ فعل الكلام ، الذي يحقق بصورة مباشرة (واضحة) أو بصورة غير مباشرة (ضمنية) ، انطلاقاً من فعل التكلم ، أيّ التعرف المناسب من قبل المؤول على قصد المتكلم ، المرتبط بحضور العلامات اللسانية أو عن طريق سياق القول .

3- أنّ دراسة تسلسل أفعال الكلام ، في الخطاب بصفة عامة ، ليس مدارها فقط على الشروط الملائمة السياقية لأفعال الكلام ، وإنما مدارها الملائمة التساوقية ، أيّ في علاقتها بأفعال لغوية أخرى في سياقها العام .

فكلّ فعل كلامي يقوم على القصدية التي تمثّلها الفلاسفة والتداوليون حتى تحوّلت إلى قيمة تداولية نصية " تتأسس على شبكة من المفاهيم المترابطة ، والموصولة بغايةٍ وما تؤدبه بدورها من وظيفة تأثيرية اجتماعية في الآخرين " (1) ، فهي تهتم بالشروط الملائمة لنجاح الأفعال من خلال الأثر الذي تتركه في المتلقي ضمن سياق معيّن .

يُفرق " سيرل " بين القصد والمقصدية فـ " المقصد ما كان وراءه وعي والمقصدية التي تجمع بين الوعي واللاوعي . وقد عرّفها بأنها خاصية عدة حالات عقلية وأحداث ، وبسبب تلك الخاصية تتوجه تلك الحالات العقلية والأحداث إلى إنجاز الأشياء والحالات الواقعية في العالم [...] والمقصدية تكون لغوية وغير لغوية سابقة وحاصلة أثناء العمل " (2).

فرّق " سيرل " بين القصد الذي يكون وراءه وعي ، والمقصدية التي تجمع بين الوعي واللاوعي ، كما قسّمها إلى مباشرة وغير مباشرة ، ولغوية وغير لغوية ، وسابقة ، وحاصلة أثناء العمل ، فهو يرى أنّ السلوك اللغوي مشتق من المقصدية وليس العكس فهي تتحكّم في الأفعال اللغوية بتحديد

1 - ياسين سرايعة ، تداولية الخطاب الشعري المعاصر ، ص 87 .

2 - محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناس ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1985 ، ص

أشكالها ، وخلق إمكانية معناها .⁽¹⁾

وهو يرى أنّ المتكلم :⁽²⁾

- إمّا أن يقول شيئاً وهو يقصد شيئاً آخر مختلفاً عن المعنى المستفاد من الملفوظ (الاستعارة) .
- وإمّا أنه يقول شيئاً وهو يقصد عكس ما يُستفاد من الملفوظ (السخرية) .
- وإمّا أن يقول شيئاً وهو يريد أن يقول شيئاً آخر (الاستدلال والأفعال اللغوية غير المباشرة) .
- وإمّا أنه يقول شيئاً يطابق بالضبط ما يُستفاد من الملفوظ .

إنّ الهدف من قراءة النص الأدبي هو الوقوف على مدلولاته الحقيقية الموجودة أو الكامنة فيه بالنظر إلى أنّ هذه المدلولات " مرتبطة بإرادة قصدية وقاصدة هي إرادة المتكلم " .⁽³⁾

يُعدّ مفهوم القصد من المفاهيم الأساسية التي استأثرت باهتمام اللسانيين - كما استأثرت من قبلهم باهتمام الفقهاء والفلاسفة والبلاغيين - فهو " ليس إلا جزءاً من إشكالية أعمّ تبحثها فلسفة الفكر ، ويهتم بها علم التشريح ... وكلّ ألوان النشاط العلمي هذه تسعى جاهدة لاستكشاف بواعث الكلام وآلياته النفسية والجسدية " .⁽⁴⁾

فالأصل في الكلام القصد⁽⁵⁾ كما يذكر طه عبد الرحمن حينما يتحدث عن مبدأ القصدية والذي مقتضاه أنه لا كلام إلا مع وجود قصد ، لذلك يشترط أهل العربية القصد في الدلالة ، فما يُفهم من غير قصد من المتكلم لا يكون مدلولاً للفظ عندهم ، فإنّ الدلالة عندهم هي فهم المقصود لا فهم المعنى مطلقاً أرادته المتكلم أم لا ، فظهر أنّ الدلالة تتوقف على الإرادة مطلقاً مطابقة كانت أو تضمناً أو التزاماً " .⁽⁶⁾

وعليه ، فالخطاب " هو شكل مقصود يُشتق من مبدأ الغاية أو الغرض ، ليتحوّل بعد ذلك إلى

1 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

2 - إدريس مقبول ، الأسس الابدستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيوييه ، ص 359 - 360 .

3 - حميد لحمداني ، الفكر النقدي الأدبي المعاصر مناهج ونظريات ومواقف ، منشورات مشروع البحث النقدي والترجمة ، كلية الآداب ظهر المهراز ، فاس ، ط 1 ، 2009 ، ص 176 .

4 - محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص ، ص 163 .

5 - طه عبد الرحمن ، التكوثر العقلي ، ص 103 .

6 - التهانوي ، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تحقيق : علي دحروج ، تقديم وإشراف ومراجعة : رفيق العجم ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط 1 ، 1996 ، ج 1 ، ص 792 - 793 .

جمل وعبارات ورموز وعلامات ذات معنى إنجازي يُؤديه المتكلم في صياغة الفعل الكلامي وتأديته ، حيث يفرض الخطاب قصديته عبر هذه الرموز بوسيلة الأداء الكلامي .⁽¹⁾

شكّل ظهور نظرية أفعال الكلام صلة بين المقصدية والتداولية ، على أساس أنّ كلاّ منهما يُعدّ آلية لإنجاز وتحقيق الدلالة ، فكون النص يتضمن مؤشرات دلالية لغوية واصطلاحية ، هذا لا يعني أنّ الدلالة ستقف عند حدود هذه المواضع ، بل يتجاوزها الاستخدام والإنجاز الخاص للمستخدم ، فمن ذلك تتولد الدلالة ، وتتولد معها آليات استدلالية جديدة " لأنّ المواضع وإنّ كانت ضرورية لجعل الكلام مفيدا ، فهي غير كافية ، إذ لا بد من اعتبار المتكلم ، أيّ القصد " .⁽²⁾

ولفهم بنية الحالات القصدية داخل الخطاب ينبغي الوقوف على نمط الخطاب الذي يتمثل في الأداء الاستعمالي المتغيّر المتعدد ، الذي يتلبسه التركيب وفق الحالات القصدية المناسبة ، وتكون الصياغة التداولية للخطاب ضمن هذا النمط ذات صيغة إنتاجية متفاعلة ، ومتحاورّة مع الفعل التواصلية المجاور في عمله للأداء الكلامي ، وتؤدي القصدية خلالهما دوريّ الهادف والمنسق في البنى الإنجازية للغة " .⁽³⁾

وما يُمكن استخلاصه - في هذا كلّ - أنّه ليس صحيحا أنّ المقصدية ، وحدها ، هي التي تتحكم في إنتاج أنواع الأفعال الكلامية ، وبالتالي أنواع الخطاب ؛ كما أنّه ليس صحيحا أيضا نُكران دور الذات المتكلمة في إيجاد السلوك اللغوي ، ولذلك فإنّه لا مناص من تميمها بمفهوم آخر هو التفاعل .⁽⁴⁾

هذا يعني أنّ النص الأدبي باعتباره جملا وملفوظات لغوية يضم مجموعة من المقاصد المباشرة والضمنية التي يُعبّر عنها صاحب النص أو المتلقي . وتعبير آخر ثمة مقاصد أولية تتعلق بالمتكلم المرسل قد يكون شاعرا ، مثلا ، فيعبّر عن مقاصده كالحب والخوف والاعتقاد والتمني والكرهية . وفي المقابل ثمة مقاصد ثانوية تتعلق بالمتلقي السامع الذي عليه أن يفهم مقاصد الشاعر المبدع ، ويتعرّف ظروفه وحالاته النفسية والذهنية والوجدانية .⁽⁵⁾

- 1 - هيثم محمد مصطفى ، القصدية الإنجازية في مضمون الخطاب النحوي في كتاب سيويه ، ص 225 .
- 2 - استراتيجيات الخطاب ، ص 198 .
- 3 - ينظر : كارل ديتر بونتنج ، المدخل إلى علم اللغة ، ص 236 - 240 .
- 4 - ينظر : محمد مفتاح ، دينامية النص ، ص 50 .
- 5 - ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

وعليه ، فإنّ المبدع أو الشاعر يُوظف كلمات وتعابير وأسماء أعلام لها مقصدية مباشرة وغير مباشرة ، وقد تُدرك بطريقة ظاهرة أو تُفهم بالتضمن والتلميح . وهذه القصدية واضحة في الشعر العربي المعاصر ، إذ الشاعر المعاصر يُوظف اللغة في ضوء سيميائية قصدية ، حيث تتحول قصائده إلى علامات ورموز وإشارات وأيقونات تحمل في طياتها دلالات مقصدية ينبغي استكشافها من قبل المتلقي عبر آليات التفكير والتشريح والتقويض والتأجيل والتأويل⁽¹⁾ ، " إنّ الشعراء مهما كانت أجناسهم وأمصارهم وأزمنتهم حرصوا على قصدية اللغة الشعرية ، بمعنى الارتباط الطبيعي بين الدال والمدلول . فقد اعتنقوا ، بدرجات متفاوتة النظرية " الكراتيلية " على حساب " الهرموجينية " . إلا أنّه إذا كان الشعراء القدماء يستعملون اللغة بحسب ما تملي عليه تجارهم ، فإنّ المحدثين والمعاصرين الذين تأثروا بالتيارات السيميائية المعاصرة صاروا " يُقصدون " اللغة بسبق الإصرار . وهكذا نجد ، في قصائدهم ، ما يحاكي أصوات الطبيعة ، وحشدا هائلا من أسماء الأعلام المختلفة ذات الدلالات الإيحائية ، وألفاظا عتيقة ضاربة في أعماق التاريخ ، أو حديثة آتية من آفاق مختلفة . وهذا التداخل المعجمي يخلق عدة معانٍ فرعية عرضية تقرأ بتشاكلات مختلفة بحسب الوسط الذي دعيت منه الكلمة مما يجعلها مؤشرا كئيبا عليه . وقد تصبح أيقونا إذا توفرت فيها علاقة المثلية أو المشابهة " .⁽²⁾

انطلاقا من هذه المفاهيم ، المتعلقة بالقصد والمقصدية ، وباعتبار النص الأدبي " مقصدية سياقية ينبغي استحضارها بُعية تأويل النص تأويلا صحيحا وسليما " ⁽³⁾ ، سنقف عند المقاصد المباشرة والمقنعة في الخطاب الشعري عند مصطفى الغماري بالتركيز على عناصر السياق التي أنتجت فيها الأفعال اللغوية التي تُعدّ مبحثا أساسيا لدراسة مقاصد الغماري ونواياه ، " فالمقصد يحدد الغرض من أيّ فعل لغوي " .⁽⁴⁾

تتحلل الخطاب الأدبي معانٍ ودلالاتٍ وضعية مباشرة وأخرى غير مباشرة يتم فهمها عن طريق التأويل والاستنتاج ، وهو ما يُحيل إلى أنّ هناك مقاصد مباشرة وأخرى مقنعة تكون مُضمّنة في ثنايا الخطاب ، وعليه ، فإنّ " لصاحب الخطاب ما إلى جانب مقاصده التواصلية الموضوعية من كلّ قول

1 - ينظر : جميل حمداوي ، التداولية وتحليل الخطاب ، ص 27 .

2 - محمد مفتاح ، دينامية النص ، ص 56 .

3 - جميل حمداوي ، التداولية وتحليل الخطاب ، ص 27 .

4 - نعمان بوقرة ، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية ، ص 170 .

ينتجه ، مقصداً تواصلياً إجمالياً يتعلق بموضوع خطابه " (1).

1- المقاصد المباشرة :

وتمثل الأغراض المباشرة ممثلة في المعاني والأفكار التي تظهر بوضوح في النص ، وبأسلوب مباشر يتطابق فيه المعنى الحرفي مع قصد المرسل مثل الأمر بضرورة الجهاد ، مثلما فعل الأمير ، لرفع يد الظلم سواء من المستعمر أم ممن تسلطوا من حكام على الشعوب العربية ، واستعمال أساليب الإخبار في خطاب النقد الاجتماعي والسياسي السائد في المجتمع العربي والإسلامي ، والجزائر التي تُعدّ جزءاً من هذا المجتمع . فقد تجسّدت فيه كلّ أفعال الكلام التي وظفها الغماري بأسلوب صريح ومباشر للدلالة على قصده .

ولما كانت قصائد الديوان " قراءة في آية السيف " موضوعها النقد الاجتماعي والسياسي ، آنذاك ، فإنّ ذلك استوجب أن يكون المقصد مباشراً لإرادة الغماري التأثير في المتلقي وإقناعه بمضمون الرسالة التي يسعى لتبليغها إياه .

ومن الأسباب التي أدت إلى ذبوع القصد المباشر في الخطاب هو أنّ الغماري حين نظم خطابه كان يخشى أن تضعيف أفكاره في خضم التعقيدات التي تترجم مقاصد غامضة وضمنية فيُفوت بذلك فرصة تسجيل مواقف ومشاهد اجتماعية أو سياسية سائدة آنذاك .

من هذه الأساليب التي تجسد المقاصد المباشرة قول الغماري :

وَطَنُ الشُّجُومِ أَجَلٌ مِنْ دَعْوَى تَرْوَجُهَا الخُطْبُ !

وَجَزَائِرُ الأَحْرَارِ لِلْفَتْحِ المَجَاهِدِ تَنْتَسِبُ ! (2)

هنا إخبار صريح من الشاعر يثبت فيه عظمة الجزائر على أنها أرض للجهاد والأحرار الذين يؤمنون بالجهاد ، لا بالخطب الرنانة التي لا تُعني . فالفكرة واضحة ووضوح قصد الشاعر المتمثل في إعلاء مكانة الجزائر والحرية .

وقوله :

أَنَا أهْوَاكِ جَزَائِرُ فِي انْخِءَاتِ الحَيَاهِ

1 - آن رويول وجاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص 206 .

2 - الديوان ، ص 13 .

تَرْتَوِي مِنْكَ السَّرَائِرُ وَتُغْنِيكَ اللَّهُاهُ (1)

في ذلك إخبار مباشر من الشاعر يُعبّر عن حبه للجزائر على أنّها مصدر إلهام بالنسبة إليه .
كما تظهر هذه المقاصد المباشرة في خطاب الغماري من خلال المعاني المباشرة التي تُترجم باستعمال الأساليب المباشرة كالأمر والنهي والنداء التي تؤدي أفعالا إنجازية صريحة تطابق قصده الصريح في الخطاب لغرض التأثير في المتلقي وإقناعه بمحتوى الرسالة . من ذلك :

فَأَشْرَبِّي يَا حِيَادُ وَأَسْكُبِي الْجُرْحَ الْمُقَاتِلِ
وَاطْرَحِي دَعْوَى الْحِيَادِ وَأَسْكُبِي ذُغْرَ الْقَنَابِلِ
لَيْسَ إِلَّا بِالْجَهَادِ يُزْهِرُ الْفَجْرُ سَنَابِلِ (2)

هنا أمر مباشر من الشاعر ودعوة صريحة إلى ضرورة الجهاد والابتعاد عن الحيام والخمول الذي لم يأتِ بأكله مما نتج عنه كثير من الخنوع والخضوع .
وقوله أيضا :

أَيُّهَا الْمَرْأَةُ .. كُونِي فَاطِمَةَ
عَفِيفَةً عَنِ الْفُجُورِ صَائِمَةً (3)

ينادي الغماري المرأة الجزائرية داعيا إياها إلى أن تحافظ على كرامتها وتصون نفسها ، في سبيل التعبير عن القصد الصريح الذي يدل عليه البيتان .
تسهم هذه الأساليب ، وغيرها ، في بلورة المقاصد المباشرة في الخطاب الشعري عند الغماري من خلال ديوانه " قراءة في آية السيف " .

2- المقاصد المقنعة :

وهي المعاني غير المباشرة التي تُستنتج عن طريق المعاني الأولى . سنحاول في هذا المقام التركيز

1 - الديوان ، ص 87 .

2 - الديوان ، ص 89 .

3 - الديوان ، ص 109 .

على أبرز ما يمكن له التعبير عن المقاصد المقتّعة في خطاب الغماري الشعري بالوقوف على أفعال الكلام غير المباشرة كما هي عند " سيرل " . والمقصود بها تلك الكيفية التي يعتمد عليها المرسل أو المتكلم ليقول شيئاً في وقت يقصد فيه شيئاً آخر . ومنه ، فإن " سيرل " يرى أن الأفعال غير المباشرة تصاحبها قوتان :

- **قوة إنجازية حرفية أو الفعل اللغوي المباشر** ، إذ فيه تكون القوة الإنجازية مدلولاً عليها بصيغة العبارة .

- **وقوة إنجازية متضمّنة** ، أين يأتي القول في سياق معيّن حاملاً لقوة إنجازية غير القوة الإنجازية التي يدل عليها مؤشر القوة الإنجازية .

وعليه ، فالعبارة اللغوية الواحدة بالإمكان أن تحمل أكثر من قوة إنجازية متضمّنة أو مقتّعة ، إضافة إلى قوتها الإنجازية المباشرة .

ويقترح " طه عبد الرحمن " في هذا الصدد شروطاً محددة للفعل اللغوي كما حددها " سيرل " والتي ينتقل بها المتلقي من المقصد المباشر (المعنى الحرفي) إلى المقصد غير المباشر أو المقنّع (المعنى المستلزم) ، ويتعلق الأمر بتلك الشروط التمهيدية التي ينبغي أن يستوفيهما الفعل الكلامي حتى يكون مؤمّفاً ، وهي أربعة :⁽¹⁾

- **شروط مضمون القضية** : وتحدد أوصاف المضمون المعبر عنه بقول مخصوص .

- **الشروط الجوهرية** : ويعيّن هذا الشرط الغرض التواصلي من الفعل التكلمي ، هذا الغرض الذي يُلزم المتكلم بواجبات معيّنة .

- **شروط الصدق** : وتحدد الحال الاعتقادي الذي ينبغي أن يقوم به المتكلم المؤدي لهذا الفعل التكلمي .

- **الشروط التمهيدية** : وتتعلق بما يعرفه المتكلم عن قدرات واعتقادات وإرادات المستمع وعن طبيعة العلاقة القائمة بينهما .

وما يمكن أن نستخلصه أنّ الشروط التمهيدية هي التي تُسهّم في تحديد الأفعال الكلامية ذات

1 - ينظر : طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 261 .

القوة الحرفية وتعدد قوتها المستلزمة .

من هنا ، عُدَّت أفعال الكلام كتمظهر للقصد التواصلي " ذلك أنّ فهم القصد التواصلي للمتكلم لا يعتمد فقط على الدلالة اللسانية للقول ، بل ينطلق منها ويتجاوزها بتشغيل كلّ أنواع المقدمات والمؤشرات والقرائن السياقية ، ويجند لذلك قدراته الاستدلالية والاستنتاجية التي تدخل في اعتبارها وفي حسابها أية معلومة كيفما كانت سواء كانت ذات علاقة بالعلامة اللسانية أو بالسياق التداولي " (1).

وفي هذا السياق سنحاول الوقوف على المقاصد المقنّعة (غير المباشرة) بتحديد أغراض أفعال الكلام في الخطاب الشعري عند الغماري في مجموعته الشعرية " قراءة في آية السيف " .

1- مقاصد الخبر :

من أهم ما تُعنى به اللسانيات التداولية هو دراسة اللغة " لاسيما حين تؤدي معاني تختلف عما يظهر على مستوى بنية التركيب " (2) . وسنعرض في هذا المبحث لمقاصد الخبر المخالفة لبنيتها التركيبية بخروجها إلى أغراض يُسهم السياق في تحديدها ، وفي هذا الخروج " مشاركة للسمع في إنتاج الخطاب ؛ حيث يعتمد المتكلم على تأويله للبنية ، وعلى العمليات الذهنية والاستدلالات التي يقوم بها للظفر بقصد المتكلم ، والدلالة الكاملة التي يحملها الخطاب " (3).

يؤسس الخطيب القزويني للخبر بقوله : " اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب ، فذهب الجمهور إلى أنّه منحصر فيهما ؛ ثم اختلفوا . فقال الأكثر منهم : صدقُه مطابقة حكمه للواقع ، وكذبُه عدم مطابقة حكمه له . هذا هو المشهور عنده وعليه التعويل " (4) فهو كلام يحتمل الصدق والكذب . (*)

ويُعرّفه حسين جمعة " بأنّه كلّ كلام يحتمل الصدق أو الكذب لذاته أو باعتبار اعتقاد قائله أو باعتبار الواقع الحقيقي أو الفني " (5).

1 - عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغيّر ، ص 54 - 55 .

2 - خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية مقارنة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، العلمة ، الجزائر ، ط 1 ، 2012 ، ص 177 .

3 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

4- الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 25 .

* تتعلق قضية الصدق والكذب في الخبر بمطابقته للواقع ؛ بغض النظر عن قائله .

5- جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة بلاغية جمالية نقدية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2005 ، ص 51 .

يسلمنا هذا التعريف إلى بيان مقاصد الخبر الحقيقية والمجازية من خلال استنطاقنا بعض النماذج من ديوان مصطفى الغماري (قراءة في آية السيف) .

ترتبط مقاصد الخبر غير المباشرة بالهدف الذي يرمي إليه المتكلم ، وما على المتلقي إلا أن يستخلصها من خلال السياق والقرائن المصاحبة له . ومن هذه الأغراض :

1-1- الفخر والتفاخر :

الفخر هو التمدح بالأبجاد والمناقب والخصال ، والتفاخر هو التعاضم بذلك على الآخر . ويدل أسلوب الفخر والتفاخر " على الهدف منه ، والوظيفة التي يرمي المتكلم إليها ... فالمفتخر يتلذذ بإرسال الكلمات ويفتح عينيه على كل ما فيه من معطيات الزهو والاستعلاء " (1) ، وهو ما نجده في قول الغماري يفتخر بالجزائر :

وَجَزَائِرُ الْأَحْرَارِ لِلْفَتْحِ الْمُجَاهِدِ تَنْتَسِبُ ! (2)

ويقول :

حَسْبُ الْجَزَائِرِ حَسْبُهَا دِينٌ وَمَكْرَمَةٌ وَحُب (3)

فقد صور الشاعر انتماء الجزائر وانتسابها إلى الإسلام والثورة والمثل . فقصدية الشاعر في هذين البيتين تنبثق من تعداده لمحامد الجزائر ومآثرها . ويقول الغماري مفتخرا بحبه للجزائر وانتمائه لها :

أَنَا أَهْوَاكِ جَزَائِرُ فِي انْتِخَاءَاتِ الْجِبَاهِ

تَرْتَوِي مِنْكَ السَّرَائِرُ وَتُغْنِيكَ اللَّهُاهُ (4)

فهي حُبّه وهواه ، وهي مصدر إلهام بالنسبة له ، ترتوي منها النفوس وتصدح بحبها الحناجر .

ويفتخر بالشاب سواعد الأمة وأملها :

نَحْنُ مَاضٍ وَغَدٌ مُشْرِقٌ نَحْنُ الشَّبَابِ

وَهَوَى يَتَّقِدُ يَصْنَعُ الْمَجْدَ الْعُجَابِ (1)

1- حسن جمعة ، جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة بلاغية جمالية نقدية ، ص 77 - 78 .

2- الديوان ، ص 13 .

3- الديوان ، ص 20 .

4- الديوان ، ص 87 .

هذه الفئة المعول عليها في الدفاع عن الأمة والوطن والمضي بها قدما ، فهم يمثلون الماضي (التاريخ) والحاضر والمستقبل .

1-2- التعظيم :

يُعظّم الغماري في مجمل قصائد الديوان كفاح الشعب الجزائري ، من خلال تعظيمه لرمز الكفاح " الأمير عبد القادر " ، فيتغنى بخيله التي يطوي سهيلها الحدود ، فيقول :

يَطْوِي الْحُدُودَ صَهِيلَهَا فَتَحًا تَفْتَحُ بِالْعَجَبِ (2)

فهذه صورة من التفاخر تدل على تعظيم الشاعر لجهاد الأمير ، هذا الجهاد الذي مكّن من تحقيق الفتح والنصر . فمثل هذا التركيب اللغوي الخبيري يتضمن دلالات كثيرة ، وإثارته تكمن في ما يتركه من أثر في أنفسنا يتمثل في القيم والمواقف الإنسانية التي تسمو بالنفس وترتفع بها . ولذا نجد الغماري يُعلي من قدر جيله ومن مبادئ الدين الإسلامي ، فاستعمل لتقرير ذلك وتأكيده للخبر في قوله :

تَأْبَى الْجَزَائِرُ غَيْرَنَا جِيلاً وَغَيْرَ اللَّهِ رَبَّ (3)

فقد غالى في رفض الجزائر أن يكون لها غير جيله المجاهد ، المكافح ، المتقد العزمات . وأنها لا تبتغي غير شريعة الله منهاجا .

1-3- التوبيخ :

التوبيخ : ذم الآخر وعتابه للنيل منه . ومن صور الإيحاء بالتوبيخ وما ورد في قول الغماري :

كَمْ دَمْعَةٍ سَفَحُوا وَكَمْ شَعْبٍ جَرِيحٍ مُنْشَعِبٍ

مُتَمَزِّقِ الْآهَاتِ مَصْلُوبِ الْمَشَاعِرِ وَالْعَصَبِ (4)

فالشاعر يُوبخ أعداءه وأعداء الجزائر على ما اقترفوه في حقّ شعبه ، فقد جرحوه وشتتوه وأحزنوه وأسفحوا دمعه وأكثروا من ذلك حتى أنّهم سيطروا على مشاعره وصلبواها .

كما يذم الغماري أولئك الحكام الذين تاجروا بقضايا شعوبهم باسم السلام الزائف ، حيث

يقول :

1- الديوان ، ص 88 .

2- الديوان ، ص 11 .

3- الديوان ، ص 19 .

4- الديوان ، ص 19 .

تُبَاعُ مِصْرُ بَسِينَا .. يَا لِمَأْثَرَةٍ
بِيعَتْ عَلَى نَحْبِهَا الْأَهْرَامُ وَالْعَرَبُ
تَأْتِقُ السَّلْمُ حَتَّى صَارَ مَفْخَرَةً
وَفُلْسِفَ الْجُبْنُ حَتَّى أُحْمِدَ الْهَرَبُ !⁽¹⁾

فبتسليمهم سيناء لليهود يكونوا قد باعوا مصر والعرب جميعا ، هؤلاء الذين يفتخرون بالسلم وجعلوه منقبة لهم ومفخرة يتباهى بها القوم .

1-4- التحذير والوعيد :

التحذير : التهديد والتخويف ، **والوعيد :** الإنذار والتهديد بالشر .
وتتمثل قيمة التحذير في أنه " من أطرف الأغراض المجازية للجملة الخبرية في انزياح الأسلوب البلاغي عن وجوهه اللغوية العديدة " ⁽²⁾ ؛ كقول الغماري :

وَإِنَّ مَنْ يَحْيَا بِلَا إِسْلَامٍ
أَضَلُّ مِنْ بِهِيمَةِ الْأَنْعَامِ !⁽³⁾

فالغماري يُوجه تحذيرا لأبناء أمته يندرهم فيه من أن يتبعوا غير طريق الإسلام منهاجا لأن عاقبة ذلك أنهم يحيون كالأنعام ، بل هم أضل .

ومن صور الوعيد التي ساقها الغماري قوله :

لَا لَنْ تَنَامَ جِرَاحٌ كُلُّهَا نَقْمٌ
وَلَيْسَ يَهْدَأُ جِيلٌ كُلُّهُ غَضَبٌ⁽⁴⁾

يُضَمِّن الشاعر الخبر وعيدا وإنذارا لأعداء أمته على أن جراح الشعب الجزائري إنما هي خزان وقود يتزود من طاقته لينطلق في مواجهة أعدائه وينقم منهم ، فلا يمكن لهذا الجيل أن يهدأ لِمَا يَحْمَلُهُ من غضب وثورة اتجاه هذا الظالم المعتصب

1-5- التحقير :

1- الديوان ، ص 123 - 124 .
2- حسين جمعة ، جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة بلاغية جمالية نقدية ، ص 75 .
3- الديوان ، ص 114 .
4- الديوان ، ص 123 .

حقر الشيء إذا أنقص من شأنه وأبرزه ضعيفا مهينا . ويُحقر الغماري الحكام العرب الذين أبرزوا ولاءهم للغرب وداسوا على معتقداتهم فيقول :

الْجَامِدُونَ رَأَيْتُهُمْ عَبْدُوكَ يَا عَجَلَ الْيَهُودِ

وَرَأَوْا خَطَاكَ فَسَبَّحُوا لِهَوَى الْجُيُوبِ بِلَاءِ حُدُودِ (1)

فهؤلاء لا همّ لهم غير جيوبهم وإن كان ذلك على حساب مقدساتهم التي يتظاهرون بالبكاء والحزن عليها :

وَكُلُّهُمْ يَبْكِي عَفَا الْقُدْسِ

وَمَا بَكَى إِلَّا أَهْتَرَازَ الْكُرْسِيِّ !! (2)

فهم في حقيقة أمرهم سيكون مناصبهم وكراسيهم .

1-6- التوسر والتوجع :

التوسر : التلهف من الحزن والوجد ، والتوجع : التألم والشكوى . " فالانزياح اللغوي عن التعبير المباشر في الجملة الخبرية إلى أنساق جمالية مثيرة يبرز قيمة التحول السياقي " . (3) ولا يشك أحد في أنّ التوجع للوطن جزء من حبّه له ، كما يظهر في قول الغماري :

رَقَصُوا عَلَيَّ أَشْلَانِنَا زَمْنَا .. وَطَابَ لَهُمْ حَبَبٌ (4)

يُشع هذا النظام التركيبي المثير بنبرة الحزن والأسى ، ويكون أكثر شدة إذا جمع بين العبث بجراح الأمة والاستمتاع بذلك .

وتزداد الحسرة تصاعدا والألم وجعا حينما تُغرس الخناجر في الصدور باسم التقدم والمدنية ، يقول :

بِاسْمِ التَّقَدُّمِ يَا دُرُوبُ تَجُوسُ فِيكَ خَنَاجِرُ !

تَعْتَالُ خَطُوكَ ، بِاسْمِهِ ، وَالصَّمْتُ لَيْلٌ كَافِرٌ ! (5)

فجمالية التعبير في هذا الأسلوب تنبع من التصوير الفني الجميل المثير ، فالشاعر يُعبّر عن فكرته في صورة جمالية تُحدث أثرا في النفس .

1- الديوان ، ص 51 .

2- الديوان ، ص 115 .

3- حسين جمعة ، جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة بلاغية جمالية نقدية ، ص 76 .

4- الديوان ، ص 12 .

5- الديوان ، ص 80 .

1-7- الإِنكار :

الإِنكار : هو الجحود والشجب والتنديد . والجملة الخبرية لها إيجاءات متعددة كما في قول

الغماري :

بِاسْمِ الْمَسِيحِ تَنَمَّرُوا كَمَ بِاسْمِهِ قُضِيَ الْأَرْبُ !⁽¹⁾

فجملة (باسم المسيح تنمروا) جملة خبرية ترمي إلى إنكار فعل أولئك الذين يتسترون ويقضون مآربهم باسم الدين ممثلاً في شخص المسيح عليه السلام .

ويقول :

ذِكْرِي نَبِيِّ اللَّهِ فِي الْقُلُوبِ

لَا فِي الصَّحِيحِ الْفَارِغِ الْمَكْذُوبِ⁽²⁾

إذ يذكر صنيع أتباع النبي صلى الله عليه وسلم الذين يتخذون الصَّحِيحِ والصَّخْبِ شعاراً لذكرى مولده صلى الله عليه وسلم ، على أنّ الذكرى الحقيقية له تكون في القلوب باتباع سنته صلى الله عليه وسلم . ولا يتأتى لنا الوقوف على هذا الإنكار إلا من خلال سياق الجمل الخبرية .

1-8- المدح :

يَعْمَدُ فِيهِ صَاحِبُهُ إِلَى تَعْدَادِ صِفَاتِ الْمَمْدُوحِ ، " يقدم فيه المتكلم عدداً من الإشارات النفسية والفكرية ، والجمالية " ⁽³⁾ عندما يتجه إلى سرد صفات الممدوح كما نجد في قول الغماري :

وَفِكْرُهُ السَّمْحُ أَبْعَادُ مُجَاهِدَةٌ

إِنْ جُنَّ فِكْرُ بَوَاحٍ أَسْوَدٌ قَلِقٌ⁽⁴⁾

أراد بالجملة الخبرية (فكره السمح) أن يبين ما تميز به فكره من سماحة ورجاحة . فميزة فكره هذه استدعت ثناء الشاعر عليه ومدحه له بها .

1-9- الحث على كل أمر محمود :

هو غرض آخر للجملة الخبرية المجازية نقف عليه في قول الغماري :

الْحَقُّ يُدْرِكُ بِالْحَدِيدِ وَ لَيْسَ يُدْرِكُ بِالْخُطْبِ⁽⁵⁾

1- الديوان ، ص 12 .

2- الديوان ، ص 93 .

3- حسين جمعة ، جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة بلاغية جمالية نقدية ، ص 79 .

4- الديوان ، ص 156 .

5- الديوان ، ص 17 .

فالجمالية هنا تبرز " في ازدياد القدرة النفسية والفكرية على توسيع آفاق التصور " (1) فالملتقي تتحرك نفسه ويتقد خياله لإبراز العناصر الجمالية للجملة الخبرية المتمثلة في إدراك الحق واسترجاعه بقوة الحديد والنار ، وليس من خلال سياسة العرائض والمطالب ؛ لذلك نجده يدعو إلى الاستشهاد على أن يعيش الفرد وسط خطاياها ، فيقول :

إِنَّ مَوْتًا فِي ظِلَالِ الْحُبِّ أَبْقَى

مِنْ وُجُودٍ فِي الْخَطِيئَاتِ مُرِيبٌ ! (2)

فمثل هذا الأسلوب يُؤثر في النفس ويحركها ليحرص الإنسان على العيش في كرامة والاستشهاد دونها .

2- مقاصد الإنشاء وأغراضه :

يُعرف القزويني الجملة الإنشائية بأنها : " ووجه الحصر أن الكلام إمّا خبر أو إنشاء ، لأنه إمّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه ، أو لا يكون لها خارج . الأول الخبر ، والثاني الإنشاء " (3) .

فالإنشاء كلّ كلام لا يحتمل الصدق أو الكذب " ويستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب " (4) .

وتنقسم الجملة الإنشائية إلى قسمين : الجملة الإنشائية الطلبية وغير الطلبية . وسنحاول في هذا العنصر أن نقصر الحديث عن جمالية الأسلوب الطلبي - لأنه الأكثر تواتراً في ديوان مصطفى الغماري - ممثلاً في أساليب الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والنداء . وسنقف في تحليلنا للنماذج على المقاصد المقتنعة لكلّ أسلوب من هذه الأساليب الطلبية .

1- حسين جمعة ، جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة بلاغية جمالية نقدية ، ص 80 .

2- الديوان ، ص 138 .

3- الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 24 .

4- حسين جمعة ، جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة بلاغية جمالية نقدية ، ص 102 .

2-1-1- مقاصد الأمر غير المباشرة :

حُدَّ الأمر بأنه طلب القيام بالفعل على وجه الإلزام والاستعلاء ، ويُعرّف العلوي صيغته : " هو صيغة تستدعي الفعل ، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء " (1).

وقد وسَّع علماء البلاغة في أغراض الأمر فقسموها إلى حقيقية ، كما أوجدوا إلى جانبها الأمر المجازي الذي يخرج عن روح القواعد البلاغية " إذ سعوا إلى دمج بنية الخطاب اللغوي ببنية المقاصد التي يتدبرونها في السياق " (2) فالأمر المجازي تستشف أغراضه من خلال السياق الذي ترد فيه الجملة الأمرية .

وللأمر الحقيقي صيغ أربعة (*) ، هي : صيغة فعل الأمر ، والفعل المضارع المقرون بلام الأمر ، واسم فعل الأمر (وهو ثلاثة أنواع : مرتجل ، ومنقول ، ومعدول) ، والمصدر النائب عن فعل الأمر .

أمَّا الأمر المجازي فـ" تنزاح فيه اللغة في صيغ الأمر الحقيقي الأربع إلى اتجاهات جديدة ... فلا تقتضي الإلزام بتنفيذ الطلب المتضمن وجه الإيجاب ... وإنما يُستخرج المعنى من القرائن الدالة في السياق " (3) مما سمح له بأن تتسع دائرة معانيه .

من المعاني المستلزمة التي يدور عليها الأمر عند الغماري :

2-1-1-2- التعجب :

التعجب انفعال يحدث في النفس عندما تستعظم أمراً جُهلته حقيقته أو خُفي سببه . وقد وظفه الغماري للتعبير عن تعجبه من تاريخ جهاد " الأمير عبد القادر " استعظاما له صيغة فعل الأمر – وإن كان يدل على الماضي في هذا الأسلوب – فيقول :

أَشْرُقُ بِتَارِيخِ الْجِهَادِ ... (4)

فهو يتعجب من إشراق صفحة جهاد الأمير التي حققت النصر . ومثل هذا الأسلوب يستثير القارئ للتوصل إلى كنهه ، فيثير لذته الفكرية والنفسية ، ومن هنا تتحقق جماليته .

1- الطراز ، ج 3 ، ص 155 .

2- المرجع السابق ، ص 104 .

* انظر : السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص 56 .

3- حسين جمعة ، جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة بلاغية جمالية نقدية ، ص 108 .

4- الديوان ، ص 17 .

2-1-2- الالتماس :

يخرج الأمر المجازي لغرض الالتماس إذا تساوت فيه مرتبتا الأمر والمأمور ، يقول الغماري :

اسْجُدْ لِرَبِّكَ واقْتَرِبْ وَإِلَيْهِ فِي الْجَلِيِّ أَنْبُ (1)

فالشاعر يتوجه بالتماس إلى المخاطب - المساوي له في المنزلة - كفرد جزائري مسلم يؤمن بالجهاد الذي لا يمكن أن يتحقق ما لم يتسلح المجاهد فيه بالدعاء والتضرع لله وذلك بكثرة السجود الذي يُقَرَّبُ العبد من ربه .

2-1-3- التمني :

التمني كل أمر مطموح فيه لا يرجى تحققه ، ويمكن أن يكون اخضرار السنين من هذا النمط ، وإن تضمن معنى الدعاء في قول الغماري :

لِتَخْضَرَ السَّنُونَ (2)

فالفعل (اخضر) في البيت يدخل ضمن الحديث النفسي الذي يتمناه الشاعر " لهذا تصبح الوظيفة النفسية والعاطفية أكثر تأملا عند المتلقي " . (3)

2-1-4- النصح والإرشاد :

يهدف فيه المخاطب إلى التوجيه والتأديب . قال الغماري ينصح الشباب لأن يستعدوا فيسرجوا الخيل ويشدوا تأهبا :

أَسْرِجُوا الْخَيْلَ وَشُدُّوا (4)

ومثله في قوله :

كُونُوا شُهُودَ الْحَاضِرِ ... (5)

فجمالية هذا الشكل الفني " تتركز في التخصيص النوعي للفعل المطلوب اتباعه " . (6)
فالشاعر يقدم طلبه الذي لا إلزام فيه بتوظيفه للفعل (كان) بصيغة الأمر ليكون الشباب شهود الحاضر على أمسهم .

1- الديوان ، ص 11 .

2- الديوان ، ص 59 .

3- حسين جمعة ، جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة بلاغية جمالية نقدية ، ص 110 .

4- الديوان ، ص 137 .

5- الديوان ، ص 113 .

6- المرجع السابق ، ص 116 .

2-1-5- الإهانة والتحقير :

هو غرض يرتبط كثيرا بخلجات المتكلم النفسية إزاء ما يشع به لدى المخاطب ، فيكون بذلك أكثر تأثيرا ، يقول الغماري :

وَاضْرِبْ عَنِ النَّاعِينَ صَفْحًا إِنَّهُمْ شَفَّةٌ كُنُودٌ
عَلِّقُوا بِأَهْدَابِ السُّكُونِ وَأَدْمِنُوا الصَّمْتَ الْبَلِيدَ !⁽¹⁾

فالأمر في (واضرب) وصل درجة الإهانة لأولئك الناعين الذين تعلقوا بالصمت والسكون إزاء ما يحيط بهم وأدمنوه .

2-1-6- الاستمرار والدوام :

وهو " طلب أمر على سبيل الترغيب في الاستمرار بالشيء ودوامه لدى المتكلم أو المخاطب " (2) ، ومن هنا تتحقق جماليته البلاغية ، فهو يتعلق بالمتكلم والمخاطب على حدّ السواء ؛ ومنه قول الغماري :

وَاقْرَأْ عُيُونَ الشَّمْسِ تَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ الْأَشْبِ
وَخُضِّ السَّبَّاقِ .. فَإِنَّمَا الْغَايَاتُ تُدْرِكُ بِالْخَبَبِ !⁽³⁾

فالأمر في البيت الأول يفيد الحث على التمعن والتدبر . وفي البيت الثاني موجه للمخاطب ليدل على أمر يفيد الدوام وهو خوض غمار السباق في كلّ الميادين ؛ لأنّ الغايات لا تُدرك إلا بالسعي والحركة . والخبب نوع من السير يتصل بوقع حوافر الفرس على حجارة جانب النهر .

2-2- مقاصد النهي المقنّعة :

النهي خلاف الأمر ، وهو طلب الكف عن القيام بالفعل ، ويتفق معه في الإلزام والاستعلاء . وهو حقيقي ومجازي ، وله صيغة واحدة هي الفعل المضارع المقترن بلا الناهية . فالنهي الحقيقي هو ما كان فيه المنهي ملزما بالقيام بالفعل ، وأنّ الناهي أعلى مرتبة منه .

وأما النهي المجازي فهو " طلب الكف عن شيء لا على سبيل الاستعلاء ، بل على سبيل الجواز ممن هو أعلى مكانة من المتكلم ، أو ممن هو أقلّ شأنًا منه لأمر بلاغي " (1).

1- الديوان ، ص 52 .

2- حسين جمعة ، جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة بلاغية جمالية نقدية ، ص 113 .

3- الديوان ، ص 17 .

ومن المعاني الدلالية التي خرج إليها النهي المجازي عند الغماري :

2-2-1- النصح والإرشاد :

يقول الغماري :

لَا تَسَلْ كَيْفَ سَعِينَا ؟ ! (2)

هذا التوجيه من الشاعر للمتلقي لا إلزام فيه ، بل على سبيل النصح والتوجيه .

2-2-2- استنهاض الهمة :

هذا الغرض على علاقة بسابقه (النصح والإرشاد) ، إلا أنّ الغرض منه هو استنهاض الهمة

والحث على أمر ما ، كما ورد في قول الغماري :

لَا تَكُونِي يَا فَتَاةً .. مَارِي

تَرْفُهَا الْأَوْزَارُ لِلْأَوْزَارِ ! (3)

فالشاعر يستنهض همة المرأة العربية عامة والفتاة الجزائرية خاصة على أن لا تشبه بالغربيات

في عاداتها وتقاليدها وثقافتها فتسلخ عن دينها ، وذلك يُزري بها .

ونستشف من خلال السياق الدلالي البعد الاجتماعي في شعر الغماري لاهتمامه بأكبر ركيزة

في المجتمع ، وهي المرأة .

2-3- مقاصد الاستفهام المقنّعة :

الاستفهام أحد الأغراض الإنشائية الطلبية التي اهتم بها البلاغيون قديما وحديثا - أمثال

السكاكي والقزويني - (4) وهو قسمان :

استفهام حقيقي يُطلب فيه معرفة شيء جُهلته حقيقته ، وله أدوات ، هي : "الهمزة وهل "

، وهما حرفان . و " ما ومن وكم وأين ومتى وأيان وكيف وأنى " وهي أسماء مبنية . أمّا " أيّ " فهي

من الأسماء المعربة .

1- حسين جمعة ، جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة بلاغية جمالية نقدية ، ص 124 .

2- الديوان ، ص 25 .

3- الديوان ، ص 110 .

4- السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 308 . والخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 107 .

واستفهام مجازي ، وهو الذي لا يُبحث فيه عن إجابة محدد ، " وإنما يبحث عن تصور ما للمتكلم دون أن يستفسر عن شيء " .⁽¹⁾ وبذلك يخرج الاستفهام عن حقيقته إلى أسلوب مجازي فلا يطابق في دلالته المجازية الدلالة الحقيقية .

وعندما يخرج الاستفهام من الحقيقة إلى المجاز فإنه " يؤدي ظاهرة جمالية وبلاغية لا تُعرف في الأسلوب الحقيقي الذي يسأل به المتكلم عن شيء معروف ومشهور ، أو عن معنى يُفهم من السياق ؛ ويتوجه فيه المتكلم إلى نفسه قبل أن يتوجه به إلى الآخرين " .⁽²⁾

ولما كان للاستفهام هذا الاتساع في الأغراض ، فقد لجأ إليه الغماري في قصائده :

2-3-1- التعجب :

يتعجب الغماري من تشبث بعض الناس - خاصة الحكام منهم - بالأنساب والألقاب والأرصدة بأن يُؤثروها على " كلمة الله أكبر " التي تُلهب الصدور ، فتثور لتبدع نصرا ، فتطلب بذلك عزّ الشهادة ، أو الفتح ، فيقول :

إِشْرَاقُهَا الْقُدْسِيُّ . مَا النَّسَبُ الْعَرِيضُ ؟ وَمَا اللَّقَبُ ؟ ⁽³⁾

عِزُّ الشَّهَادَةِ . مَا الرَّصِيدُ ؟ وَإِنْ يَجِلُّ ، وَمَا النَّسَبُ ؟ ! ⁽⁴⁾

ومثل هذا الغرض في قوله :

مَا لِلظُّنُونِ تُرِيدُ الْكَوْنَ صَحْرَاءَ ! ⁽⁵⁾

2-3-2- التعظيم والتفخيم :

يقول الغماري :

... كَيْفَ سَعَيْنَا ؟ !

كَيْفَ كُنَّا أَلَمَّا يُورِقُ نَاراً

كَيْفَ عَانَيْنَا الْمَدَى اللَّيْلِيَّ ⁽⁶⁾

1- حسين جمعة ، جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة بلاغية جمالية نقدية ، ص 143 .

2- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

3- الديوان ، ص 14 .

4- الديوان ، ص 19 .

5- الديوان ، ص 37 .

6- الديوان ، ص 25 - 26 .

يحمل هذا الاستفهام المجازي في هذه الأبيات طبيعة جمالية خاصة ، فالشاعر رفع من شأن سعيه وآلامه التي تحولت إلى نار حارقة ومعاناته التي دفعته للثورة من سجون القهر . فكان الشاعر بهذا الأسلوب أكثر تأثيراً في النفس .

2-3-3- النفي :

ومنه قول الغماري :

هَلْ نَفَعَتْ مَشْرِقَنَا الْوَتَائِقُ ؟

أَوْ كُشِفَتْ عَنِ الْعِدَى الْحَقَائِقُ ؟ ⁽¹⁾

مثل هذا يستثير مشاعر المتلقي على جمالية من نوع بلاغي جديد ، فهو ينفي أن يكون المشرق العربي قد انتفع بوثائق الاتفاقيات التي عقدها مع العدو الصهيوني ، كما أنّها لم تكشف عن حقيقة الأعداء .

2-3-4- الإخبار والتحقيق :

الهدف من هذا الغرض إعلام المتلقي بالشيء وتثبيته لديه ، ومنه قول الغماري :

إِنْ يَمَكُرُ اللَّيْلُ الْهَجِينُ ، أَلَيْسَ مُقْتَرِبًا نَهَارِي ! ⁽²⁾

فقد استعملت فيه الهمزة مع النفي الذي يُراد به الإخبار والتحقق ليؤكد الشاعر من خلالها أنّ الليل مهما طال وامتدّ ، فلا بدّ للنهار يوماً أن تشرق شمسُه وينقشع ظلامه . فالمعنى الذي رمى إليه الشاعر في هذا الاستفهام المجازي اعتمد فيه على السياق .

2-3-5- التهويل :

" هو التهويل الشديد والتفريع مع تعظيم شأن المهوّل منه ، وتعجيبه " ⁽³⁾ وقد وظفه

الغماري مع أداة الاستفهام (أيّ) في قوله :

يَا رَسُولَ اللَّهِ .. أَيُّ زُورٍ ؟

جَاؤُوا بِهِ ... وَأَيُّ فِكْرٍ بُورٍ ؟ ! ⁽⁴⁾

1- الديوان ، ص 103 .

2- الديوان ، ص 84 .

3- حسين جمعة ، جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة بلاغية جمالية نقدية ، ص 151 .

4- الديوان ، ص 102 .

فسياق الأبيات يبرز عظمة التصوير الذي يجسد هذا الزور الذي جاؤوا به ، والناتج عن فكر بور لا يُغني ولا يسمن ، فهم كذبوا باسم اتفاقيات السلام والأفكار " الحمراء " المستوردة . فالشاعر يُعظّم ويُهوّل ما جاؤوا به . هذا التهويل والتعظيم لا ينحصر في الاستفهام (أيّ زور / أيّ فكر) وإنما وضحه السياق الذي ورد فيه .

2-3-6- التفعج والتوجع والتحسر :

وهي أغراض تقترب في معانيها ودلالاتها ، ويتداخل فيها الجمالي بالاجتماعي ، وهي " أشد ارتباطا بتصورات المتكلم وأحواله " ⁽¹⁾ مثلما نجد في قول الغماري :

أَجْرَاحُكَ الْخَضْرَاءُ يَا دَرْبَ الشَّهِيدِ غَدَتُ صَحَارِي ! ⁽²⁾

فالشاعر يصور ما اختلج في نفسه من حسرة وألم جرّاء عدم صون القوم للأمانة التي سلمها إياهم الشهداء . إنه يتألم لضياح دم الشهيد وتضحياته سدى ، فتحول الأخضر إلى صحراء قاحلة . وهذا الغرض المجازي للاستفهام تُكتسب لذته وجماليته من خلال التأثير الذاتي للنفس عندما تواجه الهموم والجراح والحيرة .

2-3-7- التهديد والوعيد :

التهديد والوعيد واحد ؛ كلاهما الإنذار بالشر ، " وقد يجتمعان توكيدا وتحقيقا في اللفظ لخلق علاقات تركيبية جديدة ذات فاعلية كبرى في النفس والعقل " ⁽³⁾ ؛ كما في قول الغماري :

أَيُّهْدَأُ النَّيْلُ وَالتَّارِيخُ مَهْزَلَةٌ

يُعْرَبُ الْعَرَضُ فِيهَا يَلْهَثُ الطَّلَبُ ! ⁽⁴⁾

فالفعل (يهدأ) استعمل للتهديد ، وقد أكدت همزة الاستفهام ذلك . فالشاعر يتوعد الحكام العرب الذين باعوا أوطانهم والقضية الفلسطينية معها . ومثله أيضا في قول الشاعر :

هَلْ لَوْجِهِ الْمَوْتُ حَدٌّ ؟ ! ⁽⁵⁾

فالوعيد في البيت تحقق من خلال إنذار الشاعر لأعداء الأمة على أنّ الموت لا حدّ له ليحث قومه على التأهب لمواجهة الأعداء .

1- حسين جمعة ، جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة بلاغية جمالية نقدية ، ص 154 .

2- الديوان ، ص 83 .

3- حسين جمعة ، السابق ، ص 158 .

4- الديوان ، ص 123 .

5- الديوان ، ص 136 .

2-3-8- التوبيخ :

قد يوحي الأسلوب الاستفهامي المجازي بمعنى التوبيخ في حال من الأحوال كما في قول الغماري :

أَنْسَيْتِ يَا بِنْتَ الْفُتُوحِ الْعَافِيَّ وَذَا الْفَقَّارِ !⁽¹⁾

يخاطب الشاعر كلَّ نفس جزائرية سليلة " الأمير عبد القادر " على وجه التوبيخ بأنها نست أو تناست ماضيها المجيد لترتد على ما كان عليه آباؤها وأجدادها .

2-4- مقاصد النداء المقنّعة :

النداء في الاصطلاح هو أن يدعو المتكلم المخاطب باسمه أو بصفة من صفاته ليقبل عليه أو ينتبه إليه بالاعتماد على حرف من أحرف النداء ، وهي : الهمزة ، أي ، آ ، آي ، يا ، هيا ، أيا ، ووا . تُستعمل الأداتان (الهمزة وأي) لنداء القريب ، وتُستعمل بقية الأدوات في نداء البعيد .⁽²⁾ ويقسم أسلوب النداء إلى قسمين :

النداء الحقيقي وهو طلب إقبال المخاطب لما وُضعت له أدوات النداء على وجهها الأصلي ، ممثلا في نداء القريب قريبا حقيقيا أو إنزال البعيد منزلة القريب ، ونداء البعيد بعدا حقيقيا أو إنزال القريب منزلة البعيد .

أمّا النداء المجازي فإنّه خروج الأدوات " عن ذلك كله فينادى بها القريب أو المتوسط أو البعيد والأبعد لأمر بلاغي مجازي " .⁽³⁾

ويمكن للأديب أن يوظف النداء توظيفا يحوِّله عن بنيته الحقيقية يمكنه من الإيحاء بمعاني مختلفة تستشف من السياق ومن القرائن الدالة عليه ، وقد وظف الغماري بعضا منها في قصائد ديوانه ، منها :

1- الديوان ، ص 83 .

2- حسين جمعة ، في جمالية الكلمة ، دراسة جمالية بلاغية نقدية ، منشوات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2002 ، ص 142 . وقد أجاز سيبويه استعمال أدوات نداء القريب للبعيد ، وأدوات نداء البعيد للقريب . انظر : الكتاب ، ج 2 ، ص 229 - 230 .

3- حسين جمعة ، جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة بلاغية جمالية نقدية ، ص 190 .

2-4-1- المدح والاستعطاف :

يتوجه النداء إلى إبراز صفات المخاطب فيلجأ المتكلم إلى عرض صورته ، كما ورد في قول

الغماري :

خَيْلُ الْمَدَى الْفِهْرِيَّ يَا كَبِيرَ الْجُدُودِ .. وَيَا نَسَبَ⁽¹⁾

فالشاعر ينزل مخاطبه (نسب) منزلة البعيد لتعظيم شأنه وعلو قدره على شدة قربه منه ،

فيثني عليه ويبرز صفاته .

وتمدح الشاعر الجزائر ويُعلي من شأنها :

السَّاكِبِينَ عَلَى رَبِيعِكَ يَا جَزَائِرَنَا اللَّهَبَ⁽²⁾

فذكر المخاطب (الجزائر) مع السياق الذي ورد فيه يدل على أنّ النداء وُضع لإبراز صفات

الممدوح .

2-4-2- الإغراء والتحريض :

يخرج النداء المجازي لغرض الإغراء والتحريض لأمر خاص بالمخاطب ، لذا يُراعي المتكلم فيه

حاله وموقفه ، ومنه قول الغماري :

سَجَّلِي يَا خَيْرَ شَاهِدٍ سَجَّلِي بِاسْمِ الشَّهِيدِ⁽³⁾

يتوجه الشاعر بالإغراء والتحريض إلى كلّ من شهد بأنّ يُدرك بأنّ كلّ جيل لا يجاهد يكون

فجره جدّ بعيد . فهو يُعري كلّ متلقٍ لأنّ يجاهد حتى بزوغ فجر جديد . وسر الجمال في هذا

الأسلوب أنّ الشاعر فيه يحاول أنّ يُحدث توازنا موضوعيا بين ما يختلج صدره وما يراه .

كما أننا نجد الشاعر يُعري فئة الشباب ليكونوا في الطليعة :

وَيَا شَبَابُ أَنْتُمْ الطَّلِيْعَةُ

وَأَنْتُمْ سَوَاعِدُ الشَّرِيْعَةِ⁽⁴⁾

فالسّياق يوحي بأنّ الشاعر لا يستخدم النداء هنا لغرضه الحقيقي ، بل لإغراء الشباب ليهبوا

فيكونوا سواعد هذه الأمة وحماها .

1- الديوان ، ص 11 .

2- الديوان ، ص 12 .

3- الديوان ، ص 88 .

4- الديوان ، ص 113 .

2-4-3- التقرّب والملاطفة :

يتوجه الأسلوب الندائي المجازي إلى المخاطب ليشعر المتكلم أنّه قريب منه . وهذا الغماري يخاطب أبناء جيله بأهم خير أبناء ، فيقول :

أَبْنَاءُ عُقْبَةَ كَبَّرُوا يَا خَيْرَ أَبْنَاءٍ وَأَبٍ (1)

وقد استعمل لتقرّبه هذا الأداة (يا) المناسبة للمقام المقتضى ، ليقول :

يَا أَيُّهَا الْفَرْعُ الْأَشْبُ (2)

2-4-4- التهكم والسخرية :

يُعبّر أسلوب النداء عن معنى التهكم والسخرية بالاعتماد على السياق والقرائن ، فيؤثر بذلك تأثيرا كبيرا في المتلقي كما في قول الغماري :

زَمَنُ الطَّاعُوتِ وَلِيٌّ فَانْتَحِرْ يَا هُبَلُ (3)

يسخر الشاعر في البيت من أولئك الطغاة الذين جثموا على الصدور بأنّ زمنهم قد ولى ، فيتهكم منهم بأنّ ينتحوا ويسقطوا كما سقط هبل من قبل ، واستعمل لذلك أداة نداء البعيد (يا) لتصغير شأنهم ، ثم يأتي الشرح والتفصيل بصورة التقرير والتأكيد :

إِنَّا بِالْحَقِّ أَوْلَى بِالضُّحَى نَكْتَحِلُ (4)

2-4-5- الزجر والتهديد :

لا يكتفي هذا الأسلوب بتنبية المخاطب من غفلته ، فهو أعلى درجة من النداء الحقيقي ، كما في قول الغماري يهدد فيه ويتوعد الدخلاء على الجزائر فصورهم على أنهم غرباء :

يَا غَرِيبَ الدَّارِ

لَا الْوَصْلُ بِنَاءٍ عَنكَ (5)

كما أنّ النداء للبعيد باستعمال الأداة (يا) أفاد معنى التحقير .

1- الديوان ، ص 18 .

2- الديوان ، ص 19 .

3- الديوان ، ص 87 .

4- الديوان ، ص 87 .

5- الديوان ، ص 138 .

2-4-6- التضرير والتحير :

وهو من أبداع أساليب النداء المجازية " إذ يتوجه الخطاب فيه إلى المتكلم ذاته غالباً ليبين ما به من حيرة وقلق واضطراب .. ولا يمنع أن يتوجه فيه إلى المخاطب " (1) كما في قول الغماري :

إِنْ تَسْأَلِ الْأَزْهَرَ الْمَعْمُورَ يَا وَطَنِي
تُجِبْكَ مِثْدَنَةً بِالصَّمْتِ تَصْطَخِبُ ! (2)

يصور الشاعر حاله من خلال أسلوب النداء المجازي بأنه قلق ضجر مما حلّ بالبلاد العربية من خلال تلك الصورة البائسة التي رسمها للمثدنة الصامتة . هذا الأسلوب يصور فيه حالته النفسية المختزنة بداخلة .

وخلاصة لهذا العنصر ، فإننا نعرض إلى ظاهرة بلاغية قديمة حديثة ألفينا نماذج منها في ديوان الغماري ، تتمثل في التبادل بين الأساليب اللغوية وإنزال أسلوب منزلة الآخر ، فهو " يؤصل لدلالات بعيدة دقيقة ، بل لمغامرة عاطفية فكرية عظيمة تعتلج في ذات المتكلم " (3) فالشاعر يعيش حالة توتر داخلي ، لذلك يصبح النمط الأسلوبي " موازاة فنية لذلك كله بكل خصائصه الجمالية " (4) .

وينتج عن ذلك أسلوب جمالي متميز يجمع بين الحركة اللغوية والانفعال والموقف عند المتكلم ، فيتولد عن ذلك أسلوب بلاغي يسمى إنزال الخبر منزلة الإنشاء أو العكس .

ومن أغراض إنزال الخبر منزلة الإنشاء (5) النصح والإرشاد في قول الغماري :

أَنْ تَغْزُوَ الْعَالَمَ بِالْأَفْكَارِ (6)

فالشاعر أراد أن يؤصل فكرة معينة إلى مخاطبه بصيغة الخبر ، والمراد منه الأمر ، فالمضارع المنصوب (أن تغزو) جاء بغرض النصح والتوجيه للمتلقي لغزو العالم بالأفكار البناءة لا بالأباطيل والخرافات التي لا طائل منها .

ومن أغراضه أيضاً الحث على السعي والجد في طلب الأمر المحمود في قول الغماري :

- 1- حسين جمعة ، جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة بلاغية جمالية نقدية ، ص 203 .
- 2- الديوان ، ص 125 .
- 3- حسين جمعة ، جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة بلاغية جمالية نقدية ، ص 34 .
- 4- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .
- 5- ويُقصد بهذا الأسلوب أنّ صياغة الجملة صياغة خبرية ولكن دلالتها دلالة إنشائية ، وتؤدي وظيفة من وظائف الأساليب الإنشائية . انظر : المرجع السابق ، ص 38 .
- 6- الديوان ، ص 94 .

ذِكْرَى النَّبِيِّ فِي الْقُلُوبِ الثَّارُ وَالْمَوْتُ فِي الْإِسْلَامِ وَالْإِصْرَارِ (1)

فحينما عظمت رغبة الشاعر في ضرورة ابتعاد الناس عن البدع التي يأتونها والمتعلقة بذكرى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد استعمل صيغة الإثبات التي تفيد وقوع الحدث وثبوته فكأنه حاصل . كما يحث الشاعر على الإصرار وضرورة الاستشهاد في سبيل الإسلام ، لأنه أمر مرغوب لديه ، فاستعمل له صيغة الإخبار ، ولكن الغرض منه إنشائي ، فكأن الشاعر يأمر المتلقي بالقيام بما يرغب فيه .

فمثل هذا الانزياح في الأسلوب الخبري يتضمن نكهة خاصة " تتشكل في صورة العلاقة بين الصورة والدلالة والمقام " . (2)

إنّ الخطاب الطلبي في عمومه " أداة ذرائعية تتأسس في إيعازيته واستدعاءاته الصادرة على قاعدة العمل والأثر ، أي أنّ المتكلم يتغياً أهدافاً نفعية في كلّ رسالة يقصدها ، طبقاً للمعنى التواصلي الذي يتوخاه " . (3)

إنّ الفعل الكلامي الأكبر (*) الذي أدته قصائد الغماري يكمن في فعل التوجيه والإرشاد الناتج عن تضافر مجموعة من الأفعال الجزئية ممثلة في الأمر والنهي والاستفهام والنداء والإثبات والنفي ... فمثل هذه الأساليب الخبرية والإنشائية ليست " تمثيلاً للعالم بل هي إنجاز لأفعال " . (4) فالغماري لم يستعمل هذه الأساليب للتعبير عن تجربته للمتلقي فحسب ، بل لحمله على الثورة على واقعه الاجتماعي والسياسي للنهوض بالأمة نحو ما هو أفضل .

1- الديوان ، ص 107 .

2- حسين جمعة ، جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة بلاغية جمالية نقدية ، ص 40 .

3 - هيثم محمد مصطفى ، القصيدة الإنجازية ... ص 230 .

* هو الفعل الكلامي الذي يتشكل من سلسلة من الأفعال الكلامية الجزئية .

4 - فرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية ، ص 9 .

الفصل الخامس

الوظائف اللسانية

المبحث الأول

تماسك النص الشعري

- الارتباط اللفظي:

- الربط المعجمي

- الارتباط النحوي

الارتباط اللفظي :

الربط المعجمي :

يُعدّ التحول في دراسة اللغة من نحو الجملة إلى نحو النص تغييرًا ليس في شكل اللغة أو محيطها فقط ، وإنما في الفكر الذي يتعامل مع هذه العناصر .

وتعدّ لسانيات النص أحد الفروع اللسانية الذي يُعنى بدراسة النص باعتباره وحدة لغوية كبرى ، وقد وُضعت عدة معايير نصية تحقق نصيته ، من هذه المعايير الربط أو السبك - النحوي أو المعجمي . وستتوقف في هذا المبحث على الربط المعجمي (السبك المعجمي) متناولين البحث في عنصريه : التكرار والتضام لإبراز أثرهما في بناء النص من خلال تحقيق الاستمرارية فيه ، وتنظيم ما بداخله .

والسبك المعجمي " وسيلة لفظية من وسائل السبك التي تقع بين مفردات النص ، وعلى مستوى البنية السطحية فيه ، تعمل على الالتحام بين أجزائه معجميا ، ومعاني جملة وقضاياه ، من خلال إحكام العلاقات الدلالية القريبة والبعيدة فيه ، إذ يؤدي ذلك إلى تلازم الأحداث ، وتعالقها من بداية النص حتى آخره ؛ مما يحقق للنص نصيته " (1)

ويقسم علماء اللغة النصيون الربط (السبك) المعجمي إلى قسمين ، هما : التكرار والتضام .

التكرار :

من الظواهر الأسلوبية التي اهتم بها اللغويون ، قديما وحديثا ، ظاهرة التكرار . وهي ظاهرة عامة في كافة اللغات ، وليست هي ميزة تختص بها اللغة العربية دون غيرها من اللغات . والتكرار لا يتحقق على مستوى واحد ، بل على مستويات متعددة ، مثل تكرار الحرف ، والكلمة والجملة . " وقد تتكرر قصص ومواقف ونصوص " (2)

1 - نوال بنت إبراهيم الحلوة ، أثر التكرار في التماسك النصي مقارنة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات خالد منيف ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها ، العدد 8 ، ماي 2012 ، ص 17 .

2- إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي ، ج 2 ، ص 20 .

يُعرّف التكرار اصطلاحاً بأنه " شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي ، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف له " .⁽¹⁾ فهو وسيلة من وسائل التماسك النصي .

فالمقصود بالتكرار إذن ، هو إعادة لفظتين مرجعهما واحد ، فهو " ضرب من الإحالة إلى سابق " .⁽²⁾ فالثاني منهما يحيل إلى الأول ، ومن ثم يتحقق السبك بينهما .
ويذكر " هاليداي ورقية حسن " مثالا لهذه الظاهرة⁽³⁾ :

(اغسل وانزع نوى ست تفاحات . ضع التفاحات في صحن مقاوم للنار) .

فقد تمت الإحالة هنا بتكرار لفظ (تفاحات) التي ربطت طرفي الجملة التي ورد فيها التكرار .

وقد عرف تراثنا العربي مثل هذه الظاهرة ، حيث وردت مبثوثة في كتب النحو والبلاغة ؛ إلا أن النحاة والبلاغيين على الخصوص لم يهتموا بتوضيح " دور التكرار في تحقيق التماسك بين عناصر النص المتباعدة " ⁽⁴⁾ لأن دراستهم كانت منصبّة على الجانب الإفرادي الساكن ، مثلما نجده عند ابن رشيق القيرواني ، وابن أبي الأصبع المصري ، وبدر الدين بن مالك ، والسجلماسي وغيرهم .

والتكرار عندهم هو " دلالة اللفظ على المعنى مرددا " ⁽⁵⁾ . ويُعرفه السجلماسي بأنه " إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو بالنوع أو المعنى الواحد بالعدد أو النوع في القول مرتين فصاعدا " ⁽⁶⁾ .

فمن خلال التعريفين السابقين ، يمكن أن نحدد نمطين من التكرار :

- الأول يكون في اللفظ والمعنى ، وهو التكرار التام أو المحض أو " هو التكرير اللفظي " ⁽¹⁾ . ومن أمثله قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رُءُوسُهُمْ فِي الْغَيْبِ ﴾

1- محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 24 . وينظر : أحمد عفيفي ، نحو النص ، ص 106 . وشفيع السيد ، البحث

البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص 171 .

2- جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، ص 79 .

3- محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 14 .

4- إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي ، ج 2 ، ص 17 . وينظر أيضا : جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية

واللسانيات النصية ، ص 84 وما بعدها .

5- ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، قدمه وعلق عليه : أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار النهضة ، القاهرة ،

ج 3 ، ص 3 .

6- السجلماسي ، المنزع البديع ، في تجنيس أساليب البديع ، تحقيق علال الغزي ، درا المعارف ، مصر ، ط 2 ، 1972 ،

ص 476 .

بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿ [البقرة ، الآية : 79] .
فقد تكررت كلمة (الويل) وقصد به دلالة واحدة (وحدة المرجع) .

وقد جعل أحمد عفيفي لهذا النوع من التكرار قسمين ⁽²⁾ :

أ- التكرار مع وحدة المرجع ، أي يكون المسمى واحدا . ومثاله الآية السابقة .

ب- التكرار مع اختلاف المرجع ، أي يكون المسمى متعددا .

- والثاني يكون في المعنى دون اللفظ ، " وهو التكرير المعنوي " ⁽³⁾ ، ويشمل الترادف وشبهه .

ويُعبّر علماء لغة النص عن الأول بإعادة العنصر المعجمي نفسه ، وعن الثاني بالترادف أو

شبه الترادف .

هذا عن التكرار عند القدامى ؛ أما عند علماء لغة النص فإنهم حددوا أربعة أنواع للتكرار ،

وهم أفادوا في ذلك من الدراسات اللغوية والدلالية المعاصرة " ⁽⁴⁾ ، وهذه الأنواع هي :

1- إعادة العنصر المعجمي نفسه .

2- الترادف أو شبه الترادف .

3- الاسم الشامل .

4- الكلمات العامة . ⁽⁵⁾

فتكرار العنصر المعجمي يقصد به إعادة الكلمة ذاتها دون تغيير . ويندرج تحت هذا النوع التكرار

الجزئي من خلال تكرير العنصر المعجمي لكن مع شيء من التغيير في الصيغة ، فهو يعني "

الاستخدامات المختلفة للجذر اللغوي " . ⁽⁶⁾

أما النوع الثاني ، وهو الترادف أو شبه الترادف ، فيقصد به " تكرار المعنى دون اللفظ " . ⁽¹⁾

1- المصدر نفسه ، ص 476 . وانظر : إبراهيم خليل ، في اللسانيات ونحو النص ، ص 231 - 232 .

2- أحمد عفيفي ، نحو النص ، ص 106 .

3- السجلмасي ، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، ص 477 .

4- جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، ص 85 .

5- المرجع نفسه ، ص 79 - 80 . وينظر : خليل البطاشي ، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، ص 201 .

6- جميل عبد المجيد ، نفسه ، ص 82 .

وأما الاسم الشامل أو الأساس المشترك فهو " عبارة عن اسم يحمل أساسا مشتركا بين عدة أسماء ؛ ومن ثم يكون شاملا لها " (2) ، وذلك مثل الأسماء : الناس ، الشخص ، الرجل ، الولد ... فهي أسماء يشملها جميعا الاسم (الإنسان) .

وأما عن الكلمات العامة ، فهي " كلمات فيها من العموم والشمول ما يتسع بكثير عن الشمول الموجود في الاسم الشامل " (3) . ومن أمثله : أن يصل بك العصيان إلى حد التمرد عن السلطة . الأمر خطير جدا .

فكلمة (أمر) عنصر مطلق جاء تكرارا لكلمة (التمرد) . (4)

ويمثل " هاليداي ورقية حسن " لهذه الأنماط الأربعة بهذا المثال (5) :

شرعت في الصعود إلى القمة الصعود سهل للغاية . (إعادة العنصر المعجمي نفسه)

التسلق (ترادف)

العمل (اسم شامل)

الأمر (كلمة عامة)

إنه (استخدام الضمير)

وظائف التكرار :

التكرار عبارة عن إحالة إلى سابق ، إذ تحيل الكلمة أو العبارة أو الجملة إلى مثيلتها ، مما جعل اللغويين يولونه أهمية بالغة قديما وحديثا .

وقد رصد علماء البلاغة العرب بعض وظائف التكرار ؛ فقد جعلها ابن رشيق تسعا (6) ، ترتبط كل وظيفة منها بالغرض الشعري ، وهي :

-
- 1- المرجع نفسه ، ص 82 .
 - 2- المرجع نفسه ، ص 83 .
 - 3- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .
 - 4- محمد الأخضر الصبيحي ، مدخل إلى علم النص ، ص 91 .
 - 5- محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 24 .
 - 6- جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، ص 86 - 87 - 89 . وينظر : شفيح السيد ، البحث البلاغي عند العرب ، ص 173 - 174 .

- التشويق والاستعداد ، إذا كان في مقام التغزل والنسيب .
- التنويه بالممدوح والإشادة بذكره ، إن كان في مقام مدح .
- التقرير والتوبيخ .
- التعظيم للمحكي عنه .
- الوعيد والتهديد ، إذا كان في مقام العتاب والعناء الموجه .
- الحزن والتوجع في مقام الرثاء والتأبين .
- الاستغاثة .
- التشهير وشدة التوضيح بالمهجو في مقام الهجاء .
- الازدراء والتهكم والتنقيص .

ويبقى السياق المقامي أو السياق المقالي وحده هو الذي يحدد وظيفة التكرار أثناء التعامل مع النص ولا تُفرض فرضاً على التكرار . وهذا ما يظهر عند ابن الأثير في تعامله مع التكرار .⁽¹⁾

يرى علماء لغة النص أن التكرار " زيادة على كونه يؤدي وظائف دلالية فإنه يؤدي كذلك إلى تحقيق التماسك النصي ، وذلك عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النص حتى آخره".⁽²⁾

ويذهب محمد خطابي إلى أن التكرار يقوم بوظيفتين : الأولى هي وظيفة الربط والثانية الوظيفة التداولية .⁽³⁾ فالربط يتم بين أجزاء النص بضم بعضها إلى بعض ، والثانية تتمثل في لفت أسماع المتلقي " إلى أن لهذا الكلام أهمية لا ينبغي إغفالها".⁽⁴⁾

فالتكرار يعمل على ترابط القصيدة ، خاصة في شعر التفعيلة ، ويعمل على تماسك بنائها خاصة في " تكرار مقدمات القصائد وخواتيمها " ⁽⁵⁾ ، وهو من أكثر الألوان شيوعاً في هذا اللون من الشعر.

1- ابن الأثير ، المثل السائر ، ج 3 ، ص 5 - 6 .

2- خليل البطاشي ، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، ص 201 .

3- محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 179 .

4- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

5- شفيق السيد ، البحث البلاغي عند العرب ، ص 200 - 201 .

هذه بعض أنماط التكرار في الدرس اللغوي - قديمه وحديثه - وبعض وظائفه ، فهو من وسائل السبك المعجمي التي اهتمت بها اللسانيات النصية وجعلتها شكلا من أشكال الإحالة اللفظية التي تربط اللاحق بالسابق .

ومن نماذج التكرار في الديوان :

1-4-1- التكرار في بداية الجملة :

هو عبارة عن تكرار لفظة بشكل متتابع في بداية كل سطر ، وتشكل هذه الكلمة المكررة في بداية كل سطر عامل ربط في النص . ومن نماذج هذا النوع قول الغماري في القصيدة الثانية من الديوان " لن ينام الحق " :

آه يَا أَحْبَابَنَا جُنَّتْ مَسَافَاتُ الْبِعَادِ
فَاعْتَرَبْنَا ..

وَلَدَيْنَا مِنْ ضِيَاءِ اللَّهِ زَادٌ⁽¹⁾

ويقول في المقطع الثاني :

آه يَا أَحْبَابَنَا هُبُّوا نَسِيمًا أَوْ شِمَالًا
عَلَّنَا نَسْتَلْهُمُ الشَّوْقَ ..
وَنَرْتَادُ الظَّلَالَآ ..

فَلَكُمْ حَالٌ ضَبَابُ الْعَصْرِ دُونَ الشَّوْقِ حَالًا

فَتَنَسَّمْنَا بَرِيقَ الْوَهْمِ .. خِلْنَاهُ اخْضِلَالَآ⁽²⁾

ثم يقول في المقطع الثالث :

آه يَا أَحْبَابَنَا الْأَغْلِيْنَ .. مَا جَدَّوَى الْحِيَاهِ !

حِينَ غَبْتُمْ .. فَتَنَاءَيْنَا عُيُونًا وَشَفَاهِ

1- الديوان ، ص 26 .

2- الديوان ، ص 27 .

كُنْتُمْ الْأُنْسَ .. وَكُنَّا نَعْمًا أَخْضَرَ

شَوْقًا ..

وَصَلَاةً .. (1)

فيختم القصيدة بنفس التأوه والنداء :

آه يَا أَحْبَابَنَا وَالْحُبُّ رَفْضٌ مُسْتَمِرٌّ

يُزْهِرُ السَّيْفُ عَلَى أَيَّامِهِ ..

يَمْتَدُّ مَهْرٌ ... (2)

فتكرار لفظة (آه) في بداية كل سطر من أسطر المقاطع الأربعة جعلها مركزا دلاليا تتفرع عنه دلالات عدة منطلقة من فكرة التأكيد على ذلك الألم الذي ألمّ بالشاعر حين اغترب فأحس بوطأة ذلك البعد والنأي فعبر عنه في شكل آهات متتابعة افتتح بها كل مقطع في القصيدة ، فحقق له هذا التكرار تماسكا بين مقاطع القصيدة ، إذ يعمل تكرار هذا العنصر (آه) على توجيه الدلالة عند المتلقي .

1-4-2- التكرار ضمن الجملة :

المراد به تكرار وحدة معجمية ضمن العبارة دون تقييد معين . ومن أمثله قول الغماري في قصيدة " أغليتُ حُبِّكَ " :

أَغْلَيْتُ حُبِّكَ أَنْ يُبَاعَ وَيُشْتَرَى

وَمَنْعْتُ حُبِّكَ أَنْ يُعَاقِرَهُ الْوَرَى

أَغْلَيْتُ حُبِّكَ أَنْ يُتَاجَرَ بِاسْمِهِ

يَا حُبَّهَا أَوْرِقٌ .. فَإِنَّ جَوَانِحِي

رَوْضٌ إِذَا غَنَى صَبَاحُكَ أَزْهَرًا (1)

1- الديوان ، ص 28 .

2- الديوان ، ص 29 .

وقوله :

أَغْلَيْتُ حُبِّكَ يَا سَمَاءَ مَوَاجِدِي

وَرَعَيْتُهُ بِالْمُرْسَلَاتِ الْأَحْمَرَا ! (2)

فالشاعر يغلي من حبه للجزائر ويخلصه من أطماع أولئك الذين أرادوا أن يُتاجروا به في سوق النخاسة ، وقد استأثر بهذا الحب لنفسه دون أن يشاركه فيه أحد . فحبّ الجزائر بالنسبة إليه مصدر إلهام فجّر جوانحه وأحشائه ، هذا الحبّ الذي عدّه الغماري مصدر وجوده .

فالشاعر كرر كلمة (حُبِّكَ) مع وحدة المرجع ، ومن ثمّ فإنّها ساهمت في تصعيد الدلالة الحسية عند الشاعر إلى جانب ربط أجزاء القصيدة وتماسكها .

1-4-3- تكرار الكلمة نفسها في نهاية الجملة :

الكلمة المكررة هنا تكون في نهاية الأسطر الشعرية بشكل متتابع ، ومن أنماطه ما ورد في قصيدة

" هذي المصاحف يا إله " :

هَذِي الْمَصَاحِفُ ... يَا إِلَهَ !

مَا ذَنْبُهَا ..؟

حَتَّى تُمَزَّقَ أَوْ تُحَرِّقَ .. يَا إِلَهَ !

رَكِبُوا الظَّلَامَ لَهَا ..

وَعَاثُوا فِي كِتَابِكَ .. يَا إِلَهَ !

مَدُّوا خَنَاجِرَ حَقْدِهِمْ

فِي عِزِّ بَيْتِكَ يَا إِلَهَ ! (3)

1- الديوان ، ص 143 .

2- الديوان ، ص 145 .

3- الديوان ، ص 82 .

نلاحظ أن تكرار الوحدة المعجمية (يا إله) في آخر الأسطر قد ساهم في إبراز ألم الشاعر وتوجعه لما لحق بكتاب الله من تمزيق وحرق ، أمّ لِمَا لحق بالدين الإسلامي من مكائد ودسائس . إضافة إلى ذلك فإن التكرار ساهم في تلاحم أجزاء القصيدة وتماسكها من خلال المرجعية السابقة له .

1-4-4- تكرار العبارة أو الجملة :

وهذا النوع ، تُكرر فيه العبارة دون تغيير في المعنى أو المبنى . وتقع الجملة المكررة في مواقع مختلفة من القصيدة ، فقد تقع في بداية المقطع مثلما ورد في قصيدة " لن ينام الحق " . فتكرار جملة (لن ينام الحق ...) يُشكل بؤرة دلالية للنص ، فالشاعر يفتح القصيدة بهذه العبارة ، إذ يقول :

لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ فِي جُرْحِ بِلَادِي ..

لَنْ يَنَامَ ..

مِنْ وَرَاءِ الصَّمْتِ

أَتَلُو سُورَةَ الْمَوْتِ الزُّرَّامِ

أَتَلَطَّى عُقْبَةَ ...

مُهْرًا إِلَهِيًّا

وَطَارِقٍ .. (1)

ثم يكرر العبارة نفسها في بداية المقطع الثاني في القصيدة :

لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ ..

وَالرَّمْزُ الإِلَهِيُّ الإِمَامُ

لَيْسَ بَعْدَ الدَّمْعِ يَا خَضْرَاءُ إِلاَّ الإِبْتِسَامُ (2)

1- الديوان ، ص 23 .

2- الديوان ، ص 24 .

ويعيدها ثالثة في القصيدة ذاتها ؛ ولكن هذه المرة ختم بها القصيدة ، فيقول :

لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ ..

وَالرَّمْزُ الإِلَهِيُّ الإِمَامُ

لَيْسَ بَعْدَ الدَّمْعِ يَا " خَضْرَاءُ " إِلاَّ الإِبْتِسَامُ⁽¹⁾

فالشاعر عبّر تكراره لعبارة (لن ينام ...) في المقاطع الثلاثة ، ثم عبارة (والرمز الإلهي / ليس بعد الدمع يا خضراء إلا الابتسام) ، أبرز إصراره وتأكيديه على أنّ الحق لا يمكن أن يموت أو يزول ، بل لا بدّ له أن ينتفض وينتصر ، لذلك يستصرخ للأمة " عقبة " و " طارقا " لاسترجاع هذا الحق ، وهو متفائل بذلك ، فليس بعد الحزن والدمع غير الفرح .

إضافة إلى ما حققه التكرار من دلالة في مقاطع القصيدة ، فقد عمل على تحقيق التلاحم بين أجزائها ، ومن ثم مساهمته في تحقيق التماسك في بناء القصيدة خاصة في تكرار مقدمات القصائد وحواتيما .

ب- التضام : collocation

التضام في اللغة الاشتمال والاجتماع ، جاء في لسان العرب لابن منظور قوله : الضمّ : ضمّك الشيء إلى الشيء ، وقيل : قبض الشيء إلى الشيء . وضمّه إليه يضمّه ضمّا انضمّ وتضامّ . تقول : ضممتُ هذا إلى هذا فأنا ضامّ وهو مضموم . وضامّ الشيء الشيء : انضمّ معه . وتضامّ القوم إذا انضمّ بعضهم إلى بعض .⁽²⁾ وهو ما يتفق مع معناه الاصطلاحي إذ يُعرّف بأنه " استلزام عنصرين لغويين أو أكثر استلزاما ضروريا ، أو هو الترابط الأفقي الطبيعي ما بين الكلمات أو رفقة الكلمة أو جيرتها لكلمات أخرى في السياق الطبيعي نحو : " أهلا وسهلا " ، " لم ينس بنت شفة " ، وقد تطور هذا المفهوم فأصبح يعني دخول كلمة في سياق مقبول مع الكلمات الأخرى ، نحو : الفعل "

1- الديوان ، ص 29 .

2 - لسان العرب ، مادة (ض م م) ، تصحيح : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، ط 3 ، 1999 ، ج 8 ، ص 88 .

أطلق " فقد يقال : " أطلق لحيته " ، " أطلق ساقيه للريح " ، " أطلق الحبل على الغارب " [...] ولكل منها معنى سياقي يُخالف غيره " .⁽¹⁾

ويعرفه محمد خطابي بقوله : " توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك " .⁽²⁾

وفي أغلب الأحيان تكون تلك العلاقة النسقية التي تحكم هذه الأزواج في نص ما هي علاقة تعارض أو ترادف أو علاقة الكل للجزء أو الجزء للجزء ، أو التقابل أو التجاور ... على أنّ إرجاع هذه الأزواج إلى علاقة واضحة تحكمها ليس دائما أمرا هيّئا ؛ لكن القارئ يتجاوز هذه الصعوبة بخلق سياق تترايط فيه العناصر المعجمية معتمدا على حدسه اللغوي وعلى معرفته بمعاني الكلمات .⁽³⁾

وفي السياق ذاته يُعرّف التضام بأنه " توارد زوج بين الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة ، فالعلاقة النسقية التي تحكم هذه الأزواج في خطاب ما ، هي علاقة التعارض من مثل : ولد ، بنت ، جلس ، وقعد ، فلفظ الولد والبنت قد يراد في نص لا يعود فيه عليهما عنصر إحالي موحد ولكنهما يُسهمان في النصية " .⁽⁴⁾

وقد اختلف اللغويون في ترجمة مصطلح **Collocation** إلى العربية ، فترجم إلى : التضام ، التلازم ، المصاحبة ، الرصف والنظم ، قيود التوارد ، الاقتران اللفظي .

وقد ترجم محمود فهمي حجازي هذا المصطلح تحت اسم " التضام " وهو يعني عنده : " ارتباط أكثر من كلمة في علاقة تركيبية ، ويكون معناه مفهوما من الجزئيات المكونة لها " .⁽⁵⁾ وقد مثل لذلك بكلمة " كرسي " التي تُستخدم في عدة تراكيب على سبيل التضام ، وتدور هذه التراكيب حول معنيين اثنين ، يظهر أولهما في التراكيب : جلس على الكرسي ، صنع الكرسي ، كرسي منخفض ... وثانيهما : في تراكيب مثل : كرسي الفلسفة ، وكرسي علم اللغة ، وكرسي الأستاذية ... فالمعنى

- 1 - نادية رمضان النجار ، التضام والتعاقب في الفكر النحوي ، مجلة علوم اللغة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، المجلد 3 ، العدد 4 ، 2000 ، ص 105 .
- 2 - محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 25 .
- 3 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .
- 4 - محمود سليمان الهواوشة ، أثر عناصر الاتساق في تماسك النص ، دراسة نصية من خلال سورة يوسف ، منشورات جامعة مؤتة ، 2008 ، ص 94 .
- 5 - مدخل إلى علم اللغة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص 157 .

الأول يدخل في المجال الدلالي للأثاث ، والثاني في المجال الدلالي للوظائف .⁽¹⁾ فهو يرى بأنّ تركيب التضام ما هو إلا جمع لمعنى المكونات .⁽²⁾ فالتضام بين الكلمات والتلازم بينها هو المكون للمعنى المفهوم .

وقد أطلق عليه محمد مفتاح التشاكل الذي يقوم على " تحديد المفاهيم كتضام لمقومات أو خصائص ؛ وقد وظف هذا التحليل في الأنثروبولوجيا وفي اللسانيات وفي علم النفس للحصول على معلومات حول الخصائص العميقة لحقل مفهومي معيّن في استعمال لغوي ، ولإثبات الاختلاف والتماثل بين الثقافات ، وللبحث عن البنيات المعرفية الكامنة خلف الأنساق المعجمية لمجتمع ما ، ولإثبات انسجام رسالة النص " .⁽³⁾

ويُضيف محمد مفتاح ، ما يقترب في معناه من مفهوم التضام ، قائلاً إنّ : " التوارد الاضطراري للوحدات المعجمية ينتج عنه المحور الأفقي للخطاب " .⁽⁴⁾

ويُجمع اللغويون على أنّ أول مَنْ أشار إلى هذه الظاهرة هو اللغوي " فيرث " الذي يرى أنّ العنصر اللغوي عند وضعه في سياقات مختلفة ينكشف معناه ، فمعنى الكلمة عنده يكون عند استعمالها أو طريقة استعمالها .⁽⁵⁾

نشير هنا إلى أنّ التضام كمصطلح عرفه الدرس اللغوي القديم ، فقد وُجد في التراث لكن بمعان مختلفة إذ " اهتم القدماء بعلاقة التضام ، وإن كانوا لم يصطلحوا على تسميتها ، فعرفت بمصطلحات عدة ، منها : الضم ، والنظم ، والرصف ، والمعازلة ... كما عُرفت عند اللغويين بالتلازم والتركيب والتضام " .⁽⁶⁾

1 - محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة ، ص 157 .

2 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

3 - التشابه والاختلاف ، نحو منهجية شمولية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1996 ، ص 132 - 133 .

4 - المرجع نفسه ، ص 133 .

5 - ينظر : - أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 5 ، 1998 ، ص 68 - 69 .

- أحمد حسين حيال ، السبك النصي في القرآن الكريم ، دراسة تطبيقية على سورة الأنعام ، منشورات جامعة المستنصرية ، العراق ، 2011 ، ص 157 .

6 - ناديّة رمضان النجار ، التضام والتعاقب في الفكر النحوي ، ص 100 .

وقد قسّم تمام حسنّ علاقات التضام إلى :⁽¹⁾

- علاقة التلازم : وهو أن يكون لفظ ملازما للفظ .
- علاقة التوارد : وهو مناسبة لفظ لفظ آخر ، إذ لا يمتنع أن يصاحبه .
- علاقة التنافي : وهو تنافر لفظ مع لفظ آخر ، ولا يردان معا متواليين في تركيب واحد .

ويحدد أحمد مختار عمر العلاقات الحاكمة للتضام في :⁽²⁾

- **علاقة التضاد** : وكلّما كان حادا (غير متدرج) ، كان أكثر قدرة على الربط النصي . والتضاد الحاد قريب من النقيض عند المناطقة ، ويتفق مع قولهم إنّ النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان ، مثل : ميت - حيّ ، متزوج - أعزب ، ذكر - أنثى . ومن أمثله قوله تعالى : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ [الكهف ، الآية : 17] . فالتضام بين الكلمتين (يهد ويضلل) يشير إلى علاقة بين الجملتين .

- **علاقة التنافر** : مثل : خروف ، فرس ، قط ، كلب بالنسبة لكلمة حيوان . وقد مثّل له أحمد مختار عمر بقوله : (جاء أمر بالاستيلاء على الحيوانات والحبوب التي يملكها أهالي القرية ، وجمعت الأغنام والأبقار ، لتُدفع إلى الجيوش المحاربة) . فكلمتا (الأغنام والأبقار) تنضويان تحت كلمة الحيوانات ، وفي هذا ارتباط بين الجملتين .

كما يرتبط بالرتبة ، مثل : ملازم ، رائد ، مقدم ، عقيد . ويرتبط بالألوان ، مثل : أحمر ، أخضر ، أبيض ... ويرتبط أيضا بالزمن : فصول ، شهور ، أعوام ...

- **علاقة الجزء بالكل** : مثل علاقة اليد بالجسم والعجلة بالسيارة .

فكلّ هذه العلاقات بين الكلمات تخلق في النص ما يُعرف بالتضام ، " فشعور المتكلمين - كما يرى جون لاينز - يتجه إلى اعتبار أحد المتقابلين في التضاد ذا معنى إيجابي ، والآخر ذا معنى سلبي ، ليس فقط المتكلم بل والمتلقي أيضا عند استقباله للنص ، ولهذا تصنع مثل هذه العلاقات تماسكا

1 - ينظر : البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، عالم الكب ، القاهرة ، ط 1 ، 1993 ، ص 244 .

2 - علم الدلالة ، ص 102 - 106 .

نصيًّا بدلالاتها المتناقضة " (1).

تحليل عناصر التضام في الديوان :

يُعدّ التضام المعجمي من أهم العناصر التي تساهم في اتساق النص وتماسكه ، وسنحاول في هذا المبحث أن نتبع بالدراسة والتحليل عناصر التضام التي وظفها الغماري في ديوانه " قراءة في آية السيف " لإبراز دورها في التماسك النصي .

وقد توزعت هذه العناصر على علاقات متنوعة ، هي :

العلاقة	عدد ورودها في الديوان	النسبة المئوية
التضاد	37	52.85 %
الترادف	24	34.28 %
الجزء من الكلّ	05	7.14 %
الكلّ من الجزء	04	5.71 %

وما يلاحظ على هذه العلاقات أنها توزعت بين علاقة التضاد (37 عنصرا بنسبة 52.85 %) وعلاقة الترادف (24 عنصرا بنسبة 34.28 %) وعلاقة الجزء من الكلّ (5 عناصر بنسبة 7.14 %) وعلاقة الكلّ من الجزء (4 عناصر بنسبة 5.71 %) .

وانطلاقا من هذه المعطيات يمكن القول إنّ مصطفى الغماري قد أولى اهتماما كبيرا لعلاقتين هامتين هما التضاد والترادف ، لما تمنحه هاتان العلاقتان من أثر في ترابط النص وتماسكه . وسنحاول فيما يلي تحليل وشرح بعض النماذج من هذه العلاقات - على تنوعها - لإبراز مدى إسهام وسيلة التضام في تحقيق تماسك النصوص الشعرية المختارة من الديوان .

1 - أحمد عفيفي ، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط 1 ، 2001 ، ص 113 - 114 .

– علاقة التضاد :

من النصوص التي وردت فيها علاقة التضاد قول الغماري :

لِلْغَدْرِ مَا وَهَبَتْ أَيْدِي الْغُرَاةِ وَمَا تَهَبُ
رَقَصُوا عَلَى أَشْلَائِنَا زَمْنَا .. وَطَابَ لَهُمْ حَبَبٌ !
خَطَرُوا فَكَانَ الْقَهْرُ يَغْتَالُ الْمَسَافَةَ وَالرُّعْبُ !
بِاسْمِ الْمَسِيحِ تَنْمَّرُوا كَمْ بِاسْمِهِ فُضِيَ الْأَرْبُ !
لِلطُّهْرِ مَرْيَمُ .. لِلسَّلَامِ وَلَيْدُهَا .. لَا لِلْحَرْبِ !
كَمْ بِاسْمِهِ قُتِلَ السَّلَامُ وَبِاسْمِهِ اعْتَصَرَ الْعَبُّ !
عَيْسَى حَنَانِكَ إِنْ نَشَرْنَا .. فَلِدِينِهِمْ نَارَ الْعَرَبِ (1)

يُنكر الغماري في هذا المقطع الشعري على الغرأة فعلهم المشين وما ألحقوه من منكرات بالشعب الجزائري ، فهم يدعون الحرية والعدالة والمساواة في حين أنهم ألحقوا بالجزائر وشعبها القتل والخوف والتشريد ، فهم دُعاة سلام مزيّف ، لذلك فهو يستصرخ عيسى عليه السلام الذي هو رمز للسلام والأمان على أنّ ثورة العرب إنما لدينهم .

وقد استعمل الغماري في هذا المقطع عنصرا من عناصر التضام حققته علاقة التضاد باعتبار أنّ " السلام " مضادة لـ " الحرب " . وقد جعلت هذه العلاقة النص على مستوى الدلالة أكثر تنوعا إلى جانب ظهور دورها الاتساقية ، إذ ساهمت كثيرا في تماسك النص والربط بين أجزائه بحيث بدا المقطع الشعري أكثر لحمية واتساقا .

ويقول في موضع آخر :

وَقَضَى الْأَمِيرُ مُجَاهِدًا بَيْنَ الْكَتَائِبِ وَالْكُتُبِ

.....

لَوْلَا التَّامُرُ مَا انْشَنَّتْ حَيْلُ الْأَمِيرِ وَلَا اغْتَرَبَ

وَمَضَى الْأَمِيرُ وَمَا لَهُ غَايٌ سِوَاكَ وَلَا أَرْبَ
لَمْ يَنَّا عَنْكَ وَلَا هَفَا إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا انْتَسَبَ

.....

لَكَ يَا جَزَائِرُ مَا أَسْرَّ وَمَا أَبَانَ وَمَا وَهَبَ

.....

أُورَاسُ يَا سَيْفًا يَثُورُ وَيَا خَيْولًا تُرْتَقِبُ

الْحُرُّ يُولَدُ مِنْ جَدِيدٍ فِي الْمَاسِي لِأَ الطَّرْبِ (1)

يُجِدُ الغماري في هذا المقطع شخص الأمير عبد القادر الذي قضى عمره بين كتائب الجهاد وكتب التصوف والعلم ، ولولا المؤامرات التي حيكّت ضده لما خرج من الجزائر ولما اغترب عنها ، فهو لم يكن له غايات ولا مآرب غير الجزائر ، وهو لم يتعد عنها ولم يهف قلبه إلا لها ، ولا إلى غيرها انتسب ، فهي التي رعته واحتضنته حين جفاه القريب وانقلب ضده الصاحب . فللجزائر ما أخفى الأمير وما أعلن وما أعطى .

لذلك يناجي الغمار الأوراس ليمدّ ملحمة الجهاد ويقراً سورة الفتح لأنّ الغايات تُدرك بالسعي ، وأنّ الحرّ يُولد من جديد في الشدائد والصعاب لا في الطرب .

إنّ تواجد هذه المفردات " رعيته - جفاه - أسرّ - أبان - المآسي - الطرب " في النص أدت إلى تجاوز الدلالة المفردة البسيطة إلى وظيفة إنتاجية أسهمت في تماسك الدلالة الكبرى للنص وهي تمجيد جهاد الأمير عبد القادر الذي كان المنطلق والمنتهى لثورة الفاتح من نوفمبر .

وفي قصيدة " وحدي مع الله " يقول الغماري :

أَحْيَيْتَ فِي الْقَلْبِ سِرَّ الْحُبِّ " إِحْيَاء "

كُنَّا الْوُرُودَ وَكَانَ الْحُبُّ انْدَاءً

.....

رَأَيْتَ مَا لَمْ يَرَ الْعُدَّالُ يَا بَصْرِي

مَا قِيمَةُ الْعَيْنِ إِذْ تَرْتَدُّ عَمِيَاءَ !

.....

فَوَاصِلُ اللَّهِ فِي عَيْنِ الْحَبِيبِ سَمَتْ

أَرَى بِهَا جَنَّةً بِالْوَصْلِ فَيَحَاءَ

هِيَ الْبَصَائِرُ لَا مَا أَبَدَعَتْ زُمْرٌ

مِنَ الرُّسُومِ تَرَى السَّوْدَاءَ بَيضَاءَ !

.....

خُلِقْتُ فَرْدًا وَآتَى اللَّهُ مُنْفَرِدًا

وَخَدِي مَعَ اللَّهِ أَتْلُو السَّيْنَ وَالْبَاءَ

وَخَدِي مَعَ اللَّهِ فِي حُزْنِي وَفِي فَرْحِي

وَخَدِي مَعَ اللَّهِ إِسْعَادًا وَإِشْقَاءَ (1)

تظهر علاقة التضاد في النص في هذه الثنائيات : " بصري - عمياء " و " السوداء - بيضاء " و " حزني - فرحي " و " إسعادا - إشقاء " . وواضح من خلال قراءة هذه النماذج أنّ الدور التماسكي لهذه العناصر باديا للمتلقي بشكل واضح ، إذ ساهمت عناصر التضام - من خلال علاقة التضاد - مساهمة كبيرة في تماسك أجزاء النص إنّ على مستوى المعاني أو على مستوى النسيج اللغوي وذلك باعتبار الدور الكبير الذي لعبته هذه العلاقة في اكتمال البنية الكلية للنص عند الغماري .

ومن المتضادات في هذا الديوان ما ورد في قصيدة " قراءة في آية السيف " حيث يقول

الغماري :

ذِكْرِي الرَّسُولِ أَنْ تَرَى الْإِسْلَامًا

يَعِيشُ فِي حَيَاتِنَا نِظَامًا

.....

أَنْ تَغْزُوا الْعَالَمَ بِالْأَفْكَارِ

لَا بِرَخِيصِ الْقَوْلِ وَالشَّعَارِ !

كَمْ مَلَأُوا قُلُوبَنَا صَدِيدًا

وَجَعَلُوا وَحْدَتَنَا بَدِيدًا !

.....

لَيْسَ لَهُمْ مِنْ أَمْسِهِمْ أَسَاسٌ

وَمَا لَهُمْ مِنْ يَوْمِهِمْ إِحْسَاسٌ

لَيْتَسَمَا تَوَرَّطُوا وَوَرَّطُوا

وَخَطَّطُوا وَحَنَطَّطُوا مَا خَطَّطُوا ! !

وَنَحْنُ فِي فِرَاغِنَا الْمَحِيطِ

مِنْ أُنْدُنُوسِيَا إِلَى الْمَحِيطِ !

نَنَامُ أَوْ نَضْحُو عَلَى الْبِضَاعِهِ

لِتَرْتَعِ الْأَطْمَاعُ فِي الْوَضَاعِهِ !

نَهْبٌ .. لَكِنْ لِهَوَى الْبُطُونِ !

وَشَهْوَةٌ مُلْتَاعَةٌ الْجُفُونِ !

يَجُوبُنَا الصَّبَاحُ وَالْمَسَاءُ

تَبِيعُنَا الْأَلْقَابُ وَالْأَسْمَاءُ ! (1)

حصلت علاقة التضاد في هذا المقطع الشعري بين " الأفكار - الشعار " و " أمسهم -

يومهم " و " نام - نصحو " و " الصباح - المساء " .

فذكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم تتجسد - حسب الشاعر - في أن نجعل الإسلام نظاماً لحياتنا وأن نغزو العالم بالأفكار البناءة لا بمضغ الشعارات والأقوال مثلما يفعل الحكام العرب اليوم ، هؤلاء الذين بددوا وحدة الشعوب العربية حتى غدت لقمة سائغة لمن يتربص بهذه الأمة . هؤلاء الحكام الذين لم يكن لهم ماض ولا حاضر فقد عملوا وخططوا للشعوب العربية المسلمة كيف يبعدها عن دينها وشخصيتها إرضاءً للغرب ، فهم غير مهتمين إلا بالألقاب والأسماء التي تُغني من الأمر شيئاً .

إنّ شحن النص بهذه العلاقة يشي بأنّ هذه المفردات المتضادة تعمل متضافرة في إنتاج خطاب متماسك .

- علاقة الترادف :

يعمد الشاعر في أحيان كثيرة إلى استعمال مفردات متوافقة في المعنى ، مختلفة في اللفظ تنتج عنها علاقة دلالية تتمثل في علاقة الترادف التي تُوظف في سياق النص لتشير إلى وظيفة مُعيّنة مثل الهروب من التكرار الممل .

من علاقات الترادف ما ورد في ديوان الغماري " قراءة في آية السيف " إذ يقول في قصيدة " وسل الأمير ... " :

وَقَضَى الْأَمِيرُ مُجَاهِدًا بَيْنَ التَّامِرِ وَالرَّيْبِ !

يَتَسَاءَلُونَ وَأَنَّهُمْ سُؤْلُ يَلُوبٍ وَيَصْطَخِبُ

وَقَضَى الْأَمِيرُ مُجَاهِدًا بَيْنَ الكِتَابِ وَالْكِتْبِ

لَوْلَا التَّامِرُ مَا انْثَنَتْ خَيْلُ الْأَمِيرِ وَلَا اغْتَرَبَ

وَمَضَى الْأَمِيرُ وَمَا لَهُ غَايٌ سِوَاكَ وَلَا أَرْبُ (1)

إنّ التعظيم الذي جاء به الغماري في هذا المقطع اعتمد فيه على توظيف تلك الشائيات المتمثلة في عناصر التضام والتي حققتها علاقة الترادف ، من هذه العناصر : " التأمير - الرب " .

و " يلوب - يصطخب " و " غاي - أرب " . وهذه المترادفات مثلت علامة واضحة على الكفاية التداولية للشاعر ، وتميّزه بقدرته على الإيحاء وإثارة انفعال القارئ من خلال الجمع بين وحدتين مترادفتين ، الأمر الذي عمل على تحقيق التماسك النصي وذلك بربط عناصر الخطاب المتتابعة .

ويقول الغمار في قصيدته " شوق الخلود " :

.....

أَنْتَ الْفَنَاءُ وَفِي فَنَائِكَ مَا نَشَاءُ وَمَا نُرِيدُ !
عَيْنُ الْبَقَاءِ فَنَاؤُكَ الْمَحْضُ الْإِلَهِيُّ الْمَدِيدُ !

.....

زَادُ السَّيْلِ وَهَلْ بَغَيْرِ الزَّادِ تُخْتَصِرُ الْحُدُودُ
مَدَدُ إِلَهِي الْعَطَاءِ يُضِيءُ لِلْسَّفَرِ الْمَدِيدِ
سَنْظَلُّ نَشْرَبُ مِنْ رُؤَاهُ الْخَالِدَاتِ وَنَسْتَزِيدُ ⁽¹⁾

ربط الشاعر في هذا المقطع بين " نشاء " و " نريد " وبين " مدد " و " العطاء " بعلاقة ترادف والتي مثلت الموضوع الرئيسي في المقطع الشعري المتمثل في صوفية الشاعر وحبّه الإلهي الذي يستلهم منه كل ما في هذا الوجود .

فعلاقة الترادف هنا تمتت الجسر الدلالي الذي يربط بين هذه الوحدات والتي تصبّ في الدلالة الكبرى للموضوع مما سجّل اتساق المقطوعة وتماسكها .

ويقول الغماري في قصيدة " هذي المصاحف .. يا إله " :

.....

ثَمِلْ بِأَشْلَاءِ الْيَتَامَى سَادِرٌ
فِي الْوَهْمِ .. تَشْرَبُ مُقْلَتِيهِ الرَّاحِ !
بِاسْمِ التَّقَدُّمِ يَا دُرُوبُ تَجُوسُ فَيْكَ خَنَاجِرِ !

1 - الديوان ، ص 49 - 50 .

تَعْتَالُ خَطْوَاكَ ، بِاسْمِهِ ، وَالصَّمْتُ لَيْلٌ كَافِرٌ !

.....

وَالرَّافِضُونَ قِبَائِلٌ وَالصَّامِتُونَ عَشَائِرٌ !

كُلُّ يَغْنِي حُبَّهُ .. وَالخَطْبُ أَحْمَرُ فَأَغِرُ !

كُلُّ وَحَقِّكَ ، فِي هَوَاكِ مُسَاوِمٌ وَمُتَاجِرٌ ! (1)

نجد بين " ثمل والراح " وبين " قبائل وعشائر " و " مساوم ومتاجر " مناسبة ترادف ، فالشاعر جمع بين هذه الثنائيات بعلاقة ترادف ، وفي ذلك دليل على قدرته على التنويع في بنية الألفاظ مع الحفاظ على مضمونها . كما تُعتبر العلاقة الدلالية بين هذه الكلمات أمرا مساعدا على تواصل المعنى وتصالب النص .

– علاقة الجزء من الكلّ :

من عناصر التضام التي اعتمد عليها الغماري في مجموعته الشعرية " قراءة في آية السيف " علاقة الجزء من الكلّ ، يقول في قصيدة " وسل الأمير ... " :

.....

نَعْمٌ أَجَلٌ .. مِنَ الْأَلَى كَانُوا فَأَزْهَرَتْ الْكُثْبُ

تَتَمَاوَجُ الصَّخْرَاءُ فِي أَيَّامِهِ الْخُضِرِ الْقَشْبُ

وَتَرَى عَلَى أَيَّامِهِ أَوْرَاسَ يَهْزَأُ بِالنُّوبِ

بِالْقَادِمِينَ مِنَ الظَّلَامِ عَلَى سَفَائِنٍ مِنْ رَهَبٍ (2)

ومثل ذلك نجد في قوله :

.....

1 - الديوان ، ص 80 .

2 - الديوان ، ص 11 .

أَعَزُّ مِنْ نَسَبِ " الْعُزَّى " وَأَعْظَمُ مِنْ

دَعْوَى الرَّمَالِ عَلَى صَحْرَائِهَا تَثْبُ ! (1)

فالكثب جزء من الصحراء ، وكذلك الرمال جزء منها . فمن خلال هذه النماذج يتضح أنّ علاقة الجزء من الكلّ رغم قلّة ورودها في الديوان إلا أنّها عملت على التعبير عن غرض الشاعر وهدفه ، كما أنّها أثبتت مقدرة الشاعر على الاستثمار اللغوي للوحدات المعجمية ، مما أكسب النص ثراءً ، وزاد من تماسكه وتلاحمه .

– علاقة الكلّ من الجزء :

إضافة إلى علاقة الجزء من الكلّ ، اعتمد الغماري على علاقة الكلّ من الجزء . ونجد ذلك

في قوله :

وَسَلِ الْأَمِيرَ تَرَى الْأَمِيرَ يَدًا وَأَخْلَاقًا وَحُبًّا !

فِي مُقَلَّتَيْهِ جَزَائِرِي أُمَّ الْمَغَاوِيرِ النَّجْبِ (2)

وقوله :

وَقَصَى الرَّمَانُ .. فَكُنْتُ فِي نَارِ الْمُعَانَاةِ اللَّهَبِ

تَتَخَايَلِينَ إِذَا اشْرَأَبَّ اللَّيْلُ مَسْعُورَ الْهَدَبِ

وَتُمَشِّطِينَ ضَفَائِرَ الْأَمَالِ لِلدَّرْبِ السَّلْبِ

وَتُعَازِلِينَ الشَّمْسَ لَا سِجْنًا وَلَا قُضْبًا (3)

وقوله أيضا :

إِنْ يَمْكُرُ اللَّيْلُ الْهَجِينُ ، أَلَيْسَ مُقْتَرِبًا نَهَارِي !

أَهْوَاهُ مَرْعَةً تَمُوجُ بِكُلِّ دَانِيَةِ الثَّمَارِ

1 - الديوان ، ص 122 .

2 - الديوان ، ص 13 .

3 - الديوان ، ص 16 .

وَقَصِيدَةً خَضْرَاءَ مِثْلَ الطُّهْرِ فِي مُقَلِّ الصَّغَارِ

وَأَرَاكَ يَا بَيْضَاءَ

يَكْبُرُ فِيكَ رَمْزُ الْإِنْتِصَارِ⁽¹⁾

إذ ترتبط الكلمات في المقاطع السابقة بأصحابها :

- فاليد جزء من شخص الأمير .

- والقُضْب جزء من السجن .

- والثَّمار جزء من المزرعة .

فقد أسهمت علاقة الكلّ بالجزء في الربط بين أجزاء النص ، واستطاع بفضلها الشاعر أن يخلق ترابطاً بين الأبيات بواسطة تلك الأجزاء بعد ذكر ما تتعلق به .

إنّ ورود مثل هذه العناصر التضامية من تضاد وترادف وعلاقة الجزء من الكلّ والكلّ من الجزء أسهم في نصية قصائد الديوان ، بالإضافة إلى ذلك الدور الذي أدته على المستوى الشكلي والبنائي للنص .

¹ - الديوان ، ص 84 .

الارتباط النحوي :

الأدوات :

الربط التشريكي بالعطف :

تدخل حروف العطف على الأسماء كما تدخل على الأفعال ، ووظيفتها عطف وربط ما بعدها على ما قبلها ، وتقتضي إشراك ما بعدها لما قبلها .

وتُعدّ الواو أصل حروف العطف لكثرة استعمالها في الديوان ، ومعناها الجمع والتشريك ، وتعطف مفردا على مفرد ، وجملة على جملة .

وهي تفيد **مطلق الجمع** بين عنصرين ، حيث تكون بينهما عند اجتماعهما في موقعهما علاقة مطلق الجمع⁽¹⁾ ، ويربط مطلق الجمع بين صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما ، إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين⁽²⁾ .

والواو من الأدوات التي تعبّر عن علاقة مطلق الجمع ، ويسمى (فان ديك) هذا النوع من الربط بالوصل أو عطف التشريك⁽³⁾ .

والربط بالواو هو ربط خطي يقوم على الجمع بين جملة سابقة وأخرى تلحقها ، فيفيد مجرد الترتيب في الذكر⁽⁴⁾ .

وتلجأ اللغة العربية إلى الربط بواو العطف بغرض الإيجاز ، وأمن اللبس في فهم علاقة الارتباط ، والدلالة على معنى التشريك ، فالربط بواو العطف في جملة نحو : جاء أبو عبد الله ومحمد ، التي تتكون بنيتها من جملتين بسيطتين ، هما : أ- جاء أبو عبد الله ، ب- جاء محمد ، أدى إلى أمن اللبس في فهم علاقة الارتباط ، لأن العطف بالواو يفيد معنى المغايرة ، ومعنى الاشتراك في حكم الجيء ؛ إذ يفيد مطلق الجمع . فلو لم يتم الربط بالواو لكان المتلقي ظن أن العطف بين أبي عبد الله

1 - دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص 151 .

2 - المرجع نفسه ، ص 346 .

3 - ينظر : النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ص 90 .

4 - ينظر : الأزهر الزناد ، نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1993 ، ص 37 .

ومحمد عطف بيان ، إذ ستكون الجملة جاء أبو عبد الله محمد .⁽¹⁾

هذا النوع من الربط له أهمية في توفير المعاني السياقية ، والعلاقات في الوصل والفصل .⁽²⁾ وقد ذهب النحاة إلى أنّ ترك العطف لا يجوز إلا بسبب قوة الاتصال المعنوي ، أو لانقطاع الجمل عن بعضها وعدم تناسبها معنويًا ، أو لعدم الاشتراك في الحكم ، أو أنّ العطف يُوقع اللبس ويُوهم غير المراد .⁽³⁾ وكانت الواو أكثر أدوات الربط استخدامًا عند الغماري في ديوانه : (قراءة في آية السيف) ، فقد وردت خمسمائة وعشرين مرة (520 مرة) بنسبة مئوية قُدّرت بـ : 89.34 % .

ومن شواهد هذا النوع قول الغماري :

وَقَضَى الْأَمِيرُ مُجَاهِدًا بَيْنَ التَّامِرِ وَالرَّيْبِ

يَتَسَاءَلُونَ وَأَنَّهُمْ سُؤْلُ يَلُوبُ وَيَصْطَخِبُ

وَقَضَى الْأَمِيرُ مُجَاهِدًا بَيْنَ الكِتَابِ وَالْكِتْبِ

لَوْلَا التَّامِرُ مَا انْثَنَتْ خَيْلُ الْأَمِيرِ وَلَا اغْتَرَبَ

وَمَضَى الْأَمِيرُ وَمَا لَهُ غَايٌ سِوَاكَ وَلَا أَرْبَ

لَمْ يَنَّا عَنْكَ وَلَا إِلَيْكَ وَلَا انْتَسَبَ

وَيَكَادُ يَفْنَى فِي ارْتِكَاضِ الْعِشْقِ خَاطِرَةً وَبُ

أَنْتِ التِّي عَرَفْتِهِ كَيْفَ الصَّبَابَةُ تَلْتَهَبُ ؟

كَيْفَ المَحْبُونِ العِطَاشُ تَفُورُ نَجْوَاهُمْ حَبَبٌ ؟

وَرَعِيَّتِهِ حِينَ القَرِيبُ جَفَاهُ . وَالخِلُّ انْقَلَبَ !⁽⁴⁾

فإذا حذف أداة الربط (الواو) في بين (الكتائب والكتب) تصبح (الكتب) بدلا من (الكتائب) وهذا يؤدي إلى ضياع المعنى وإلى اللبس . ويحذف (الواو) في قوله : (ولا انتسب)

1 - ينظر : مصطفى حميدة ، نظام الربط والارتباط في الجملة العربية ، ص 143 .

2 - ينظر : إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلومصرية ، القاهرة ، ط 6 ، 1978 ، ص 327 .

3 - ينظر : عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 248 .

4 - الديوان ، ص 15 .

تصبح الجملة (لا انتسب) مبتورة عن السياق .

يقول الغماري :

وَأَدْمُنُوا الْفُسُوقَ وَالْمُرُوقَا

وَجَعَلُوا أَهْوَاءَهُمْ حُقُوقًا !⁽¹⁾

أفادت (الواو) التشريك في الحكم ، فقد اشترك الاسمان (الفسوق والمروق) في حكم الإدمان ، وبجذف (الواو) تكون كلمة (المروق) بدلا من (الفسوق) ، وتنقطع جملة (جعلوا أهواءهم حقوقا) عما قبلها .

فحرف العطف (الواو) منع التوهم وأفاد تحقيق الترتيب .

الربط الاستدراكي :

يربط الاستدراك على سبيل السلب صورتين من صور المعلومات بينهما علاقة تعارض ، إذ تكونان في المقام متحدتين أو متشابهتين ؛ أو أن ذلك يكون بتناولهما لموضوعات بينها علاقة ، لكن من خلال تجمع غير متوقع في التنشيط الموسع ، وقد يكون كل من الصورتين صادقا بالنسبة إلى عالم النص ، ولكن تعلق كل منهما بالآخر غير واضح .⁽²⁾

أما (فان ديك) فيتحدث عن الاستدراك بمصطلح " التغيير بالتعارض " فيقول : " قد تختلف الأشياء عما هي عليه في العادة أعني في معظم الأحوال والعوالم الممكنة المتعارفة . ومع أنّ ضروب التعلق قد تصدق فيها بوجه عام ، فقد يجوز أن تبقى هناك حالات استثنائية بسبب ضروب وملابسات مخصوصة ؛ وتكون مثل هذه الحالات الاستثنائية غير متوقعة من جهة المبدأ إذا حصل أن قوبلت وعورضت خواص الأحداث وجريانها مع ما يتوقع عادة أن يكون حاصلها في العوالم المتعارف عليها وهذه العلاقات غير المتوقعة ، أو الاستدراكية مما يطرأ على الأحداث إنما يعبر عنها بأدوات من الربط من نحو : لكن ، مع أنّ ، وبالرغم من أنّ ، حتى ومع ذلك ، فضلا عن ذلك ، وبينما ، وإن كان على حال ، وعلى أي حال . وهي أدوات تنتمي إلى باب الوصل (العطف المنسوق) ؛ وباب

1 - الديوان ، ص 108 .

2 - دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص 346 - 347 .

الظرف ، وحروف الجر " (1).

تفيد أدوات الربط الاستدراكية معنى المخالفة في الحكم ، ويتحقق هذا الربط من خلال أدوات أهمها : بل ، أو في الإضراب ، ولكن الاستدراكية ، وأدوات الاستثناء . ولم نعثر في الديوان إلا على اثنتين منها ، هي : بل والاستثناء .

الربط بالأداة (بل) :

وردت أداة الربط (بل) مرة واحدة في الديوان في قول الغماري :

وَيَصْنَعُونَ النَّصْرَ فِي الْأَغَانِي

وَبَلِّ لَّهُمْ مِنْ وَطْنٍ يُعَانِي !

قَدْ " بَاعَهُ " الْخَلِيفَةُ الْمَصْنُوعُ !

وَاسْتَمَرَّتْ عَذَابُهَا الْجُمُوعُ !

مَا خَانَهُ رَغَمَ الصَّلِيبِ خَانُ

وَلَمْ يَبِعْ تَارِيخَنَا عُثْمَانُ

بَلْ بَاعَهُ " مِيشَالُ " أَوْ زِيَادُ !

الْأَسْوَدَانِ الْعَارُ وَالْأَحْقَادُ (2)

ينفي الشاعر أنّ الخضوع والخنوع الذي تعيشه الأمة العربية والإسلامية لم يكن سببه الخلفاء ، فلم يبيع تاريخنا عثمان ليستدرك الشاعر أنّ من باع تاريخ الأمة هم حُكّام هذه الأمة المزيفين .

الربط التعليلي :

وتحقق من خلال أدوات ، هي : علّ ، إذ ، لأنّ ولام التعليل . وقد تكررت هذه الأدوات تسع مرات في قصائد الديوان وعملت على التماسك النصي بين الوحدات الصغرى والوحدات

1 - النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ص 122 .

2 - الديوان ، ص 100 .

الكبرى .

الربط بالأداة (علّ) :

وردت أداة الربط (علّ) مرة واحدة في الديوان . يقول الغماري :

آه يا أَحْبَابَنَا هُبُوا نَسِيمًا أَوْ شِمَالًا

عَلَّنَا نَسْتَلْهُمُ الشَّوْقَ ..

وَنَرْتَادَ الظَّلَالَآ ..

فَلَكُمْ حَالٌ ضَبَابُ الْعَصْرِ دُونَ الشَّوْقِ حَالًا

فَتَنَسَّمْنَا بَرِيقَ الْوَهْمِ .. خِلْنَاهُ اخْضِلَالَآ⁽¹⁾

إذ اقترنت (علّ) بعنصر إحالي هو الضمير المتصل (نا) فكان التركيب :

جملة معللة + علّ + عنصر إحالي (الضمير) + تعليل

هبوا نسيمًا أو شمالًا + علّ + نا + نستلهم الشوق

هذه الدلالة لا يمكن أن تتحقق بدون الرابط (علّ) .

الربط بالأداة (إذ) :

وردت هذه الأداة أربع مرات في الديوان ، منها :

.....

رَأَيْتَ مَا لَمْ يَرَ الْعُدَّالُ يَا بَصْرِي

مَا فَيْمَةُ الْعَيْنِ إِذْ تَرْتَدُّ عَمِيَاءَ !⁽²⁾

استخدم الشاعر أداة التعليل (إذ) لما في ذلك من قوة في التماسك النصي ، وفي حالة

حذف الأداة فإنّ الربط في هذه الحالة يقتصر على الإحالات . ومثل ذلك ما ورد في قوله :

1 - الديوان ، ص 27 .

2 - الديوان ، ص 37 .

.....

تَطَرَّفُوا فَأَخْطَأُوا الطَّرِيقَا

إِذْ جَانَبُوا " السَّيِّدَ " وَ " الرَّفِيقَا !! (1)

يعلل الشاعر سبب تطرف هؤلاء القوم بسبب ابتعادهم عمّا جاء به السيّد والرفيق محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد استعمل لذلك أداة التعليل (إذ) التي حققت الربط بين السبب والنتيجة .

ثم يقول :

.....

هَلْ تَنْفَعُ اللَّحِيَّةُ إِذْ تَطُولُ

وَالدَّيْنُ فِي رُبُوعِهِ فُلُولُ ! (2)

ويقول :

تَبَارَكَ " الْجِنْسُ " رَبًّا فِي مَسَافَتِهِمْ !

إِذِ الْعَقِيدَةُ فِي أَفْكَارِهِمْ رَهَقُ ! (3)

فـ (إذ) رابط بين طرفي التركيب أفاد التعليل حيث يعلل الشاعر مباركة بعض الفئات في المجتمع الجنس والملذات بسبب اعتقادهم أن ما جاءت به العقيدة الإسلامية إنما هو تعب ورهق لما يحملونه من أفكار غريبة مستوردة .

الربط باستخدام (لام التعليل) :

ورد التعليل بهذا الرابط ثلاث مرات في الديوان . يقول الغماري :

.....

1 - الديوان ، ص 102 .

2 - الديوان ، ص 111 .

3 - الديوان ، ص 157 .

وَعَنَاهُمْ حَادِي السَّرَابِ فَأَوْقَفُوا
سَمْعًا يُعَاقِرُهُ السَّرَابُ لَيْسَكِرًا ! (1)

اتصلت لام التعليل بالمضارع لتربط الجملة بعدها بما قبلها ، إضافة إلى أنها أزالَت اللبس ،
ففي حالة حذف لام التعليل تتحول الجملة بعد الأداة من التعليل إلى جملة حالية .

الربط باستخدام (لَأَنَّ) :

وردت الأداة (لَأَنَّ) مرة واحدة في الديوان في قول الغماري :

قَالُوا التَّصَوُّفُ بِدْعَةٌ مِنْ شَرِّ أَخْلَاقِ الْهُنُودِ
قُلْتُ التَّصَوُّفُ يَا فَتَى شَوْقُ الْخُلُودِ إِلَى الْخُلُودِ
لَوْلَا التَّصَوُّفُ لَمْ يَكُنْ سِرُّ الْوُجُودِ وَلَا الْوُجُودُ
جَهْلُوكَ يَا نُونَ الْوُجُودِ لِأَنَّهُمْ حَاءُ الْجُمُودِ !
أَنْتَ الْفَنَاءُ ، وَفِي فَنَائِكَ مَا نَشَاءُ وَمَا نُرِيدُ ! (2)

فقد حققت الأداة (لَأَنَّ) المكونة من لام التعليل و (أَنَّ) بعدها الربط بين السبب في أنهم
حاء الجمود وما نتج عنه إذ أنهم جهلوا حقيقة هذا الوجود ، ولولا هذا الرابط لما انضمت البنية
السابقة إلى اللاحقة .

الربط الغائي :

من الروابط التي تستخدم لهذه الغاية : حتى ، بما في ذلك ، إلى أن . وقد وردت منها في
الديوان أداتان ، هما : إلى وحتى ، تكررت الأولى منهما ثلاث مرات ، والثانية مرتين .

وهذا النوع من الربط يقع في الجمل التي يكون متأخرها نهاية غاية لمتقدمها ، يقول الغماري :

1 - الديوان ، ص 144 .

2 - الديوان ، ص 49 .

.....

أَبْنَاءُ عُقْبَةَ كَبَّرُوا يَا خَيْرَ أَبْنَاءِ وَأَب
جِيلاً حُسَيْنِي الرِّسَالَةَ لَا يَزِيدِي اللَّقْبُ !
حَمَلَ الدُّرُوبَ قَصِيدَةً عَطَشَى وَآمَالاً قُشِبَ
حَتَّى ارْتَوَتْ مِنْ جُرْحِهِ سُمُّ الدُّرُوبِ وَمَا شَرِبَ ! (1)

يتكون التركيب من :

جملة متقدمة مثبتة + حتى + جملة تشكل نهاية الغاية

فالأداة (حتى) رابط غائي ربط ما بعده بما قبله ، فيحذفه تتحول الجملة (ارتوت من جرحه
سمر الدروب وما شرب) إلى جملة استئنافية لا رابط فيها سوى الإحالة ممثلة في الضمير .

ويقول الغماري أيضا :

وَالْقُدْسُ .. يَا لِحَبِيبِ الْقُدْسِ مُنْعَفِرًا
وَالْقَادَةَ السُّمْرُكُمْ غَنُّوا وَكَمْ طَرَبُوا !!
تَأَنَّقَ السَّلْمُ حَتَّى صَارَ مَفْخَرَةً
وَفُلْسِفَ الْجُبْنَ حَتَّى أَحْمَدَ الْهَرَبُ !
وَمَا عَلَيْهِمْ وَقَدْ بِيَعَتْ كِرَامَتُهُمْ
أَنْ يُعْبَدَ الْأَصْفَرَانِ الذُّلُّ وَالذَّهَبُ ! (2)

فبدون الرابط (حتى) تتحول جملة (أحمد الهرب) من الغائية إلى البدلية ، إضافة إلى تحقيق

الرابط .

الرابط الغائي بالرابط (إلى) :

1 - الديوان ، ص 18 .

2 - الديوان ، ص 124 .

ورد هذا الرابط ثلاث مرات في قصائد الديوان . يقول الغماري :

وَدَمَّرُوا مَرَّاسِمَ الشَّرِيعَةِ
وَكَشَفُوا حُصُونَنَا الْمَنِيْعَةَ !
لَيْسَ لَهُمْ مِنْ أَمْسِهِمْ أَسَاسُ
وَمَا لَهُمْ فِي يَوْمِهِمْ إِحْسَاسُ
لَيْسَمَا تَوَرَّطُوا وَوَرَّطُوا
وَخَطَّطُوا وَحَنَطَّطُوا مَا خَطَّطُوا !!
وَنَحْنُ فِي فَرَاعِنَا الْمَحِيطِ
مِنْ أُنْدُنُوسِيَا إِلَى الْمَحِيطِ ! (1)

ويقول :

قَدَرُ أَنْ يُنَبِّتَ الصُّبَارُ أَشْبَاحَ الْجَلِيدِ !؟
أَنْ يُمَنَّا الزَّمَانَ الصَّعْبُ
نَجْرِي دُونَمَا غَايِ
إِلَى غَايِ مِنَ الْمَوْتِ الْبَلِيدِ ! (2)

الرابط التشبيهي :

ونقصد به الارتباط بين جملتين برابط قائم على أساس التشبيه ، إذ تستخدم أدوات التشبيه
للرابط بين أركان الجملة . فالكاف ترد مقترنة بالاسم الصريح ، وقد تقترن بـ (ما) المصدرية .

الرابط بالكاف مع الاسم المفرد :

1 - الديوان ، ص 95 - 96 .

2 - الديوان ، ص 133 .

يقول الغماري :

لَيْلَةُ الْوَجْدِ انْفِسَاحُ مُبْهَمِ الرُّؤْيَا حَزِينُ
وَعَصَافِيرُ الشِّتَاءِ الْبَيْضِ يُذْمِئُهَا الْحَيْنُ
الْحَيْنُ الْمُرُّ هَذَا ..
أَمْ مَسَافَاتُ السِّنِينَ ..؟
مُرَّةٌ كَالْحَمْرِ آه ..
مُرَّةٌ كَالثَّلْجِ آه
مُرَّةٌ كَالْمَوْتِ يَنْقُضُ عَلَى حُلْمٍ دَفِينُ
مُرَّةٌ هَذِي الْمَرَايَا ..
أَوْعُودُ الزَّمَنِ الْبَرْقِيِّ يُغْرِينَا مَدَاهُ !
فَتُغْنِيهِ الْجِبَاهُ ..
حُلْمًا أَخْضَرَ كَالْفَتْحِ إِذَا اخْضَلَّتْ يَدَاهُ (1)

اعتمد الغماري ، في هذا المقطع الشعري ، على أربع أدوات ربط ممثلة في أداة التشبيه الكاف مع الاسم المفرد بعدها لتحقيق الربط بين عناصره ، وبدونها يتنافى التشبيه ويختل الانسجام .

الربط بالكاف مضافة إلى (ما) المصدرية :

يقول الغماري :

يُولَدُ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ كَمَا تُوَلَدُ نَارٌ مِنْ حَجَرٍ !
لَا تَقُولُوا : إِنَّ لِلرِّيحِ جَفَافًا
وَمِنَ الرِّيحِ سَقَرٌ ! (1)

فقد اتصلت كاف التشبيه بـ (ما) المصدرية مضافة إلى صلتها ممثلة في الجملة الفعلية (تولد نار ...) لتعمل على ربط ما بعدها بما قبلها ، فبدونها لا يتحقق التشبيه والجانب الدلالي .

الربط بـ (كَأَنَّ) :

يقول الغماري :

.....

وَيُلَمِّهَا مِنْ حَفْنَةٍ هَجِيئِهِ

مُؤْغَلَةٍ فِي الْعِيِّ كَالضَّعِينِهِ !

وَيَا رَسُولَ اللَّهِ مَرَّقُوا الْكِتَابَا

مَا أَمْكَرَ الشُّرْكَ وَإِنْ تَغَابَى

وَأَخْضَعُوا أَحْكَامَهُ لِلدَّرْسِ

لِلْاجْتِمَاعِ أَوْ لِعِلْمِ النَّفْسِ !!

كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنِ التَّنْزِيلَا

وَلَمْ يَكُنِ أَمِينُهُ جَبْرِيَلَا !!

كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الْإِعْجَازَا !

وَكَانَتْ الْبَلَاغَةُ الْإِعْجَازَا !⁽²⁾

تم الربط في هذا النص الشعري من خلال رابطتين اثنتين هما الكاف مضافة إلى الاسم المفرد بعدها و (كَأَنَّ) التي تكررت مرتين لتحقيق الترابط بين أجزاء النص .

ويقول أيضا :

مَا كَانَ أَعْجَبَ مَنْ غَنَّكَ يَا وَطَنِي

1 - الديوان ، ص 33 .

2 - الديوان ، ص 104 - 105 .

بِخَنْجَرٍ بَرَبْرِيٍّ الْوَشْمِ .. حَدَاهُ ..

كَأَنَّهَا الْعَرَبُ .. عَارُ الْعَرَبِ مَعْبَدُهُ

وَالْكَفْرُ تُدْمِنُهُ حُمَى مَرَايَاهُ

كُنَّا وَكَانَ الْهَوَى الْعُدْرِيُّ يَغْمُرُنَا

كَالظِلِّ تُغْدِقُ لِلْعُشَّاقِ كَفَّاهُ ! (1)

عملت الأداتان (كأنّ) مضافة إلى (ما) والكاف على تماسك النص الشعري ، وبدون هذه الأدوات ينتفي معنى التشبيه والربط .

الربط الظرفي :

يعمل الظرف على الربط بين جملتين تتعلق إحداهما بالأخرى ، ولا يتوقف على بيان الزمان أو المكان للحدث . ومن بين الروابط الظرفية الواردة في الديوان : حين (ست مرات) وبعده (مرة واحدة) وبين (مرة واحدة) .

الربط بالأداة (حين) :

يقول الغماري :

آه يَا أَحْبَابَنَا جُنَّتْ مَسَافَاتُ الْبِعَادِ

فَاعْتَرَبْنَا ..

وَلَدَيْنَا مِنْ ضِيَاءِ اللَّهِ زَادٌ

حِينَ غَالَتْ فِطْرَةَ الصَّحْرَاءِ " عَشْتَارٌ " وَ " عَادٌ "

حِينَ بَيْعَ الْكِبْرِ فِي سُوقِ الصَّغَارِ !

ضَاجِعُوا الرِّيحَ ..

وَعَنَّا لِلطَّوَاغِيَةِ الصَّغَارِ !!

وَأَنْتَحُوا بِاسْمِ الْفُتُوحِ السُّمْرِ لِلْفَتْحِ الشَّعَارِ !⁽¹⁾

لما كان الغماري بصدد سرد أحداث متعلقة بتاريخ أمته ، فقد أورد الوقائع مرتبطة بعضها ببعض من خلال توظيف الرابط الظرفي (حين) . إنَّ وظيفة الظرف (حين) هنا لم تقتصر على الزمان وبيانه ، وإنما عملت على ربط الأحداث التي وقعت في زمن واحد .

الرابط بالأداة (بعد) :

يقول الغماري :

لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ ..

وَالرَّمْزُ الْإِلَهِيُّ الْإِمَامُ

لَيْسَ بَعْدَ الدَّمْعِ يَا خَضْرَاءُ إِلَّا الْإِبْتِسَامُ⁽²⁾

لما كانت الأفعال قد وقعت متقاربة ، فقد كان الرابط بينها الظرف (بعد) .

الرابط بالأداة (بين) :

يقول الغماري :

ذِكْرِي النَّبِيِّ أَنْ تَرَى " الطَّلِيْقَا "

لَا مُدْمِنًا إِفْكًا .. وَلَا طَلِيْقًا !

مَنْ صَيَّرُوا إِسْلَامَنَا مَطِيْبَهُ

قَوْمِيَّةً حِينًا .. وَقُرْمَطِيْبَهُ

تَفِيءُ فِي أَجْفَانِنَا الرِّيَّاحِ

1 - الديوان ، ص 26 .

2 - الديوان ، ص 24 .

مَجْنُونَةٌ وَتَعْمُقُ الْجِرَاحَ !
وَالْقَوْمُ بَيْنَ الْخَمْرِ وَالْأَفْيُونِ
وَفِي نَشَازِ اللَّحْنِ وَالْفُنُونِ !⁽¹⁾

أراد الشاعر أن يجمع بين أمرين هما تعاطي القوم الخمر والأفيون ليرز غفلتهم على ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد استخدم لذلك الرابط الظرفي (حين) الذي حقق التماسك النصي .

الإحالة : REFERENCE

أشرنا إلى أن التماسك هو ذلك الترابط الذي يجمع بين أجزاء النص ، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال أدوات لغوية ، من أهمها : الضمائر والإشارة والموصول والتكرار بأنواعه والاستبدال والحذف وغيرها .

ظاهرة الإحالة من الظواهر الخطابية التي تناوها الفكر اللغوي قديمه وحديثه ، وهي تُعرَّفُ بأنها " علاقة تقوم بين الخطاب وما يحيل عليه الخطاب إنْ في الواقع أو في المتخيل أو في خطاب سابق / لاحق " (1).

فهي تعني تلك العملية التي من خلالها تحيل اللفظة المستعملة على لفظة سابقة لها أو لاحقة عليها .

ويقول " جون لاينز " في سياق حديثه عن المفهوم التقليدي للإحالة : " إنها العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات " (2) فالأسماء تحيل إلى المسميات .

كما يعرفها " جان سيرفوني " على أنها " علامات تحيل إلى ملفوظيتها ويُقال أحيانا أنها تعكس (الملفوظية) " (3).

ومن حيث طبيعتها ، فإنَّ الإحالة تمثل العلاقة الدلالية التي تربط المكونات اللسانية بعضها ببعض ، فهي تُعتبرُ " علاقة دلالية ، ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية ، إلا أنها تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه " (4).

وتطلق الإحالة كما يعرفها الأزهر زناد " على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة ، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب ، فشرط وجودها هو النص " (1) ، فهي ظاهرة نصية ، يجب وصفها في إطار بنية أكبر من الجملة هي النص .

1- أحمد المتوكل ، الخطاب وخصائص اللغة العربية ، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط ، منشورات الاختلاف ، الرباط ، ط 1 ، 2010 ، ص 73 .

2- أحمد عفيفي ، نحو النص ، ص 116 . وينظر : براون ويول ، تحليل الخطاب ، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي ، الرياض ، 1997 ، ص 36 .

3- جان سيرفوني ، الملفوظية ، ترجمة قاسم المقداد ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1998 ، ص 27 .

4- محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 17 . وينظر : خليل البطاشي ، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، ص 165 .

ومن خلال استقراءنا للتعريفات السابقة للإحالة ، نجد أن هذه التعريفات لا تنظر إلى الإحالة على أنها عمل يقوم به المتكلم أو الكاتب لذلك يصرح " لاينز " وهو يتحدث عن طبيعة الإحالة " إن المتكلم هو الذي يحيل باستعماله لتعبير مناسب : أي أنه يحمل التعبير وظيفة إحالية عند قيامه بعملية إحالة ".⁽²⁾ فالإحالة " ليست شيئا يقوم به تعبير ما ، ولكنها شيء يمكن أن يحيل عليه شخص ما باستعماله تعبيرا معينا ".⁽³⁾ وعليه فإنه يتَّوَجَّبُ على محلل الخطاب أن يأخذ ذلك بعين الاعتبار وأن يفهم كيفية تلك الإحالة .

لذلك يشير أحمد المتوكل إلى أن أهم ما يجب لفت النظر إليه هو أن " ظاهرة الإحالة أدخل في التداول منها في الدلالة " ⁽⁴⁾ فهي ترتبط أكثر بالمقام وتحديدًا بتلك المعلومات التي يفترض المتكلم وجودها لدى المخاطب عن المحال عليه أثناء عملية التواصل .

ومن ثمَّ ، فإننا نرى بأنَّ الإحالة تجمع بين المستويين الدلالي والتداولي .

أقسام الإحالة :

تُعد الإحالة من أهم الوسائل التي يجب مراعاتها في التحليل النصي لأنها تحقق للنص تماسكه والتحامه " ذلك بالوصل بين أوامر مقطع ما أو الوصل بين مختلف مقاطع النص ".⁽⁵⁾

" وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة ، وهي : الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة ".⁽⁶⁾

كما تتحقق أيضا من خلال الأعلام والضمائر وضمائم اسمية أخرى .⁽⁷⁾ والتكرار والترادف والتوارد .⁽⁸⁾

1- أحمد عفيفي ، نحو النص ، ص 116 .

2- براون ويول ، تحليل الخطاب ، ص 36 .

3- المرجع نفسه ، ص 36 .

4- أحمد المتوكل ، الخطاب وخصائص اللغة العربية ، ص 74 .

5- محمد الأخضر الصبيحي ، مدخل إلى علم النص ، منشورات الاختلاف ، الرباط ، ط 1 ، 2008 ، ص 88 - 89 .

6- محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 17 - وينظر : تمام حسان ، اجتهادات لغوية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1 ، 2007 ، ص 366 .

7- كلاوس برينكر ، التحليل اللغوي للنص ، ص 36 .

8- تمام حسان ، اجتهادات لغوية ، ص 368 .

فوسائل الاتساق الإحالية إذن هي : الضمائر وأسماء الإشارة والتكرار والموصول أو أدوات المقارنة أو الاستبدال أو الحذف .

ومن حيث أقسامها ، يقسمها محمد خطابي إلى قسمين :⁽¹⁾ الإحالة المقامية والإحالة النصية.

1- الإحالة المقامية : EXPHORA وتسمى إحالة خارج النص أو خارج اللغة ، " وهي التي تحيل إلى عنصر خارج النص " ⁽²⁾ كأن نأتي بالضمير " للدلالة على أمر ما غير مذكور في النص مطلقا ، غير أنه يمكن التعرف عليه من خلال سياق الموقف " .⁽³⁾

ونضرب مثالا لهذا النوع في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأنعام ، الآية : 7]

فالإحالة المقامية هنا ، تشير إلى موقف حي من إمعان الكافرين في الرفض لهذه الدعوة .

فلسياق دور كبير في هذا النوع من الإحالة ، إذ من خلاله يتضح المحيل عليه ، فإذا قلت : " ما هذا ؟ " لا نعرف المشار إليه إلا من خلال سياق الموقف والمعارف السابقة مثلما نجد في ضمير الشأن وأسماء الإشارة وغير ذلك مما يرتبط بعنصر لغوي من الإحالات .⁽⁴⁾ ومن هنا تبرز الحاجة إلى معرفة السياق والمقام والظروف التي نشأ فيها النص .

2- الإحالة النصية : ENDOPHORA وتسمى الإحالة داخل النص أو داخل اللغة . وهي " التي تحيل إلى عنصر سابق أو لاحق داخل النص " .⁽⁵⁾ فهي تدل على علاقة الارتباط داخل النص سواء أكان بالإحالة إلى سابق أو بالإحالة إلى لاحق . وهي تنفرع إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية .

2-أ- إحالة قبلية : ANAPHORA (إحالة على سابق / إحالة بالعود) : وهي الأكثر شيوعا في الخطاب . فهي " تعود على مفسر سبق التلفظ به " .⁽¹⁾

1- محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 17 .

2- خليل البطاشي ، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، ص 165 .

3- أحمد عفيفي ، نحو النص ، ص 121 .

4- المرجع نفسه ، ص 122 .

5- خليل البطاشي ، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، ص 165 .

ومن نماذج هذا النوع من الإحالة قوله تعالى : (2)

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾
[السجدة ، الآيات : 4 - 6]

فالمحال عليه هو لفظ الجلالة (الله) في أول النص القرآني ، وقد ارتبط أول النص بمجموعة متنوعة من الإحالات ، هي :

- الضمائر ، كما في : (خلق ، استوى ، دونه ، يدبر ، يعرج) .
- اسم الإشارة في : (ذلك عالم الغيب) إشارة إلى الله سبحانه .
- الاسم الموصول في : (الذي خلق) .

وعن طريق هذه الإحالات المتنوعة ، استمرت الآيات على قدر كبير من التماسك .

2-ب- إحالة بعدية : CATAPHORA (إحالة على اللاحق) : وهي "

تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها " .⁽³⁾ فهي التي يأتي العنصر المحيل إليه بعدها في الترتيب .

فالإحالة داخل النص تسهم بشكل كبير في الترابط الداخلي للنص ، فهي تخلق نوعاً من الشبكة من علاقات الإحالة .

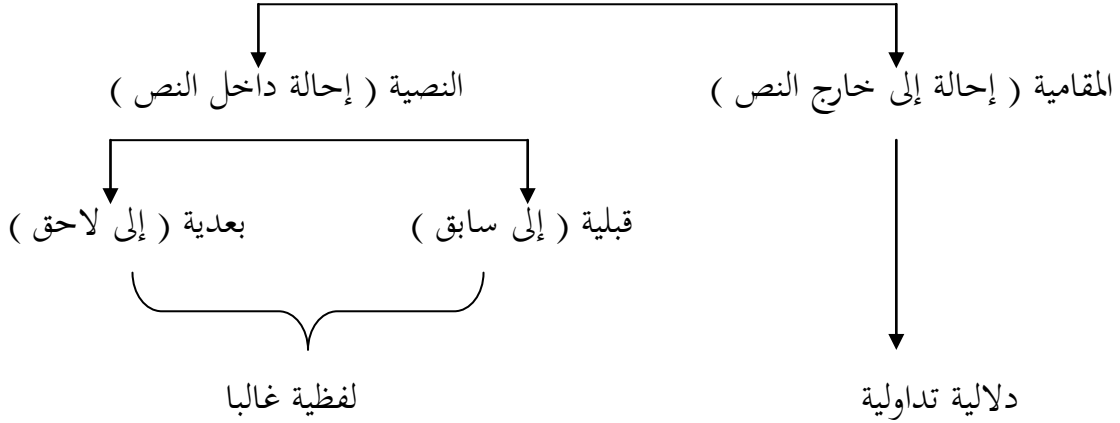
ونمثل لهذا النوع من الإحالة بقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام ، الآية : 1]

فالموصول (الذين) في الآية يحيل إلى ما بعده ، إلى الضمير المتصل (واو الجماعة) ، فإحالة بعدية .

ويمكن التمثيل للإحالة بأنواعها بهذه الترسيمية : (1)

-
- 1- أحمد عفيفي ، نحو النص ، ص 117 .
 - 2- المرجع نفسه ، ص 118 - 119 .
 - 3- المرجع نفسه ، ص 117 .

الإحالة



وتنقسم الإحالة باعتبار المدى الإحالي الذي يفصل بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه إلى قسمين: (2)

إحالة ذات المدى القريب : وتكون على مستوى الجملة الواحدة حيث تجمع بين العنصر الإحالي ومفسره .

إحالة ذات المدى البعيد : وتكون بين الجمل المتصلة أو الجمل المتباعدة في فضاء النص . والإحالة في هذا النوع لا تتم في الجملة الأولى الأصلية .

فالعناصر الإحالية تنفرع فرعين : نصية يمكن أن تحيل إلى سابق أو إلى لاحق ، ومقامية تسهم في تأطير عالم النص وذلك عندما تحيل إلى مقامات وسياقات خارجية تربطها قواسم مشتركة .

وظيفة الإحالة :

من وظائف الإحالة تحقيق الربط النصي ، فهي تُعد " وسيلة مهمة لتكوين النص " (3) بالربط بين بنياته الصغرى فيتحقق بذلك الانسجام الدلالي بين هذه البنى .

فالإحالة المقامية " تساهم في خلق النص ، لكونها تربط اللغة بسياق المقام ، بينما تقوم الإحالة النصية بدور فعال في اتساق النص " (4).

1- محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 17 .

2- المرجع السابق ، ص 120 - 121 .

3- كلاوس برينكر ، التحليل اللغوي للنص ، ص 55 .

4- محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 17 - 18 .

والإحالة وثيقة الصلة بفهم النص⁽¹⁾ فهي تساهم في ضمان عملية التواصل بين المتخاطبين. فالنص لا يُفهم على أنه نص متماسك إلا حين تتوفر أيضا لدى السامع المعرفة التي يفترضها المتكلم لديه .

كما أن الربط بطريق الإحالة يثير لدى المتلقي تشوقا ، وتوقع معلومة جديدة⁽²⁾ لذلك يغلب استعمال الإحالة في النصوص الأدبية خاصة المتعلقة بالإحالة البعدية ، فهي تضمن عملية التواصل . ونشير هنا إلى أن ظاهرة الإحالة قد وجدت في التراث العربي ؛ ولكنها تُنوّلت " تناولا أشمل وأدق في البلاغة وأصول الفقه منه في كتب النحو (الصارم)"⁽³⁾ وقد اكتسى مفهوم الإحالة عندهم **طابع المفهوم الخطابي التداولي** " إذ يرتبط بالعلاقة القائمة بين العبارة وما تحيل عليه "⁽⁴⁾ وبينها وبين وضع التخاطب القائم بين المشاركين في عملية التواصل .

لقد فصّل النحاة العرب القول في الإحالة النصية ، إلا أنهم حصروها في اتجاه واحد ، إحالة على مذكور سابق " وسموها عودا "⁽⁵⁾.

وحصر النحاة القدامى أدوات الإحالة في " خمس مقولات : الاسم المشترك والاسم العلم واسم الإشارة والضمير والموصول "⁽⁶⁾.

وبعد هذه التوطئة النظرية ننتقل إلى دراسة نظام الإحالة في بناء النص الشعري عند مصطفى محمد الغماري والتي قسمناها إلى إحالة لفظية (شملت الضمير والإشارة والموصول والتكرار) وإحالة ضمنية (من خلال التعديّة والتخصيص والتلازم) . وسنبداً بدراسة المبحث الأول المتعلق بالإحالة اللفظية لنبرز من خلاله دور العناصر الإحالية في تحقيق الترابط والتماسك النصيين في قصائد الديوان .

1- كلاوس برينكر ، نفسه ، ص 58 .

2- المرجع نفسه ، ص 49 .

3- أحمد المتوكل ، الخطاب وخصائص اللغة العربية ، ص 86 .

4- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

5- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

6- المرجع نفسه ، ص 90 .

1- الضمير :

اهتم علماء النص حديثا بالضمائر ، وأبرزوا أهميتها في تحقيق تماسك النص الشكلي والدلالي ، ومن وجهة نظر نحوية فهي " أفضل الأمثلة على الأدوات التي يستعملها المتكلمون للإحالة على كيانات معطاة " .⁽¹⁾ وهي أشهر نوع من الكلمات الكنائية ، ويشاركها في الإحالة بصفة عامة ما يوجد في النص من أسماء .⁽²⁾

فالضمير هو الكلمة التي تحل محل الأسماء أو بمعنى أدق هي " التي تقوم مقام ضمائم اسمية ، ولها محتوى دلالي أصغر " .⁽³⁾

وقد قسم محمد خطابي الضمائر⁽⁴⁾ إلى ضمائر وجودية مثل : أنا ، أنت ، نحن ، هو ، هم ... وإلى ضمائر ملكية ، مثل : كتابي ، كتابك ، كتابهم ، كتابه ، كتابنا ...

وقد تحيل الضمائر إلى داخل النص أو خارجه ، فهي " تسهم بشكل فعّال في اتساق الخطاب "⁽⁵⁾ ، فالضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب تحيل إلى خارج النص إحالة سياقية ، ولا يمكنها أن تصبح إحالة نصية ذات وظيفة اتساقية " إلا في الكلام المستشهد به أو في خطابات مكتوبة متنوعة من ضمنها الخطاب السردية⁽⁶⁾ .

أما ضمائر الغائب فهي تؤدي دورا فعّالا في اتساق النص ، فهي تحيل قبلها إذ تقوم بربط أجزاء النص وتصل بين أقسامه .⁽⁷⁾

فالضمير إذن يؤدي وظيفتين : الأولى أنه يستحضر عنصرا متقدما في خطاب سابق ، والثانية أنه يستحضر مجموع خطاب سابق في خطاب لاحق⁽⁸⁾ ، فيتعدد بذلك دوره في عملية الإحالة ،

1- براون ويول ، تحليل الخطاب ، ص 256 .

2- روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة تمام حسان ، عالم الكتب ، ط 1 ، 1998 ، ص 321 .

3- كلاوس برينكر ، التحليل اللغوي للنص ، ص 44 .

4- محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 18 . أما الضمائر عند القدماء ، ينظر : ابن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، دار الطلائع ، ج 1 ، ص 43 وما بعدها .

5- خليل البطاشي ، الترابط النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، ص 70 . وينظر : محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 18 .

6- محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 18 .

7- المرجع نفسه ، ص 18 .

8- خليل البطاشي ، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، ص 70 .

فقد يحيل إلى اسم ، وقد يحيل إلى تركيب أو خطاب ، إضافة إلى قدرته على الإحالة على سياق خارج النص ، وقد يحيل إحالة حضور أو إحالة عود أو إحالة استباق .

ويؤكد اللغويون المحدثون على " دور السياق في معرفة مرجعية الضمير " ⁽¹⁾ خاصة إذا كانت مرجعيته غامضة أو خارجية ، فالمتكلم يستعمل الإحالة ليتمكن السامع من انتقاء المرجع المقصود شريطة توافر شروط سياقية خارج النص أو داخله .

فالإحالة بواسطة الضمير تعمل على الربط ، وتنفيذ الكلام اتساقا وتماسكا .

أما من حيث عَوْد الضمير ، فيجب عند تحليل الضمائر التنبيه إلى أمرين :

- فقد يذكر الضمير دون أن يتقدم عليه مرجع (يعود إلى غير مذكور) ، وإنما يدل السياق على المرجع ⁽²⁾ كما في قوله تعالى : ﴿ **وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ** ﴾ [هود ، الآية : 44] . فالضمير يعود إلى سفينة نوح المعلومة من المقام .

- وقد يعود الضمير إلى مذكور قبله معنى لا لفظا ⁽³⁾ ، كقولك : " اجتهد خيرا لك " أي يكن اجتهادك خيرا لك .

هذا من حيث العود ، أما من حيث تعدد الإحالة فيرجعه محمد خطابي إلى " ورود الفعل غير مقيد بأية قرينة " ⁽⁴⁾ .

بعد هذا العرض النظري الذي قدمنا فيه بعض الأسس الممهدة لمعالجة الضمائر في الخطاب نعمد إلى التطبيق . والهدف الأساس من دراسة الضمائر في قصائد ديوان " قراءة في آية السيف " لمصطفى محمد الغماري هو الوقوف على الدور الذي تؤديه الضمائر بمختلف أنواعها في تماسك النص واتساقه .

ويحسن أن نشير في البداية ، إلى أننا سنعمل بتحليل النص الشعري في الديوان باعتباره نموذجا يتجلى في غيره ويختزل نصوصا أخرى .

1- صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي ، ج 1 ، ص 156 . وينظر : براون ويول ، تحليل الخطاب ، ص 256 - 257 .

2- خليل البطاشي ، الترابط النصي في ضوء التحليل النصي للخطاب ، ص 168 .

3- مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس العربية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2005 ، ص 90 .

4- محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 174 .

وأول ما نشير إليه أن ديوان مصطفى محمد الغماري " قراءة في آية السيف " يضم سبعة عشرة قصيدة ضمت ألفا ومائة وثمانية أبيات . هذا الكم المعتبر من القصائد (17 قصيدة) يحتاج إلى وسائل متعددة لتحقيق التماسك بينها ، فمنها ما يتسم بالطول ، قصيدة : " قراءة في آية السيف " ⁽¹⁾ ، ومنها ما يتميز بالقصر كقصيدة : " قدر أن نعشق الشمس " ⁽²⁾ ، ورغم ذلك يوجد رابط يربط بين أبيات كل قصيدة وبين القصائد كلها ، إذ يجمع بينها جميعا موضوعاً واحداً ذو طابع اجتماعي سياسي ، وهذا بدوره يؤدي إلى الوحدة الموضوعية لهذه القصائد ومن ثم إلى التماسك النصي . وذلك يُعرف بالارتباط المعنوي الضمني القائم على كثافة الوظائف الدلالية للملفوظات .

أما من حيث الضمائر ، فقد بلغ عددها في القصائد مجتمعة ألفان ومائتان وخمس وعشرون ضميراً بمختلف أنواعه .

وينبغي في البداية الانطلاق من الأساس الذي تدور حوله قصائد الديوان ، أي معرفة القضية التي تعالجها هذه القصائد لأجل إدراك العلاقة بين وسائل التماسك النصي والموضوع الأساس ، والذي يعدّ جملة النواة بالنسبة لهذه القصائد .

والمتأمل في قصائد الديوان يتضح له أنها تعالج قضايا اجتماعية سياسية متعلقة بوطن الشاعر الأم " الجزائر " أو بوطنه الأكبر الأمة العربية . فقد تناول الغماري في هذا الديوان " قراءة في آية السيف " جهاد الجزائر ممثلاً في شخص الأمير عبد القادر حامل لواء الجهاد القدسي متجاوزاً أولئك الذين كربوا الحُطْب وأرادوا أن يفلسفوا الشعب ويشككوه في انتمائه ، وفي دينه وتاريخه . فالأمير هو مَنْ علّم حبّ الجزائر والانتماء إليها ، هو مَنْ غرس روح الجهاد ، ومَنْ جاهد ونُفي وهو محب لهذه الجزائر . فشخصية الأمير هي المسند إليها في معظم قصائد هذا الديوان . وهي على ذلك على مدار النص الشعري ومحور تماسكه .

وفيما يلي تحليل لبعض نماذج الضمائر كما قسمها خطابي ⁽³⁾ إلى وجودية وملكية ، ممثلة في ضمائر الغائب والمخاطب والمتكلم . ^(*) فما الدور الذي تؤديه الضمائر في تحقيق التماسك في قصائد الديوان ؟

1- ويبلغ عدد أبياتها خمسمائة بيت .

2- وقد بلغ عدد أبياتها ثلاثة وعشرين بيتاً .

* ومن الطبيعي أننا لا نتناول الضمائر جميعها تلافياً للتكرار ، وسنقتصر تحليلنا على بعض النماذج منها فقط .

1- النمط الأول : ضمائر الغائب :

هذا النمط أكثر تواترا ، ويرجع ذلك إلى مجموعة من العوامل الأسلوبية والموضوعية (نسبة إلى الموضوع) بالدرجة الأولى ، كما هو مبين فيما يلي :

- ضمير الغائب (هو) :

يقول محمد الغماري :

وَمَضَى الْأَمِيرُ وَمَا لَهُ غَايٌ سِوَاكَ وَلَا أَرْبَ
لَمْ يَنَّا عَنْكَ وَلَا هَفَا إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا انْتَسَبَ
وَيَكَادُ يَفْنَى فِي ارْتِكَاضِ الْعِشْقِ خَاطِرَةٌ وَبُ
أَنْتِ الَّتِي عَرَفْتِهِ كَيْفَ الصَّبَابَةُ تَلْتَهَبُ ؟

.....

وَرَعِيَّتِهِ حِينَ الْقَرِيبُ جَفَاهُ . وَالخِلُّ انْقَلَبَ !
وَرَعَاكَ صُعْدٌ يَنْوُءُ بِهِ الرَّجَالُ وَفِي صَبَبِ

.....

لَكَ يَا جَزَائِرُ مَا أَسْرَّ وَمَا أَبَانَ وَمَا وَهَبَ (1)

فالمسند إليه في هذه الأسطر السبعة هو الأمير عبد القادر ، ولما كان موضوع القصيدة يدور حول رمز الجهاد المقدس في الجزائر ، " الأمير عبد القادر " ، فإنه من الطبيعي أن تشتمل المقطوعة على ثلاثة عشرة ضميرا يعود على الأمير ، فالإحالة إذن نصية تحيل إلى سابق . فضمير الغائب في كل من : " له ، لم ينأ ، هفا ، انتسب ، يكاد ، يفنى ، عرّفته ، رعيتّه ، جفاه ، رعاك ، أسرّ ، أبان ، وهب " كلها لها مرجعية قبلية تعود إلى الأمير عبد القادر المشار إليه في السطر الأول (ومضى الأمير ...) .

3- محمد خطاطي ، لسانيات النص ، ص 18 .

1- الديوان ، ص 15 - 16 .

" وقد ربط الشاعر من خلال هذا الضمير بين أحاسيس الأمير وأشواقه وارتباطه بالجزائر
الأم " التي جاهد لها ولأجلها ، ولم يكن له سواها .

- ضمير الغائب (هم) :

من نماذج هذا النوع من الضمائر ، قول الغماري في موضع آخر من الديوان :⁽¹⁾

" قَالُوا التَّصَوُّفُ بِدْعَةٌ مِنْ شَرِّ أَخْلَاقِ الْهِنُودِ "

.....

جَهْلُوكَ يَا نُونَ الْوُجُودِ لِأَنَّهَمْ حَاءُ الْجُمُودِ !

.....

لَمْ يَعْرِفُوا كَشْفًا وَلَا عَرَفُوا الشَّهَادَةَ وَالشُّهُودَ

فَتَمَلَّمُوا زُمْرًا يَتَّبِعُهُ بِهَا الصَّعِيدُ إِلَى الصَّعِيدِ

.....

كَمْ تَاجَرُوا بِدَمِ الْحُسَيْنِ وَقَدَّسُوا دُنْيَا يَزِيدَ !

سَلُّوا الْعُقُولَ وَبِاسْمِهَا كَفَرُوا بِقَافِلَةِ الْخُلُودِ

مَدُّوا الْعُقُولَ وَمَا دَرَوْا أَهْدَى أَرَادُوا أَمْ حُجُودَ !

كَانُوا الْجُمُودَ .. وَلَيْتَهُمْ ظَفَرُوا بِإِيْمَانِ الْجُمُودِ !

كَانُوا صُبَابَةَ مِرْعَةٍ وَصَدَى وَمَقْبَرَةً وَدُودَ !

الْجَامِدُونَ رَأَيْتُهُمْ عَبْدُوكَ يَا عَجَلَ الْيَهُودِ !

وَرَأَوْا خَطَاكَ فَسَبَّحُوا لِهَوَى الْجُيُوبِ بِلَا حُدُودَ !!

كَفَرُوا بِوَجْهِ السَّيْفِ بَدْرِيًّا وَبِالْأَلَمِ الْجَدِيدِ !

وَأَكَادُ أَلْمَحُ كُفْرَهُمْ يُطْوَى .. وَتَنْشُرُهُ الْقِيُودُ⁽¹⁾

1- القصيدة السادسة : شوق الخلود .

إن المتأمل لهذه الأبيات يلاحظ أن ضمير الغائب فيها هو (هم) الذي يحيل إلى خارج النص . والشاعر يبدأ الأسطر بقوله : (قالوا التصوف ...) ، مسندا الفعل (قال) إلى ضمير الغائب (هم) ولم يسمهم صراحة لرغبته في تغييبهم احتقارا لهم وحطا من شأنهم . هم أولئك الذين جهلوا حقيقة التصوف وكنهه ، ورفعوا شعارات واهية شلوا بها العقول ، فهم بذلك ، حسب الشاعر ، كفروا وابتعدوا عن سواء السبيل . ولما كانوا هكذا فقد حق للشاعر أن يغيبهم ويتجاهلهم .

وقد كان لضمير الغائب (هم) في هذه الأسطر الدور البارز في تحقيق التماسك بين الأسطر ليكون منها وحدة متكاملة متلاحمة .

وإذا انتقلنا إلى قصيدة " قراءة في آية السيف " يتبين لنا أنها ضمت مائتين وثمانية وخمسين سطرا واشتملت على خمسمائة ضمير منها مائة وستة وثمانون ضميرا للغائب . فتواتر هذا الكم المعتر من ضمائر الغائب له دلالة في تحقيق الترابط بين أسطر القصيدة ، وهذا ما سنبرزه من خلال تحليل هذه الأسطر :

كَمْ مَلَأُوا قُلُوبَنَا صَدِيدًا
وَجَعَلُوا وَحَدَّتْنَا بَدِيدًا !
كَمْ عَقَرُوا جَبِينَنَا زَمَانًا
وَيَسْكُرُونَ الْيَوْمَ مِنْ دِمَانًا
وَتَا جَرُوا بِالْقُدْسِ وَالْجَوْلَانِ
وَذَبَّحُوا الْخِيُولَ فِي لُبْنَانِ
وَدَمَّرُوا مَرَّاسِمَ الشَّرِيعَةِ
وَكَشَفُوا حُصُونَنَا الْمَنِيَعَةِ !
لَيْسَ لَهُمْ مِنْ أَمْسِهِمْ أَسَاسُ
وَمَا لَهُمْ فِي يَوْمِهِمْ إِحْسَاسُ

لَيْسَمَا تَوَرَّطُوا وَوَرَّطُوا

وَخَطَّطُوا وَحَنَطُوا مَا خَطَّطُوا ! ! (1)

يجيل ضمير الغائب (هم) إحالة خارجية يدل عليها المقام ، ليشير به الشاعر إلى أولئك الذين تملكوا رقاب الشعوب العربية وتحكّموا فيها - زمنا - فهم خنقوا العباد وتاجروا بمقدسات الأمة وسلّموا أراضيها .

ليعود الغماري لهذا الضمير نفسه (هم) وبنفس المرجع بعد تسعة وعشرين سطرا في القصيدة ليواصل من خلاله سخطه ونقمته على هؤلاء فيقول :

مَنْ بَاعَ وَجْهَ الْقُدْسِ لِلْيَهُودِ !

وَأَدْمَنُوا صِنَاعَةَ الْوُعُودِ !

فِي كُلِّ دَرْبٍ مِنْهُمْ شِعَارٌ

الْكُفْرُ فِي أَعْمَاقِهِ وَالْعَارُ ! !

وَوَلُّوْا عَلَى الْعِدَى بِالثَّارِ !

وَالثَّارُ لِلثَّوَارِ لَا الْأَثْوَارِ !

فَبَعْضُهُمْ مُعْتَقِدٌ " جَمَالًا " !

وَبَعْضُهُمْ مُسْتَبْطِنٌ " مِيشَالًا " !

وَالْكُلُّ فِي أَسْرَارِهِ أَسْرَارٌ

.....

قَدْ أَدْمَنُوا الْأَعْرَاسَ وَالْوَلِيمَةَ

وَفِي الْخُرُوبِ أَدْمَنُوا الْهَزِيمَةَ !

وَيَصْنَعُونَ النَّصْرَ فِي الْأَغَانِي

وَيْلٌ لَهُمْ مِنْ وَطَنِ يُعَانِي ! (1)

فمن خلال ضمير الغائب تحقق الربط بين معاني هذه الأبيات وما سبقها ، مما يعكس كثافة الشحنة الدلالية وطول نفس الشاعر .

فالضمائر المنفصلة والمتصلة ، الظاهرة والمستترة عملت جميعا على تحقيق التماسك الدلالي وذلك بما أحدثته بالإحالة إلى المسند إليه نفسه (الأمير عبد القادر في النموذج الأول ، والمتحكمون في الرقاب في النموذجين الثاني والثالث) . فالإسناد هو العلاقة التماسكية الكبرى في القصيدة تلك التي تضمن وحدة الموضوع وانتماءه .

2- النمط الثاني : ضمائر المخاطب :

وفيما يلي نحاول بيان حركة ضمائر المخاطب في الديوان :

وبالعودة إلى الجدول الإحصائي ، اشتمل الديوان على مائة وواحد وخمسين ضميرا للمخاطب توزعت على جميع قصائد الديوان إلا قصيدة واحدة ، فقد خلت منه ، هي القصيدة السابعة : " حنين إلى خضراء الظلال " . وقد تواتر ضمير المخاطب بكثرة في القصيدة الأولى : " وسل الأمير " ، إذ العنوان في حد ذاته ورد بصيغة المخاطب الذي يحيل إلى المتلقي . وقد اشتمل السطر الأول من القصيدة على أربعة ضمائر للمخاطب :

أَسْجُدُ لِرَبِّكَ وَاقْتَرِبْ وَإِلَيْهِ فِي الْجُلَى أَنْب (1 / 11) (2)

ومن هنا تبرز أهمية هذا النوع من الضمائر في الاتساق ، وإن كانت مرجعيته خارجية ، فهو يعمل على الربط من خلال تواتره في القصيدة .

ومن نماذج هذا النوع من الضمير ما ورد في هذه القصيدة :

وَمَضَى الْأَمِيرُ وَمَا لَهُ غَايٌ سِوَاكَ وَلَا أَرْبُ

وَلَمْ يَنَّا عَنْكَ وَلَا هَفَا إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا انْتَسَبَ

1- الديوان ، 99 - 100 .

2- يشير الرقم الأول إلى ترتيب البيت في القصيدة ، والرقم الثاني إلى الصفحة في الديوان .

أَنْتِ الَّتِي عَرَفْتِهِ كَيْفَ الصَّبَابَةُ تَلْتَهَبُ ؟
 وَرَعِيَّتِهِ حِينَ الْقَرِيبُ جَفَاهُ . وَالخِلُّ انْقَلَبَ ؟
 وَرَعَاكَ صُعْدٌ يَنْوُءُ بِهِ الرَّجَالُ وَفِي صَبَبٍ
 وَقَضَى الْأَمِيرُ مُجَاهِدًا بَيْنَ التَّامِرِ وَالرَّيْبِ
 لَكَ يَا جَزَائِرُ مَا أَسْرَّ وَمَا أَبَانَ وَمَا وَهَبَ
 وَقَضَى الزَّمَانُ .. فَكُنْتِ فِي نَارِ الْمُعَانَاةِ وَاللَّهَبِ
 تَتَخَايَلِينَ إِذَا اشْرَأَبَّ اللَّيْلُ الْمَسْعُورُ الْهُدْبِ
 وَتُمْشِطِينَ ضَفَائِرَ الْأَمَالِ لِلدَّرْبِ السَّلْبِ
 وَتُغَارِزِينَ الشَّمْسَ لَا سِجْنُ يَحُولُ وَلَا قُضْبُ
 فِي رَوْعَةِ النَّعْمِ الْوَضِيِّ جَزَائِرُ الْحُلْمِ الْخَصِيبِ⁽¹⁾

يلاحظ في هذه الأبيات تواتر ضمير المخاطب بأنواعه (الكاف أو ياء المخاطبة وتاء المخاطبة) وبحسب ما تقتضيه البنية اللغوية وهي تحيل في مجملها إلى الجزائر التي ذكرها الشاعر قبل أربعة وثلاثين بيتا ، إذ يقول :

السَّاكِبِينَ عَلَى رَيْعِكَ يَا جَزَائِرْنَا اللَّهُبِ⁽²⁾

فالإحالة نصية قبلية ، ومن خلال ضمير المخاطب ربط الشاعر بين الأمير عبد القادر ووطنه الأم الجزائر ، هذه التي لم يخرج منها الأمير لغاية سواها ولم يتعد عنها ولم يهف قلبه إلا لها ، فهي كيانه ووجدانه ، حقيقته وخياله ، ولذلك تجلت بنيويا في صورة الضمير في مختلف لحظات التلفظ (التعبير) .

ومن أنماط هذا الضمير أيضا ما ورد في قول الغماري⁽³⁾ :

ذِكْرَى الرَّسُولِ أَنْ تَرَى الْإِسْلَامَا

1- الديوان ، ص 15 - 16 .

2- الديوان ، ص 12 .

3- القصيدة : قراءة في الآية السيف .

أَنْ تَصْهَرَ الْوُجُودَ فِي الْإِيمَانِ
وَتَقْرَأَ الْوُجُودَ بِالْقُرْآنِ
أَنْ تَغْرُوَ الْعَالَمَ بِالْأَفْكَارِ
أَنْ تَزْرَعَ الزُّنُودَ وَالْبُنُودَا
وَتَطْوِي الْأَقْطَارَ وَالْحُدُودَا (1)

يجيل ضمير المخاطب في الأبيات السابقة إحالة خارجية ، إلى المتلقي ، على أن دعوة الشاعر هذه إنما هي دعوة موجهة إلى كل مسلم يتمثل القيم الإنسانية والمثل الإسلامية ، الذي يتعد عن البدع والمحدثات التي لا صلة لها بالدين ولا بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . وما ربط بين هذه التوجيهات التي قدمها الشاعر هو ضمير المخاطب (أنت) .

والنموذج الثالث من ضمائر المخاطب من قصيدة : " أَغْلَيْتُ حُبَّكَ " التي يقول الغماري في مطلعها :

أَغْلَيْتُ حُبَّكَ أَنْ يُبَاعَ وَيُشْتَرَى
وَمَنْعَتْ حُبَّكَ أَنْ يُعَاقِرَهُ الْوَرَى !
وَأَغْلَيْتُ حُبَّكَ أَنْ يُتَاجَرَ بِاسْمِهِ (2)

فالشاعر يغلي حبه للجزائر ومنع غيره أن يعاقره هذا الحب أو أن يتاجر به أحد ليسمو ويعلو بالجزائر ، فهي السماء رفعة ، فلا يمكن أن يطالها أحد أو يصل إليها ، فيقول :

أَغْلَيْتُ حُبَّكَ يَا سَمَاءَ مَوَاجِدِي
مَنْ ذَا يَطُولُكَ يَا سَمَاءَ بِيَاعِهِ
وَيُحِيلُ وَجْهَ الدَّرْبِ شَيْئًا مُنْكَرًا ؟ ! (3)

ثم يقول :

-
- 1- الديوان ، ص 93 - 94 .
 - 2- الديوان ، ص 143 .
 - 3- الديوان ، ص 145 - 146 .

مَا حَرَّفُوكَ وَإِنَّمَا بِكَ حُرُّفُوا

حَرْدًا . وَسَاؤُوا مَنظَرًا أَوْ مُخْبِرًا⁽¹⁾

فما أمكن لهؤلاء أن يلحقوا الأذى بالجزائر ، وما كان لهم ، رغم سعيهم لذلك .

فضمائر المخاطب السبعة ترجع إلى الجزائر ، وإن لم تذكر صراحة في القصيدة لدلالة سياق الحال عليها ، فهي - على ذلك - إحالة خارجية .

من خلال هذه النماذج نتوصل إلى أن ضمير المخاطب قد عمل على تحقيق التماسك النصي في قصائد الديوان من خلال هذه النماذج المحللة .

هذا عن ضمير المخاطب ، فماذا عن ضمائر المتكلم ؟

3- النمط الثالث : ضمائر المتكلم :

أما بالنسبة لضمائر المتكلم فقد احتلت المرتبة الثانية في الديوان من حيث تواترها ، إذ بلغت مائتين وواحد وأربعين ضميرا موزعة على جميع قصائد الديوان .

ومن نماذج هذا النوع قول الغماري :

لِلْغَدْرِ مَا وَهَبْتُ لَنَا أَيِّدِي الْغُزَاةِ وَمَا تَهَبُ

رَقَصُوا عَلَيَّ أَشْلَانِيَا زَمَنًا .. وَطَابَ لَهُمْ حَبَبُ !

خَطَرُوا فَكَانَ الْقَهْرُ يَغْتَالُ الْمَسَافَةَ وَالرُّعْبُ !

بِاسْمِ الْمَسِيحِ تَنَمَّرُوا كَمْ بِاسْمِهِ قَضَى الْأَرْبُ !

كَمْ بِاسْمِهِ قُتِلَ السَّلَامُ وَبِاسْمِهِ اعْتَصَرَ الْعِنَبُ !

عَيْسَى حَنَانِكَ إِنْ نَشُرُ .. فَلِدِينِهِمْ ثَارَ الْعَرَبُ⁽²⁾

من ملاحظة المقطع نجد ضميرين تواترا فيه هما : ضمير المتكلم (نحن) وضمير الغائب (هم) . وقد أحال الشاعر بضمير المتكلم لنفسه ، فالإحالة خارجية . وقد استعمل ضمير جمع المتكلمين

1- الديوان ، ص 147 .

2- الديوان ، ص 12 .

بدل المتكلم المفرد ليرز الموقف الجماعي للشعب الجزائري من أولئك الغزاة الذين دنسوا أرض الجزائر
زمننا . هؤلاء الذين استأسدوا وتنمروا على غيرهم باسم المسيح ، غير أن المسيح إنما هو للسلام لا
للحرب ، هذا الذي اغتيل السلام باسمه ، لذلك يرى الشاعر بأن الثورة على الغزاة إنما هي ثورة
لنصرة الدين ، و قد استدعى الشاعر لذلك موقفا تاريخيا يتمثل في ثورة العرب لدينهم .

ومن نماذج ضمير المتكلم في الديوان أيضا ما ورد في قصيدة : " ليس لي إلا هواها " :

لَيْسَ لِي إِلَّا هَوَاهَا مِلءٌ وَجَدَانِي

وَالْأَطْيَفُهَا أَقْطَفُ سِحْرِهِ

.....

نَهَوَى سِرَّهَا رُؤْيَا رَحِيْبِهِ

وَتَدَانِيْنَا كَمَا الِهْمَسِ

تَنَانِيْنَا كَمَا الْحُلْمِ

اتَّحَدْنَا ..

وَشَرِبْنَا لِحَطَّاتِ الْعُمْرِ

عَشْنَاهَا انْعَتَاقَاتِ حَبِيْبِهِ

مَا لَمَسْنَا طَيْفُهَا إِلَّا صَحْوَنَا

.....

لَمْ نَعَانَ الْعَطَشَ الْمُرِّ

وَلَمْ نَجْرَعْ لِهَيْبِهِ

نَحْنُ لَوْلَا ظِلُّهَا لَمْ نَعْرِفِ الْحُبَّ

وَلَوْلَا طَيْفُهَا لَمْ نَرَوْ طَيْبِهِ

نَحْنُ لَوْلَاهَا لَقِيَ مُدَّتْ بِصَحْرَاءَ رَهِيْبِهِ

وَسَقَتْنَا مِنْ كُرُومِ الْحُبِّ فِي " لَاهُورَ " أَكْوَابًا دِهَاقًا
وَعَلَى " الْبَيْضَاءِ " كُنَّا ..

لَيْتَنَا لَمْ نَعْرِفِ الْقَيْدَ ، وَقَدْ كُنَّا ، انْعِتَاقًا

.....

يُزْهِرُ الْحُبُّ بِصَحْرَاءِ عُيُونِي ..

فَأَرَى طَيْفَكَ رِيَّانَ الرُّؤْيَى غَضَّ الْجُفُونِ (1)

القصيدة من الحب الصوفي الذي صدر من الشاعر نحو وطنه " الأم " الجزائر التي ارتقى بها إلى مرتبة الحبيبة التي ليس للشاعر غير هواها ، فهي التي تمثل الذكرى له .

فضمير المتكلم المفرد (أنا) والجمع (نحن) يحيل إحالة خارجية ، يرجع إلى الشاعر الذي تكلم بضمير المفرد كما تكلم بضمير الجمع للتعبير عن هواه المنقطع النظير الذي يمثل خيط ذكرى رسمت طريق فجر جديد التهب فيه المشعل ، هذه الذكرى التي دونت التاريخ للأجيال للعبرة . فالشاعر يحمل في وجدانه هوى هذه " الأم " ، ولم يبق لديه غير طيفها الذي يعيش على ذكراه .

فقد كان لضمير المتكلم دور في تلاحم أبيات القصيدة ؛ إذ ربط أول سطر في القصيدة (ليس لي إلا هواها) وبين السطر الحادي عشر ليعود إلى هذا الضمير بعد أربعة عشرة سطرا ، ليتوالى ذكره في تتابع لا فاصل بينه إلى آخر القصيدة ، إلى درجة أن السطر الواحد تضمن ثلاثة ضمائر للمتكلم ، كما في قوله :

لَيْتَنَا لَمْ نَعْرِفِ الْقَيْدَ ، وَقَدْ كُنَّا ، انْعِتَاقًا (الديوان : 75 / 2)

من هنا تبرز أهمية هذا الضمير في ترابط الدفقة الشعورية عند الشاعر . وانتقل الشاعر من ضمير المتكلم المفرد إلى ضمير الجمع محاولة منه لإشراك المتلقي في مناجاته هذه .

ويُعبّر الغماري في قصيدته : " قراءة في آية السيف " بضمير جمع المتكلمين (نا) عن أمله الشخصي وألم الشعوب العربية لما أصابها إذ يقول :

كَمْ مَلَأُوا قُلُوبَنَا صَدِيدًا

1- الديوان ، ص 73 - 74 - 75 .

وَجَعَلُوا وَحَدَّتْنَا بَدِيدًا !
كَمْ عَقَرُوا جَبِينَنَا زَمَانًا
وَيَسْكُرُونَ الْيَوْمَ مِنْ دِمَانًا
وَكَشَفُوا حُصُونَنَا الْمَنِيْعَةَ !
وَنَحْنُ فِي فَرَاغِنَا الْمُحِيْطِ
نَنَامُ أَوْ نَصْحُو عَلَى الْبِضَاعَةِ
نَهْبٌ .. لَكِنْ لِهَوَى الْبُطُونِ !

.....

يَجُوبُنَا الصَّبَاحُ وَالْمَسَاءُ
تَبِيْعُنَا الْأَلْقَابُ وَالْأَسْمَاءُ !
وَلَمْ تَزَلْ فِي عُمُقِنَا الْأَصْنَامُ
وَلَمْ تَزَلْ تَرُودُنَا الْأَرْلَامُ !
نَرْسُو عَلَى شَوَاطِي الْمُجُونِ

.....

نُتَوِّرُ بِالْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ !!
نَقُولُ : هَذَا سَادِرٌ مَجْنُونٌ ! (1)

ويقول في موضع آخر من القصيدة :

مَا خَانَهُ رَغَمَ الصَّلِيْبِ خَانُ
وَلَمْ يَبِعْ تَارِيخَنَا عُثْمَانُ

.....

1- الديوان ، ص 94 - 95 - 96 - 97 .

هَلْ نَفَعَتْ مَشْرِقَنَا الْوَتَائِقُ ؟

مَنْ صَيَّرُوا إِسْلَامَنَا مَطِيَّةً

تَفِيءُ فِي أَجْفَانِنَا الرِّيحَ (1)

فقد تكرر ضمير المتكلم عشرين مرة في هذه الأبيات ، ومرجعياته خارجية تعود إلى الشاعر أو إلى كل مواطن عربي ، ويمكن أن نمثل لها بالترسيمة الآتية :

وحدثنا ، جيينا ، دمانا ، حصوننا ، فراغنا ، عمقنا ،

تاريخنا ، مشرقنا ، إسلامنا ، أجفاننا ، نحن .

ننام ، نصحو ، نهب ، نرسو ، نثور ، نقول .

يجوبنا ، تبعنا ، ترودنا .

الشاعر

فالضمير (نا) يحيل إلى الشاعر وإلى الشعوب العربية التي تألمت لما أصابها من ضعف ووهن جرّاء تقاعس الحكام وتخاذلهم . ولولا هذا الضمير لما أمكن الجمع بين كلّ هذه المعاني .

والنتيجة إذن فيما يتعلق بالضمير ، فإنه عمل على تحقيق التماسك النصي في قصائد الديوان من خلال مرجعيته سواء الداخلية أم السياقية الخارجية ، ومعنى ذلك أنه يصل لاحقا بسابق لثلاثتهم بفعل ذلك أجزاء النص في نظام واحد هو البنية الكلية للنص الشعري . كما أن الضمائر عملت على تحقيق الإيجاز في النص وذلك بنفي التكرار .

1-2- الإشارة :

الوسيلة الثانية من وسائل الإحالة اللفظية هي أسماء الإشارة . والإشارة " ما دل على مسمى وإشارة إليه ، أي أنه اسم تصحبه إشارة حسية " (1) فاسم الإشارة ما يدل على معين بواسطة إشارة حسية إذا كان المشار إليه حاضرا ، أو إشارة معنوية إذا كان المشار إليه ذاتا غير حاضرة .

1- الديوان ، ص 100 - 103 - 107 .

ويُعرفها أحمد المتوكل بأنها " الإحالة التي تحدد موقع المحال عليه بالنظر إلى مكان التخاطب (قريب - بعيد) أو اتجاهه (فوق - تحت ، أمام خلف) ".⁽²⁾ وقد جمع ، حينئذ ، بين الظرف بنوعيه الزماني والمكاني في خاصية واحدة أطلق عليها الإشارة .

ويمكن تصنيف أسماء الإشارة إما حسب المكان (هنا ، هناك ...) أو حسب الحيات (هذا) ، أو الانتقاء (هذه ، هاتان ، هذان ، هؤلاء) أو حسب البُعد (ذاك ، ذلك ، تلك) أو القُرب (هذه ، هذا ...).⁽³⁾

كما يمكننا أن نميز بين مراتب المشار إليه ، وهي عند ابن مالك مرتبتان⁽⁴⁾ :

- مرتبة القريب ، ويشار إليها بأسماء الإشارة للمفرد والمثنى والجمع ، بتذكيرها وتأنيتها مجردة من الزوائد كالكاف واللام ، وهي : ذا ، ذه ، ذان ، تان ، أولاء .

- ومرتبة البُعد ، ويشار إليها بأسماء الإشارة المذكورة في مرتبة القرب على أن تلحق بها الكاف وحدها أو اللام والكاف معا .

أما عند غير ابن مالك ، فهي ثلاث مراتب قريبة وبعيدة ومتوسطة . " فيشار إلى القريب باسم الإشارة مجردا من الكاف واللام [...] ويشار إلى المتوسط باسم الإشارة مع الكاف وحدها [...] ويشار إلى البعيد باسم الإشارة مع اللام والكاف ".⁽⁵⁾

"وتقوم أسماء الإشارة بالربط القبلي والبعدي مثل الضمائر "⁽⁶⁾ ، فهي تربط جزءا لاحقا بجزء سابق ، ومن هنا فإنها تسهم في الربط بين أجزاء النص وأقسامه .

1- صبيح التميمي ، هداية السالك إلى ألفية ابن مالك ، دار الهداية للنشر ، ط 2 ، 1990 ، ج 1 ، ص 237 . وينظر : شرح السيوطي على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد الصالح بن أحمد الغرسي ، دار السلام ، القاهرة ، ط 1 ، 2000 ، ص 89 .

2- أحمد المتوكل ، الخطاب وخصائص اللغة العربية ، ص 81 .

3- محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 19 . وينظر : ابن هشام ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، ضبط وتصحيح يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، 2009 ، ص 134 .

4- صبيح التميمي ، هداية السالك ، ج 1 ، ص 242 - 243 . وينظر : شرح ابن عقيل ، ج 1 ، ص 62 وما بعدها . وابن هشام ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، ص 134 .

5- صبيح التميمي ، هداية السالك ، ج 1 ، ص 243 - 244 . هذا ما يذهب إليه أحمد المتوكل في أن جمهور النحاة يجمعون على أن المشار إليه ذاتا كان أم مكانا ثلاث رُتب بالنظر إلى نقطة التخاطب : قُربى ووسطى وبعدي . (أحمد المتوكل ، الخطاب وخصائص اللغة العربية ، ص 81) .

6- خليل البطاشي ، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، ص 174 .

ومن أمثلة الإشارة المحيلة على وارد في خطاب سابق⁽¹⁾ ما ورد في قول الفرزدق :

فواعجبا حتى كليب تسبني كأن أباهما نهشل أم مجاشع
أولئك أبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريير المجمع

فاسم الإشارة في البيت الثاني (أولئك) يحيل إلى مشار إليه سابق له ، هو (نهشل ومجاشع) .

ويتميز اسم الإشارة بخاصية " الإحالة الموسعة " ⁽²⁾ فهو يمكن أن يحيل إلى شخص أو إلى أشياء متعددة أو إلى خطاب . ومن ثم تحقق أسماء الإشارة التماسك النصي من خلال استدعائها لعناصر متقدمة أو لخطاب بأكمله .

ويذكر محمد خطابي نوعا آخر من الإشارة انتبه إليه المفسر " ابن عاشور " ، وهو ما يطلق عليه " هاليداي ورقية حسن " الإحالة المقامية " أي أن العنصر المحال إليه يكون حاضرا في الخطاب بالقوة ، وليس بالفعل " ⁽³⁾ . وقد مثل لذلك بقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ ، ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ [البقرة ، الآية : 1] . وقد فسر ابن عاشور هذه الإشارة بقوله : " وعلى الأظهر تكون الإشارة إلى القرآن المعروف لديهم يومئذ " ⁽⁴⁾ فاستخلاصه هذا معتمد فيه على قرينتين :

الأولى نحوية وهي جعل الكتاب بدلا من اسم الإشارة ، على اعتبار أن الكتاب اسم من أسماء القرآن ، والثانية تداولية " تجسدها إشارته إلى أن المشار إليه معروف لديهم يومئذ ، إذ المشار إليه حاضر في أذهان المخاطبين ، أي معرفتهم للعالم رغم غيابه في الخطاب تصريحاً " ⁽⁵⁾ .

ومن ملاحظة قصائد الديوان نستخلص أن الربط بالإشارة قليل بالمقارنة بالربط بالضمير أو الموصول ، فبالعودة إلى الإحصائيات الموجودة بالجدول نلاحظ أن أسماء الإشارة يصل مجموعها إلى خمسة عشرة ضميرا موزعة على تسع قصائد في الديوان .

1- أحمد المتوكل ، الخطاب وخصائص اللغة العربية ، ص 81 .

2- محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 19 .

3- المرجع نفسه ، ص 178 .

4- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

5- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

وتقوم الإشارة غالبا " بالدور نفسه الذي تقوم به الضمائر الشخصية " .⁽¹⁾ وهي أنها تنوب عن الاسم لإزالة الإبهام والشك ولتحقيق التعيين .

ومن نماذج الإشارة ما ورد في قصيدة : " حنين إلى خضراء الظلال " :

الْحَنِينُ الْمُرُّ هَذَا ...

مُرَّةٌ هَذِي الْمَرَايَا⁽²⁾

لَيْتَ هَذَا الزَّمَنَ الْبَرْقِيَّ آه !⁽³⁾

ف (ذا) في البيتين الثاني والثالث إشارة إلى ما بعده ، وإشارة إلى ما قبله في البيت الأول . وقد أحال اسم الإشارة في البيت الأول إلى مرارة الحنين الذي أحس به الشاعر . وفي البيت الثالث ربط اسم الإشارة (هذا) بين دلالة البيت الذي ورد فيه والبيت السابق له : (أَوْعُودُ الزَّمَنِ الْبَرْقِيَّ يُغْرِينَا مَدَاهُ !⁽⁴⁾) ، فالمرجعية سابقة .

وأما في البيت الثاني فالإحالة بعدية ، إذ يحيل اسم الإشارة إلى ما بعده (المرايا) . ومن أنماط الإشارة في الديوان أيضا قول الغماري :

هَذِي الْمَسَاجِدُ تَشْتَكِي ..

هَذِي الْمَصَاحِفُ .. يَا إِلَهَ !

مَا ذَنْبُهَا ..؟

حَتَّى تُمَرَّقَ أَوْ تُحَرِّقَ ... يَا إِلَهَ⁽⁵⁾

فمرجعية اسم الإشارة (هذي) في السطرين مرجعية بعدية تحيل إلى المساجد والمصاحف بعدها .

1- إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي ، ج 1 ، 196 .

2- الديوان ، ص 57 .

3- الديوان ، ص 58 .

4- الديوان ، ص 57 .

5- الديوان ، ص 82 .

نخلص من هذا إلى أنّ اسم الإشارة بديل للاسم الصريح وهو بطبيعته التعيينية التخصيضية يؤدي دور الربط بين المشار إليه والسلسلة الكلامية الوارد في إطارها ، فيتحقق بذلك تماسك النص وانتماء الوحدات اللفظية (جملا وألفاظا) إلى نظام واحد هو النص .

1-3- الموصول :

الاسم الموصول من الأسماء المبهمة (والمقصود بالمبهم وقوقعه على كل شيء العاقل وغيره) التي لا يتم معناها بنفسها بل يفتقر إلى كلام بعده . " وهو يدل على مُعين بواسطة جملة تذكر بعده " (1) تسمى صلة الموصول .

فالموصول هو الاسم المعرفة الذي يحتاج إلى توضيح المراد منه بالصلة التي تلحق به .

والأسماء الموصولة قسمان : خاصة ومشتركة . (2) فالمشتركة هي التي تكون بلفظ واحد للجميع ، فيشترك فيها المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث . والخاصة هي التي تُفرد وتثنى وتُجمع وتذكر وتؤنث ، حسب مقتضى الكلام .

ويقسمها ابن مالك إلى قسمين : الموصول الاسمي والموصول الحرفي . " فالموصول الاسمي هو ما افتقر إلى صلة وعائد ، ويكون له محل من الإعراب " . (3)

والموصول الاسمي نوعان : المختص ، " وهو ما يكون نصا في مدلوله على نوع معين مقصورا عليه لا يتجاوزه إلى غيره " (4) ، وألفاظه هي : الذي ، التي ، اللذان ، اللتان ، الألى ، الذين ، اللاتي واللاتي .

والمشترك : ويراد به نصا في الدلالة على بعض الأنواع دون البعض الآخر (5) ، فهو يصلح لجميعها من غير تغيير في صيغته اللفظية ، ما يزيل غموضه وإبهامه عن دلالاته هو الضمير العائد عليه . وهو يكون بلفظ واحد للمذكر والمؤنث ، والمفرد والجمع والمثنى .

وألفاظ المشترك : من ، ما ، ذو ، ذا وأي .

- 1- مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس العربية ، ص 93 . وينظر : شرح ابن عقيل ، ج 1 ، ص 65 : 70 .
- 2- المرجع نفسه ، ص 93 - 95 . وينظر : ابن هشام ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، ص 139 .
- 3- هداية السالك ، ج 1 ، ص 261 .
- 4- المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 262 وما بعدها .
- 5- المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 268 - 269 .

يحتاج الاسم الموصول إلى جملة تذكر بعده فتتم معناه وتسمى صلة الموصول لأنها أسماء مبهمة غامضة المدلول لا بد لها من شيء يزيل هذا الغموض ويوضح ذلك المدلول .

وللأسماء الموصولة دور في التماسك النصي ، فهي " من الأدوات التي تشد من أزر التلاحم النحوي بين ما تقدم ذكره ، والعلم به ، وما يراد من المتكلم أن يعلم به ، أو يضمه إلى ما سبق من العلم به " .⁽¹⁾ ومن أمثلة ذلك قول القائل : ما فعل الرجل الذي عندك بالأمس ؟ فالشيء المعلوم هو أن الرجل كان عند مَنْ سُئِلَ بالأمس ، والشيء غير المعلوم هو ما صدر عنه من فعل ، وهذا ما يراد العلم به وضمه إلى ما هو معروف من أمره . فالاسم الموصول يأتي للربط بين الشيئين كما يذهب إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني .⁽²⁾

بعد هذا التمهيد النظري للموصول ننتقل إلى تحليل نماذج من الديوان لإبراز دور هذا الرابط في تحقيق التماسك النصي . وأول ما نشير إليه هو أن الربط بالموصول في الديوان احتل المرتبة الثانية بعد الضمير حيث اشتمل الديوان على تسع وثلاثين موصولا موزعة على اثنتا عشرة قصيدة .
ومن أنماط الربط بالموصول ما ورد في القصيدة الأولى في الديوان " وسل الأمير ... " :

وَالذُّلُّ مِنْ شَيْمِ الْأَلْيِ نَامُوا عَلَيَّ وَطَنٍ غُصِبَ !⁽³⁾

فالموصول (الألي) مرجعيته خارجية يدل عليها السياق ، فهي تشير إلى الذين قبلوا بالذل والمهانة وغفلوا عن وطن أُغْتَصِبَ منهم .

وكذلك (الني) في قوله :

أَنْتِ الَّتِي عَرَفْتِهِ كَيْفَ الصَّبَابَةُ تَلْتَهَبُ ؟⁽⁴⁾

فمرجعية الموصول نصية داخلية سابقة ترجع إلى (الجزائر) المذكورة سابقا ، فهي التي علّمت وعرّفت الأمير كيف تلتهب المشاعر وتشتعل لأجل الوطن .

وتحليل (مَنْ) إحالة بعدية في قول الغماري :

1- إبراهيم خليل ، في اللسانيات ونحو النص ، ص 230 .

2- المرجع نفسه ، ص 230 - 231 .

3- الديوان ، ص 13 .

4- الديوان ، ص 15 .

أَبْنَاءُ مَنْ ذَبَحُوا السَّلَامَ رَأَيْتُهُمْ ذَبَحُوا الْوُرُودَ⁽¹⁾

فهي تحيل إلى أولئك الذي اغتالوا السلام وجنحوا عنه ، إذ تشير إلى ضمير الجماعة (الواو) في جملة الصلة بعدها .

وقوله :

أَنْفَاسُهُ رَهْنٌ مَنْ غَالُوا وَمَنْ سَرَقُوا !

وَمَنْ تَهَادَوْا عَلَى أَعْتَابِنَا مِزْقًا

سَوْدَاءَ ... يَسْكُرُ مِنْ أَيَّامِهَا الشَّبَقُ !⁽²⁾

فالموصول (مَنْ) الذي تكرر ثلاث مرات في البيتين عمل على الربط بين دلالة الأبيات الثلاثة ، إذ أن أنفاس الورد هي رهن أولئك الذين غالوا وسرقوا ، فالمرجعية بعدية لاحقة . من خلال ما تقدم نتبيّن أن للموصلات في الديوان دورا في التماسك النصي يعتمد في أغلب الأحيان على الجملة الواحدة .

وما نلاحظه في دراستنا للضمائر أن الضمائر الشخصية تحتل المرتبة الأولى في الانتشار في الديوان ، وفي دورها في تحقيق التماسك النصي ، وتأتي من بعدها الأسماء الموصولة ثم أسماء الإشارة ، ومن ثم كان عدد الضمائر أكثر من الموصولات والإشارة بنسبة كبيرة . ويرجع الأمر في ذلك إلى أنّ الضمير يدل دلالة مباشرة على الاسم بينما الإشارة والموصول يتعلقان به (أي الاسم ، ويخصصانه) لذلك كان حظهما من التواتر ضعيفا .

ونافذة القول فيما يتعلق بالضمائر - الشخصية ، الإشارة والموصول - فقد مثلت شبكة من علاقات التماسك لتحقيق في النهاية التماسك الكلي للقصيدة خاصة ، وللديوان عامة .

وأنه لا يمكن الاستغناء عن هذه الضمائر - بمختلف أنواعها - في القصائد وإلا تحولت إلى كلمات متراففة وجمل متراففة من غير رابط يربط بين أجزائها .

1- الديوان ، ص 81 .

2- الديوان ، ص 157 .

الحذف :

1- مفهوم الحذف :

الأصل في الكلام الذكر وقد يُعدل عنه إلى الحذف ، يقول سيبويه : " اعلم أنّهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك ، ويحذفون ويعوّضون ، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطاً " .⁽¹⁾

وهذا العدول من الأصول إلى الفروع يجري في اللفظ دون المعنى ، لذلك فقد أسماه سيبويه بالعارض ، يقول : " هذا باب ما يكون في اللفظ من الأعراض " .⁽²⁾ فالحذف إذاً خروج عن أصل الكلام ، لذلك فالحديث عن ظاهرة الحذف أو الزيادة أو إعادة الترتيب " يقتضي التسليم بمبدأ الأصلية والفرعية في اللغة ، أي لا بدّ من وجود تركيب أصلي أو صيغة أصلية اعترها الحذف أو الزيادة أو تغيير ترتيب عناصرها " .⁽³⁾

ويرى بعض الدارسين أنّ الحذف من الظواهر اللغوية التي تشترك فيها أغلب اللغات إذ " يميل الناطقون إلى حذف العناصر المكررة في الكلام ، أو إلى حذف ما قد يمكن للسامع فهمه اعتماداً على القرائن المصاحبة الحالية كانت أو عقلية أو لفظية ، كما قد يعتري الحذف بعض عناصر الكلمة الواحدة فيسقط منها مقطع أو أكثر " ⁽⁴⁾ ؛ ويحدث ذلك استجابة لأغراض المتكلمين .

واهتم القدماء بظاهرة الحذف وعالجوها في بحوثهم اللغوية ، فيُعرّفه الزمخشري بقوله : " وحذف الصانع الشيء : سوّه تسوية حسنة ، كأنّه حذف كلّ ما يجب حذفه ، حتى خلا من كلّ عيب وتهذّب " .⁽⁵⁾ وقد جعل عبد القاهر الجرجاني للحذف شأنًا كبيراً في البيان فقال : " هو باب دقيق المسلك ، لطيف المآخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسّحر ، فإنّك ترى به ترك الذكر ، أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمّ ما تكون

1 - الكتاب ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 3 ، 1988 ، ج 1 ، ص 24 - 25 .

2 - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 24 .

3 - طاهر سليمان حمودة ، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، 1998 ، ص 17 .

4 - نفسه ، ص 4 .

5 - الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد) ، أساس البلاغة ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998 ، مادة (ح ذ ف) ، ج 1 ، ص 177 .

بيانا إذا لك لم تُبْن " (1).

وللحذف أثر بارز في توجيه صياغة الكلام ، وذلك راجع إلى النص نفسه بوصفه رسالة في المقام الأول ، فالمحذوف من النص يتعلق بطرفي التواصل (2) كما يقصد المتكلم إلى الحذف لما فيه من إيجاز واختصار ، فالإيجاز يُكسب الكلام قوة ويجنبه ثقل الاستطالة وترهلها ، كذلك بالنسبة للاختصار فله دخل في قوة العبارة وشدة تماسكها (3).

ويُعدّ الحذف أيضا جزءا من عملية الفهم والتفسير انطلاقا من تفاعل كلّ من المتلقي والمتكلم ، إذ حذّف أحد عناصر الكلام يدفع المتلقي إلى تعقبه وإدراكه ذهنيا ، بعد أن يحدد موضعه ، كي يستقيم السياق النحوي والدلالي للصياغة ، ومن ثمّ يجعل النفس تندفع للبحث وراء الدافع الموجب لهذا النمط من التركيب ، ويؤدي إلى إعمال الفكر وتنشيط العقل والخيال ، حتى يكشف الأسرار الباعثة له ، ويؤدي هذا إلى تثبيت المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي أكثر مما لو ذُكر العنصر المحذوف (4) . ذلك ما ذكره الزركشي في حديثه عن فوائد الحذف متمثلة في التفخيم والإعظام ، وزيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف ، وزيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك ، وطلب الإيجاز والاختصار ، والتشجيع على الكلام (5).

والحذف في اللسانيات النصية " هو استبعاد العبارات السطحية التي يمكن بمحتواها المفهومي أن يقوم أو يوسع أو أن يُعدّل بواسطة العبارة الناقصة " (6) فمن غير المعقول أن يحوّل الناس كلّ ما يقولونه أو يفهمونه إلى جمل كاملة ، فلو فعلوا هذا لكان أولى بهم أن يتكلموا بجمل تامة أكثر كثيرا مما يفعلون ؛ فالاكتمال النحوي يُنتج تراكيب لا فائدة ولا وضوح فيها (7).

فالحذف " سمة غالبية في البنيات النصية التي تظهر بشكل مكتمل بعكس ما يبدو للقارئ ، والحقيقة أنّ هذه الظاهرة تبين ميلا نفسيا لدى المتكلم إلى الاقتصاد في المجهود الكلامي والعقلي ،

1 - دلائل الإعجاز ، ص 149 .

2 - ينظر : محمد عبد الباسط عيد ، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 1 ، 2009 ، ص 185 .

3 - ينظر : طاهر سليمان حمودة ، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، ص 100 .

4 - ينظر : محمد صلاح زكي أبو حميدة ، البلاغة والأسلوبية عند السكاكي ، (د.ط) ، 2012 ، ص 120 .

5 - ينظر : البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، 1988 ، ج 3 ، ص 104 - 105 .

6 - دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة : تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1 ، 1998 ، ص 301 .

7 - ينظر : دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ص 341 .

من خلال إنتاج الجمل البسيطة واختيار التراكيب الموجزة " (1) ، هذه الجمل والتراكيب تكون حاملة لدلالات مكثفة .

2- شروط الحذف :

وقد اشترطوا لحذف جزء من الكلام شروطا متعددة ، أهمها :

أ- وجود الدليل على المحذوف : إذ لم يكن الحذف عملية اعتباطية خاضعة لإرادة المتكلم خضوعا كيفيا ؛ بل لابد له من دليل يدلّ عليه ، يقول ابن جني في هذا : " قد حذفت العرب الجملة ، والمفرد ، والحرف ، والحركة . وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه ، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته " (2) من هذه الأدلة :

- الدليل اللفظي (المقالي) : وهو أن يكون في الكلام دليل لفظي ، متقدّم أو متأخر يدل على العناصر المحذوفة (3)

- دليل الحال (سياق المقام) : ويتمثل في الظروف الملازمة للنص ، التي لها أهمية كبيرة في تحديد معناه (4) ، وإلى هذا ذهب السكاكي ، فيقول : " أمّا الحالة المقتضية لترك الفعل ، فهي أن تغني قرائن الأحوال عن ذكره " (5) فمعنى الكلام " يُستخلص من مجموعة عوامل المقام التي قيلت فيه العبارة ويشمل المتكلم ، والمخاطب ، والمستمعين ، والمكان ، والزمان ، والموضوع ، والأسلوب ، والغاية التي يقصدها المتكلم ، والنتائج العلميّة والسلوكية التي تُحدثها العبارة في المخاطب والمستمعين " (6)

- الدليل العقلي (المنطقي) : يقصد المتكلم إلى حذف بعض العناصر اللغوية اعتمادا على إدراك المتلقي لهذه العناصر عقلا ، ويُعتمد هذا الدليل متى استحالت صحة الكلام

-
- 1 - نعمان بوقرة ، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد ، الأردن ، ط 1 ، 2008 ، ص 44 .
 - 2 - الخصائص ، ج 2 ، ص 360 .
 - 3 - ينظر : مغني اللبيب ، ص 562 .
 - 4 - ينظر : المصدر نفسه ، ص 561 .
 - 5 - مفتاح العلوم ، تحقيق وتقديم وفهرسة : عبد الحميد هندراوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2000 ، ص 329 .
 - 6 - محمد عبد الباسط عيد ، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ، ص 185 .

عقلا إلا بتقدير المحذوف .⁽¹⁾

ب- أمن اللبس : وهو أن يكون اللبس مأمونا على المستويين : اللفظي والمعنوي ، حتى لا تختلط الألفاظ أو المعاني فيكون اللبس حاضرا حينئذ⁽²⁾ ؛ يقول المبرد في هذا : " هذا باب ما يحذف استخفافا لأنّ اللبس فيه مأمون وذلك أنّ للأشياء أصولا ، ثم يحذف منها ما يخرجها عن أصولها ".⁽³⁾

إذن ، فالحذف يمثل علاقة مرجعية لما سبق ، وقد تكون مرجعية الحذف خارجية تعتمد على سياق الحال الذي يُسهّم في تقدير المحذوف . ويذهب " فان ديك " إلى أنّ أهم شرط لتقدير المحذوف هو معرفة السياق ، فهو الذي يُسهّم في عملية التماسك النصي ، فالترابط لا تحده العناصر اللغوية الظاهرة في النص ، فشرط تحقيق الترابط عنده هو تعليق الوقائع التي تشير إليها القضايا ، وذلك في عوالم أزمنة وأمكنة متعاقبة .⁽⁴⁾

ويُشترط في الحذف إحاطة متلقي النص بمكونات السياق اللغوي والاجتماعي المصاحب له ليتمكن من تقدير العنصر المحذوف ، وهي العناصر المكونة للموقف الكلامي - كما أشار إليها فيرث - والتي تشمل الكلام المنطوق ، وشخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي ، وشخصيات من يشهد الكلام المنطوق إنّ وُجدت ، والأشياء والموضوعات المتصلة بالكلام ، والعوامل الطبيعية والاجتماعية .⁽⁵⁾

كما يُشترط في الحذف أيضا أن يكون العنصر المحذوف من نفس مادة المذكور قبلا ، ومن ثمّ عدّه بعض الدارسين اللسانيين متداخلا مع الإحالة القبلية ؛ إلا أنّ ذلك يكون بعنصر صفري .⁽⁶⁾

1 - محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب ، ج 2 ، ص 1162 .

2 - ينظر : أحمد عفيفي ، ظاهرة التخفيف في النحو العربي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط 1 ، 1996 ، ص 276 .

3 - المقتضب ، ج 1 ، ص 383 .

4 - ينظر : فان ديك ، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، تر : عبد القادر فنيبي ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2000 ، ص 20 .

5 - ينظر : عواطف كنوش مصطفى ، الدلالة السياقية عند اللغويين ، ص 196 - 197 .

6 - محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص 21 - 22 . ويسمي " هاليداي ورقية حسن " الحذف بالاستبدال الصفري ؛ لأنّ الاستبدال علاقة بين لفظين وردا في نص ، والحذف علاقة بين لفظين ورد أحدهما في النص وحذف الآخر . فالحذف " لا أثر له إلا الدلالة فلا يحلّ شيء محلّ المحذوف [...] أمّا الاستبدال فيترك أثرا يسترشد به المتلقي وهو كلمة من الكلمات المشار إليها في الاستبدال " . أحمد عفيفي ، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص 126 .

فالحذف ظاهرة نصيية وشرطه أن " لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مُعنيا في الدلالة ، كافيا في أداء المعنى . وقد يُحذف أحد العناصر لأنّ هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدللّ عليه ، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره " .⁽¹⁾

أنواع الحذف :

يقسّم الحذف إلى أقسام ، هي :

1- حذف الاسم : هو نوع من الحذف يعتري التراكيب الإسنادية ؛ يكون العنصر المحذوف اسما يُستغنى عنه بالقرينة الدالة عليه وبشروط مخصوصة ، وبعض التراكيب يرد الحذف فيها بكثرة ، وينذر في بعضها . ومن حذف الاسم كما في حذف : المبتدأ أو الخبر ، والمضاف والمضاف إليه ، والصفة والموضوع ، والعطف والمعطوف عليه ، والتمييز والحال .⁽²⁾

2- حذف الفعل : يحذف الفعل في اللغة - في الغالب - وحده أو مع فاعله المضمّر . وبعض مواضع الحذف يصفها النحاة بالوجوب ؛ أي أنّ إظهار الفعل فيها غير جائز ، وفي مواضع أخرى يكون الحذف جائزا ؛ بمعنى أنّ إظهار الفعل المحذوف تكون الجملة معه صحيحة لجري العادة اللغوية للناطقين على ذكر المحذوف .⁽³⁾

3- حذف الجملة : تحذف الجملة لغرض تجنب الإطالة في الكلام والجنوح للاختصار ، ولذلك يقع حذفها في الأساليب المركبة من أكثر من جملة ، كأساليب الشرط والقسم والعطف والاستفهام ...⁽⁴⁾

4- حذف الحرف : كما في حذف حروف العطف ، وفاء الجواب ، وواو الحال ، وقد ، وما النافية ، وأداة الاستثناء ، ولام التوطئة ، والجار ، وأنّ النافية ، ولام الطلب ، وحرف النداء

1 - محمد حماسة عبد اللطيف ، بناء الجملة العربية ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2003 ، ص 259 .
2 - ينظر : صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ج 2 ، ص 193 . وينظر : طاهر سليمان حمودة ، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، ص 199 .
3 - ينظر : طاهر سليمان حمودة ، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، ص 253 .
4 - ينظر : المرجع نفسه ، ص 284 وما بعدها .

(1) ...

والحذف عند " هاليداي ورقية حسن " ثلاثة أنواع : الحذف الاسمي والحذف الفعلي والحذف الجملي ، مع إبداء ملاحظة أنّ الاهتمام الأكبر على العلاقات بين الجمل ؛ حيث إنّ الحذف داخل الجملة خارج عن الاهتمام ؛ لأنه يدخل في بنية الجملة أمّا الحذف باعتباره شكلا من أشكال العلاقات بين الجمل فهو سمة أساسية من سمات النصيّة .⁽²⁾

ويذكر علماء النص أنّ الحذف على مستوى الجملة الواحدة لا يُحقق للنص شيئا من التماسك والترابط ، بخلاف ما لو كان على مستوى الجملتين أو مجموع الجمل . والحجة في ذلك أنّ العلاقة بين طرفي الجملة لا تتعدى أن تكون بنيوية فقط .⁽³⁾

تجليات الحذف في ديوان " قراءة في آية السيف " :

من نماذج الحذف في قصائد ديوان " قراءة في آية السيف " التي نظمها الغماري تخليدا وتقديسا لجهاد الأمير عبد القادر ، قوله في قصيدة " وسل الأمير ... " :

وَسَلِ الْأَمِيرَ تَرَّ الْأَمِيرَ يَدًا وَ ٥ أَخْلَاقًا وَ ٥ حُبًّا !⁽⁴⁾

يحوي البيت حذفًا جمليا ، ولو قدّرنا الكلام لصار : (وسل الأمير ترّ الأمير يدا وترّ الأمير أخلاقا وترّ الأمير حبا) وقد دلّ على الحذف دليل مقالي قبلي (ترّ الأمير) . ونجد مثل ذلك في قوله :

وَقَضَى الْأَمِيرُ مُجَاهِدًا بَيْنَ التَّامِرِ وَ ٥ الرَّيْبِ !

وَقَضَى الْأَمِيرُ مُجَاهِدًا بَيْنَ الكَتَائِبِ وَ ٥ الكُتُبِ !⁽⁵⁾

وبتقدير الحذف يصبح الكلام : (وقضى الأمير مجاهدا بين التأمير وقضى الأمير مجاهدا بين

1 - ينظر : صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ج 2 ، ص 194 .
2 - عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، المقامات اللزومية للسرقتي الأندلسي نموذجاً ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 1 ، 2007 ، ص 118 .
3 - ينظر : محمد خطايي ، لسانيات النص ، ص 22 .
4 - الديوان ، ص 13 .
5 - الديوان ، ص 15 .

الريب) ، وكذلك في البيت الثاني نجد حذفاً حسب الدليل المقالي القبلي ، والتقدير : (وقضى الأمير مجاهداً بين الكتائب وقضى الأمير مجاهداً بين الكتب) ، فهو حذف جملي قصد من خلاله الغماري الإيجاز والاختصار .

ويقول في نفس القصيدة :

وَقَضَى الرِّمَانُ .. فَكُنْتُ فِي نَارِ المَعَانَةِ اللَّهَبِ

○ تَتَخَايَلِينَ إِذَا اشْرَأَبَ اللَّيْلُ المَسْعُورُ الهُدْبِ

○ تُمَشِّطِينَ ضَفَائِرَ الآمَالِ للَدَّرِبِ السَّلْبِ

○ تُغَازِلِينَ الشَّمْسَ لَا سِجْنَ يَحُولُ وَلَا قُضْبَ ○⁽¹⁾

يتجلى الحذف في البيت الثاني ، ويمكن تقديره انطلاقاً من الدليل المقالي القبلي إلى : (كنت تتخايَلين إذا اشْرَأَبَ الليل المسعور الهدب) وكذلك في البيتين الثالث والرابع اللذين يُقدَّر الحذف فيهما حسب القرينة السابقة إلى : (وكنت تُمَشِّطِينَ ضَفَائِرَ الآمَالِ للَدَّرِبِ السَّلْبِ وكنت تُغَازِلِينَ الشَّمْسَ) . وفي آخر البيت الرابع أيضاً ، حذف فعلي بوجود قرينة مقالية قبلية يُقدَّر بـ : (لا سجن يحول ولا قُضْبَ تحول) . يتعد الشاعر هنا عن التكرار المثقل للكلام ميلاً إلى الاختصار .

ثم يقول في موضع آخر :

الحُرُّ يُولَدُ مِنْ جَدِيدٍ فِي المَآسِي لَا ○ الطَّرْبِ

لَا كَانَ مِنْ أَلِفِ الضِّيَاعِ المَرِّ ○ اخْتَرَفَ الطَّلْبِ

الحَقُّ يُدْرِكُ بِالحَدِيدِ وَلَيْسَ يُدْرِكُ بِالحُطْبِ⁽²⁾

يمجد الشاعر الأوراس على أنه ملحمة للجهاد الذي قرأ من خلاله المجاهدون سورة الفتح التي خاضوا بفضلها السباق نحو الحرية والتحرر . نقف في البيت الأول على حذف فعلي ، ويمكن تقديره حسب دليل مقالي قبلي إلى : (الحُرُّ يولد من جديد في المآسي لا يولد في الطرب) ، وهو حذف جملي للجملة (يولد) . كما نجد حذفاً جملياً في البيت الثاني دلَّت عليه قرينة مقالية قبلية ، والتقدير

1 - الديوان ، ص 16 .

2 - الديوان ، ص 17 .

: (لا كان مَنْ أَلْف الضياع المرّ ، ولا كان مَنْ احترف الطلب) . وقد قصد الشاعر من خلاله الإيجاز والبعد عن الإطناب .

يقول الغماري في قصيدة " ليس لي إلا هواها " :

.....

يُورِقُ الفَجْرُ وَيَمْتَدُّ حُقُولاً وَ Ø سَنَابِلُ

هُوَ ذِكْرِي

وَمَشَاعِلُ

تَهَبُ التَّارِيخُ لِلْجِيلِ المَقَاتِلِ

وَتُحِيلُ الرَّمْلَ بَارُودًا

وَ Ø جُرْحَ الوَرْدِ نَارًا وَ Ø قَنَابِلُ ...

مِنْ جِرَاحِ الدَّرْبِ أَهْوَاهَا

وَمِنْ كِبَرِ الفَوَاصِلِ (1)

في البيت الأول حذف دلّ عليه دليل مقالي سابق ، ويُقدّر الكلام من خلاله ليصير : (يُرِقُ الفجر ويمتد حقولا ويمتد سنابل) وكذلك في البيت السادس نجد حذفين جمليين يدلّ عليهما الفعل (تحيل) قبلهما ، ويكون التقدير حسب الدليل المقالي القبلي : (وتُحيل جرح الورد نارا وتُحيل جرح الورد قنابل) . وقد تجنّب الشاعر تكرار الفعل (تُحيل) طلبا منه الإيجاز .

ويقول في قصيدة " قراءة في آية السيف " :

أَخَافُ أَنَّ بَيْنَكُمْ جُيُوبًا

تُشِيعُ فِي صَفَائِكُمْ عُيُوبًا !

تَفْتَعِلُ الصَّرَاعَ وَ Ø الجِدَالَ

وَتُزْرِعُ السُّمُومًا وَ Ø الوَبَالَ

تُحَرِّمُ الشُّعُورَ وَ Ø الأَشْعَارَا !

وَتَعْشَقُ " التَّارِيخَ " وَ Ø الأَفْكَارَا !! (1)

يُنَبِّه الغماري الأمة العربية من تلك الفئات التي تعمل على افتعال الصراع والجدال وتزرع السموم ، وقد حذف في الأبيات الأربعة ، وهو حذف جملي ، دلّ عليه دليل مقالي قبلي ، والتقدير يكون : (تفتعل الصراع وتفتعل الجدالا / وتزرع السموم وتزرع الوبالا / تُحَرِّمُ الشُّعُورَ وَتُحَرِّمُ الأَشْعَارَا / وتعشق التاريخ وتعشق الأفكار) . وقد تعمّد الشاعر الحذف تفاديا لثقل التكرار ميلا إلى الحفّة .

ثم يقول الغماري :

.....

لَا ضِفَّةٌ تَبْقَى .. وَلَا ضِفَافٌ Ø !

قَدْ التَّقَى الدَّنَابُ وَالْحِرَافُ !!

لَا زَعْتَرٌ يَبْقَى وَلَا صَنْصَافٌ Ø

وَفِي الخِلَافِ .. يُورِقُ " الخِلَافُ " !! (2)

يتجلى الحذف في آخر البيتين الأول والثالث ، وهو حذف جملي دلّ عليه دليل مقالي سابق ، وبتقدير الحذف يصبح البيت الأول : (لا ضفة تبقى ولا ضفاف تبقى) ويصير البيت الثالث (لا زعتر يبقى ولا صفصاف يبقى) .

ومن نماذج الحذف الاسمي قول الغماري :

" اللهُ أَكْبَرُ " فِي اللِّقَاءِ تَثُورُ Ø تُبْدَعُ Ø تَلْتَهَبُ

فِي عُمُقِهَا جُرْحُ الفُتُوحِ وَوَاحِدَةُ الصَّوْءِ الرِّطْبِ

اللهُ أَكْبَرُ .. مَا أَجَلٌ وَ Ø مَا أَلَدُّ وَ Ø مَا أَحَبُّ (3)

حوى السطران حذفًا جمليًا جلاّه دليل مقالي قبلي ، وبتقديره يصبح الكلام : (الله أكبر في

1 - الديوان ، ص 111 - 112 .

2 - الديوان ، ص 114 .

3 - الديوان ، ص 14 .

اللقاء تثور ، الله أكبر في اللقاء تبدع ، الله أكبر في اللقاء تلتهب) وفي البيت الثاني يصير الكلام :
 (الله أكبر .. ما أجلّ والله أكبر .. ما ألدّ والله أكبر .. ما أحبّ) . وقد أدّى الحذف هنا وظيفة
 أساسية في النسق التعبيري تعمل على اتساع الدلالة وتكثيفها ؛ إذ تصبح الكلمات القليلة الظاهرة
 حاملة لمعانٍ كثيرة ، وهذه المعاني ليست بالضرورة ما تحمله الألفاظ من الظاهر فقط ، وإنما ما تُحيل
 إليه أيضا في باطن العبارة أو في فضائها .⁽¹⁾

ثم يقول الشاعر :

أَنْتِ الَّتِي عَرَفْتِهِ كَيْفَ الصَّبَابَةِ تَلْتَهَبُ ؟

○ كَيْفَ الْمَحْبُوبُونَ الْعِطَاشُ تَفُورُ نَجْوَاهُمْ حَبَبٌ ؟⁽²⁾

نلمح الحذف في بداية البيت الثاني ، وقد دلّت عليه قرينة مقالية سابقة ، ومن خلالها يكون
 التقدير : (أنتِ التي عرّفته كيف الصبابة تلتهب ؟ أنتِ التي عرّفته كيف المحبون العطاش تفور نجواهم
 حبيب ؟) .

ثم يقول :

لَكَ يَا جَزَائِرُ مَا أَسْرَّ وَ ○ أَبَانَ وَ ○ مَا وَهَبَ⁽³⁾

يوجد حذف جملي في البيت ، والدليل على ذلك القرينة المقالية القبليّة ، وعليه يصبح الكلام
 بعد تقدير المحذوف (لكِ يا جزائر ما أسرّ ولكِ يا جزائر ما أبان ولكِ يا جزائر ما وهب) وفي هذا
 ثقل في الكلام ناتج عن تكرار (لكِ يا جزائر) لذلك لجأ الغماري إلى الحذف ، وقد جعل منه
 وسيلة للتخفيف .

ويقول في موضع آخر :

.....

قَدْ رَفَضَ الْإِسْلَامُ كُلَّ جِنْسٍ

لَا فَرْقَ بَيْنَ عَرَبٍ وَفُرْسٍ

1 - ينظر : محمد صلاح ركي أبو حميدة ، البلاغة والأسلوبية عند السكاكي ، ص 115 .

2 - الديوان ، ص 15 .

3 - الديوان ، ص 15 .

كُلُّ عَلَى صِرَاطِهِ إِخْوَانٌ

التُّرْكُ Ø وَالْهُنُودُ Ø وَالْأَفْغَانُ Ø (1)

يظهر الحذف في البيت الرابع وهو حذف اسمي جلته قرينة مقالية سابقة كلمة (إخوان) في البيت الثالث ، وبتقديره يصبح الكلام : (كلُّ على صراطه إخوان الترك إخوان والهنود إخوان والأفغان إخوان) . وهذا المحذوف الاسمي الغرض منه الحفاظ على الجرس الموسيقي للقصيدة وعدم الإضرار به ، كما جعل منه لحمة واحدة متجانسة الأطراف .

ويقول :

وَيَا شَبَابُ أَنْتُمْ الطَّلِيْعَه

وَ Ø أَنْتُمْ سَوَاعِدُ الشَّرِيْعَه

كُونُوا شُهُودَ الْحَاضِرِ الضَّبَّابِي

لَأَمْسِنَا .. وَغَدِنَا الْأَوَّابِ (2)

حوى البيت الثاني حذف اسميا دلّ عليه دليل مقالي قبلي ، ويصبح البيت بعد تقدير الحذف : (ويا شباب أنتم سواعد الشريعة) ، وهو حذف اعتمده الشاعر ليتعد عن التكرار الذي يجعل الكلام طويلا .

ومن الحذف الحرفي ، حذف أداة النداء (يا) في قول الغماري :

Ø أَوْرَاسُ يَا سَيْفًا يَثُورُ وَيَا حَيْوَلًا تُرْتَقَبُ (3)

وقد دلّ على المحذوف قرينة مقالية ، وبتقدير المحذوف يصبح الكلام : (يا أوراسُ يا سيفاً) .

ومنه أيضا حذف حرف الجر (في) في قوله :

.....

الدِّينُ فِي الْأَقْوَالِ وَ Ø الْأَفْعَالِ

1 - الديوان ، ص 98 .

2 - الديوان ، ص 113 .

3 - الديوان ، ص 17 .

وَلَيْسَ فِي الْأَلْوَانِ وَ Ø الْأَشْكَالِ ! (1)

فقد حُذِفَ حرف الجر (في) في البيتين لدلالة القرينة المقالية السابقة عليه ، وبعد تقدير المحذوف يكون الكلام : (الدين في الأقوال وفي الأفعال وليس في الألوان وفي الأشكال !) . وقصد الشاعر لمثل هذا الحذف الابتعاد عن التكرار وعدم الإخلال بالوزن .

وما يُمكن استخلاصه أنّ إفادة الحذف للسبب تتم بإزالة العناصر اللغوية المعلومة من بنية النص الظاهرة وإبقائها قائمة في بنية النص العميقة المعلومة للمتلقي الذي يعتمد على ما يمتلكه من أدوات معرفية ، إذ معرفة الكلام المحذوف يعتمد على ذكائه ، وإثارة حسّه وبعث خياله ، وتنشيط نفسه ، حتى يفهم بالقرينة الدالة ، ويدرك باللمحة ويفطن إلى معاني الألفاظ التي طواها التعبير .(2)

المبحث الثاني

1 - الديوان ، ص 111 .
2 - ينظر : محمد محمد أبو موسى ، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط 4 ، 1996 ، ص 111 .

الارتباط المعنوي :

- العلاقات الدلالية

الارتباط المعنوي :

العلاقات الدلالية :

التلازم :

التلازم هو تلك العلاقة التي تنشأ بين عنصرين نحويين ، أو هو استلزام العنصر النحوي عنصراً آخر ، كأن يستلزم الظرف الفعل أو جملة الشرط الجواب ، فينشأ عن علاقة الاستلزام بينهما ترابط بين عناصر الجملة مما يحقق التماسك بين بنيات النص .

1- الظرف :

وهو المفعول فيه . يُعرّف ابن مالك الظرف⁽¹⁾ بقوله :

الظرف وقتٌ أو مكانٌ ضمّنا " في " باطرادٍ ، كـ " هنا امكث أزمنا " .

فالظرف هو اسم وقت (زمان) أو اسم مكان ضمّنا معنى " في " وهو الظرفية .⁽²⁾ فـ " هنا " في قول ابن مالك ظرف مكان ، و " أزمنا " ظرف زمان ، وكلُّ منهما تضمن معنى " في " لأن المعنى " امكث في هذا الموضع وفي أزمنا " .⁽³⁾

ويرتبط الظرف بنوعيه بالفعل " لأن الفعل دال على الحدث ، ولا يخلو الحدث من زمان ومكان " .⁽⁴⁾ فعلاقة الحدث بزمانه ومكانه علاقة منطقية .

ولحرف الجر (في) دلالة قوية على الظرفية ، وفي هذا يقول سيويه : " وأما (في) فهي للوعاء (*) ، تقول : هو في الجراب ، وفي الكيس ، وهو في بطن أمه ، وكذلك هو في العُلّ ؛ لأنه جعله إذا أدخله فيه كالوعاء له . وكذلك هو في القبة ، وفي الدار . وإذا اتسعت في الكلام ، فهي على هذا . وإنما تكون كالمثل يُجاب به ، ويُقارب الشيء وليس مثله " .⁽⁵⁾

وُعدُّ حروف الجر من أدوات الربط التي تحقق التماسك في النص ، و " في " منها ، وهي هنا " تربط ما بعدها بالحدث الكامن في الفعل " .⁽⁶⁾ فإذا قلتَ : خرجتُ صباحا ، تبين لنا ذلك الارتباط الوثيق بين حدث الخروج (الفعل) وبين زمانه (الصباح) .

من هنا نستخلص الارتباط الوثيق بين الظرف - بنوعيه - والفعل .

ومن خلال ملاحظتنا لقصائد الديوان عثرنا على بعض ظروف الزمان والمكان مبثوثة في ثنايا القصائد ، وإذا صنفناها فإن الغالب فيها هي ظروف المكان .

1- شرح ابن عقيل ، ج 2 ، ص 85 .

2- شرح السيوطي على ألفية ابن مالك ، ص 257 .

3- المصدر السابق ، ج 2 ، ص 86 .

4- مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط ، ص 174 .

* تُرادف كلمة " وعاء " كلمة " ظرف " : جاء في لسان العرب لابن منظور تحت مادة (ظرف) المعاني الآتية : الظرف مشتق من الظرف ، وهو الوعاء . وظرف الشيء وعاءه ، والجمع ظروف . الليث : الظرف وعاء كل شيء حتى إن الإبريق ظرف لما فيه .

5- المرجع السابق ، ص 175 .

6- مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط ، ص 175 .

ومن نماذج اسم المكان المتضمن معنى (في) قول الغماري في قصيدة (أغنية للحزن والجهاد) :

وَلَا يُزْهِرُ فِي الْكَهْفِ الْجَدِيبِ⁽¹⁾

فحرف الجر (في) هنا يفيد الظرفية^(*) وقد ربط بين حدث الازهار (في الفعل) وبين مكانه (الكهف) .

ومن نماذج اسم الزمان المتضمن معنى (في) قول الشاعر في قصيدة (ليس لي إلا هواها) :

فِي زَمَانِ الْقَيْظِ وَالرُّعْبِ خُطَاهَا

تَرْسُمُ الْآلَامَ فَجْرًا...⁽²⁾

نجد في التركيب ذلك الارتباط الوثيق بين الظرف (فجرا) والفعل (ترسم) الدال على الحدث (الرسم) ، إذ الرسم لم يكن إلا وقت الفجر . وقد تمَّ هذا الارتباط بواسطة حرف الجر (في) الذي يتضمنه اسم الزمان (فجراً) .

وعليه ، فالظرف يحقق الربط بينه وبين الحدث الكامن في فعله عن طريق حرف الجر (في) الذي يتضمنه اسم الزمان أو اسم المكان حيث تنشأ بينهما علاقة تلازم وطيدة تمنع استغناء الفعل عن الظرف لأن حدث الفعل لا يمكن أن يتجرد من الزمان أو المكان .

2- الشرط :

الشرط هو التلازم .

ترتبط جملة جواب الشرط بجملة فعل الشرط بالرابط " الفاء " ، " فتجعلهما جملة واحدة كما يفعل حرف الشرط " .⁽¹⁾

1- الديوان ، ص 139 .

* إميل بديع يعقوب ، معجم الإعراب والإملاء ، ص 307 .

2- الديوان ، ص 71 .

فأدوات الشرط تقوم بوظيفة الربط سواء كانت هذه الحروف جازمة أم غير جازمة .
 " وأساس علاقة الشرط قائمة على معنى الاستلزام " .⁽²⁾ ففعل الشرط يستلزم الجواب . وهذه الأدوات
 هي : إن ، أين ، من ، ما ، مهما ، متى ، أيان ، حيثما ، إذما وأني .⁽³⁾

فكل هذه الأدوات يقتضي جملتين " أولاهما ملزومة للثانية ، تسمى الأولى شرطا ، لأن وجود
 الملزوم علامة على وجود اللازم ... وتسمى الثانية جزاء وجوبا ، لأنه مدعى فيها بأنها لازمة لما جعل
 شرطا " .⁽⁴⁾

والرابط في جملة الشرط ، هو الفاء التي تعمل على ربط جملة الجواب بجملة فعل الشرط .
 يقول ابن هشام : " وإذا لم تصلح الجملة الواقعة جوابا لأن تقع بعد أداة الشرط وجب اقترانها بالفاء
 ، وذلك إذا كانت الجملة اسمية أو فعلية " .⁽⁵⁾ والشاهد في الجملة الاسمية قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ
 يَمْسَسْكَ بِيْخِيْرٍ فَهُوَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴾ [الأنعام ، الآية : 17] . والشاهد في الجملة الفعلية
 قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُوْنِيْ يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل
 عمران ، الآية : 31] .

فجملة الجواب في الآيتين " فهو على كل شيء قدير " و " فاتبعوني يحببكم الله " اقتصرت
 بجملي فعلي الشرط بالرابط (الفاء) مما حقق الارتباط الوثيق بينهما ، وقد " وجب اقترانه [=
 الجواب] بالفاء ليعلم ارتباطه بالشرط ، وتعلق أدواته به " .⁽⁶⁾

يقول ابن جني : " إنما دخلت الفاء في جواب الشرط توصلا إلى المجازاة بالجملة المركبة من
 المبتدأ والخبر ، أو الكلام الذي قد يجوز أن يُبدأ به " .⁽¹⁾

1- مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط ، ص 201 . يقول الزركشي في البرهان : " المجازاة إنما تنعقد بين جملتين : أولاهما
 فعلية لتلائم الشرط ، مثل قوله تعالى : (يرد الله أن يهديه) [الأنعام / 125] ... وثانيهما قد تكون اسمية ، وقد تكون
 فعلية جازمة وغير جازمة ، أو ظرفية أو شرطية ، كما يقال : (فأولئك يدخلون الجنة) [مريم / 60] فإذا جمع بينها وبين
 الشرط اتحدتا جملة واحدة ، نحو قوله تعالى : (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة)
 [النساء / 124] ... فالأولى هي جملة المجازاة تسمى شرطا ، والثانية تسمى جزاءً " . (الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ،
 ج 2 ، ص 351 - 352) .

2- المرجع نفسه ، ص 202 .

3- ابن هشام ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، ص 117 : 123 . وينظر : شرح ابن عقيل ، ج 4 ، ص 14 : 16 .

4- ابن مالك ، شرح التسهيل ، ج 4 ، ص 73 .

5- ابن هشام ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، ص 124 . وينظر : مصطفى النحاس ، من قضايا اللغة ، مطبوعات جامعة
 الكويت ، الكويت ، ط 1 ، 1995 ، ص 208 .

6- ابن مالك ، شرح التسهيل ، ج 4 ، ص 76 .

إذن ، تقوم العلاقة بين جملي فعل الشرط وجوابه على أساس الاستلزام . وقد تضمن الديوان أربعة عشرة أسلوب شرط موزعة على ثمانية قصائد . وقد تنوعت في هذه الأساليب أدوات الشرط بين جازمة (إِنَّ وَمَنْ) وغير جازمة (لولا وإذا) . كما أنّ جملة الجواب منها ما اقترن بالفاء ، وهي خمسة ، ومنها ما جاء مجردا منها .

ومن نماذج الشرط في الديوان الأنماط الآتية :

النمط الأول : الشرط جازم (إِنَّ) + جملة الجواب مقترنة بالفاء

من هذا النمط قول الغماري في قصيدة (وسل الأمير) :

إِنَّ نَشْرُ .. فَلَيْدِنِهِمْ ثَارَ الْعَرَبِ⁽²⁾

ف (إِنَّ) أداة شرط جازمة ، وفعل جملة الشرط (نثر) مجزوم مسند إلى الشاعر وقومه ، وجملة الجواب (فلدينهم ثار العرب) تعلقت بجملة فعل الشرط قبلها بالرابط الفاء فحولتهما جملة واحدة لا يمكن للطرف الأول فيها أن يستغني عن الجواب .

النمط الثاني : الشرط غير جازم (إذا) + جملة الجواب مقترنة بالفاء

من هذا النمط ما ورد في قصيدة (درب المحبين) ، يقول الشاعر :

إِذَا الْجِرَاحُ عَلَى أَوْهَامِهَا انْسَكَبَتْ

فَجَرْحُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَنْدَفِقُ⁽³⁾

أداة الشرط (إذا) غير جازمة ، جملة فعل الشرط تركيب فعلي فعله محذوف فسرّه الفعل الذي بعده (الجراح على أوهامها انسكبت) وهي ملزومة بتعبير ابن مالك ، وجملة الجزاء (فجرحه

1- ابن جني ، سر صناعه الإعراب ، ج 1 ، ص 252 - 253 .

2- الديوان ، ص 12 .

3- الديوان ، ص 156 .

في سبيل الله يندفق) لازمة . وقد ارتبط اللازم بالملزوم بواسطة الرابط الفاء فحقق التلازم بينهما .

ومن خلال النماذج التي سبق تحليلها نتبين أن جملة الشرط بركنيها - جملة فعل الشرط وجملة الجواب - هي جملة واحدة تتحقق علاقة التلازم فيها من خلال الرابط الفاء .

الإضافة :

قسّم النحاة الإضافة إلى :

إضافة بمعنى " من " ، نحو : ثوب خزّ . والتقدير : ثوب من خزّ ، " فيكون الأول بعض الثاني ويوصف الأول بالثاني " (1) فالمضاف يكون بعض المضاف إليه ، إذ الثوب بعض من الخزّ . وهذه العلاقة " تُكسب المضاف التخصيص " (2) لأنه نكرة .

وإضافة بمعنى " اللام " ، مثل : غلام زيد . والتقدير : غلام لزيد ، فقد اكتسب المضاف معرفة بإضافته للمعرفة . (3)

وبسبب هذه الصلة بين الإضافة وحروف الجر أطلقوا على تلك الحروف تسمية " حروف الإضافة " (1)

-
- 1- الواسطي الضرير ، شرح اللمع في النحو ، ص 95 .
 - 2- مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط ، ص 170 .
 - 3- ابن مالك ، شرح التسهيل ، ج 3 ، ص 223 .

أما عن العلاقة بين المتضايين " فكل جزء من جزأي الإضافة مؤثر في الآخر " (2) إن بالجر بأحد المعاني الثلاثة السالفة الذكر (مِنْ ، فِي واللام) أو بالتخصيص مع النكرة والتعريف مع المعرفة .

ويذكر محمد غاليم أن العلاقة بين المتضايين تقوم على معنى الملكية ، يقول : " سنفترض أن معنى الملكية يشكل المعنى النمطي النموذجي للجر بالإضافة " . (3) وهذا ما ذهب إليه القدماء من تقدير اللام أو مِنْ أو فِي . فالأساس في العلاقة بين المتضايين هو علاقة الملكية .

تنشأ العلاقة بين المضاف والمضاف إليه بلا واسطة ومن ثمَّ لا يمكن الفصل بينهما لذلك يقول ابن جني : " كلما ازداد الجزآن اتصالاً قَوِيَ قُبْح الفصل بينهما " . (4)

ويرتبط المضاف والمضاف إليه ارتباطاً وثيقاً في اللغة العربية ، فيكاد أن يتحوّل إلى كلمة واحدة . " فلو ذهب ذاهبٌ واعتقد معتقداً أن الإضافة كان يجب أن تكون داعيةً إلى البناء ، من حيث كان المضاف من المضاف إليه بمنزلة صدر الكلمة من عجزها ، وبعض الكلمة صوتٌ ، والأصوات إلى الضعف والبناء ، لَكَنَّ قولاً " . (5) فالمضاف يرتبط بالمضاف إليه بعلاقة دلالية ، إذ الجمع بين اللفظين يُنتج مركباً جديداً يحمل دلالة جديدة لا تدل عليها كل لفظة منهما على حدة .

ويذكر السيوطي في الأشباه والنظائر أن الإضافة تصح بأدنى ملابسة (6) ، فإذا قلت : لقيته في طريقي ، فإنك أضفت الطريق إليك بمجرد مرورك فيه .

هذا عن الإضافة عند القدماء ، أما عند المحدثين فقد قسمها محمد غاليم أيضاً إلى قسمين : إضافة تخصيصية أو إفرادية وإضافة تصنيفية أو وصفية . (7)

1- ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج 1 ، ص 123 .

2- المصدر السابق ، ج 3 ، ص 226 .

3- محمد غاليم ، النظرية اللسانية والدلالية العربية المقارنة مبادئ وتحليل جديدة ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط 1 ، 2007 ، ص 101 .

4- ابن جني ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، ج 2 ، ص 390 .

5- المصدر نفسه ، ص 183 .

6- نقلاً عن مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط ، ص 169 .

7- محمد غاليم ، النظرية اللسانية والدلالية العربية المقارنة مبادئ وتحليل جديدة ، ص 95 .

أما الإضافة التخصيضية أو الإفرادية فيكون فيها المضاف إليه حد (تعريف) للاسم الرأس (المضاف) ، مثل : دار الرجل ، " حيث المضاف إليه حدّ (déterminer) للاسم الرأس .
وحيث يُجِيل المركب كلّهُ على كيانٍ مخصص خارج طبقة الكيانات التي يُجِيل عليها الاسم الرأس " (1) فالمقصود به دار الرجل ، لا قصره أو ضيعته .

وأما الإضافة التصنيفية أو الوصفية ، يكون فيها المضاف إليه بمثابة النعت للمضاف ، يقول محمد غاليم : " حيث المضاف إليه بمثابة نعت (modifier) للاسم الرأس " (2) ويمثل لذلك بقوله : دار رجل . والمقصود : دار رجلٍ لا امرأة أو طفل أو فتاة .

ومما تقدم نستخلص أن الإضافة التخصيضية أو الإفرادية تتوافق والإضافة بمعنى اللام عند القدماء ، وأنّ الإضافة التصنيفية أو الوصفية تتواءم والإضافة بمعنى (مِنْ) عندهم .

والغرض الأصلي من الإضافة المحضة أو المعنوية يتعلق بتحقيق فائدة الارتباط بين المضاف والمضاف إليه ، وبالتالي فالإضافة " توسعة في طرق التعبير تتيحها العربية [...] فالعربية تسلك في التعبير عن المعنى الواحد طرقاً متعددة " (3) فهي تتيح التعبير عن علاقة الإسناد في : أعجبنى علمٌ زيدٍ بطريق التمييز : أعجبنى زيدٌ علماً ، أو بطريق الإبدال : أعجبنى زيدٌ علمُهُ .

ومن هنا فإنّ علاقة الارتباط تبلغ قوتها بين المضاف والمضاف إليه إن كان المضاف إليه جملة دون حاجة إلى رابط يربط المضاف إليه بالمضاف .

اشتملت قصائد ديوان الغماري " قراءة في آية السيف " على ما يزيد عن الثلاثمائة مركب إضافي ، وهذا يدل على ما للإضافة من أهمية في خلق دلالات جديدة لا يمكن للفظ مفرداً أن يحققه ، لذلك اهتم الدرس اللساني الحديث بهذا النوع من المخصصات لما له من قدرة إبداعية في خلق معانٍ جديدة فضلاً عن قدرته على تحقيق الربط بين المعاني . هذا ما سنحاول تبينه من خلال تحليل هذه النماذج :

النمط الأول : إضافة حقيقية :

كما في قول الغماري :

1- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

2- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

3- مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط ، ص 169 .

وَجَزَائِرُ الْأَحْرَارِ لِلْفَتْحِ الْمُجَاهِدِ تَنْتَسِبُ !⁽¹⁾

فالمقصود هنا بالجزائر ، بلد الأمير عبد القادر على وجه الحقيقة ، فهي ملكٌ للأحرار .
فالعلاقة بين المتضايين هي الملكية ، أي أن الجزائر للأحرار بتقدير حرف الجر اللام الذي يفيد الملكية .

النمط الثاني : إضافة تعظيم :

من باب إضافة الشيء إلى (الله) تعالى تعظيما لهذا الشيء . وقد ورد لفظ الجلالة (الله)
مضافا إليه في عشر مواضع في الديوان :

يا خيول الله (29)⁽²⁾ فواصلُ الله (38) نور الله (88) نبي الله (93) رسول الله (102)
صوت الله (117) كتائب الله - يا غارة الله (121) سبيل الله (156) وفواصل الله (159) .

ففي قول الشاعر :

فَأَشْرَيْتَنِي يَا خَيْوَلَ اللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ أَمْرٌ !⁽³⁾

فقد أضاف الشاعر (خيول) إلى لفظ الجلالة (الله) تعظيما وتشريفا لها . وإن لم تضاف
اللفظة (خيول) إلى (الله) وكان التركيب مثلا : فاشرئني يا خيولا إن ... فلا يمكن لها أن تدل
على المعنى الذي اكتسبته من هذه الإضافة .

وإضافة إلى علاقة الملكية بين المتضايين ، فإننا نلمس هنا علاقة التعظيم أيضا . من هنا
يظهر اللفظان المتضايان كأتهما لفظ واحد في دلتهما .

النمط الثالث : إضافة التخصيص :

1- الديوان ، ص 13 .

2- يمثل الرقم بين قوسين رقم الصفحة في الديوان .

3- الديوان ، ص 29 .

يكون فيها المضاف لفظا يشمل أشياء كثيرة ، ثم يخص لشيء واحد . من أمثل ذلك :
خييل ورسول .

فالخييل كثير ، كخييل الجهاد وخييل السفر وخييل النزهة وخييل السباق ... لكن الشاعر في القصيدة خصصها بإضافتها لما بعدها : خييل الجهاد ، خييل المدى (11) وخييل الأمير (15) . فالعلاقة بين المتضايفين هي علاقة الملكية ، مع إضافة علاقة جديدة هي **التخصيص** (والتخصيص هنا في المضاف وليس في المضاف إليه ، ليخص نوعا واحدا مما يشمله المضاف) .

كذلك في (رسول) ، فالرسلُ كثرُ (موسى ، عيسى ، نوح ، إبراهيم ... محمد) وهم جميعا رسل الله ؛ لكن خصص هذا اللفظ (رسول) ليطلق على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ يقول الغماري :

وَيَا رَسُولَ اللَّهِ .. أَيُّ زُورٍ ؟

جَاؤُوا بِهِ ... وَأَيُّ فِكْرٍ بُورٍ ؟⁽¹⁾

فقد حُصَّ محمد صلى الله عليه وسلم بأنه رسول الله تعالى من خلال إضافة اسمه صلى الله عليه وسلم لاسمه تعالى ، وفي ذلك **تخصيص** له و**تعظيم** .

والنتيجة التي نتوصل إليها من خلال تحليلنا لهذه النماذج أن المركب الإضافي يمكن أن يدل على معانٍ جديدةٍ لا يمكن للفظ المفرد أن يدل عليها ، إضافة إلى تحقيقه للربط بين المعاني من خلال عدم إمكانية الفصل بين اللفظين المتضايفين .

التعدية والتمكين :

الأصل في تركيب عناصر الجملة الفعلية أن تشتمل على فعل وفاعل إذا كان الفعل لازما ، وفعل وفاعل ومفعول إذا كان الفعل متعديا . وقد ميّز النحاة بين اللازم والمتعدي بأن يكون اللازم " دالا على خلقة أو أن يكون من أفعال النفس أو أن يكون حركة جسم غير مماسة " .⁽²⁾ فما دل على

1- الديوان ، ص 102 .

2- مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط ، ص 166 - 167 .

خلقة كاحمر وطال وقصّر ، وما كان من أفعال النفس غير مُلأبِس كَشْرُفَ وَكُرْمَ ، وما كان حركة جسم غير مماسة كمشى وانطلق .

كما جعل النحاة لبعض الأفعال اللازمة قرينة لفظية توضح دلالة اللزوم فيها " هي بنيتها الصرفية إضافة إلى دلالتها المعنوية " (1).

وعندما يُراد الدلالة على انتقال صيغة بعض الأفعال اللازمة إلى صيغة الفعل المتعدي يُمَيِّز " بقرينة لفظية تتمثل في البنية الصرفية أيضا ، وذلك بالتضعيف أو بزيادة الهمزة " (2).

وإذا كانت الأفعال ضعيفة عاجزة عن الوصول إلى الأسماء التي بعدها بنفسها للارتباط بها اصطُنعت " علاقة الربط لأمن لبس وذلك بتعدية الفعل بحرف الجر الرابط " (3) ، نحو : مررتُ بزيدٍ ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة ، الآية : 195] .

فحروف الجر تقوم بوظيفة التعدية إذا لم " يكن للهمزة مجال ، فتقوى الأفعال التي تقصر عن الوصول إلى مفعولها ، أصلا ، أو التي تتعدى إلى مفعول ، ويستلزم السياق إيجاد مفعول آخر " (4) فحرف الجر يقوم بوظيفة التعدية و" يؤدي - إلى جانب ذلك - إلى توجيه المعنى الدلالي للجملة بشكل يجعلها تختلف عن جملة مستعمل معها [حرف الجر] " (5).

ويذهب ابن جني في حديثه عن عجز الفعل دلاليا في نفسه عن الارتباط بالمفعول ، إلى " أن هذه الحروف ، أعني الباء ، واللام ، والكاف ، ومن ، وعن ، وفي ، وغير ذلك ، إنما جرّت الأسماء من قبَل أن الأفعال التي قبلها ضعفت عن وصولها إلى الأسماء التي بعدها وتناولها إياها كما يتناولها غيرها من الأفعال القوية الواصلة إلى مفعولين ما يقتضيه منهم بلا وساطة حرف إضافة ؛ ألا تراك تقول : ضرب زيدٌ عمراً ، فيفضي الفعل بعد الفاعل إلى المفعول ، فينصبه لأن في الفعل قوة أفضت به إلى مباشرة الاسم . ومن الأفعال أفعال ضعفت عن تجاوز الفاعل إلى المفعول ، فاحتاجت إلى أشياء تستعين بها على تناولها والوصول إليها ، وذلك نحو عجبت ، ومررت ، وذهبت ، ولو قلت :

- 1- المرجع نفسه ، ص 166 - 167 . من أمثلة ذلك : (فَعَلٌ - انْفَعَلٌ - أَفْعَلٌ) .
- 2- المرجع نفسه ، ص 167 . وينظر أيضا : الواسطي الضرير ، شرح اللع في النحو ، تحقيق : رجب عثمان محمد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 1 ، 2000 ، ص 60 . وابن مالك ، شرح التسهيل ، تحقيق : عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون ، هجر للطباعة والنشر ط 1 ، 1990 ، ج 2 ، ص 148 - 149 .
- 3- مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط ، ص 167 .
- 4- الصادق خليفة راشد ، دور الحرف في أداء معنى الجملة ، منشورات جامعة قان يونس بنغازي ، 1996 ، ص 205 .
- 5- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

عجبتُ زيداً ، ومررتُ جعفرأ ، وذهبتُ محمداً ، لم يجز ذلك لضعف هذه الأفعال في العرف والعادة والاستعمال عن إفضائها إلى هذه الأسماء . على أن ابن الأعرابي قد حكى عنهم : مررتُ زيداً وهو شاذ . فلما قصرتُ هذه الأفعال عن الوصول إلى الأسماء زُفدت بحروف الإضافة ، فجُعلت موصولة لها إليها ، فقالوا : عجبتُ من زيد ، ونظرتُ إلى عمرو " (1).

فعلاقة الارتباط تنشأ بين الفعل المتعدي والمفعول لقرينة الافتقار ، " فالأصل الدلالي لهذه العلاقة أن الفعل المتعدي يفتقر في دلالته إلى اسم يقع بعده " (2) فإن لم تكن له الطاقة الدلالية التي تجعله مكثفياً بفاعله احتاج إلى اسم بعده يتمم دلالته .

ومن نماذج التعدية في الديوان :

النموذج الأول : ما يصل إلى المفعول به بنفسه :

يقول مصطفى الغماري في القصيدة الأولى من الديوان (وسل الأمير) :

وَمُدَّ مَلْحَمَةَ الرَّهَبِ (3)

فالسطر تركيب فعلي ماضوي مثبت مجرد من القرائن اللفظية مركب تركيباً بسيطاً يتعلق بمسند واحد هو الأمير عبد القادر .

ف (مدّ) فعل ماضٍ متعدٍ بنفسه ، له الطاقة التي تمكنه من الوصول إلى المفعول به (ملحمةً) .

فالفعل (مدّ) من حيث طاقته الدلالية يفتقر إلى المفعول به ، فلم يكتفِ بفاعله مما جعله يحتاج إلى مفعول به بعده يتمم معناه .

النموذج الثاني : ما يصل إلى المفعول به بالتضعيف :

ومن هذا الضرب ما ورد في قصيدة (أغنية للحزن والجهاد) :

1- ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، دراسة وتحقيق : حسن هندراوي ، دار القلم ، دمشق ، ط 2 ، 1993 ، ج 1 ، ص 123 - 124 .

2- مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط ، ص 166 .

3- الديوان ، ص 17 .

غَرَّقْنَا فِي مَنَافِينَا السِّنِينَ⁽¹⁾

ف (غَرَّقَ) فعل ماضٍ مضعف العين والفاعل (السنين) والمفعول به الضمير المتصل (نا) .
فالعلاقات الإسنادية في السطر من حيث ترتيب العناصر النحوية ليس ترتيباً اعتيادياً ، إذ
تقدم المفعول به على الفاعل ، وهذا يُعَدُّ من عناصر التحويل في هذه الجملة يساهم في تحديد المعنى
فيها . وقد قدّم الشاعر المفعول به الضمير (نا) على الفاعل (السنين) لتعظيم ما أحدثته سنوات
المنفى ، فعبر عن ذلك بالفعل (غَرَّقَ) .

النموذج الثالث : ما يصل إلى المفعول بزيادة الهمزة :

إذا أُريد تحويل الفعل اللازم إلى صيغة الفعل المتعدي يُميز بقريئة لفظية تتمثل في البنية الصرفية
" وذلك بزيادة الهمزة " .⁽²⁾ من ذلك ما ورد في قول الغماري في قصيدة (قراءة في آية السيف) :

وَأَخْضَعُوا أَحْكَامَهُ لِلدَّرْسِ⁽³⁾

ف (أخضع) فعل ماضٍ زيد فيه حرف الهمزة من (خَضَعَ) الثلاثي ، وهو متعدٍ بنفسه إلى
مفعوله (أحكام) الذي ورد مضافاً إلى الهاء التي تعود على الكتاب (وهو القرآن) وارتبط به
بواسطة الهمزة التي دخلت على الفعل ، والتي بدونها - الهمزة - لما أمكن للفعل (خضع) الوصول
إلى المفعول بعده ، ومن ثَمَّ أصبح الفعل (أخضع) يفتقر إلى اسم بعده يُتم معناه ، فنشأ الارتباط
بين الفعل والمفعول به بعده .

النمط الرابع : ما يصل إلى المفعول بحرف الجر الرابط :

حدد ابن جني بعض حروف الجر⁽⁴⁾ ، الباء ، اللام ، الكاف ، من ، عن وفي ، يُتوصل بها
إلى تعدية الفعل اللازم إذا كان عاجزاً عن تناوله للمفعول . من ذلك النموج الآتي من قصيدة
(حنين إلى خضراء الظلال) :

1- الديوان ، ص 129 .

2- مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط ، ص 167 .

3- الديوان ، ص 104 .

4- سر صناعة الإعراب ، ج 1 ، ص 123 - 124 .

يَرْعَفُ اللَّيْلُ بِشَيْطَانٍ وَكَافِرٍ ! (1)

فالفعل (يرفع) ضَعْفَ عن تجاوز الفاعل (الليل) إلى المفعول (شيطان) ، فاحتاج إلى حرف جرّ يستعين به للوصول إلى المفعول .

وقد تعدى الفعل (يرفع) بحرف الجر الباء (*) واستوفى مفعوله بشبه الجملة (بشيطان) . فأوصل حرف الجر الباء الفعل (يرفع) إلى المفعول (شيطان) .

ففي كل النماذج المحللة السابقة ، نلاحظ أن الأفعال المتعدية بنفسها أو بواسطة " نتجت عنها عملية تغيير وحركة تعكسها الأفعال الواردة فيها " (2) .

السببية :

المفعول لأجله أو له " هو ما دل على مراد الفاعل من الفعل " (3) نحو قوله تعالى :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل ، الآية : 44] .

فعلاقة المفعول لأجله السببية إذ " لم تترك العربية علاقة منطقية بين المعاني إلا وأوجدت لها سبيلا لبيانها " (4) وهي إحدى علاقات الربط المنطقي بين المعاني ، فهي تُبيِّنُ عن سبب وقوع الحدث . لذلك اشترطوا " أن يكون المفعول لأجله مصدرا " (5) لدلالة المصدر على الحدث المجرد من أيّ حدثٍ آخر .

1- الديوان ، ص 60 .

* إميل بديع يعقوب ، معجم الإعراب والإملاء ، دار شريفة ، ص 116 .

2- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، ص 77 .

3- ابن مالك ، شرح التسهيل ، ج 2 ، ص 196 .

4- مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط ، ص 176 .

5- ابن مالك ، ج 2 ، ص 196 . مصطفى حميدة ، ص 177 .

كما يمكن التعبير عن علاقة السببية " بطريق الربط بين السبب والمسبب بحرف الجر " (1) ولا بد أن يكون اللام الجارة الدالة على التعليل ، نحو قول الشاعر :

وإِنِّي لَتَعْرُوْنِي لِذِكْرِكِ هِرَّةٌ كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطْرُ

وأضاف ابن مالك في شرح التسهيل (2) حرفي الجر (مِنْ) ، نحو قوله تعالى : ﴿ خَاشِعَةً مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [الحشر ، الآية : 21] . والباء في مثل قوله تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا ﴾ [النساء ، الآية : 160] .

تردد المفعول لأجله ثلاث مرات في ثلاث قصائد من الديوان ، هي : (وسل الأمير) و (زهرة الحلم اليقين) و (أغليتُ حبك) .

ومن نماذج هذا المخصص ، ما ورد في القصيدة الأولى :

فَلِدِينِهِمْ ثَارَ الْعَرَبِ (3)

فتورة العرب إنما كانت لدينهم ، فعلاقة المفعول لأجله هي السببية إذ الدين سبب في قيام ثورة العرب ، والعلاقة هنا هي علاقة ربط منطقي بين المعاني تبرز سبب وقوع الحدث (الثورة) .

والنموذج الثاني في قوله :

... يُعَاقِرُهُ السَّرَابُ لَيْسَكُرًا (4)

تحققت العلاقة السببية في هذا النموذج من خلال الربط بين السبب والمسبب بحرف الجر اللام (*) الدالة على التعليل ، فالسكر في قول الشاعر يرتبط بمسببه (المعاقرة) بواسطة حرف الجر اللام .

فعلاقة السببية في المفعول لأجله هي علاقة من علاقات الربط المنطقي بين المعاني حققت الترابط والتماسك .

1- مصطفى حميدة ، نفسه ، ص 177 .
2- شرح التسهيل ، ج 2 ، ص 199 .
3- الديوان ، ص 12 .
4- الديوان ، ص 144 .
* إميل بديع يعقوب ، معجم الإعراب والإملاء ، ص 354 .

الفصل السادس

تناصية الخطاب الشعري

توطئة :

برزت في النصف الثاني من القرن العشرين نظريات نقدية عديدة ، اهتمت بالنص الأدبي ودرسته من أعماقه ثم قدّمته مغايرا لما كان قبله ، " فصار النص مفتوحا لقراءات متعددة ولكشف الدلالات اللامحدودة ".⁽¹⁾ فالنص الشعري ليس عالما منغلقا على نفسه ، وإنما هو امتداد عميق من داخل سياقاته الخارجية المحيطة به ، وبذلك فقد تحوّل النص الشعري في العصر الحديث إلى عالم منفتح على عوالم أخرى جديدة جعلته يتفاعل معها تأثرا وتأثيرا ، هذا التفاعل الذي يستدعي استحضار تجارب

1 - علي نجفي ايوكي وفاطمة يكانة ، أشكال التناص اللغوي الديني في شعر خليل حاوي ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ، العدد 6 ، صيف 2011 ، إيران ، ص 122 .

الآخرين الشعرية ودمجها في التجارب الخاصة هو ما يسمى بالتناس . يقول شيكلوفسكي : " إنَّ العمل الفني يُدرك عن علاقته بالأعمال الأخرى ، وبالاستناد إلى الترابطات التي نقيمها فيما بينها ، وليس النص المعارض وحده هو الذي يبدع في توازٍ وتقابل مع نموذج معيّن ، بل إنَّ كلَّ عمل فني يبدع على هذا النحو " (1) ، وفي هذا تحوّل واضح عن تلك النظرة الصارمة للبنىوية للنص الأدبي بعد ما كان يُنظر إليه على أنّه منغلق على نفسه ، وأنَّ له قوانينه الداخلية التي تقطع به عمّا سبقه أو عاصره من أعمال أدبية ، وبذلك يضيق أمام النص أفق القراءة عندما يُفصل بين النص وبين السياقات الخارجية المحيطة به والتي لها أهميتها في تحليله وتفسيره ، وقد ذهبوا إلى أكثر من ذلك حينما قالوا بموت المؤلف في إبعاد النص عن مبدعه ليحل القارئ محلّه . (2) فالنص الأدبي لم يعد مجرد إبداع ذاتي أو بنية فنية مستقلة ، بل يتأسس بناؤه داخل فضاء فني يسمح له بالانفتاح على نصوص متنوعة يحكمها الترابط والتداخل والتفاعل . فالنص الأدبي يُعدّ إشارة فنية مفتوحة على نصوص سابقة وأخرى لاحقة . (3)

يُعدّ التناس من المفاهيم النقدية التي تنتمي إلى مرحلة ما بعد الحداثة ، أي ما بعد البنىوية ، ففي منتصف القرن العشرين " انتقل الاهتمام النقدي والأكاديمي من العناية بالمؤلف إلى العناية بنتاجه الأدبي (المؤلف) " (4) فاستحوذ بذلك النص على جلّ البحوث والدراسات الأدبية ، فتحوّل النص

1 - محمد عزّام ، النص الغائب ، تجليات التناس في الشعر العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001 ، ص 29 . فالنص لا يُمكن فصله عن السياق الخارجي سواء اتخذ هذا السياق شكل نصوص أخرى سابقة تبرز فيها احتمالية التداخل أو التقاطع مع النص الحاضر ، أو اتخذ شكل الأحداث التاريخية والتحوّلات الثقافية التي تحدث نوعا من التراكم في مخزون الذاكرة البشرية . ينظر : حسن البنداري وآخرون ، التناس في الشعر الفلسطيني المعاصر ، مجلة جامعة الأزهر بغزة ، سلسلة العلوم الإنسانية ، 2009 ، المجلد 11 ، العدد 2 ، ص 242 - 243 .

2 - عبد الله الغدّامي ، تأنيث القصيدة والقارئ المختلف ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 2 ، 2005 ، ص 112 . ينظر : حصّة البادي ، التناس في الشعر العربي الحديث البرغوثي نموذجا ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ط 1 ، 2009 ، ص 19 .

3 - ينظر : عبد القادر بقشي ، التناس في الخطاب النقدي والبلاغي ، دراسة نظرية تطبيقية ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2007 ، ص 9 .

4 - علاء الدين رمضان السيد ، ظاهرة التناس بين عبد القاهر الجرجاني وجوليا كريستيفا ، بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية اللغة العربية بأسبوط - الإمام عبد القاهر الجرجاني وجهوده في إثراء علوم اللغة ، أغسطس 2014 ، جامعة الأزهر ، ص 1389 .

* بدأت الإرهاصات الأولى لمفهوم التناس مع نصوص الشكلايين الروس - وإن لم يصرحوا بالمصطلح تصريحا - فنجد في نصوصهم ما مفاده : " فالقوانين الملازمة للتطور الأدبي (أو اللساني) لا تعطينا إلا معادلة غير محددة ، تقبل بتعدد الحلول ، رغم محدودية هذه ، ولكنها لا تقدم لنا ، بالضرورة ، حلا وحيدا . إنه ليس من الممكن حل المشكل الملموس لاختيار اتجاه [...] دون تحليل ترابط المتواليات الأدبية بالمتواليات التاريخية الأخرى " . نصوص الشكلايين الروس ، ص 103 - 104 . ينظر : نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلايين الروس ، تر : إبراهيم الخطيب ، الشركة المغربية للنشر للناشرين المتحدّين ، المغرب

إلى عالم ، ونشأت بذلك النظريات النصية التي اهتمت به ، ومنها نظرية التناص .

والتناص نظرية ولدت في حقول السيميائية والبنوية ، وكانت الانطلاقة الأولى لها مع أعمال الشكلايين^(*) في كتابات شلوفسكي ومن بعده ميخائيل باختين الذي اتجه بالفكر نحو النص مباشرة ، ثم عملت الناقدة البلغارية جوليا كريستيفا على صياغة رؤية مكتملة للنظرية ، واستخدمت لأول مرة مصطلح التناص ، إذ كتبت بين عامي 1966 – 1967 عددا من المقالات نُشرت في مجلتي (Tel Quel) و (Critique) الفرنسيتين ، ظهر فيهما مصطلح التناص ، وقد كانت في ذلك معنية بالنتاج الأدبي ، وأهملت بذلك التلقي والقارئ .⁽¹⁾

التناص مصطلح يعود جذره اللغوي إلى مادة (نصص) ، وقد ورد في لسان العرب : النصّ : رفعك الشيء . نصّ الحديث يُنصّه نصا : رفعه . وكلّ ما أظهر فقد نُصّ . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت رجلا أنصّ للحديث من الزُّهرري : أي أرفع له وأسند . ونصّ المتاع : جعل بعضه على بعض . والنص : التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها . والنصّ : الإسناد إلى الرئيس الأكبر ، والنصّ التوقيف والنصّ التعيين على شيء ما .⁽²⁾ فالجذر اللغوي (نصص) تتولد عنه عدة معانٍ متقاربة ، تنتمي إلى حقل دلالي واحد تتمثل في الظهور والبروز .

لم يتفق النقاد على ترجمة مصطلح التناص ، فقد تُرجم إلى : التناص والتناصية وتداخل النصوص والنصوصية^(*) ... إلا أنّ مصطلح التناص هو الذي انتشر وشاع ، بعد أن استفاض

، مؤسسة الأبحاث العربية ، لبنان ، ط 1 ، 1982 . وفي ذلك دعوة إلى الانفتاح على العالم الخارجي عن النص ودراسة العلاقات التي تربط النص بالنصوص الأخرى .

1 - ينظر : حسين جمعة ، المسبار في النقد الأدبي - دراسة في نقد النقد للأدب القديم والتناص ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2003 ، ص 136 . ورولان بارت ، نظرية النص ، تر : محمد خير البقاعي ، ضمن كتاب : دراسات في النص والتناصية ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط 1 ، 1998 ، ص 48 . ومارك أنجينو ، التناصية ، تر : محمد خير البقاعي ، ضمن كتاب : دراسات في النص والتناصية ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط 1 ، 1998 ، ص 59 - 61 . وليون سمفل ، التناصية ، تر : محمد خير البقاعي ، ضمن كتاب : دراسات في النص والتناصية ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط 1 ، 1998 ، ص 91 - 93 . وسعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي ، النص والسياق ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 3 ، 2006 ، ص 93 . والغذامي ، الخطيئة والتكفير ، من البنيوية إلى التشريحية ، قراءة نقدية لنماذج معاصرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ط 4 ، 1998 ، ص 321 - 322 .

2 - ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ن ص ص) ، تصحيح : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، ط 3 ، 1999 ، ج 17 ، ص 162 - 163 .

* من المصطلحات التي شاعت : التناص ، ما قبل النص ، ما بعد النص ، ما وراء النص ، ما فوق النص ، ما تحت النص ، ما بين النص ، النص المفقود ، النص الموازي ، النص الغائب ... وغيرها من المصطلحات . ينظر : حسين جمعة ، المسبار في النقد الأدبي ، 155 . ليون سمفل ، التناصية ، ص 106 .

الحديث عن المناهج النقدية الأسلوبية والألسنية والبنوية والسيمائية (1).

فالتناص مصطلح نقدي حديث يُرادف التفاعل النصي ، بمعنى " تشكيل نص جديد من نصوص سابقة أو معاصرة ، بحيث يغدو النص المتناص خلاصة لعدد من النصوص التي تمحي الحدود بينها ، وأعيدت صياغتها بشكل جديد ، بحيث لم يبق من النصوص السابقة سوى مادتها ، وغاب الأصل فلا يُدركه إلاّ ذو الخبرة والمران " (2).

التناص في الثقافة الغربية :

ميخائيل باختين (Bakhtine) :

تعود جذور مصطلح التناص إلى " ميخائيل باختين " في دراسته " الخطاب في النص الروائي " عن دوستوفيسكي (Dostoveski) .

فقد لاحظ باختين وجود تداخل بين الثقافات في النص الروائي ، وأنه لا يحوي صوت المؤلف فقط ، واستعمل (الحوارية dialogime) للدلالة على ذلك . ففي معرض حديثه عن أسلوب الرواية لاحظ باختين أنّ الأسلوب لا يكون أحاديا ، كما أنّه لا يُعبّر بالضرورة عن الكاتب لأنّ الرواية تعتمد على ما سمّاه " أسلية الأساليب " أيّ إدماج عدد من الأساليب الموجودة سلفا في الحقل الاجتماعي ضمن البنية الأسلوبية العامة للرواية ، ولهذا تنقلب الرواية إلى ميدان تلتقي فيه مجموعة من النصوص المتباينة أو بالأحرى المتناقضة ، بحيث تكون بنيتها الأسلوبية العامة متولدة عن تفاعل عدد من الأساليب والخطابات المتفاعلة في النص (3).

فالتناص لم يكن المفهوم النقدي الأول بهذا المعنى " وإنما سبقه إلى الدراسات النقدية مفاهيم أخرى كانت ترتبط به وتمهد لظهوره مثل الحوارية " (4).

وقد كان أول من استخدم مصطلح **الحوارية** ميخائيل باختين ليُدلّ به على تقاطع النصوص

1 - ينظر : محمد عزّام ، النص الغائب ، ص 41 .

2 - المرجع نفسه ، ص 29 .

3 - ينظر : مدلل نجاح ، ظاهرة التناص في الخطاب الشعري الحديث ، ديوان عولمة الحب ... عولمة النار أنموذجا ، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ، منشورات جامعة الوادي ، الجزائر ، العدد 4 ، مارس 2012 ، ص 163 .

4 - ناهدة أحمد الكسواني ، تجليات التناص في شعر سميح القاسم مجموعتنا " آخذة الأميرة ييوس " و " مرآتي سميح " أنموذجا ، مجلة قراءات ، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها ، جامعة بسكرة ، الجزائر ، العدد 4 ، 2012 ، ص 148 - 149 .

في النص الروائي . ويرى باختين أنّ اللغة الأدبية تقوم على التعدد اللساني الذي يكون أساسه الحوار الذي هو سلسلة من الحوارات في المجتمع . وبفضل هذا الحوار يفهم موضوع الخطاب ، فالنص يدخل في حوارات مع نصوص سابقة .⁽¹⁾

فهو أول من قام بتحديد مفهوم الحوار في ميدان الأدب ، وأرسى مبدأ هاماً في دراسة النصوص الأدبية ، يُعرف بمبدأ الحوارية ، يهتم فيه بالطبيعة التواصلية للغة ، ويرى أنّ النص يتطور في عالم مليء بكلمات الآخرين وأنّ كلّ خطاب يتكون أساساً من خطابات أخرى سابقة ويتفاعل معها بصورة ظاهرة أو خفية إذ يقول : " وحده آدم ذلك المتوحد كان يستطيع أن يتجنب هذا التوجه الحوارية نحو الموضوع مع كلام الآخرين ... " .⁽²⁾

كما تطرق ميخائيل باختين إلى مصطلح " أدبية النص " ، وقد قصد به تداخل النص وتنافس مع النصوص الأب ليصل إلى مرحلة التميّز على النصوص السابقة وذلك بالتوجيه الحوارية الذي يرى بأنه " ظاهرة مشخصة لكل خطاب ، وهو الغاية الطبيعية لكل خطاب حيّ . يفاجئ خطاب الآخر بكل الطرق التي تقود إلى غايته ولا يستطيع شيئاً سوى الدخول معه في تفاعل حاد وحيّ . آدم فقط هو الوحيد الذي يستطيع أن يتجنب تماماً إعادة التوجيه المتبادلة [...] لأنّ آدم كان يقارب عالماً يتسم بالعدوية ولم يكن قد تكلم فيه وانتهك بوساطة الخطاب الأول " .⁽³⁾

ويرى باختين أنّ التناص هو " كلّ نص يقع عند ملتقى عدد من النصوص ، وهو بإزائها في الوقت نفسه قراءة ثانية وإبراز وتكثيف ونقل وتعميق " .⁽⁴⁾

بذلك يكون باختين قد وضع اللبنة الأولى لبناء منهج التناص انطلاقاً من نظريته الحوارية أو " البوليفونية " أيّ الصوت المتعدد . ثم اكتمل هذا المنهج على يد الباحثة البلغارية " جوليا كريستيفا " .

1 - ينظر : ميخائيل باختين ، الخطاب الروائي ، تر : محمد براءة ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 1987 ، ص 46 . حسين خمري ، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط 1 ، 2007 ، ص 253 . فهو يرى بأن الكلمات التي نستعملها هي دائماً مسكونة بأصوات الآخرين . ويسمي الحوارية كل علاقة تحكم ملفوظاً بملفوظات أخرى .

2 - ميخائيل باختين ، الخطاب الروائي ، ص 53 - 54 .

3 - تازفيتان تودوروف ، ميخائيل باختين : المبدأ الحوارية ، تر : فخري صالح ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 2 ، 1996 ، ص 125 .

4 - نور الهدى لوشن ، التناص بين التراث والمعاصرة ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، ج 15 ، ع 26 ، صفر 1424 هـ ، مكة المكرمة ، 2003 ، ص 1022 .

جوليا كريستيفا : Julia Kristiva

تُعدّ آراء ميخائيل باختين مقدمة أساسية لمفهوم التناص الذي تبلور على يد جوليا كريستيفا التي توسعت في دراسته وخاصة في الأعمال الروائية ، غير أنها صاغت التناص بشكل جديد ومتطور ، إذ تقول : " إنّ كلّ نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات ، وكلّ نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى".⁽¹⁾

وأول ما ظهر مصطلح التناص ، ظهر مع الناقدة جوليا كريستيفا في كتاباتها التي نُشرت في مجلة (تل كل) ومجلة (كرتيك) سنة 1966 .⁽²⁾

إذن ، يعود الفضل في ظهور هذا المصطلح النقدي لأول مرة إلى الباحثة جوليا كريستيفا التي واصلت المشوار الذي بدأه أستاذها ميخائيل باختين الذي عُرف بمبدأ الحوارية ما بين النصوص الأدبية ، فهو يُعير الاهتمام للخلفية المعرفية أثناء إنتاج النص من طرف المؤلف ، أو أثناء تلقيه من طرف القارئ ، حيث تعمل الذاكرة على استحضار النصوص السابقة أثناء كتابة النص الجديد أو قراءته ، وعليه فالتناص اعتمادا على ما جاء في مبدأ الحوارية عند باختين وعند كريستيفا هو بمثابة الماء والهواء والزمان والمكان للإنسان فلا حياة له بدونهما ولا عيشة له خارجهما⁽³⁾ ، ومن ثم يُعدّ التناص خاصية من خصائص بناء النص وبناء الدلالة فيه أيضا .

وتميّز كريستيفا بين ثلاثة أنماط من التناص :⁽⁴⁾

- **النفي الكلي** : وفيه يكون المقطع الدخيل منفيًا كليًا ، ومعنى النص المرجعي مقلوبًا .
- **النفي المتوازي** : حيث يظل المعنى للمقطعين هو نفسه إلا أنّ هذا لا يمنح الاقتباس للنص المرجعي معنى جديدًا .
- **النفي الجزئي** : حيث يكون جزء واحد فقط من النص المرجعي منفيًا .

1 - عبد الله الغدّمي ، ثقافة الأسئلة ، مقالات في النقد والنظرية ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ط 2 ، 1993 ، ص 111 . وينظر : محمد عزّام ، النص الغائب ، ص 30 .

2 - ينظر : مارك أنجينو ، التناصية ، تر : محمد خير البقاعي ، ضمن كتاب : دراسات في النص والتناصية ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط 1 ، 1998 ، ص 65 .

3 - محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص ، ص 125 .

4 - جوليا كريستيفا ، علم النص ، تر : فريد الزاهي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط 2 ، 1997 ، ص 78 - 79 .

ونشير هنا إلى أنه لا يمكن تحديد مفهوم التناص عند جوليا كريستيفا إلا من خلال إدماجه مع كلمة أخرى هي (الإيديولوجيم **Idéologème**) وهي عملية تركيب تحيط بنظام النص لتحديد ما يتضمنه من نصوص أخرى ، أو ما يحيل إليه منها ⁽¹⁾ ، وبذلك يكون التناص هو تقاطع داخل النص لتعبير مأخوذ من نصوص أخرى ، فهو عملية نقل لتعبيرات سابقة أو متزامنة ، ويُعدّ بذلك اقتطاعاً وتحويلاً .⁽²⁾

فالنص عند كريستيفا " وحدة أيديولوجية " هذه الوحدة هي وظيفة التناص التي يمكن قراءتها مجسدة في مستويات مختلفة ، ملائمة لبنية كل نص ، وممتدة عبر مداره ، فكل نص له تصوران كبيران : أحدهما استاتيكي ثابت ، وهو اللغة بوصفها علامات ، والآخر : ديناميكي متحرك ؛ وهو المضمون الذي يولع به التفكيكيون ، ويرتكز على مفهوم التناص .

وبهذا ، فالنص يندرج في فضاء نصي يترسب خلاله مما يجعل البحث المستوعب لا يكتفي بقراءة تلتزم حرفياً بمستوى نص واحد ، مؤثراً عليها المقاربة التي ترى في النصوص حواراً فنياً لممارسات إبداعية متنوعة .⁽³⁾

ونتيجة لذلك ، فالنص عملية إنتاجية تعني أمرين :⁽⁴⁾

- علاقته باللغة التي يتموقع فيها تصبح من قبيل إعادة التوزيع ، عن طريق التفكيك وإعادة البناء ، مما يجعله صالحاً لأن يعالج بمقولات منطقية ورياضية أكثر من صلاحية المقولات اللغوية الصرفة له .

- يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى ، أي عملية تناص ، ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى ، مما يجعل بعضها يقوم بتحديد بعضها الآخر ونقضه .

1 - ينظر : نفسه ، ص 21 .

2 - ينظر : محمد عزام ، النص الغائب ، ص 39 .

3 - ينظر : صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص 222 . وعلاء الدين رمضان السيد ، ص 1408 . ومحمد عزام ، النص الغائب ، ص 24 .

4 - ينظر : صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص 212 .

تزييتان تودوروف : Todorof

وقد اهتم تودوروف في دراساته النقدية بأفكار باختين حول الحوارية ، ويرى بأنه مهتم بمعرفة العلاقة بين أسلوب ما ومقابلاته بالأساليب الأخرى ، غير أنه يرى بأن مصطلح الحوارية " مثقل بتعددية مربكة في المعنى [...] وهكذا فسوف أستعمل ، لتأدية معنى أكثر شمولاً ، مصطلح " التناص " الذي استخدمته جوليا كريستيفا في تقديمها لباختين ، مدخرا مصطلح الحوارية لأمثلة خاصة من التناص مثل تبادل الاستجابات بين متكلمين أو لفهم باختين الخاص للهوية الشخصية للإنسان ".⁽¹⁾

وتظهر بصمات " تودوروف " الهامة في الدراسات الأدبية والنظرية في نظريته تعدد الأصوات في الرواية إذ ينطلق فيها من سيطرة الاجتماعي على الفردي .⁽²⁾

رولان بارت :

من النقاد الذين جاؤوا بعد كريستيفا ، ووضعوا تعريفات مختلفة للتناص ، رولان بارت الذي يُعرّفه بقوله : إنّ كلّ نص هو تناص ، والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة وبأشكال ليست عصبية على الفهم بطريقة أو بأخرى إذ نتعرف نصوص الثقافة السالفة والحالية : فكلّ نص ليس إلا نسيجاً جديداً من استشهادات سابقة .⁽³⁾

كما يعرّف بارت النص بأنه نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء من اللغات الثقافية السابقة أو المعاصرة التي تخترقه بكامله .⁽⁴⁾

فقد واصل رولان بارت طروحات كريستيفا حول التناص ، فأصبح من رواد هذه النظرية ، حيث يطرح رأيه المشهور " موت المؤلف " .⁽⁵⁾

1 - تزييتان تودوروف ، ميخائل باختين : المبدأ الحوارية ، ص 121 .

2 - ينظر : محمد عزام ، النص الغائب ، ص 34 .

3 - رولان بارت ، نظرية النص ، تر : محمد خير البقاعي ، ضمن كتاب : دراسات في النص والتناصية ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط 1 ، 1998 ، ص 38 .

4 - رولان بارت ، من الأثر الأدبي إلى النص ، تر : محمد خير البقاعي ، ضمن كتاب : دراسات في النص والتناصية ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط 1 ، 1998 ، ص 15 - 16 .

5 - الغدّامي ، ثقافة الأسئلة ، ص 20 .

فهو يرى بأنّ النصّ المنتج إنما هو عبارة عن نسيج من استشهادات سابقة تجعله (جيولوجيا كتابات) والتناص أمر حتمي يكتشف العلاقة بين النص المقروء والنصوص المتداخلة معه .⁽¹⁾

مارك أنجينو :

أمّا مارك أنجينو فيرى أنّ التناصية هي أن يتقاطع في النص مؤدى مأخوذ من نصوص أخرى ، إذ العمل التناصي هو اقتطاع وتحويل تلك الظواهر التي تنتمي إلى بديهيات الكلام انتماءها إلى اختيارات جمالية ، تسميها كريستيفا اعتمادا على باختين حوارية وتعدد الأصوات .⁽²⁾

جيرار جينيت : G.Genett

أما جيرار جينيت فقد كان أكثر تأصيلا للنظرية النقدية الحديثة من خلال مؤلفه " أطراس " الذي رصد فيه جميع العلاقات النصية التي يتم التداخل بواسطتها من خلال مراجعته الشاملة لمصطلح التناص مبتدعا مصطلحا يراه أكثر شمولية هو " المتعاليات النصية " . وهو يقصد بذلك أنّ مفهوم التناص يعني كلّ ما يجعل النص في علاقة ظاهرة أو ضمنية مع نصوص أخرى . وقد رصد أنماط التعالي النصي في خمسة أنماط ، هي : معمارية النص ، التناص ، المتناص ، والميتناص (المناصصة) ، والتعلق النصي .⁽³⁾

إنّ التمييز بين الأنواع الخمسة هو " الذي مكّن جينيت من تطوير نظرية التناص وتوسيع أنماطها بتمييز بعضها عن بعض ، وإبراز نقط تقاطعها وتداخلها . وهذا ما دفعه إلى استعمال مفهوم أوسع وأشمل للتناص وهو المتعاليات النصية لأنه يتيح أمامه إمكانيات واسعة للبحث في مختلف أنماط التفاعل النصي " .⁽⁴⁾

إنّ الموضوع الجديد عند جينيت هو التعاليات النصية *Transtextualité* ، أو التعالي النصي للنص . ومعناه كلّ ما يجعل نصا يتعالق مع نصوص أخرى بشكل مباشر أو ضمني . ويتحدد

1 - تودوروف وآخرون ، في أصول الخطاب النقدي الجديد ، ترجمة : أحمد المدني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط 1 ، 1987 ، ص 105 .

2 - مارك أنجينو ، التناصية ، ص 61 . وينظر : جيرار جينيت ، الأدب على الأدب ، تر : محمد خير البقاعي ، ضمن كتاب : دراسات في النص والتناصية ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط 1 ، 1998 ، ص 131 .

3 - ينظر : سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي ، ص 92 - 97 .

4 - المرجع نفسه ، ص 9 .

انطلاقاً من هذا التعريف خمسة أنماط من التعاليات النصية ، هي :⁽¹⁾

- **التناص (Intertextualité)** : وهو يحمل معنى التناص كما حددته كريستيفا ، وهو خاص عند جنيت بحضور نص في آخر الاستشهاد والسرقة وما شابه . وينبغي أن يكون محصوراً في حدود حضور فعلي لنص ما في نص آخر .

- **المناص (Paratexte)** : ونجده حسب جنيت في العناوين والعناوين الفرعية والمقدمات والذبول والصور وكلمة الناشر ... فهو العلاقة التي ينشئها النص مع محيطه النصي المباشر .

- **الميتانص (Métatextualité)** : وهو علاقة التعليق الذي يربط نصاً بآخر يتحدث عنه دون أن يذكره .

- **النص اللاحق (Hypertextualité)** : ويكمن في العلاقة التي تجمع نصاً لاحقاً (hypertexte) بنص سابق (hypotexte) ، وهي علاقة تحويل أو محاكاة . فهو العلاقة التي من خلالها يمكن لنص ما أن ينبثق من نص سابق عليه عن طريق التحويل البسيط أو المحاكاة .

- **معمارية النص (Archétextualité)** : هو النمط الأكثر تجريداً وتضمناً ، إنه علاقة صماء ، تأخذ بعداً مناصياً ، وتتصل بالشعر ، الرواية ، البحث ... فهي (أي العلاقة) لها طابع تصنيفي لنص ما في طبقته النوعية .

ويذهب جيرار جنيت في كتابة (أطراس) إلى أنه لا يمكن الكتابة إلا على آثار نصوص قديمة ، وهذه العملية شبيهة عنده بعملية من يكتب على طرس .⁽²⁾

ويرى جيرار جنيت أنّ النص " يتعالى عن نفسه ويتخطى حدوده ومحيطه الخاص متجاوزاً ذلك إلى نصوص أخرى يحقق معها التفاعل النصي الذي يبرزه ويجعله متميزاً " .⁽³⁾

فالنص عند جيرار جنيت لا يكون بمعزل عن المحيط الذي ينتج فيه ولا بعيداً عن علاقات

1 - ينظر : المرجع نفسه ، ص 96 - 97 . ومحمد عزام ، النص الغائب ، ص 40 - 41 .

2 - ينظر : حصة البادي ، التناص في الشعر العربي الحديث ، ص 22 . وفيصل الأحمر ، معجم السيميائيات ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2010 ، ص ص 147 - 150 .

3 - مدلل نجاح ، ظاهرة التناص في الخطاب الشعري المعاصر ، ص 164 .

التأثير والتأثر بين النصوص ، " فهو بذلك يستعين بالعديد من اللبنيات التي يستمدّها من نصوص أخرى تساعده على تشييد معماريته " .⁽¹⁾

وقد جعل جيرار جينيت لكل عملية تناص طرفين ؛ للإشارة إلى النص المتأثر والنص المؤثر ، فالنص الأصلي ، أو المصدر المنظور إليه ؛ أو المتناص معه أو المؤثر ، والنص المتأثر أو المتناص ، أي الناظر إلى غيره النص الشعبي .⁽²⁾

وقد أضاف جينيت لذلك أن حدد أصنافا للتناص كالأستشهاد وهو الشكل الصريح للتناص ، والسرقة وهو أقل صراحة ، ثم النص الموازي ، والوصف النصي ، والنصية الواسعة وهو علاقة الاشتقاق بين النص القديم والحديث ، ثم النصية الجامعة .⁽³⁾

إذن ، التناص مصطلح ظهر عند مجموعة من النقاد والباحثين أمثال باختين وكريستيفا وتودوروف ورولان بارت ومارك أنجينو وجينيت ... وغيرهم ؛ إلا أنّ واحدا من هؤلاء لم يضع تعريفا جامعا لهذا المصطلح ، وعليه يمكن أن نستخلص بعض مقوماته من بعض التعاريف التي أوردها محمد مفتاح ، وهي :⁽⁴⁾

- فسيفساء من نصوص أخرى أدجت فيه بتقنيات مختلفة .
 - ممتص لها يجعلها من عندياته وبتصويرها منسجمة مع فضاء بنائه ، ومع مقاصده .
 - محوّل لها بتمطيطها أو تكثيفها بقصد مناقضة خصائصها ودلالاتها أو بهدف تعضيدها .
- من هذه التعاريف يمكن أن نستخلص أنّ التناص يُعدّ صلة قائمة بين نص موجود بين أيدينا ونصوص سابقة عليه ، وذلك بأن يكون ممتصا لها أو بتكثيفها وتمطيطها لتناسب ومقاصده وتكون بذلك منسجمة مع بنائه .

فالتناص تشكيل لنص جديد انطلاقا من نصوص سابقة أو معاصرة ، فيصبح النص المتناص خلاصة ونتيجة لعدد من النصوص التي تمحي الحدود بينها ، وأعيدت صياغتها بشكل جديد ،

1 - المرجع نفسه ، ص 164 .

2 - ينظر : علاء الدين رمضان السيد ، ظاهرة التناص بين عبد القاهر الجرجاني وجوليا كريستيفا ، ص 1400 .

3 - ينظر : محمد بنيس ، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها ، الشعر المعاصر ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط 3 ، 2001 ، ص 188 .

4 - ينظر : تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص ، ص 121 .

بحيث لم يبق من النصوص السابقة سوى مادتها (1).

التناص في النقد العربي المعاصر :

كان لمصطلح التناص صدى واسع في النقد العربي المعاصر كمصطلح قائم بذاته ؛ غير أنه لم يُحدد بتعريف دقيق ذلك للتداخل الذي عرفه المفهوم من خلال الترجمات المتعددة ، يقول محمد مفتاح : " قد يرى المطلع على بعض الدراسات المتعلقة بالتناص تداخلا كبيرا بين هذا المفهوم وعدة مفاهيم أخرى مثل الأدب المقارن والمثاقفة ودراسة المصادر والسرقات ولهذا فإنّ الدراسة العلمية تقتضي أن يميّز كلّ مفهوم من غيره ويحصر مجاله لتجنب الخلط " (2).

وقد انطلق محمد مفتاح في دراسته للتناص من مسلمة تفيد أنّ مستوى الحوار لا تسلم منه " اليد الأولى " ولا " اليد الثانية " ولا " نص الدرجة الأولى " ولا " الدرجة الثانية " ، فلا اختراع مطلق ولا إبداع كلي (3) وعليه فإنّ " الشاعر ليس إلا معيدا لإنتاج سابق في حدود من الحرية ، سواء أكان ذلك الإنتاج لنفسه أو لغيره " (4).

والتناص كما يراه محمد مفتاح " بمثابة الهواء والماء والزمان والمكان للإنسان فلا حياة له بدونهما ولا عيشة له خارجهما " (5) كما أنّ للتناص مقاصد فهو عنده مجرد موقف لاستخلاص العبرة (6) ، ليستخلص تعريفا للتناص من خلال المقومات التي أوردتها وهو " أنّ التناص هو تعالق (دخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة " (7).

أمّا محمد بنيس فيذهب إلى أنّ مصطلح التناص قاصر لا يؤدي الدور الذي يحتوي عليه لفظ التناص ويستبدله بمصطلح آخر يرى أنّه أشمل هو " التداخل النصي " ، يقول : " إنّ النص لا يُكتب إلا مع نص آخر أو ضده " (8) كما أسماه النص الغائب فرأى بأنه " شبكة فيها عدة نصوص

1 - ينظر : محمد عزام ، النص الغائب ، ص 29 .

2 - تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص ، ص 119 .

3 - ينظر : محمد مفتاح ، دينامية النص تنظير وإنجاز ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 3 ، 2006 ، ص 101 - 102 .

4 - محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، ص 124 - 125 .

5 - المرجع نفسه ، ص 125 .

6 - ينظر : المرجع نفسه ، ص 132 .

7 - المرجع نفسه ، ص 121 .

8 - محمد بنيس ، الشعر العربي الحديث : بنياته وإبدالاتها ، الشعر المعاصر ، ص 199 .

. فلا نص يوجد خارج النصوص الأخرى ، أو يمكن أن يفصل عن كوكبها . وهذه النصوص الأخرى اللانهائية هي ما نسميه بالنص الغائب " .⁽¹⁾ ويطلق عليه أيضا " هجرة النصوص " .⁽²⁾

كما أسهم سعيد يقطين في نشر مصطلح التناص في مجال النقد والأدب العربيين ، حيث يتفق مع محمد مفتاح ويرى أن الاقتباس والتضمين والاستشهاد هي مفاهيم يشتمل عليها التعالق النصي وأن النص ينتج ضمن بنية نصية سابقة ، فهو يتعالق بها ويتفاعل معها تحويلا أو تضمينا أو خرقا .⁽³⁾

وقد أثر يقطين استعمال مصطلح التفاعل النصي على التناص لأنه يراه أعم ، كما فضّله على التعاليات النصية التي جاء بها جينيت لدلالاتها الإيحائية البعيدة " فبما أن النص ينتج ضمن بنية نصية سابقة فهو يتفاعل معها تحويلا أو تضمينا أو خرقا ، وبمختلف الأشكال التي تتم بها هذه التفاعلات [...] إن المتفاعلات النصية هي البنيات النصية أيا كان نوعها التي تستوعبها بنية النص ، وتصبح جزءا منها ضمن عملية التفاعل النصي " .⁽⁴⁾

أما صلاح فضل فقد ناقش مفهوم التناص إذ يقول : " لعلّ عبارة مارلو التي يقول فيها : إنّ العمل الفني لا يتخلّق ابتداء من رؤية الفنان ، وإنما من أعمال أخرى ، تسمح بإدراك أفضل لظاهرة التناص التي تعتمد في الواقع على وجود نظم إشارية مستقلة ، لكنها تحمل في طياتها عمليات إعادة بناء نماذج متضمنة بشكل أو بآخر ، مهما كانت التحولات التي تجري عليها " .⁽⁵⁾

ذلك يعني أنّ التناص يُشكّل النص الجديد ؛ ولكن بعد أن أُعيد إنتاجه وصياغته بعد تمثيل وتحويل نصوص متعددة في نص جامع يحوي زيادة في المعنى .⁽⁶⁾

أما عبد الله العَدّامي ، فقد انفرد عن غيره بمصطلح " تداخل النصوص " و " النصوص

1 - محمد بنيس ، سؤال الحداثة بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 2 ، 1988 ، ص 85 .

2 - ينظر : محمد بنيس ، سؤال الحداثة ، ص 96 .

3 - ينظر : سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي ، ص 98 .

4 - المرجع نفسه ، ص 98 - 99 .

5 - شفرات النص ، دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، ط 2 ، 1995 ، ص 110 - 111 .

6 - ينظر : ربي عبد القادر الرباعي ، البلاغة العربية وقضايا النقد المعاصر ، التناص والتضمين نموذجا ، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2006 ، ص 213 .

المتداخلة " معتمدا في تعريفه للتناص على ما ورد من أقوال عند جوليا كريستيفا ورولان بارت حيث يرى بأنّ النص المتداخل هو نص يتسرب إلى داخل نص آخر ، ليجسد المدلولات ، سواء وعى الكاتب بذلك أم لم يع . فتداخل النصوص عملية تحدث غالبا بشكل أقل وضوحا وأكثر تعقيدا في تداخلاتها .⁽¹⁾ فالنص يتشكل من خلال عملية إنتاج من نصوص أخرى .

وقد وجد النقاد العرب المعاصرون أنّ التناص مصطلح جديد لظاهرة نقدية قديمة حيث تشير الكتب النقدية القديمة إلى وجود مبادئ لقضية التناص . فقد أورد ابن رشيق في " العمدة " قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه " لولا الكلام يُعاد لنفذ " ، وهو تأكيد لحقيقة فنية أشار إليها عنتره في معلقته " هل غادر الشعراء من متردم " وذكرها أبو تمام " كم ترك الأول للآخر " .⁽²⁾

وذهب أبو هلال العسكري إلى أنّ المعاني شيء يتداوله الأدباء ، لا غنى للاحقين عن تناولها ممن تقدمهم والصبّ على قوالب من سبقهم .⁽³⁾ وقال الآمدي فيها (أي في السرقات الأدبية) هو باب " ما تعرى منه متقدم ولا متأخر " .⁽⁴⁾

ورد مصطلح التناص في النقد العربي القديم بمفهوم " السرقات الأدبية " ، واعتبر القدماء الظاهرة ضربا من الاستيلاء على أفكار الغير .

وقد فرّق خليل الموسى بين مفهومي التناص والسرقة في ثلاث نقاط ، هي :⁽⁵⁾

- **على مستوى المنهج** : السرقة لا تعتمد المنهج التاريخي التأثري والسبق الزمني ، فاللاحق هو السارق ، والسابق أو المتقدم هو المبدع . بينما يعتمد التناص على المنهج الوظيفي ولا يهتم كثيرا بالنص الغائب .

- **على مستوى القيمة** : ناقد السرقة الأدبية إنما يسعى إلى استنكار عمل السارق وإدانته ، في حين أنّ ناقد التناص يقصد إظهار البعد الإبداعي في النتاج الأدبي .

- **على مستوى القصدية** : في السرقة تكون العملية قصدية واعية ، بينما في التناص تكون

1 - ينظر : الخطيئة والتكفير ، من النبوية إلى التشريحية ، ص 325 .

2 - ينظر : ابن رشيق القيرواني ، العمدة في صناعة الشعر ونقده ، ج 2 ، ص 57 .

3 - ينظر : الصناعتين ، ص 194 .

4 - الآمدي ، الموازنة بين أبي تمام والبحرّي ، تح : السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، ط 4 ، 1992 ، ص 311 .

5 - خليل الموسى ، التناص والأجناسية في النص الشعري ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، العدد 305 ، أيلول 1996 ، السنة 36 ، دمشق ، ص 84 . وينظر : نور الهدى لوشن ، التناص بين التراث والمعاصرة ، ص 7 .

غير واعية .

وتعدّ السرقات من خلال مدخلها الجمالي والدلالي " ضمن الحالات التي يتضمنها هذا المصطلح الحديث ، فهو أعمّ وهي أخصّ ، وهو لغوي أدبي ، وهي في بعضها لغوية ، وهي حكم خارجي على بناء يتسم بالنشاط الخيالي ، وهو صفة ملازمة لهذا البناء الخيالي الذي يتجاوز فيه الحاضر مع الماضي ، وهي تعتمد على المشابهة ، أما هو فيعتمد على التضاد " .⁽¹⁾

ولا شك أنّ السرقة ليست مرادفة للتناص " لكن أشكالها الإيجابية تدخل ضمن التناص في النقد الحديث . كما يكون الحال بالنسبة إلى مصطلحات التضمين ، التلميح ، الاقتباس ، المعارضة والنقيضة التي ليست التناص بعينه ، لكن هي أشكال تناصية تدخل دائرة التناص بوصفه مفهوما أعمّ وأشمل ، يستمد منها المبدع لينتج نصا جديدا في ثوب جديد وأسلوب رائع " .⁽²⁾

كما عُرف مصطلح التناص في البلاغة العربية بالاقتباس والتضمين ، فالأقتباس يدخل دائرة التناص ويُشكّل رافدا مُهمّا وأساسيا من روافده ، كما أنّ التضمين يُشكّل رافدا من روافد التناص ، سواء أكان ذلك بنقل الملفوظ أم الفكرة .⁽³⁾

ويُعرّف خليل موسى الاقتباس والتضمين بأخذ لفظ أو معنى وتنسيقه داخل النص الجديد لغايات متعددة كالأستشهاد أو التشبيه ، أو التمثيل ، أو سوى ذلك ، فيقول " يظل النص التضميني دخيلا أو ثقافيا أو تزيينيا ويظل المقطع التضميني أو الاقتباس هو الذي يتكلم في النص الجديد وهو الذي يشرح ويُفسر " .⁽⁴⁾

ويرى البعض أنّ الاستخدام في بعض الموضوعات مُشكّل على أساس نسيج النص الجديد ، أيّ التداخل والتماهي بين الحدود المعرفية ، وما يُمكن أنّ يُصطلح عليه " لعبة الإخفاء والتجلي " لمغادرة موقع المصدر . ولكن ما يُشير إلى هذا أو ذاك هو استخدام العلامات الدالة على مصادرها ، معتمدا في ذلك على أنّ الاقتباس هو حالة إنتاجية ، وليست عملية استرجاع آلي لما هو مقروء .⁽⁵⁾

ويُعلق نور الهدى لوشن على ذلك بقوله : " إذا كان التضمين نقلا حرفيا لفقرة أو نص بعينه

- 1 - مصطفى السعدني ، التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات ، توزيع منشأة المعارف بالإسكندرية ، 1991 ، ص 8 .
- 2 - علي نجفي وفاطمة يكانة ، أشكال التناص الديني في شعر خليل حاوي ، ص 124 .
- 3 - ينظر : نور الهدى لوشن ، التناص بين التراث والمعاصرة ، ص 1025 .
- 4 - التناص والأجناسية في النص الشعري ، الموقف الأدبي ، مجلد 26 ، العدد 305 ، 1996 ، ص 83 .
- 5 - ينظر : نور الهدى لوشن ، التناص بين التراث والمعاصرة ، ص 1026 .

، فإنّ التناص يختلف عن ذلك اختلافاً بيّناً غير أنّه يتفق معه فيما يندرج تحته ، من أدوات ، بوصفه مفهوماً أعمّ وأشمل من التضمين [...] ومع ذلك فإنّ التناص يمثل أقصى ما وصل إليه العقل النقدي في تحليله للنص الأدبي " (1).

وهناك فرق بين التناص والاقْتباس والتضمين ، فقد " تعدد أشكال التناص حتى ليتخطى فكرة الاقْتباس ، ويتفوق عليها ، فإذا كان الأول يعني اقتطاع النص السابق والرجوع به في النص اللاحق دون أن يتفاعل مع جزئياته أو يتحد معها ؛ فإنّ التناص يسعى إلى إنشاء علاقة ما بين النصين فريدة وحميمة قد تبدأ بالإشارة العابرة اللاواعية ، وتنتهي عند إحاطة القارئ بمناخ دلالي يدفع به نحو قراءة تأويلية تقوم على التفكيك وإعادة البناء " (2).

وعليه فالتناص " هو الوقوع في حال تجعل المبدع يقتبس أو يُضمّن أفكاراً كان التهمها في وقت سابق ما دون وعي صريح بهذا الأخذ المتسلط عليه في مجاهل ذاكرته ومتاهات وعيه " (3).

وقد ربط بعض النقاد العرب بين التناص وفكرة ابن خلدون حول نسيان المحفوظ ، إذ يقول في مقدمته : " اعلم أنّ لِعَمَلِ الشعر وإحكام صناعته شروطاً أولها الحفظ من جنسه ، أي من جنس شعر العرب ، حتى تنشأ في النفس ملكةٌ يُنْسَجُ على منوالها ويُتَخَيَّرُ المحفوظ من الحرّ النقيّ الكثير الأساليب [...] ومَنْ كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصراً رديئاً ؛ ولا يُعْطِيهِ الرنقَ والحلاوة إلا كثرةً المحفوظ . فَمَنْ قلَّ حفظه أو عُدِمَ لم يكن له شعراً إنما هو نظم ساقط . واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ . ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يُقبَلُ على النظم وبالإكثار منه تستحكم ملكته وترسخ . وربما يُقال إنّ من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لِتُمحى رُسُومُهُ الحرفيّة الظاهرة إذ هي صادرة عن استعمالها بعينها ، فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتُقِشَ الأسلوبُ فيها كأنّه منوالٌ يُؤخَذُ بالنسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى ضرورةً " (4).

فالشاعر الذي يقلّ حفظه للشعر الجيّد ، حسب ابن خلدون ، لا يكون شاعراً بل ناظماً ، ومَنْ لم يكن له محفوظ من الشعر ينبغي له أن يجتنب نظم الشعر .

1 - المرجع نفسه ، ص 1026 .

2 - إبراهيم خليل ، من معالم الشعر الحديث في الأردن وفلسطين ، ص 163 .

3 - خليل موسى ، التناص والأجناسية في النص الشعري ، ص 83 - 84 .

4 - مقدمة ابن خلدون ، ضبط وشرح وتقديم : محمد الاسكندراني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2005 ، ص 525 ، 526 .

أنواع التناص :

قسّم محمد مفتاح التناص إلى نوعين داخلي وخارجي :⁽¹⁾

التناص الداخلي : يقوم فيه المبدع بإعادة إنتاجه ويتم ذلك بامتصاص آثاره السابقة أو يجاورها أو يتجاوزها ، فنصوصه يُفسّر بعضها البعض .

التناص الخارجي : يتم هذا النوع بالتقاء النص الحاضر وتقاطعته مع نصوص أخرى فيتحوّل مع غيره من النصوص السابقة أو المعاصرة له وبذلك يتعيّن قراءة النص الحاضر في ضوء ما تقدّمه وعصره وما تلاه للوقوف على ضروب الائتلاف والاختلاف .

تقنيات التناص :

يعتمد الكاتب أو الشاعر في توظيف النصوص الغائبة في نصه الحاضر تقنيات وقوانين ، وهي ثلاثة :⁽²⁾

الاجترار : هو تكرار النص المرجع دون تغيير أو تحوير ، فلا يطور أو يجاور بل يكتفي بإعادته كما هو أو بإحداث تحويل طفيف لا يتعلق بعمق النص ... فيبقى النص الجديد أسيرا للنصوص السابقة . أو هو عملية كتابة النص الغائب بوعي سكوني .

الامتصاص : هو القانون الذي يتعامل مع النص السابق كحركة وتحوّل لا ينفيان الأصل ، بل يُسهمان في استمراره كجوهر قابل للتجدد ، وبذلك فالامتصاص لا يجمّد النص الغائب وإنما

1 - ينظر : تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص ، ص 124 - 125 . ونشير هنا إلى أنّ سعيد يقطين قد حدد ثلاثة أشكال للتفاعل النصي ، هي : التفاعل النصي الذاتي (يكون فيه التفاعل بين نص الكاتب ونصوصه الخاصة ؛ ولكنه لا يصل إلى حدّ أن يعيد الكاتب إنتاج نصوصه) والتفاعل النصي الداخلي (يتم التفاعل فيه بين نص الكاتب ونصوص غيره المعاصرة له) والتفاعل النصي الخارجي (يكون فيه التفاعل بين نص الكاتب والنصوص غير المعاصرة) . ويميّز بين الداخلي والخارجي لأنه يضع النص أولاً في سياقه النصي الذي ظهر فيه ، وبعد ذلك في سياقه التاريخي كنص أدبي متعالٍ عن الزمان ، أي أنه مفتوح على الزمان . ينظر : انفتاح النص الروائي ، ص ص 100 - 123 وما بعدها .

2 - ينظر : محمد بنيس ، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 2 ، 1985 ، ص 253 . وينظر : نور الهدى لوشن ، التناص بين التراث والمعاصرة ، ص 1026 .

يُعيد صوغه فقط وفق متطلبات تاريخية لم يكن يعيشها في المرحلة التي كتب فيها . فهو عملية إعادة كتابة النص الغائب وفق حاضر النص الجديد ليصبح استمرارا له .

الحوار : يُعدّ أعلى مرتبة في قراءة النص الغائب إذ يعتمد النقد المؤسس على أرضية عملية صلبة تحطم كلّ مظاهر الاستلاب مهما كان نوعه وشكله ، فلا مجال لتقديس كلّ النصوص الغائبة مع الحوار . فهو عملية تغيير النص الغائب ونفي قدسيته في العمليات السابقة .

فالتناص هو " التفاعل الناشئ بين النصوص وهو يتردد بين حدين أدناهما الاستدعاء الجزئي والاستيحاء الضمني لنص أو لمجموعة من النصوص وأقصاها التوظيف الصريح بإدراجه في نص آخر تضمينا أو استنساخا أو اقتباسا " (1).

إنّ تعريفات التناص كما وردت عند النقاد والدارسين كثيرة ومتشعبة وكلها تدور حول جوهر التناص الذي يدل في النهاية على كونه تأثر نص بنص سابق ، وعليه تصبح القصيدة " ليست كتابة ، بل إعادة كتابة " (2) ، ويمسي كلّ نص يمثل نوعا من التناص لأن النص الجديد يتمثل النصوص السابقة له ويجولها . لذلك قال بعضهم بحتمية التناص . إنّ التناص أمر لا بد منه وذلك " لأن العمل الأدبي يدخل في شجرة نسب عريقة وممتدة تماما مثل الكائن البشري ، فهو لا يأتي من فراغ كما أنه لا يفضي إلى فراغ . إنه نتاج أدبي لغوي لكل ما سبقه من موروث أدبي ، وهو بذرة خصبة تؤول إلى نصوص تنتج عنه " (3) وبالتالي لا يمكن لأيّ نص أن يكون نتاجا خالصا للشاعر ، أو أن تكون لغته خالية تماما من أثر لغة الآخرين .

وبعد هذا يمكن لنا أن نتساءل : كيف نتعامل مع التناص ، هل بوصفه ظاهرة لسانية أم ظاهرة اجتماعية ؟

نُطرح لهذا التساؤل مقاربتان : (4)

- 1 - أحمد الغرسلبي ، أسئلة النص والتناص والتلقي ، مجلة كتابات معاصرة فنون وعلوم ، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية ، العدد 70 ، المجلد 18 ، بيروت ، تشرين الأول - الثاني 2008 ، ص 73 .
- 2 - عبد العزيز حمودة ، الخروج من التيه ، دراسة في سلطة النص ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، نوفمبر 2003 ، ص 201 .
- 3 - عبد الله الغدّامي ، ثقافة الأسئلة ، مقالات في النقد والنظرية ، ص 111 . وينظر : ربي عبد القادر الرباعي ، البلاغة العربية وقضايا النقد المعاصر ، ص 217 .
- 4 - ينظر : أحمد الغرسلبي ، أسئلة النص والتناص والتلقي ، ص 73 .

- **الأولى داخلية** تحصر التناص في حدود النص ذاته ، فهي مقارنة بنيوية تتمثل في أنّ التناص يُفهم في مستوى العلاقات الاستبدالية أو الجدولية ، وهي العلاقات الغيائية أو الممكنة حيث النص كيان لغوي يتكون من علاقات تركيبية ودلالية تحدد بنيته . وهي علاقات ماثلة بالفعل لها وجود عياني في النص باعتباره إنجازا لغويا . هذه العلاقات تركيبية أو نسقية . أما العلاقات الاستبدالية فموجودة بالقوة .

- **أما الثانية فهي تفاعلية** ، وهي التي يُعتبر التناص بمقتضاها تداخلا لغويا يحدث في عملية التلفظ . حيث التلفظ حدث اجتماعي لأنه إنجاز لغوي يتم بين متلفظين فعليين وفي سياق محدد بمعطيات ومؤثرات .

والخلاصة أنّ التناص ظاهرة لغوية وثقافية لا تنحصر في الاقتباس والتضمين فحسب ، بل هو ظاهرة تتسع للدلالة على أشكال التفاعل اللغوي والاجتماعي والثقافي بل هو مظهر من مظاهر التواصل .

إنّ التناص خصوصية من خصوصيات النص اللغوي ومكون أساسي من مكوناته ، فالنص يتكون من نصوص أخرى مأخوذة من الثقافة المحيطة أو قادمة من آفاق وأزمنة أخرى . كما أنه يُعدّ أداة إجرائية في تحليل النصوص .⁽¹⁾

فهو أداة تعبيرية ، ورؤية إبداعية ، وفعالية إجرائية ، وآلية إنتاجية ، وخاصة بنائية قائمة في أساسها على تعايش النصوص وتعالقها ضمن فاعلية فنية وحساسية شعرية قادرة على التداخل مع الآخر والتفاعل معه وفقا لجدلية الإزاحة والإحلال التي تتوخى استدعاء تجارب وأفكار متباينة وامتصاصها وإعادة صياغتها ضمن رؤية فنية تتجاوب مع تجارب المبدع وانفعالاته ، وتكشف عن طاقات تأويلية متجددة تحقق الفعل التواصل بين الذاتي والموضوعي الذي يقضي على أحادية المعنى ونهائية الدلالة .⁽²⁾ فهو يؤدي دورا فاعلا في قراءة النص وتأويله .

في ظل هذا المنحى سنقارب النص الشعري عند الغماري للكشف عن مواطن التناص المنبث في فضاء النص الشعري ، والذي يستعين به الشاعر لإبراز فكرته الأساسية عن طريق أفكار أخرى

1 - ينظر : حسين حمري ، نظرية النص ، ص 256 . وعبد القادر بقشي ، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي ، ص 11 .
وعبد الملك مرتاض ، نظرية النص الأدبي ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007 ، ص 281 .

2 - ينظر : حسن البنداري وآخرون ، التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ص 244 .

تتزامن في إنتاجه الفني والتي يستمدّها من أصول يستقي منها ويستند عليها فيوظفها فنيا لأنها تتقاطع مع أفكاره الخاصة فتحدث بذلك انسجاما تظهر آثاره في النص الشعري الحاضر .⁽¹⁾

مصادر التناص :

1- التناص الديني (العقدي) :

أ- التناص مع القرآن الكريم :

يُعتبر القرآن الكريم المرجع الأول الذي يلجأ إليه الشعراء لأنه يزخر بالمعاني الجديدة المبتكرة التي تُعبّر عن حقائق النفس الإنسانية وخلقاتها فالاستشهاد منه يعطي النص مصداقية ومن ثمّ التأثير في المتلقي .

والمطلع على شعر مصطفى الغماري يتضح له حرص الشاعر على توظيف التراث الديني العقدي ممثلا في القرآن الكريم والحديث الشريف لتعصب الشاعر للقضية الإسلامية وإيمانه القوي بأن خلاص الشعوب إنما يكون بالرجوع إلى الدين الذي يتكفل بحل قضاياها ومشكلاتها . ولما كان الدين يخاطب العقول والقلوب فقد التحأ إليه الغماري ليستلهم منه محاولة منه للتأثير في المتلقي واستمالاته . ولتشريح واقع الأمة العربية الإسلامية فقد اتجه الغماري للنص القرآني يمتح منه لفظا ومعنى أو إيجاء .

ومن نماذج التناص الديني في شعر الغماري قوله في قصدته (وسل الأمير) :

.....

الْحُرُّ يَثَارُ إِنْ أَهِينِ وَلَا يَنَامُ عَلَى الْعَلْبِ !

وَالدُّلُّ مِنْ شِيمِ الْأَلَى نَامُوا عَلَى وَطَنِ قَدْ غُصِبَ !

وَطَنُ النُّجُومِ أَجَلٌ مِنْ دَعْوَى تُرَوِّجُهَا الْخُطْبُ !

1 - ينظر : عبد الله الغدّامي ، تشريح النص ، مقارنة تشريحية لنصوص شعرية معاصرة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 2 ، 2006 ، ص 113 - 114 .

وَجَزَائِرُ الْأَحْرَارِ لِلْفَتْحِ الْمُجَاهِدِ تَنْتَسِبُ !⁽¹⁾

فالشاعر يمتص دلالات النص القرآني ويستثمرها من خلال استحضاره للفظة (الفتح) ليعبر عظمة الفتح الذي حققه الشعب الجزائري في جهاده المبارك وعدم رضاه بالذل والمهانة ، فلم ينم عن اغتصاب وطنه .

ويقول :

أُورَاسُ يَا سَيْفًا يَنْوُرُ وَيَا خَيْوَلًا تُرْتَقِبُ

أَشْرِقُ بِتَارِيخِ الْجِهَادِ وَمُدَّ مَلْحَمَةِ الرَّهَبِ

وَاقْرَأْ عُيُونَ الشَّمْسِ تَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ الْأَشْبِ⁽²⁾

يستثمر الغماري في هذا المقطع اسم سورة من سور القرآن الكريم وهي سورة الفتح العظيمة لما تحمله من دلالات إيجابية في نفوس المسلمين ، فهي تبشر بالنصر ، وهو التوظيف الذي يتماهى مع مضمون قصيدة (زمن الطاغوت ولى) إذ يقول الغماري :

أَنَا أَهْوَاكِ جَزَائِرُ فِي انْتِخَاءَاتِ الْجِبَاهِ

.....

أَنَا أَهْوَاكِ جِهَادًا لَأَمْرًا مِنْ عَجِينُ

وَأَرَى حُبَّكَ زَادًا مِنْ رُؤَى الْفَتْحِ الْمُبِينِ⁽³⁾

فالشاعر يتعامل مع اسم السورة بطريقة الامتصاص لدلالاتها العميقة في نفسية المتلقي ليتنسم من خلالها زمن الفتوحات الإسلامية .

ومن التناص القرآني في الخطاب الشعري عند الغماري قوله :

اسْجُدْ لِرَبِّكَ وَاقْتَرِبْ وَإِلَيْهِ فِي الْجَلِّي أَنْبِ⁽⁴⁾

1 - الديوان ، ص 13 .

2 - الديوان ، ص 17 .

3 - الديوان ، ص 87 .

4 - الديوان ، ص 11 .

يستدعي الشاعر النص القرآني الخاص بسورة الأعلى التي يقول فيها تعالى : ﴿ كَلَّا لَا تُطَعُّهُ
وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ [الأعلى ، الآية : 19] .

وما نلاحظه هنا أنّ الشاعر وظف النص الغائب عن طريق الامتصاص ، إذ لم يمس بجوهر
الآية الكريمة وإنما تعامل معها فنيا ، حيث أبقى على ما يحيل إلى النص القرآني الغائب إذ يأمر
الشاعر بالسجود لله شكرا له والاقتراب منه بطاعته ، فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ،
كما ورد في الحديث الشريف .

ومن نماذج التناص الديني قول الغماري في قصيدة (أغليت حبك) :

حُبِّي ربيعُ الدهرِ لم يصرُخْ عليّ

أيّامه عطشٌ ولا شاختُ قُرى

لم تُفرغِ الأيامُ إلاّ عبْرهُ

من كُوثرٍ غدقٍ يُعانقُ كُوثرًا⁽¹⁾

يوظف الغماري كلمة (كوثر / كوثر) محاورا بذلك النص القرآني الغائب وهو قوله تعالى :
﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر ، الآية : 1] إشارة إلى أنّ حبّ الشاعر للجزائر عظيم غامر
واسع يقارب عظمة الكوثر ، وهو النهر الذي أعطاه الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهو نهر
عظيم عذب يجري حافتاه قباب اللؤلؤ وحصاه اللؤلؤ .⁽²⁾

كما يوظف الغماري الألفاظ القرآنية في كثير من المواضع في خطابه الشعري ، من ذلك
قوله :

.....

نَحْنُ لَوْلَا ظِلُّهَا لَمْ نَعْرِفِ الْحُبَّ

وَلَوْلَا طَيْفُهَا لَمْ نَعْرِفْ طَيْبَهُ

1 - الديوان ، ص 148 .
2 - ينظر : محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984 ، ج 30 ، ص 571 - 572 .

نَحْنُ لَوْلَاهَا لَقَى مَدَّتْ بِصَحْرَاءَ رَهِيْبِهِ

عَسَعَسَ اللَّيْلُ بِهَا وَأَنْشَقَّ عَنْ رُؤْيَا جَدِيْبِهِ (1)

واضح من السطر الأخير أنّ الغماري استدعى النص القرآني الخاص بسورتي التكوير ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَعَسَ﴾ [الآية : 17] والقمر ﴿اَفْتَرَبْتُ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ﴾ [الآية : 1] عن طريق التضمن والامتصاص لمعاني الآيتين ، فالشاعر يريد أن يبرز أنّ روحه تعشق الثورة وأنّ نفسه تسمو بها ، فلولاها لاستحالت حياته صحراء أقبل الليل بظلامه فيها ثم أدبر ولم يبصر لنا غير الجذب ...

ومن ذلك قوله أيضا :

يَجُوبُنَا الصَّبَاحُ وَالْمَسَاءُ

تَبِيعُنَا الْأَلْقَابُ وَالْأَسْمَاءُ !

وَلَمْ تَزَلْ فِي عُمُقِنَا الْأَصْنَامُ

وَلَمْ تَزَلْ تَرُودُنَا الْأَزْلَامُ ! (2)

إنّ استخدام كلمة (الأزلام) في هذا الموضع هو استحضار لقوله تعالى : ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقٌ﴾ [المائدة ، الآية : 3] وفي ذلك تقرّيع من الشاعر لأولئك الذين ما زال في قلوبهم الريبة والشك لينكر عليهم ما يأتون به من أباطيل تتعلق بإحياء ذكرى مولد الهادي صلى الله عليه وسلم ، فهو امتصاص دلالي لفاعلية هذه الكلمة في التقرّيع والإنكار .

وقوله أيضا :

يُولَدُ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ كَمَا تُوَلَدُ نَارٌ مِنْ حَجَرٍ ! (3)

يستحضر الغماري قوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ

1 - الديوان ، ص 74 .

2 - الديوان ، ص 96 - 97 .

3 - الديوان ، ص 33 .

فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿ [يونس ، الآية : 31] ، مُحدثًا بذلك تداخلا نصيا جزئيا بين هذا المقطع الشعري والنص القرآني المستدعى وفي ذلك إقرار بعظمة قدرة الله سبحانه وتعالى وأنه يُخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، وأنه رب العالمين الخلاق العليم القادر على كل شيء .
ومن المواضع التي عمد فيها الغماري إلى توظيف عبارات القرآن الكريم قوله :

كَمْ تَمَارَوْا بِالنُّذُرِ وَزَنَنْوَا بِالْكَلِمَاتِ !
بِحَشِيْشٍ وَقَمْرٍ ! وَهَجِيْنَ الْفَلْسَفَاتِ ! (1)

الشرط الأول من البيت الأول مستوحى من قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴾ [القمر ، الآية : 36] ليعبر من خلاله الشاعر كثرة أولئك الذين كذبوا بما أُندروا به شكاً منهم فيه ، هؤلاء الذين اعتنقوا عقيدة الإلحاد والكفر والرؤى المستوردة فزاغوا وأزاغوا .

ب- التناص مع الحديث الشريف :

كما استدعى الغماري الحديث الشريف في قوله :

قَوْمِيَّةٌ أَرَادَهَا فُجُورًا
إِفْكًَا عَلَى عَقِيدَتِي وَزُورًا ...
قَدْ رَفَضَ الْإِسْلَامُ كُلَّ جِنْسٍ
لَا فَرْقَ بَيْنَ عَرَبٍ وَفُرْسٍ (2)

فقد تعامل مع الحديث الشريف المستضاف وهو قوله صلى الله عليه وسلم : " لا فرق بين عربي وعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى " ، إذ استمد معنى الحديث عن طريق التضمين والامتصاص ليكشف أنّ ما ينادي به دعاة الحرية والتحرر من شعارات قومية أو تقدمية إنما هو زيف لا طائل من ورائه .

1 - الديوان ، ص 88 .

2 - الديوان ، ص 98 .

ج - التناص الصوفي :

يعدّ التصوف عنصراً هاماً من عناصر التجربة الشعرية المعاصرة ، لذلك توجه الشاعر المعاصر إلى التصوف لارتباط التجربة الشعرية بالتجربة الصوفية ، هروباً من واقعه المادي والاجتماعي والسياسي بحثاً منه عن عالم أكثر صفاءً وشفافية ، أكثر روحانية تتحلل فيه قوة المادة وتضمحل .

فالتجربة الصوفية تتسم بالطابع الإنساني عامة وتسعى إلى تجاوز الأشياء الخارجية لتصل إلى جوهر الأشياء ، وهي بذلك تلتقي مع التجربة الشعرية المعاصرة الراضة للواقع المرير والمضحية في سبيل تغييره سعياً إلى الرجوع بالكون إلى صفائه وانسجامه .⁽¹⁾

ويحدد إحسان عباس مظاهر التصوف في الشعر العربي المعاصر في :⁽²⁾

- الحزن العام .
- الإحساس بالغرابة والضياع والنفي والحاجة إلى العكوف على النفس .
- اتحاد الشاعر بالرموز المثقلة بالتضحية .
- اتحاد الصوفي والشهيد في التراث .
- الحلولية الكونية من مثل معانقة الشاعر للكون .
- التسامي بالصدمات العاطفية والتصعيد للإخفاق فيها وفيما شابهها .
- المزج بين المحسوس والمتخيّل .
- إطلاق العقل اللاواعي وإبقاء العقل الواعي مكبلاً .
- الغيبوبة الحلمية التي تتجاوز الحد الحقيقي للحلم - القصيدة .
- الظمأ النفسي لمعانقة المتوقع ، الذي يأتي ولا يأتي ، الأمل المطلق .

وقد ساهمت نزعة مصطفى الغماري الصوفية في تشكيل جانب كبير من ثقافته ، التي شكّلت

1 - ينظر : صلاح عبد الصبور ، حياتي في الشعر ، ص 104 .

2 - ينظر : اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، فبراير 1978 ، ص 164 - 165 .

فيما بعد بُعِدَا في بنياته الشعرية ، حيث تأثر باللغة الصوفية لتصوير نزوعه إلى عقيدته ، ⁽¹⁾ وقد انعكس ذلك في الكثير من قصائده ، إذ اعتمد على تلك اللغة الصوفية باستعمال مفرداتها وتعبيرها ، أو من خلال لغة الإيجاء والإشعاع والرمز التي تتميز بها التجربة الصوفية .

وقد وجد الغماري في الخطاب الإسلامي الصوفي المعين الذي ينهل منه ، وجد فيه الوسيلة التي تمكنه من التعبير عمّا يعترّيه من هموم . وقد كان لجوء الغماري إلى الخطاب الإسلامي الصوفي هو بمثابة اتخاذه وسيلة دفاعية في مواجهة الثقافات الوافدة ومحاوله حماية عقيدته من المد الجارف للأفكار الغربية .

وستتناول هنا الخطاب الصوفي والعلاقات النصية التي أقامتها نصوص " قراءة في آية السيف " معه ثم استحضار الرموز الصوفية في نصوص هذه المجموعة الشعرية .

الخطاب الصوفي :

استفاد الغماري من مصطلحات الخطاب الصوفي المتداولة ، غير أنه اختار منها ما يُعبّر به عن تجربته الشعرية فحسب . من هذه المصطلحات : الحب الإلهي ، الفناء ، ومن الرموز الخمرّة والسُّكْر والصحو والمرأة .

1- التناص مع مصطلحات الخطاب الصوفي :

أ- الحبّ الصوفي :

ترك لفظة " الحبّ " ، في أيّ ثقافة كانت ، انطبعا حسنا في نفس المتلقي لما تحمله من دلالات كثيفة فتثير في ذهنه معاني المودّة والتسامح والشوق والإيثار ، وغيرها من القيم الإنسانية . أمّا الحبّ عند المتصوف فإنّه يحمل قيما أعمقّ من هذه تتجاوز حتى حبّ الزاهد إذّ الزاهد يحبّ الله طمعا في جنته وخوفا من ناره ؛ أمّا المتصوف فيكون حبّه لله خالصا من المطامع ، فهو ينقطع عن ملذات الدنيا وشهواتها لله .

ويرى المتصوف أنّ الحبّ هو علّة وجود التصوف لأنّ الكون " خلق بالحبّ ويدرك بالحبّ والله جلّ جلاله لا تُدرّكه الأبصار ، ولا تُحيط به العقول ، ولكن الصوفي يوقد مشاعل الحبّ في قلبه

1 - ينظر : الطاهر يجاوي ، البعد الفني عند الشاعر مصطفى الغماري ، المكتبة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 ، ص 132 - 133 .

ووجدانه وروحه فيمتطي بذلك المعراج الأكبر الذي يصله بربه " (1) وهي الغاية الأسمى التي ينشدها كلّ سالك فيعمل على التخلي عن أهواء النفس الأمّارة بالسوء ومجاهدتها بقتل كلّ رغباتها واستبدالها بالقيم والفضائل الأخلاقية ليثبت حبّه وإخلاصه لله .

لذلك شاعت في قصائدهم معاني الحبّ والعشق والشوق والوجد والطهر ... وقد وجدوا في التعبير عنها ضرورة لا مناص منها . وقد اختار المتصوفة للتعبير عن حبّهم عبارات الحبّ الإنساني لتقريب التجربة لمن لم يعايشها ، ومن هنا كانت قصائدهم لعبة مكر خفيّة تُمارس على القارئ فهي تدفعه للتأويل كأنّها تختبره ، (2) ومن ثمّ فهي تحمل المعنيين : معنى الحبّ الإنساني ، ومعنى الحبّ الإلهي ، وعلى القارئ أن يرجح معنى على آخر .

إنّ للحبّ أهمية كبرى في التجربة الصوفية ، فهو مبدأ حياة الصوفي وكيونته إلى الحدّ الذي أصبحت فيه كلمة صوفي تطابق في معناها كلمة " محبّ " . فالحبّ والعشق والهوى والطهر والصّفاء والصّحو والتصوف تشير جميعها إلى نفس التجربة .

والقارئ للقصائد الصوفية يعثر على هذا المصطلح موزعا بين أبياتها ، فهذا ابن عربي يقول :

أَدِينُ بِدِينِ الْحُبِّ أَنِّي تَوَجَّهْتُ رَكَابُهُ فَالْحُبُّ دِينِي وَإِيمَانِي (3)

فالشاعر يجعل الحبّ كلّ دينه . ومثله نجده عند ابن الفارض الذي يقول :

عَنْ مَذْهَبِي ، فِي الْحُبِّ ، مَا لِي مَذْهَبٌ وَإِنْ مِلْتُ يَوْمًا عَنْهُ فَارَقْتُ مِلَّتِي (4)

فهو يُقرّ بأهمية الحبّ ويراه بأنّه مذهبه في الحياة ليس له مذهب سواه ، فإنّ حاد عنه يجيد عن ملته ودينه .

يستحضر الغماري فكرة الحبّ من الشعراء المتصوفة القدامى ويضمها إلى نصوصه للتعبير عن رؤيته لواقعه ، فهو أهم شيء بالنسبة إليه خاصة إذا تعلّق بما هو خالد ، يقول في قصيدته " وحدي مع الله " :

- 1 - علي الخطيب ، اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي ، دار المعارف ، القاهرة ، 1404 هـ ، ص 11 - 12 .
- 2 - ينظر : عبد الحق منصف ، أبعاد التجربة الصوفية (الحب ، الإنصاف ، الحكاية) ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2007 ، ص 240 .
- 3 - محي الدين بن علي بن عربي ، ديوان ترجمان الأشواق ، تحقيق : عبد الرحمن المصطفاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، ط 1 ، 2005 ، ص 62 .
- 4 - ابن الفارض ، الديوان ، دار صادر ، بيروت ، ص 52 .

أَحْيَيْتَ فِي الْقَلْبِ سِرَّ الْحُبِّ " إِحْيَاء "

كُنَّا الْوُرُودَ وَكَانَ الْحُبُّ انْدَاءً

تَنَفَّسَتْ مُهْجَةً بِالْحُبِّ مُورِقَةً

وَعَبْرَةً صَاغَهَا الرَّحْمَنُ خَضْرَاءً (1)

فهو يرى بأن الحبَّ ضروري ضرورة الماء والهواء ، فلا يمكن للحياة أن تكون بدونه .

كما يجعل الغماري اللقاء أقصى ما يتمناه ، إذ لا قيمة للحبِّ إن لم يتم هذا اللقاء فيقول :

مَا قِيَمَةُ الْحُبِّ إِنْ لَمْ تَحْتَرِقْ شَفَةً

عَطَشِي ، وَتُورِقُ لَهَاةً فِي قَوَافِيهِ (2)

وهو امتصاص للرؤية الصوفية عند الحلاج :

وَإِنْ تَمَنَيْتُ شَيْئًا فَأَنْتَ كُلُّ التَّمَنِيِّ (3)

فهو الأمنية التي يرغب فيها المتصوف ؛ لكن من المقصود بهذا الحب هل هي الذات الإلهية أم

شيء آخر ؟ إنَّ المتمعن في قصائد الديوان يجد أنَّ حبَّ الغماري في أغلبه موجه إلى العقيدة

الإسلامية التي يرى أنَّها مخلص الأمة مما هي فيه ، يقول :

حُبُّنَا يَهْزَأُ بِالْمَوْتِ

وَيَنْدَى بِالْيَقِينِ

حُبُّنَا أَقْوَى مِنْ ثُلُوجِ الْقَهْرِ

مِنْ قَهْرِ السِّنِّينِ

.....

يَا غَرِيبَ الدَّارِ

1 - الديوان ، ص 37 .

2 - الديوان ، ص 44 .

3 - قاسم محمد عباس ، الأعمال الكاملة (التفسير - الطواسين - بستان المعرفة - نصوص الولاية - المرويات - الديوان) ، رياض الريس للكتب والنشر ، ط 1 ، 2002 ، ص 326 .

لَا الْوَصْلُ بِنَاءٍ عَنكَ
لَا أَهْدَابُ ذِكْرًا تَغِيبُ
مَنْ يُعَانِي الْحُبَّ لَا يَخْشَى اللَّهَيْبُ
مَنْ يُعَانِي الْحُبَّ لَا يَشْكُو الْوَجِيبُ
إِنَّ مَوْتًا فِي ظِلَالِ الْحُبِّ أَبْقَى
مِنْ وُجُودٍ فِي الْخَطِيئَاتِ مُرِيبُ !
غَيْرَ أَنَّ الْحُبَّ لَا يُوَلَّدُ فِي الصَّخْرِ
وَلَا يُزْهِرُ فِي الْكَهْفِ الْجَدِيبِ (1)

إنَّ القارئ لهذه الأسطر يبدو له من الوهلة الأولى أنَّ الشاعر يتحدث فيها عن الحبِّ الإلهي أو الحبِّ الصوفي ، إلا أنَّ قراءة متمعنة لها يتمكن من الوقوف على المعنى الحقيقي لها ، فهو يتحدث عن حبه للعقيدة الإسلامية التي مكَّنت للأمة النصر والرقى .

ب - الفناء :

يتمتج مصطلح الحبِّ بمصطلح الفناء عند الشعراء الصوفية ، فالحبُّ عند المتصوف يُتبع بنار الشوق المتأججة طوال مسيرته ، تحرق بذلك كلَّ ما ترغب فيه نفسه في الدنيا فتعمل على تطهيرها وتخليصها من عالم الطبيعة والإنسان ، فتنتعتق بذلك الروح من ريقه الجسد ، فتسمو وتعلو . والفناء عندهم هو سقوط الأوصاف المذمومة ، كما أنَّ البقاء هو وجود الأصناف المحمودة . (2) والفناء عند عبد المنعم الحفني : " تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية دون الذات ، فكلما ارتفعت صفة قامت صفة إلهية مقامها " . (3)

يُعدُّ مصطلح الفناء من المصطلحات التي يقوم عليها فهم الحبِّ الإلهي ، إذ الفناء هو أعلى مراتب المحبة والغاية القصوى من أحوال المحبين ، فلا يُتصور حبٌّ من دون فناء المحبِّ فيمن أحبَّ ،

1 - الديوان ، ص 137 - 138 - 139 .

2 - أبو نصر السَّراج الطوسي ، اللمع في التصوف ، تحقيق : عبد الحليم وطه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثني ببغداد ، 1960 ، ص 417 .

3 - معجم مصطلحات الصوفية ، دار المسيرة ، بيروت ، ط 3 ، 1987 ، ص 207 .

يقول الحلاج :

أَنَا أَهْوَى ، وَمَنْ أَهْوَى أَنَا نَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنًا (1)

وقد استطاع مصطفى الغماري أن يستغل مصطلح الفناء للبوخ بما يريد ، حيث أحرقت نار الحب المتأججة في كبده كل انشغال عن عقيدته ، فهو يرغب بشدة في الرجوع إلى الأصل للقاء عقيدته ، فيقول :

" قَالُوا التَّصَوُّفُ بَدْعَةٌ مِنْ شَرِّ أَخْلَاقِ الْيَهُودِ "

قُلْتُ التَّصَوُّفُ يَا فَتَى شَوْقِ الْخُلُودِ إِلَى الْخُلُودِ

لَوْلَا التَّصَوُّفُ لَمْ يَكُنْ سِرُّ الْوُجُودِ وَلَا الْجُجُودِ

جَهْلُوكَ يَا نُونَ الْوُجُودِ لِأَنَّهَمْ حَاءُ الْجُمُودِ !

أَنْتَ الْفَنَاءُ ، وَفِي فَنَائِكَ مَا نَشَاءُ وَمَا نُرِيدُ !

عَيْنُ الْبَقَاءِ فَنَائُوكَ الْمَحْضُ الْإِلَهِيُّ الْمَدِيدُ

لَمْ يَعْرِفُوا كَشْفًا وَلَا عَرَفُوا الشَّهَادَةَ وَالشُّهُودَ (2)

انطلاقاً من هذه الأسطر نلاحظ بأنّ الغماري قد اعتمد على بيت الحلاج السابق الذكر من خلال توظيف المصطلحات الصوفية من مثل : التصوف ، شوق ، الخلود ، الوجود ، الفناء ، كشف ، والتي كانت مترسبة في ذاكرته ، فانتقى من محفوظه معنى البيت وأعطاه أبعاداً ارتبطت بواقعه ، غير أنه انحرف بمصطلح الفناء ليووجهه إلى العقيدة الإسلامية التي تسري في ذاته سريان الدم في العروق .

كما يمكن أن نقف على نظرة جمال المحبوبة منبثة في ثنايا الديوان يُعبّر من خلالها الغماري على رؤية جمال محبوبته العقيدة الإسلامية إذ يقول :

لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ

وَالرَّمْزُ الْإِلَهِيُّ الْإِمَامُ

1 - قاسم محمد عباس ، الحلاج الأعمال الكاملة ، ص 330 .

2 - الديوان ، ص 49 .

لَيْسَ بَعْدَ الدَّمْعِ يَا " خَضْرَاءُ " إِلَّا الْإِبْتِسَامُ⁽¹⁾

2- استدعاء الرموز الصوفية :

اعتمد الخطاب الصوفي على لغة الرمز والإشارة والتلميح لأنّ الإشارة هي السبيل الوحيد إلى " ستر أذواقه ومكاشفاته عمّن ليس من أصل الذوق والمكاشفات [...] والإشارة فيها من اللطف ما يجعلها تتسع لأكثر مما تتسع له العبارة من المعاني "⁽²⁾.

ولم تكن الغاية من توظيف الرمز عند الشعراء المتصوفين أدبية أو فنية ، بل قد تكون " خلقية ، أو دينية أو فلسفية ، أو كلّ أولئك جميعا ، ولكنها لا تكون غاية أدبية يقصد من ورائها تحقيق الجمال الفني الخالص "⁽³⁾.

استحضر الغماري الرموز الصوفية للتعبير عمّا يعتري ذاته من هموم ، والتي كان سببها الأحوال الاجتماعية والإحباطات التاريخية والأوهام الأيديولوجية ، من ضياع الحدود وتمييع المفاهيم وانحيار القيم⁽⁴⁾ ، فتداخلت بين نصوصه والنصوص الصوفية الغائبة ، من هذه الرموز :

أ- رمز الخمرة :

شاع رمز الخمرة في الخطاب الشعري عند الغماري في ديوانه " قراءة في آية السيف " سواء باسمها مباشرة أو ما يشير إليها كالسُّكْر والصحو والنشوة وصهباء وكروم ... وهي تمثل بالنسبة للشاعر الصوفي مصدر اللذة الروحية ، فهي مصدر لقوة المحبة الإلهية التي ينتج عنها السُّكْر " من وقدة الحبّ وحرقة الجوى ، ولذة الوصال ، والقرب من الله العلي القهار " ⁽⁵⁾ ، فهم لا يقصدون الخمر الحقيقي الذي يُذهب العقل وإنما يقصدون الخمر الإلهي الذي لن تعتصره يد البشر وليس بمُسْكِر حقيقة ، يقول ابن الفارض :

- 1 - الديوان ، ص 24 .
- 2 - علي الخطيب ، اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي ، ص 150 .
- 3 - عبد الحميد هيمة ، الخطاب الصوفي وآليات التأويل ، قراءة في الشعر المغربي المعاصر ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغبة ، الجزائر ، 2008 ، ص 198 .
- 4 - ينظر : إبراهيم رماني ، الغموض في الشعر العربي الحديث ، الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب وتطويرها ، وزارة الثقافة ، الجزائر 2003 ، ص 162 .
- 5 - علي الخطيب ، اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي ، ص 148 .

شَرَبْنَا ، عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ ، مُدَامَةً ، سَكِرْنَا بِهَا ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الْكَرْمُ (1)
وقوله :

وَقَدْ وَقَعَ التَّفْرِيقُ ، وَالْكُلُّ وَاحِدٌ ، فَأَرَوَّاحَنَا خَمْرٌ ، وَأَشْبَاحَنَا كَرْمٌ (2)

فقد ذكرها باسمها وأوصافها ؛ لكنهم يريدون بها ما أراد بها الله تعالى على ألبابهم من المعرفة أو الشوق والمحبة . فالمدامة قصد بها " شراب المحبة الإلهية الناشئة عن شهود آثار الأسماء الجمالية للحضرة العلية فإنها تُوجب السكر والغيبة بالكلية عن جميع الأعيان الكونية " . (3) فمثل هذه الألفاظ (شربنا ، مدامة ، سكرنا ، الكرم ، خمر) هي ألفاظ تبعث على الغموض والالتباس في نفس القارئ الذي يتوجب عليه التفريق بين معنيين ، معنى ظاهر ومعنى باطن . فالقراءة الصوفية تتجسد من خلال صرف الظاهر واعتماد الباطن لفهم النصوص وفق دلالتها الأصلية . (4)

ومن المقاطع التي وظف فيها الغماري ألفاظا دالة على الخمرة قوله :

.....

سَعِدْتُ بِاللَّذَّةِ الْكُبْرَى وَلِمَ شَقِيتُ

خَلَائِقُ تَعْبُدُ الرَّحْمَنَ أَصْدَاءَ !

الكَوْنُ بَعْضِي أَحَاسِيسًا وَتَصْلِيَةً

حَرْفُ الْوُجُودِ يُحِيلُ الْمَاءَ صَهْبَاءَ (5)

ومنها قوله :

.....

غَيْرَ أَنَّ الْحُبَّ لَا يُوَلَّدُ فِي الصَّخْرِ

1 - الديوان ، ص 140 .

2 - الديوان ، ص 142

3 - بدر الدين البوريني وعبد الغني النابلسي ، شرح ديوان ابن الفارض ، جمع : رُشيد بن غالب اللبناني ، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 ، 2007 ، ج 2 ، ص 246 .

4 - ينظر : عبد الحميد هيمة ، الرمز الصوفي في الشعر الجزائري المعاصر وآليات التأويل ، موقع على الانترنت :
www.el-kalima.blogspot

5 - الديوان ، ص 38 - 39 .

وَلَا يُزْهِرُ فِي الْكَهْفِ الْجَدِيبِ
فَتَوَضَّأَ مِنْ كُرُومِ الشَّمْسِ
وَأَشْرَبَ خَمْرَةَ الْبُعْدِ الْقَرِيبِ
إِنَّ حَرْفًا مِنْ ضُحَى .. خَضْرَاءَ ..
يُحْيِي مَيِّتَ الرُّؤْيَا غَرِيبِ (1)

وقوله :

حُلْمٌ نَبَّهَنَا مِنْ غَفْوَةِ الدَّهْرِ
صَحُونَا ..

لَيْتَنَا لَمْ نَعْرِفِ الصَّحْوُ
سَكْرَنَا ..

لَيْتَنَا لَمْ نَعْرِفِ السُّكْرُ
احْتَرَفْنَا

فَإِذَا الصَّحْوُ اخْتِرَاقُ
وَأَتَّحَدْنَا

فَإِذَا الْوَحْدَةُ سُكْرٌ وَأَغَانِ وَقَمَرِ (2)
وقوله أيضا :

.....

وَتَعْنِينَا ..

وَمِنْ أَفْرَاحِنَا الْخُضْرُ انْتَشِينَا ..

1 - الديوان ، ص 139 .

2 - الديوان ، ص 34 .

وَعَلَىٰ أَهْدَابِنَا الْهِيمِ إِلَى اللَّقِيَا سَعَيْنَا

لَا تَسَلْ كَيْفَ سَعَيْنَا ؟ !

كَيْفَ كُنَّا أَلَمًا يُورِقُ نَارًا

كَيْفَ عَانَيْنَا الْمَدَى اللَّيْلِيَّ

ثُرْنَا مِنْ سُجُونِ الْقَهْرِ ثَارًا .. (1)

من خلال هذه المقاطع نجد الغماري يذكر رموز الخمرة كالسُّكْر والنشوة والصهباء والكروم مما جعل نصوصه تتداخل مع نصوص الصوفيين في السُّكْر الذي يحقق من خلاله الغماري الطمأنينة ، فهو لا يريد أن يصحو ، كما لا يريد الصوفيون أن يصحوا ، حتى لا يعيش واقعه المرير لذلك لا نعثر على كلمة " الصحو " إلا في موضعين من الديوان :

.....

مِنْ رَبِيعِ الصَّحْوِ يَخْضُرُ الْمَطْرُ

قَدَرْتُ أَنْ نَعْشَقَ الشَّمْسَ

وَأَنْ نَحْمِلَ آلامَ الْبَشَرِ (2)

وقوله :

مِنْ لِيَالِي الصَّحْوِ وَالْمَحْوِ عَيْبُ الْخَالِدِينَ

فِي رُؤَاهَا

يُرِقُ الْقَلْبُ وَتَخْضُرُ دُمُوعُ الْعَاشِقِينَ

يَا لِيَالِي الصَّحْوِ وَالْمَحْوِ اشْرَيْبِي (3)

ب- رمز المرأة :

1 - الديوان ، ص 25 - 26 .

2 - الديوان ، ص 33 .

3 - الديوان ، ص 65 .

كانت المرأة ولا زالت تحتل مساحة كبيرة في الشعر العربي ، قديمه وحديثه ، ومن ينظر في الأدب الصوفي فإنه يقف على شعر وفير كانت فيه المرأة رمزا موحيا لكن برؤية مختلفة عن رؤية شعراء الغزل الصريح ، وإن كانت تقترب من رؤية شعراء الغزل العذري . فالمرأة عند الشعراء الصوفية رمز دالّ على الحبّ الإلهي .⁽¹⁾

وقد لجأ الشعراء الصوفيون إلى خطاب الغزل العذري لاعتماده على الإشارة والتلميح لأنه نشأ في بيئة بدوية " صارمة ، بيئة المحافظة على العرض وإقامة السدود المنيعة بين العشاق ومحوباتهم فاضطر هؤلاء إلى التحايل على اللقاء ، وكان مما لجأوا إليه التلميح " .⁽²⁾ كما اشتمل الغزل العذري على أفكار اعتمدها الصوفيون مثل الحبّ والموت . فالحبّ هو المصطلح الأساس الذي قام عليه شعر الغزل العذري والذي يؤدي في نهاية المطاف بالحبّ إلى الموت ، ما جعل الصوفية يستعيرون البنيات اللغوية لخطاب الغزل العذري حيث نجد للمرأة حضورا بارزا في أشعارهم ، يقول ابن عربي :

وَقَفَا بِي عَلَى الطُّلُولِ قَلِيلًا نَتَبَّأَكِي ، بَلْ أَبُكِ مِمَّا دَهَانِي
 الْهَوَى رَاشِقِي بِغَيْرِ سَهَامٍ الْهَوَى قَاتِلِي بِغَيْرِ سَنَانِ
 عَرَفَانِي إِذَا بَكَيْتُ لَدَيْهَا تُسْعِدَانِي عَلَى الْبُكَاءِ تُسْعِدَانِي
 وَادْكُرَّا لِي حَدِيثَ هِنْدٍ وَلُبْنَى وَسُلَيْمَى ، وَزَيْنَبٍ وَعِنَانَ⁽³⁾

فالشاعر يذكر أسماء " هند ولبنى وسليمة وزينب وعنان " التي تُخفي وجهها آخر للدلالة غير ما ذُكرت له في الأصل متجاوزا بذلك الدلالات المباشرة إلى دلالات أعمق ، وبذلك فقد جعلوا خطابهم " يتخذ المحسوس سبيلا إلى اللا محسوس ، أو قل إنه يضاف بين المرئي واللامرئي والمجرد في صرامته وخلوه من الأشكال والجسم في تلبسه بالصور والمظاهر ، والمحدود المنتاهي واللامحدود المنتاهي والدائر الفاني والأبدي الباقي " .⁽⁴⁾

وقد لجأ الغماري إلى الرمز الصوفي فاستدعى بعض رموزهم ، كما ابتدع لنفسه رموزا خاصة

1 - ينظر : عاطف جودة نصر ، الرمز الشعري عند الصوفية ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، دار الكندي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2003 ، ص 162 .
 2 - علي الخطيب ، اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي ، ص 108 .
 3 - ديوان ترجمان الأشواق ، ص 104 .
 4 - عاطف جودة نصر ، الرمز الشعري عند الصوفية ، ص 176 - 177 .

منها " خضراء وحسنا " .

ومن قصائد الديوان التي تحيل على النص الصوفي الغائب والذي يُورد فيه اسم المرأة قصيدة " لن ينام الحق " التي يقول فيها :

لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ

وَالرَّمْزُ الإِلَهِيُّ الإِمَامُ

لَيْسَ بَعْدَ الدَّمْعِ يَا خَضْرَاءُ إِلاَّ الإِبْتِسَامُ

دَمْعَنَا الرِّفْضُ ..

الصَّلَاةُ الْبِكْرُ

وَالجُرْحُ الْمُقَاتِلِ

.....

ضَا جَعُوا الرِّيحَ ..

وَعَنَّوا لِلطَّوَاغِيَتِ الصَّغَارِ !!

وَأَنْتَحَوْا بِاسْمِ الْفُتُوحِ السُّمْرِ لِلْفَتْحِ الشَّعَارِ !

وَلَوْلُوا فِي شَهْوَةِ اللَّيْلِ ..

عَلَى " خَضْرَاءَ " شَدُّوا ..

وَلَهُمْ .. كَمْ يَخْجَلُ الْمَاضِي ..

لَهُمْ جَزْرٌ وَمَدٌّ ...

" مُهْرٌ سَعْدٌ "

وَتَرَّ فِي قَوْسِ " مَرْوَانَ " يُشَدُّ (1)

وظف الغماري رمزا صوفيا يتمثل في " خضراء " ذات الأبعاد الصوفية ، غير أنه ليس موجهها

للذات الإلهية مثلما فعل الصوفيون ، وإنما هو رمز لعقيدته الإسلامية التي هي خلاص لأمته مما هي فيه .

2- التناص التراثي :

أ- التناص الأدبي :

التناص الأدبي هو تداخل نصوص أدبية قديمة أو حديثة ، شعرية أو نثرية ، مع النص الشعري الحاضر ، فينسجم معها فيتأثر بها تأثيرا مباشرا أو غير مباشر ، من ذلك ما نجده في قول الغماري :

" أُمُّ الْبَنِينِ " قَصِيدَةٌ بِالرَّفْضِ تُكْتَبُ لَا بِالصَّحَبِ !

" أُمُّ الْبَنِينِ " سُؤَالُهَا عُنْتِي وَنَجْوَاهَا عَتَبُ

.....

" أُمُّ الْبَنِينِ " تَسَاءَلْتُ حُلْمًا يَذُوبُ وَمَا انْسَكَبَ

جُرْحًا عَلَى شَفَةِ الْأَمِيرِ وَعَظْبَةِ السَّيْفِ الْعَجَبِ ؟ (1)

يستدعي هذا النص الشعري ما ورد في قصيدتي الأمير عبد القادر " جودي بطيف " و " فراقك نار " إذ يقول :

جَفَانِي مِنْ أُمِّ الْبَنِينِ خِيَالٍ فِقَلْبِي جَرِيحٌ وَالِدُمُوعُ سِجَالُ (2)

وقوله :

لِكَيْ تَعْلَمِي - أُمُّ الْبَنِينِ - بِأَنَّهُ فِرَاقُكَ نَارٌ وَاقْتِرَابُكَ مِنْ خُلْدِ (3)

فالشاعر في الأبيات يوظف النص الأميري ، إذ يستخدم المفردات من مثل (أم البنين) التي تحمل أبعاد التجربة الوجدانية ، فكما أنّ الأمير نظم القصيدة ليبيدي لوعته وحينه لزوجته بعد فراقه لها مفضلا ألم المنفى على الخضوع والمذلة ، فكذلك بالنسبة للغماري الذي يقدر الجهاد لإعلاء

1 - الديوان ، ص 14 .

2 - ديوان الشاعر عبد القادر الجزائري ، جمع وتحقيق : العربي دحو ، منشورات ثالة ، ط 3 ، 2007 ، ص 60 .

3 - المرجع نفسه ، ص 61 .

كلمة لا إله إلا الله .

ويعبر الغماري عن واقع الأمة المرير الناتج عن تسلط من نصبوا أنفسهم قادة لهذه الأمة فرسموا لها منهجا ليس لها ، فيقول :

.....

مَنْ فَلَسْفُوكَ وَمَنْ تَمَارَوْا فِي انْتِمَائِكَ بِالرَّيْبِ ؟

رَسَمُوا الْحَيَاةَ ، وَكَمْ تَهُونُ ! بِمِنْجَلِ صَدِيِّ خَرِبِ !

غَالُوا الظَّلَالَ فَلَا مَوَاسِمَ لَا جَدَاوِلَ لَا عُشْبِ !

كَمْ دَمْعَةٍ سَفَحُوا وَكَمْ شَعْبٍ جَرِيحٍ مُنْشَعِبِ

مُتَمَرِّقِ الآهَاتِ مَصْلُوبِ المِشَاعِرِ وَالْعَصَبِ

عِزُّ الشَّهَادَةِ ، مَا الرَّصِيدُ ؟ وَإِنْ يَجِلُّ ، وَمَا النَّشَبُ ؟! (1)

وهذا استدعاء مباشر لقول الأمير عبد القادر في قصيدته (الباذلون نفوسهم) التي جاء

فيها :

كَمْ نَافَسُوا كَمْ سَارَعُوا كَمْ سَابَقُوا مَنْ سَابَقَ لِفَضَائِلِ وَتَفَضَّلَ

كَمْ حَارَبُوا كَمْ ضَارَبُوا كَمْ غَالَبُوا أَقْوَى العُدَاةِ بِكثْرَةٍ وَتَمَوَّلَ

كَمْ صَابَرُوا كَمْ كَابَرُوا كَمْ غَادَرُوا أَعْتَى أَعَادِيهِمْ كَعَصْفِ مَا كُؤِلَ

كَمْ جَاهَدُوا كَمْ طَارَدُوا وَتَجَلَّدُوا لِلنَّائِبَاتِ بِصَارِمٍ وَبِمَقْـُؤِلِ

كَمْ قَاتَلُوا كَمْ طَاوَلُوا كَمْ مَاحَلُّوا مِنْ جَيْشٍ كَفَرَ بِاِفْتِحَامِ الجَحْفَلِ (2)

هذه القصيدة التي كانت ردا من الأمير عبد القادر على الخبر الذي أشاعه الفرنسيون من أنّ الأمير قد قُتل ليُنزَعوا جيوشه في جبال جرجرة ، فكما أنّ الأمير غير آبه بتلك الإشاعات فكذلك الغماري لم يكن ليأبه بمؤلاء القادة المزعومين الذين تولوا أمور هذه الأمة فضلوا وأضلوا كثيرا فمزقوا

1 - مصطفى الغماري ، قراءة في آية السيف ، ص 18 - 19 .

2 - ديوان الشاعر عبد القادر الجزائري ، ص 86 .

الشعب وبددوا وحدته . فهذا التناص امتصاص لمعاني أبيات الأمير التي تحيل على أنفته وأنفة جنده وشدة بأسهم على العدو ، وفي ذلك معاضدة للنص الحاضر .

كما يستلهم الغماري من التراث الشعري عند أبي تمام الذي يُعظم فيه الفتح الإسلامي حينما كانت النخوة العربية تغار على الحمى ، يقول الغماري :

الْحَقُّ يُدْرِكُ بِالْحَدِيدِ وَلَيْسَ يُدْرِكُ بِالْخُطْبِ (1)

وهو امتصاص لمعاني قصيدة (فتح عمورية) لأبي تمام :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

بِيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ (2)

يستدعي الغماري الألفاظ (الصفائح - الصحائف) ويوظفها توظيفا يثري من خلاله دلالات البيت ، فالخليفة المعتصم بالله مجد قوة السيف وأنكر أقوال المنجمين على أن السيف هو الفاصل بين الشك والريب ، فكذلك جعل الغماري الحديد ، وهو رمز للسلاح ، وسيلة يدرك بها الحق ويُسترجع ، لا بالشعارات والخطب التي لا تنفع .

ومن الألفاظ التراثية المندرجة ضمن المعجم الشعري لأبي تمام لفظة (القشب) التي تداخلت مع نسيج الخطاب الشعري عند الغماري فكانت لبنة أساسية من لبناته الفنية إذ يقول :

.....

نَعْمَ أَجَلٌ .. مِنَ الْأُلَى كَانُوا فَأَزْهَرَتْ الْكُتُبُ

تَتَمَاوَجُ الصَّخْرَاءُ فِي أَيَّامِهِ الْقَشْبُ

وَتَرَى عَلَى أَيَّامِهِ أَوْرَاسَ يَهْزَأُ بِالنُّوبِ

بِالْقَادِمِينَ مِنَ الظَّلَامِ عَلَى سَفَائِنٍ مِنْ رَهَبِ (3)

استخدم الغماري لفظة (القشب) التراثية محملة بدلالات شعورية ونفسية ، أسهمت في

1 - قراءة في آية السيف ، ص 17 .

2 - الخطيب التبريزي ، شرح ديوان أبي تمام ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ط 2 ، 1994 ، ج 1 ، ص 32 .

3 - قراءة في آية السيف ، ص 11 .

الكشف عن أحاسيس الشاعر وانفعالاته ، فهو يُمجّد جهاد الأمير عبد القادر ويقدمه لذلك يستدعي لفظة (القشب) التي مجد بها أبو تمام الفتح فيقول :

فَتَحُّ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَبْرَادِهَا الْقُشْبِ (1)

يستحضر الغماري التراث الشعري بغرض التواصل مع الموروث ومدّ جسور التلاقي فيمتح من البردة للبوصيري فيقول :

مَنْ ذَا يَطُولُكَ يَا سَمَاءُ بِبَاعِهِ

وَيُحِيلُ وَجْهَ الدَّرْبِ شَيْئًا مُنْكَرًا ؟ ! (2)

فالألفاظ (يطولك - يا سماء) استحضار لبيت البوصيري الذي يقول فيه :

كَيْفَ تَرْفَى رُقَيْكَ الْأَنْبِيَاءُ يَا سَمَاءُ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ (3)

فالشاعر يُعلي من مكانة وطنه الجزائر التي أغلى حبّها على أن لا أحد يمكن له أن يصل إليها أو أن يحجب نورها وإشعاعها .

كما يستدعي الغماري خطاب المتنبّي ، الشخصية التي كانت ومازالت محط إعجاب الكثيرين ، حيث تتصل لديهم بعلو الهمة والطموح ، في قصيدته " أغنية للحزن والجهاد " فيقول :

يَا غَرِيبَ الدَّارِ

لَا الوَصْلُ بِنَاءٍ عَنكَ

لَا أَهْدَابُ ذِكْرًاكَ تَغِيبُ

مَنْ يُعَانِ الحُبَّ لَا يَخْشَى اللّٰهِيْبَ

مَنْ يُعَانِ الحُبَّ لَا يَشْكُو الوَجِيْبَ

إِنَّ مَوْتًا فِي ظِلَالِ الحُبِّ أَبْقَى

1 - شرح الديوان ، ص 35

2 - قراءة في آية السيف ، ص 146 .

3 - البوصيري (محمد بن سعيد البوصيري) ، ديوان البوصيري ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 2 ، 2011 ، ص 11 .

مِنْ وُجُودِ فِي الخَطِيبَاتِ مُرِيبٌ !⁽¹⁾

وهو تناص مع بيت المتنبي :

وَلَكِنَّ الفَتَى العَرَبِيَّ فِيهَا غَرِيبَ الوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ⁽²⁾

يستعير الغماري لفظة (غريب) من المتنبي لكنه يوظفها توظيفا مختلفا ، فهو يتوجه بها إلى العقيدة الإسلامية التي كانت حبه وفناؤه ، في حين يتحدث المتنبي عن نفسه حيث يقول : أنا غريب الوجه في عيون شعب بوان (وهو موضع عند شيراز كثير الشجر والمياه يعدّ من جنان الدنيا) لأنه لا يعرفني أحد هناك ، غريب اليد أي لا ملك لي في هذه الأماكن فيدي أجنبية فيها ، غريب اللسان لأن لغتي العربية وهم أعاجم .

ب- استدعاء الشخصية الأدبية :

يُعدّ توظيف الشخصية الأدبية والرموز التراثية من السمات البارزة في شعر مصطفى الغماري ، وذلك في إشارة إلى عمق قراءته للتراث ، ومقدرته على حسن استغلال عناصره التي تجعل الخطاب الشعري غنيا بالإيحاءات والدلالات .

إنّ محاولة الغماري التوفيق بين الشخصية الأدبية الموظفة وبين الواقع الذي يريد التعبير عنه إنما هو في حقيقة الأمر توفيق بين نوعين من الخطاب ، الخطاب التاريخي والخطاب الشعري ، وقد نتج عن ذلك الخصائص الفنية المتحكمة في الطبيعة البنائية للخطابين .

ومن أبرز الشخصيات الشعرية التي نجد لها حضورا بارزا في الديوان شخصية الأمير عبد القادر رائد الجهاد الإسلامي في العصر الحديث . فقد أهدى الغماري المجموعة الشعرية (قراءة في آية السيف) إلى الأمير عبد القادر رمز تحدٍ وجهاد⁽³⁾.

كما عَنَوْنَ القصيدة الأولى من قصائد الديوان باسمه (وسل الأمير ...) التي جاء فيها :

.....

- 1 - الديوان ، ص 138 .
- 2 - ناصيف اليازجي ، العرف الطيّب في شرح ديوان أبي الطيب ، دار صادر ، المجلد 2 ، ص 452 .
- 3 - انظر : صفحة الإهداء في الديوان .

وَسَلِ الْأَمِيرَ يُجِبِكَ تَارِيخُ تَدَجِّي بِالْقَضْبِ !
بِعَمَائِمِ الْأَحْرَارِ فِي لُغَةِ الْجِهَادِ الْمُحْتَسِبِ !
وَبِكُلِّ مَا تَهَبُ النَّفُوسُ وَمَا يَجُودُ بِهِ الْحَسَبِ !

.....

وَسَلِ الْأَمِيرَ تَرَ الْأَمِيرَ يَدًا وَأَخْلَاقًا وَحُبًّا !
فِي مُقَلَّتِيهِ جَزَائِرِي أُمَّ الْمَغَاوِيرِ التُّحْبِ (1)

فالعجماري يُعبّر عن تعظيمه لشخص الأمير بأنه تاريخ يتحدث عن نفسه ، فهو رمز جهاد
وهب نفسه لفداء وطنه الجزائر .

إضافة إلى هذه القصيدة ، فقد خصّه العجماري بإشارات أخرى في مواضع متفرقة من الديوان
، منها :

وَقَضَى الْأَمِيرُ مُجَاهِدًا بَيْنَ التَّامِرِ وَالرَّيْبِ !
يَتَسَاءَلُونَ وَأَنَّهُمْ سُؤْلُ يَلُوبُ وَيَصْطَخِبُ
وَقَضَى الْأَمِيرُ مُجَاهِدًا بَيْنَ الكِتَابِ وَالْكَتُبِ
لَوْلَا التَّامِرُ مَا انْشَنَتْ خَيْلُ الْأَمِيرِ وَلَا اغْتَرَبَ
وَمَضَى الْأَمِيرُ وَمَا لَهُ غَايٍ سِوَاكَ وَلَا أَرْبَ
لَمْ يَنَأْ عَنْكَ وَلَا هَفَا إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا انْتَسَبَ (2)

2- التناص التاريخي :

يُعتبر التناص التاريخي - بأحداثه وشخصياته - مصدرا من مصادر الإلهام بالنسبة للشاعر
يتمكن من خلاله العودة إلى روح العصر ليكشف عن آلامه وآماله وعن هموم أمته وطموحاتها ،

1 - قراءة في آية السيف ، ص 13 .

2 - الديوان ، ص 15 .

فيعطي بذلك النص الشعري برهانا ودليلا على صدقه .

وظف الغماري التاريخ الإسلامي في مواضع متعددة من الديوان ، فقد استدعى العديد من الشخصيات والأحداث التاريخية لا على أنها ظواهر زمنية انتهت بانتهاء وجودها وإنما لها امتدادات دلالية تتخطى حدود الزمان والمكان ، من هذه الأحداث التاريخية استحضار الغماري لموقعة " صفين " التاريخية حيث يقول في قصيدته (لن ينام الحق) :

إِنْ جُنَّتْ بِصَفِّينَ الْمَهَازِلُ ..

دُمْنَا عَبْرَ خُطَانَا قِصَّةَ الْجِيلِ الْعُجَابِ

هِيَ إِنْ جُنَّ السُّؤَالُ الْمُرِّيَا أُمُّ الْجَوَابِ

كَانَتْ التَّجْوَى صَلَاةً فِي مَسَافَاتِ الْجَزَائِرِ

سَكَبَتْهَا أَحْرَفُ الْقَدْرِ مَدَى حُرًّا وَتَائِرِ (1)

فالشاعر يستلهم من التاريخ الإسلامي إحدى الوقائع التي أثارت جدلا ممثلة في معركة " صفين " (2) يستحضر الغماري ذلك الخلاف التاريخي بين علي (ض) ومعوية حول الخلافة ، لا ليذكر به ، وإنما قصد منها كل الإيحاءات والدلالات التي ارتبطت بها ، هذه الدلالات التي تتحاوب مع ما يختلج نفس الشاعر التي تمر بنفس التجربة . فالغماري من خلال هذه التناص أراد الكشف عمّا تعانيه الأمة الإسلامية من تشردم وتحاذب مما أوقعها في المهازل .

ومن أحداث التاريخ الإسلامي أيضا يستدعي الغماري معركة " بدر " الكبرى :

.....

هِيَ إِنْ جَفَّتْ مَرَايَا الْعَصْرِ خَضْرَاءُ الظُّلَالِ

هِيَ خَضْرَاءُ الظُّلَالِ

1 - الديوان ، ص 25 .

2 - الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) ، تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط 2 ، 1970 ، ج 4 ، ص 508 وما بعدها . ينظر : ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي) ، البداية والنهاية ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، مصر ، ط 1 ، 1998 ، ج 10 ، ص 431 : 490 . ونصر بن مزاحم المنقري ، وقعة صفين ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، المؤسسة العربية الحديثة للنشر والطبع والتوزيع ، القاهرة ، ط 2 ، 1382 هـ .

فِي لِيَالِي الْوَجْدِ نَحْيَاهَا
وَنَحْيَا فِي الْبَيْنِ
الْغَدُّ الْمَمْتَدُّ فِي أَعْمَاقِهِمْ حُرُّ الْجَبِينِ
فِي خُطَا " بَدْرٍ " أَرَاهَا
فِي مَسَافَاتِ الْيَقِينِ (1)

في توظيف الغماري لمعركة " بدر " رغبة وحنين إلى زمن الانتصارات التي حققها المسلمون في أول معركة لهم ، هذه الانتصارات التي تفتقدها الأمة الإسلامية اليوم في زمن الانكسارات .
ومن أسماء الشخصيات التاريخية التي استدعاها الغماري في قصائده : عقبة والحسين ويزيد ،
يقول :

وَقَضَى الْأَمِيرُ مُجَاهِدًا فَمَدَّ أَوْرَاسَ شُمُوسًا مِنْ غَضَبٍ
وَأَمْتَدَّ مِنْ أَبْعَادِهِ سَبْعًا مُضِيئَاتٍ خُصْبٍ
بِدِمَاءٍ مَنْ كَانُوا فَكَانَ الْوَعْدُ يَخْتَرِقُ الْحُجْبَ
أَبْنَاءُ عُقْبَةَ كَبَّرُوا يَا خَيْرَ أَبْنَاءِ وَأَبِ
جِيلًا حُسَيْنِي الرَّسَالَةَ لَا يَزِيدِي اللَّقْبَ ! (2)

وظف الغماري في هذا النص الشعري شخصيتين سياسيتين الحسين بن علي ويزيد بن معاوية ، ليرز الصراع على السلطة للتعبير عن موقفه من التُّظْمِ الحاكمة في العالم العربي ، فوظف هاتين الشخصيتين لإدانة قوى التعسف والاستبداد لذلك تجده يستنجد لهذه الأمة بعقبة القائد الإسلامي علّه يخلصها من الفساد . فالشاعر عبّر بعناصر التراث عن أبعاد من تجرته المعاصرة . (3)

ج- التناص مع التراث الشعبي :

-
- 1 - الديوان ، ص 60 - 61 .
 - 2 - الديوان ، ص 17 - 18 .
 - 3 - ينظر : علي عشري زايد ، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، دار الفكر العربي ، 1997 ، ص 49 .

من المصادر التراثية للشاعر الحديث الأمثال التي تشكل مصدرا فكريا وثقافيا وفنيا . وقد استلهم الغماري منها ما يكشف عن حالته النفسية والشعورية ، وما يُبين عن تفاعله مع واقعه تفاعلا شديدا يُعبر عن أصالة في الانتماء وثرء في الثقافة ، وقدرة على المزج بين الماضي والحاضر " فهو يتوحد مع التراث الذي يبرز فيه موقفه من الحياة ونظرته لها من خلال ما يستلهمه منه ، ويسقط ما فيه من إشراقات على واقع شعبه وأمتة " (1) ليرز ماضيه بما فيه من إشراق وإيجابية ، يقول الغماري في قصيدته " حنين إلى خضراء الظلال " :

آه يَا سَيْفًا مُحَاصِرًا !

كَبْرُهُ فِي شَمَخَةِ الْفَتْحِ وَفِي إِصْرَارِ ثَائِرِ

مَا أَرَادُوا فَهْرَهُ إِلَّا اسْتَوَى مُهْرًا مُغَامِرِ

بَيْنَ حَدِيدِ الْمِضَاءِ الصَّعْبِ وَالْجُرْحِ الْمَصَابِرِ

لَنْ يَنَالُوا مِنْهُ إِلَّا مَا يَنَالُ السَّيْلُ مِنْ غُلْبِ الْجِبَالِ

سَيْفُنَا رُؤْيَا وَلُودٌ تَهَبُ الدَّرَبَ الرَّجَالِ (2)

فالغماري يتناص في السطر الخامس من المقطع الشعري السابق مع قول الأعشى في معلقته ، وهو ما يمكن اعتباره مثلا :

أَلَسْتَ مُنْتَهِيًا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا وَلَسْتَ ضَائِرِنَا مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَفْلِقَهَا فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ (3)

من خلال البيتين يوجه الأعشى عتابا وتهديدا لخصمه مخاطبا إياه :

أما آن لك أن تنتهي عن غيبة أصلنا ، فلن تضرنا ولن نخشاك ما دامت الإبل تحن إلى مرابعها . وأنّ الذي يطلب ويرجو من الأشياء ما لا يستطيع الوصول إليه يُتعب نفسه ، ويخيب أمله

1 - ناهدة أحمد الكسواني ، تجليات التناس في شعر سميح القاسم مجموعتنا " آخذة الأميرة بيوس " و " مرآتي سميح " أنموذجا ، مجلة قراءات ، جامعة بسكرة ، ص 153 .

2 - الديوان ، ص 60 .

3 - ديوان الأعشى الكبير ، تحقيق : محمد إبراهيم محمد الرضواني ، وزارة الثقافة والفنون والتراث ، الدوحة ، ط 1 ، 2010 ، ج 1 ، ص 217 - 218 .

، ولا يظفر بشيء كالتيس الذي ينطح بقرنه صخرة صلبة ليضعفها ويفتتها ، فلا يُؤثر ذلك فيها شيئاً ، ويرجع وقد أتعب نفسه وآذى قرنه .

فقد استعار الغماري معنى البيت الثاني من الأعشى وبنى عليه مقطع الشعري السابق ، فهو يتحسر على السيف ، وهو رمز لماضي أمته الجيد ، هذا السيف الذي حقق للأمة نصرها ، عزها ومجدها ، هذا السيف الذي كان وسيلة لتحقيق النصر ، فقد واجه وكابد لكنه انتصر فلم يتمكن أعداء الأمة من النيل منه إلا كما ينال السيل من غلب الجبال .

3- التناص الأسطوري :

لم ينسلخ الشعراء المعاصرون عن التراث العربي والإسلامي " بل تفهموه وأحسوه تفهما وإحساساً لم يُتَح لشعراء أيّ عصر مضى ، وكيف أنهم حين استلهموه كانوا في الوقت نفسه يبرزون ما ينطوي عليه من قيم إنسانية صالحة للبقاء . وكلّ ما في الأمر أنهم وجدوا كذلك في التراث الإنساني العام مادة شعرية أو نثرية صالحة في الدخول في السياق الشعري فاستغلوها . وهم لم يتحروا في اختيار هذه المادة مصدراً واحداً كأن يكون إغريقياً أو فرعونياً أو مسيحياً ؛ فلم يكن المصدر نفسه ذا أهمية خاصة من منظورهم ، وإنما كانت الأهمية كلّ الأهمية لطبيعة المادة التي يقعون عليها . وصنيعهم هذا ليس بدعاً إذا نحن نظرنا إلى ما صنعه الشعراء غير العرب " (1) ، فقد تعاملوا مع التراث الإنساني بنفس المنهج الذي تعاملوا به مع التراث العربي فاستغلوا المادة الأسطورية والرموز والشخصيات والمواقف ذات الأبعاد الإنسانية الغنية بالدلالة والمعزى (2) .

والأسطورة " قصة غير حقيقة وبعيدة كلّ البعد عن الصدق " (3) ، فهي " تلك المادة التراثية التي صيغت في العصور الإنسانية الأولى وعبر بها الإنسان في تلك الظروف الخاصة عن فكره ومشاعره اتجاه الوجود ، فاختلط فيها الواقع بالخيال ، وامتزجت الحواس والفكر واللاشعور ، واتحد فيها الزمان كما اتحد المكان ... واتحدت أنواع الموجودات من إنسان وحيوان ونبات ، والتحمت فيه كل متفاعل

1 - عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، ص 39 .

2 - ينظر : المرجع نفسه ، ص 39 - 40 .

3 - عبد المعطي شعراوي ، الأسطورة بين الحقيقة والخيال ، عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد 4 ، المجلد 40 ، 2012 ، ص 207 .

مع مشاهد الطبيعة ، وقوى ما وراء الطبيعة واتخذت من التجسيد الفني ، وهو لغة الشعر الحق ، وسيلتها للتعبير عن كلّ خلجة من شعور ، وكلّ خاطرة من فكر ، في تلقائية عذبة محببة تنطوي على إيمان عميق بأنها تعبير عن حقيقة الوجود " (1)

والأسطورة من " الحكايات الطريفة المتوارثة من أقدم العهود الحافلة بضروب من الخوارق والمعجزات التي يختلط فيها الخيال بالواقع ، ويمتزج عالم الظواهر بما فيه من إنسان وحيوان ونبات ومظاهر طبيعية بعالم ما فوق الطبيعة من قوى غيبية اعتقد الإنسان بألوهيتها ، فتعددت في نظره الآلهة تبعا لتعدد مظاهرها المختلفة " (2)

وللأسطورة أهمية في الإبداع الشعري ، فهي " توسع دائرة رؤيته للتراث الإنساني ، فتصنع التاريخ وأحداثه ، وتصنع الكتب المقدسة ، والحكايات الشعبية المتوارثة وجمحات الخيال الموفقة ، تصنع كلّ ذلك مصدرا لإلهامه ، حيث يساوي الشاعر المعاصر بين هذه المصادر جميعا ، مبتعدا بها عن قيود الحقيقة التاريخية والقداسة الدينية ، إلى رحابة التشكيل الخيالي المبدع ، غير مرتبط إلا بفنه موظفا هذه العناصر الأولية في عمله الجديد بمضمون تسري فيه روح عصرنا وهمومه " (3) فالأسطورة تعطي الشاعر المعاصر القدرة على الإشارة السريعة للأحداث دون سرد أو تقرير ، فتنحدر إلى رموز ، وبالتالي فالأسطورة هي أداة يتوسل بها الشاعر للتعبير عن واقعه وهمومه ، وليست غاية في حد ذاتها .

إنّ الهدف من توظيف الأسطورة في الشعر " ليس هو مجرد معرفتها ، ولكنه محاولة إعطاء القصيدة عمقا أكثر من عمقها الظاهر ، ونقل التجربة من مستواها الشخصي ، الذاتي إلى مستوى جوهري ، أو هو بالأحرى حفر القصيدة في التاريخ ، وبهذا المعنى فمن حقنا أن لا نستعمل الأسطورة فحسب ، بل كلّ المادة التاريخية المتاحة لنا ، من أساطير وقصص ، دينية وشعبية وأحداث حقيقية مؤثرة في حياة الإنسان وقصر القضية عندئذ على الأسطورة قصر تعسفي ، يغفل الغاية ويهتم بالظواهر الساذجة " (4)

وعليه ، تُوظف الأسطورة في الشعر للتعبير عن قيم الإنسانية التي تتسم بالخلود . والأسطورة

1 - نعيم الياني ، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1982 ، ص 306 .

2 - أنس داود ، الأسطورة في الشعر العربي الحديث ، دار المعارف ، ط 3 ، 1992 ، ص 19 .

3 - إحسان عباس ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، ص 165 .

4 - صلاح عبد الصبور ، حياتي في الشعر ، ص 140 .

وعاء حكائي يشير إلى تلك القيم باعتبار أنّ الإنسان هو الإنسان ، كما أنّ الأسطورة تطرح مستويات مختلفة من التأويل .⁽¹⁾ ثم إنّ ولوج الشاعر إلى الرمز والأسطورة دليل على عمق نظر في فهم طبيعة الشعر والتعبير الشعري ، والرمز ليس أكثر من وجه مقنع من وجوه التعبير الصوري ذلك أنّ العلاقة التي تربط الشعر بالأسطورة والرمز علاقة قديمة .⁽²⁾ ثم إنّ أهمية الأسطورة تنبع من حضورها في الثقافة الجمعية ، ومن كونها تمثل انعكاسا للاشعور الجمعي مما يجعل استدعاءها يستدعي معها فضاءها التخيلي والوجداني ودلالاتها الرمزية الموحية .

إنّ استدعاء الأسطورة والرموز الأسطورية في القصيدة الحديثة يكشف عن قيمة الوظيفة الدلالية والجمالية التي يحققها الرمز في سياق النص الشعري ؛ لأنه عندما يتجاوز الشاعر مستوى مجرد ذكر الأسطورة أو الرمز الأسطوري إلى مستوى الاستلهام والاستيحاء والتوظيف من خلال سياق خاص يجسد تفاعل الأسطورة مع التجربة الشعرية .⁽³⁾ ما جعل صلاح عبد الصبور يشترط في توظيف الأسطورة أنّ لا يُدخل الشاعر الأسطورة أو الرمز الأسطوري إلى عالم القصيدة دون تكيفها معها ؛ لأنّها لن تلقى سوى الجفاء الذي سيدركه القارئ بمجرد الوقوف عندها . وضرورة أنّ ينطلق الشاعر المعاصر من نظريته الخاصة وفهمه المتفرد للمادة الأسطورية لا أنّ ينطلق من نظرة الشعراء السابقين له ، فلكلّ واحد تفسيره الخاص لها⁽⁴⁾ ، ليعطيها بُعدا جديدا نابعا من رؤيته الذاتية وتجربته الخاصة .

وقد استلهم الغماري ، كما استلهم غيره من الشعراء ، من الأسطورة والرمز الأسطوري ، لكنه رسم لنفسه سبيلا متفردا فرضته عليه همومه الكبيرة ، ما جعله يقتصر على الأساطير ذات الأصول الشرقية ، يقول الغماري :

آهٍ يَا أَحْبَابَنَا جُنَّتْ مَسَافَاتُ الْبَعَادِ

فَاعْتَرَبْنَا ..

وَلَدَيْنَا مِنْ ضِيَاءِ اللَّهِ زَادٌ

1 - ينظر : رمضان الصباغ ، في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ط 1 ، 2002 ، ص 344 .

2 - ينظر : عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، ص 195 .

3 - ينظر : عبد المنعم محمد فارس سليمان ، مظاهر التناسل الديني في شعر أحمد مطر ، ص 7 .

4 - ينظر : صلاح عبد الصبور ، حياتي في الشعر ، ص 145 .

حِينَ غَالَتْ فِطْرَةُ الصَّخْرَاءِ " عَشْتَارٌ " وَ " عَادٌ "

حِينَ بَيْعَ الْكِبْرِ فِي سُوقِ الصَّغَارِ ! (1)

يستحضر الغماري في هذا المقطع الرمز الأسطوري البابلي " عشتار " التي تدل على الخصب والنماء ، لكنه يرفضها حين تصبح الإشارة إليها دلالة على تعميق الاتجاه إلى الجاهلية الأولى بديلا عن الإسلام لذلك نجده يقرنها بـ (عاد) البائدة .

وحيثما أصبحت " عشتار " التي استدعاها الغماري بديلا عن ضياء الله وزاده عند أصحاب الاتجاه الأشوري العراقي فإنّ الشاعر يرفضها (فهو لا يرفض تلك الأسطورة البابلية ذات الدلالات الموحية) .

إنّ " عشتار " الغماري هي معادل للصحة الإسلامية التي سادت في تلك الفترة والتي ثارت على الأوضاع البائسة ودعت إلى ضرورة العودة إلى النبع الصافي .

وما يمكن ملاحظته هنا قلة نسبة الرموز الأسطورية ذات المرجعية التاريخية القديمة ، فهو بذلك يتعد عن الأساطير القديمة مراعاة للأذواق التي لم تألف مثل هذه الأساطير ولم تتعايش معها ، فاللجوء إليها (أي الأساطير) خاصة اليونانية والهندية والفرعونية منها ، فيه مساس بالناحية العقديّة عندنا نحن المسلمين فشخصيتنا المسلمة بمنأى عن التفكير الوثني أو التجارب التي تستهجن بقداسة الذات الإلهية . (2)

ومن الآليات التناسية التي اعتمد عليها الغماري استدعاء الشخصية التاريخية . فالشاعر المعاصر يستدعي الشخصيات إلى خطابه إذ يجد بينها وبين موضوعه علاقة وشيجة فيُضمّنها إياها داعما رؤياه النصية برؤى غيرية ، تقتصد التفصيل في عرض الموضوع لينوب عنه الرمز والإشارة عبر التناص . (3)

وإذا كان التداخل بين العناصر الغنائية والدرامية في القصيدة المتكاملة يتم أحيانا بين الأنواع الشعرية ، فإنّه يتم أحيانا أخرى بين اللاشعري والشعري ، فيهدم الحدود القائمة بين الأجناس من عصور سحيقة ، ويخترقها إلى الأدبية واللاأدبية كاستدعاء الشخصيات والمواقف والأحداث الأدبية

1 - الديوان ، ص 26 .

2 - ينظر : صابر عبد الدايم ، التجربة الإبداعية في ضوء النقد الحديث ، ط 2 ، 2007 - 2008 ، ص 40 .

3 - ينظر : حصة البادي ، التناص في الشعر العربي الحديث ، ص 107 .

مثل أبي نواس ، الحلاج ، المعري ، المتنبى ... والأدبية استدعاء الشخصيات والمواقف والأحداث الأخرى : المسيح ، صقر قريش ، الحجاج ، صلب المسيح ، مقتل الحسين بن علي ... (1)

وظف الغماري شخصية المسيح في خطابه الشعري من خلال ذكر اسمه واسم أمه مريم عليها السلام حيث يقول :

.....

بِاسْمِ الْمَسِيحِ تَنَمَّرُوا كَمْ بِاسْمِهِ قُضِيَ الْأَرْبُ !
لِلطُّهْرِ مَرْيَمُ .. لِلسَّلَامِ وَلِيَدُهَا .. لَا لِلْحَرْبِ !
كَمْ بِاسْمِهِ قُتِلَ السَّلَامُ وَبِاسْمِهِ اعْتَصَرَ الْعَنْبُ !
عَيْسَى حَنَانِكَ إِنْ نَشُرُ .. فَلِدِينِهِمْ ثَارَ الْعَرَبُ
الْحُرُّ يَثَارُ إِنْ أُهِنَ وَلَا يَنَامُ عَلَى الْغَلْبِ ! (2)

يستحضر الغماري اسم المسيح عليه السلام الذي يستدعي تداعيات تاريخية مرتبطة به وبسيرته ، فأسماء الأعلام " تحمل تداعيات معقدة تربطها بقصص تاريخية وأسطورية ، وتشير قليلا أو كثيرا إلى أبطال وأماكن تنتمي إلى ثقافات متباعدة في الزمان وفي المكان " . (3)

إنّ توظيف شخصية المسيح في هذا النص كانت بغرض إبراز الفارق بين المسيح عليه السلام رمز السلام والتضحية وبين واقع الغماري المرير الذي أخذ فيه المسيح عيسى شعارا لقضاء المآرب والمصالح الضيقة .

ومن الشخصيات الإسلامية المستدعاة عند الغماري " عقبة " و " طارق " . يقول :

وَقَضَى الْجِهَادُ فَمَدَّ أُرَاسُ شُمُوسًا مِنْ غَضَبٍ
وَأَمْتَدَّ مِنْ أَبْعَادِهِ سَبْعًا مُضِيئَاتٍ خُصْبٍ
بِدِمَاءٍ مَنْ كَانُوا فَكَانَ الْوَعْدُ يَخْتَرِقُ الْحُجْبُ

- 1 - ينظر : خليل موسى ، التناسخ والأجناسية في النص الشعري ، ص 85 .
- 2 - الديوان ، ص 12 - 13 .
- 3 - محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناسخ ، ص 65 .

أَبْنَاءُ عُقْبَةَ كَبَّرُوا يَا خَيْرَ أَبْنَاءِ وَأَب (1)

ويقول :

لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ فِي جُرْحِ بِلَادِي ..

لَنْ يَنَامَ ..

مِنْ وَرَاءِ الصَّمْتِ

أَتْلُو سُورَةَ الْمَوْتِ الزُّوَامِ

أَتَلْظِي عُقْبَةَ ..

مُهِرًا إِلَهِيًّا

وَطَارِقٌ .. (2)

فالغماري يستدعي شخصية " طارق بن زياد " و " عقبة بن نافع " وهما من الأبطال المسلمين الفاتحين ، وفي ذلك تذكير بزمان الانتصارات والأجناد ، فكأني بالغماري يلوذ بهتين الشخصيتين لأتمته لتخليصها مما هي فيه من ذل ومهانة .

وكان من بين الشخصيات " فاطمة " التي استدعاها الغماري في قصيدته " قراءة في آية السيف " . ويتصل رمز " فاطمة " في هذا التناص برمز " فاطمة الزهراء " ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيدة نساء الجنة ، رمز الطهر والعفة ، يقول الغماري :

تَحَرَّرَتْ غَرَائِرُ النِّسَاءِ

وَأَنْطَلَقَتْ مِنْ عِقَّةِ السَّمْحَاءِ

الدِّينُ فِي أَفْكَارِهَا وَالْأُسْرَهُ

قَيْدٌ عَلَى النُّفُوسِ .. مَا أَمْرُهُ !

بِاسْمِهَا يُسَوِّدُ الرَّجَالَ

1 - الديوان ، ص 17 - 18 .

2 - الديوان ، ص 23 .

وَيَعْظُمُ الْحَرَامُ وَالْحَلَالَ
أَيَّتْهَا الْمَرْأَةُ .. كُونِي فَاطِمَةَ
عَفِيفَةً عَنِ الْفُجُورِ صَائِمَةً
وَلَا تَكُونِي يَا فَتَاةَ .. مَارِي
تَرْفُهَا الْأَوْزَارُ لِلْأَوْزَارِ ! (1)

يستحضر الغماري رمز " فاطمة الزهراء " في المقطع لتكون مثالا ونموذجا للمرأة الجزائرية خاصة والإسلامية عامة بعدما رآها قد هجرت عقيدتها الإسلامية وتخلت على مهمتها الأساسية وهي إقامة الدين وتربية الأجيال لهذا يدعوها لأن تكون " فاطمة " في طهرها وعفتها .

الفصل السابع

التشكيل الجمالي
للخطاب الشعري

المبحث الأول

الوظائف الجمالية للتركيب النحوية

التقديم والتأخير عند القدماء والمحدثين :

يُعدّ موضوع التقديم والتأخير من أكثر الموضوعات التي تناولتها الدراسات النحوية والبلاغية ، فقد ألقه الزركشي بحقل البلاغة إذ يقول : " هو أحد أساليب البلاغة ؛ فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة ، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم . وله في القلوب أحسن وقع ، وأعذب مذاق " (1) .

ويرى تمام حسان أن دراسة التقديم والتأخير في البلاغة هو دراسة لأسلوب التركيب لا للتركيب نفسه ، بمعنى أنها دراسة تتم في مجالين ، أحدهما حرية الرتبة حرة مطلقة (الرتبة غير المحفوظة) ، والآخر مجال الرتبة غير المحفوظة . وقد تجنب الحديث عن الرتبة المحفوظة ؛ " لأن هذه الرتبة المحفوظة لو احتلت لاحتل التركيب باختلالها ومن هنا تكون الرتبة المحفوظة قرينة لفظية تحدد معنى

1 - البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، 1988 ، ج 3 ، ص 233 .

الأبواب المرتبة بحسبها " (1)

وعليه تصبح ظاهرة التقديم والتأخير يتجاوزها النحو والبلاغة ، وما يُفسر هذا التداخل أن " أي قضية بلاغية في مقاصدها المتعددة مرتبطة بأساليب النحو وتتوخى معانيها ليس فقط في التقديم والتأخير ، وإنما في الأحوال كلها في الذكر والحذف ، والعطف والبدل ... والقصر ، والفصل والوصل ... فضلا عن أن تحقيق بلاغة الكلام مرتبطة بمطابقة مقتضى الحال للمتكلم والسامع " (2)

ويؤكد عبد القاهر الجرجاني أن حاجة البلاغة إلى علم النحو حاجة ماسة إذ " أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها ، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها ، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه ، والمقياس الذي لا يعرف الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يُرجع إليه " (3)

ويقول في موضع آخر : " فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم ، ويدخل تحت هذا الاسم ، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه ، أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه ، واستعمل في غير ما ينبغي له ، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده ، أو وصف بمزية وفضل فيه ، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه ، ووجدته يدخل في أصل من أصوله ، ويتصل بباب من أبوابه " (4)

إن هذا التقارب إنما هو نتيجة حتمية لنشوء علم المعاني في أحضان النحو ، إذ قام صرح البلاغة على أساس من جهود أوائل النحاة واللغويين الذين تناولوا اللغة من خلال منهج شمولي ، فتعاملوا معها على أنها بناء دلالي تركيبى متكامل (5)

ويرى تمام حسان أن علمي النحو والمعاني كلاهما يتناول الجملة إلا أن علم النحو تحليل يبدأ بالجملة للوصول إلى المعنى ، وعلم المعاني تركيبى يبدأ بالجملة ويتخطاها إلى علاقاتها بالجملة الأخرى

-
- 1 - اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994 ، ص 207 .
 - 2 - حسين جمعة ، في جمالية الكلمة ، دراسة جمالية بلاغية نقدية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2002 ، ص 146 .
 - 3 - دلالات الإعجاز ، ص 43 .
 - 4 - المصدر نفسه ، ص 95 .
 - 5 - ينظر : أحمد مطلوب ، أساليب بلاغية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط 1 ، 1980 ، ص 174 .

في السياق العام . هذا الترابط الوثيق بين العِلْمين قدسِم يرجع بأصوله إلى بدايات الدرس البلاغي عندما أخذ العلماء عن النحويين أهم أصولهم فقبلوا قبول التسليم " أصل الوضع " إلا أنهم اختاروا أصولاً أحر معنوية الطابع ، وهي ألصق بمادة دراساتهم وأضافوا إليها ما يناسب غاياتهم .⁽¹⁾

وبذلك يبرز التداخل بين الطرفين النحوي والبلاغي ، نظراً لامتداد هذا الحقل البلاغي (علم المعاني) للطرح النحوي ؛ إذ النحو يؤدي " أصل المعنى مطلقاً " ، ومصدر المقاييس المعتمدة في تحديد هذا الأصل " استقراء كلام العرب " لاستنباط " القوانين " . أما المعاني فترصد الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره . فالعلمان يلتقيان في وظيفة تأدية المعنى .⁽²⁾

يُعد الترتيب في عناصر الجملة إجراءً من خلاله تتغير مواقع عناصر الجملة تبعاً للسياق التي ترد فيه . يقول الجرجاني إن الألفاظ " تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتيبها حسب ترتيب المعاني في النفس " .⁽³⁾ وتعليل ذلك متعلق بطبيعة النظام اللغوي للعربية الذي يحافظ على رتب خاصة لأجزاء الكلام ، ويمكن أن تتغير مكونات الجملة تقدماً وتأخيراً حين يسمح النظام اللغوي بذلك ، وحسب السياق الكلامي الذي يفرض ذلك حسب المقام .⁽⁴⁾ فالمتكلم يراعي شروط الموقف الكلامي ليتمكن من تبليغ رسالته اللسانية .

لقد وضع اللغويون العرب أصولاً تترتب على أساسها المكونات في الجملة الاسمية والجملة الفعلية . فالأصل في ترتيب عناصر الجملة الفعلية أن تبدأ بالفعل يليه الفاعل ثم المفعول به ، فيتقدم الفعل على الفاعل والمفعول ، والاسمية تبدأ بالمبتدأ يليه الخبر ؛ ولكن قد يحدث تغيير في ترتيب هذه العناصر مراعاة لقصد المتكلم ، إذ يرى طه عبد الرحمن أنّ " المقاصد هي التي تنتج الأصوات والجمل ، ودون المقاصد يصبح الخطاب مجرد متواليات جمالية حاملة لدلالات صوتية معجمية " .⁽⁵⁾

تُعتبر ظاهرة التقديم والتأخير إحدى الآليات التي يستعين بها المتكلم ليحدد بها المعنى المقصود من كلامه ، فإعادة ترتيب عناصر الجملة يكون " استجابة تداولية لبعض العناصر السياقية ؛ فكل

1 - ينظر : تمام حسان ، الأصول دراسة إستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، النحو - فقه اللغة - البلاغة ، عالم الكتب ، القاهرة ، 2000 ، ص 346 - 350 .

2 - ينظر : محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 1999 ، ص 492 .

3 - دلائل الإعجاز ، ص 65 .

4 - ينظر : صالح بلعيد ، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1994 ، ص 173 .

5 - اللسان والميزان ، ص 195 .

ترتيب ينطوي على قصد معين [...] إذ يتجاوز المرسل مجرد الضم الذي يقتضيه النحو والدلالة إلى الضم على طريقة مخصوصة وفق ما يستدعيه الخطاب⁽¹⁾. وعليه يكون إعادة ترتيب العناصر اللغوية في الجملة آلية " من الآليات التي يستعين بها المتكلم في إنتاج الملفوظات التي يراعي فيها السياق حتى تؤدي العملية التبليغية الغرض المرجو منها وهو الفهم والإفهام "⁽²⁾. فالقصد هو الذي يُنتج الجمل .

وقد اعتمد عبد القاهر الجرجاني كثيرا مصطلح القصد ، إذ يُعتبر " من أكثر العلماء الذين رددوا مصطلح القصد ، بل كان محور نظريته ، بوصف سبب العدول عن التركيب الأصل هو لبيان قصد المرسل ؛ بالاستجابة للسياق تداوليا "⁽³⁾. فقد أولاه عناية خاصة فيقرر بأنه " باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يُفْتَرُّ لك عن بديعه ، ويفضي إلى لطيفه ، ولا تزال ترى شعرا يروك سمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان "⁽⁴⁾.

فقد أدرك عبد القاهر الجرجاني ما للتقديم والتأخير من أثر في الدلالة فكلّ تغيير في عناصر الجملة يدل على قصد معيّن ، وقد رأى " أن الفرق بين التراكيب ، والاختلاف بين الأساليب ، ليس فرقا في الحركات ، وما يطرأ على الكلمات من تغييرات ، وإنما الفرق في العبارات ، وما يحدثه هذا الوضع وذلك النظم ، فليس القصد معرفة قواعد النحو وحدها ، ولكن فيما تحدثه هذه القواعد ، وما تستتبعه من معنى وما يتولد عن النظم من مدلول "⁽⁵⁾.

يُعدّ التقديم والتأخير أسلوبا يعتمد المتكلم ليعبّر عن مقاصد مختلفة تختلف عن تلك المقاصد التي تؤديها الجملة حينما ترد على ترتيبها الأصلي . إنّ تحريك أيّ عنصر من عناصر الجملة يدل على مقصد معيّن ، يقول محمد عابد الجابري : " فبدون معرفة المقاصد لا يمكن أن يستدل بكلام المتكلم على ما يريد لأن المواضع ، وإن كانت ضرورية لجعل الكلام مفيدا ، فهي غير كافية ، إذ لا بد من

-
- 1 - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 141 .
 - 2 - بوضار صورية ، مقاصد التقديم والتأخير في دلائل الإعجاز ، مجلة كلية الآداب واللغات ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، العدد 16 ، ديسمبر 2014 ، ص 88 .
 - 3 - استراتيجيات الخطاب ، ص 201 .
 - 4 - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 117 .
 - 5 - عبد الفتاح لاشين ، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ص 85 .

اعتبار المتكلم ، أي قصده " (1).

لذلك يرى عبد الهادي بن ظافر الشهري أنّ " معرفة اللغة بأنظمتها المعروفة ، وحدها ، لن تغني السامع في معرفة قصد المتكلم بمعزل عن السياق ، لأن مدار الأمر منصب على ماذا يعني المرسل بخطابه ، لا ماذا تعنيه اللغة ، حتى لو كان الخطاب واضحاً في لغته ، لأن معرفة قصد المرسل هو الفيصل في بيان معناه " (2).

وقد اهتم النحويون بظاهرة التقديم والتأخير اهتماماً كبيراً ؛ ولكنهم لم يبحثوا في أسباب أغلب حالات التقديم والتأخير ، واكتفوا بتقسيم هذه الحالات إلى وجوب التقديم ، ووجوب التأخير ، وجواز التقديم والتأخير . بخلاف علماء البلاغة الذين أولوا هذه الظاهرة عناية حيث تناولوا الفرق بين معاني التراكيب التي ترد على أصل بنيتها من تلك التي تتحقق فيها ظاهرة التقديم والتأخير معتمدين في ذلك على مقاصد المتكلم التي تظهر على مستوى التركيب " قد يلجأ المتكلم إلى تغيير مواقع عناصر التركيب لأغراض وغايات تداولية يريد تحقيقها ، بالإضافة إلى أنه يسعى إلى جعل خطابه يستجيب لحال مخاطبه ، لتحقيق التفاعل والانسجام " (3) ويمثل عبد القاهر الجرجاني لذلك (جعل الخطاب يستجيب لحال المخاطب) بقوله : " قتل الخارجي زيد " ، فقد تم تقديم المفعول به (الخارجي) على الفاعل " زيد " لأن المتكلم راعى حال المخاطب الذي ينتظر (قتل الخارجي) ولا يهمله من القاتل . (4)

ويرتبط مفهوم التقديم والتأخير عند النحويين بالعناية والاهتمام ، يقول سيبويه : " كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم بيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهملهم ويعيناهم " (5) ؛ غير أنهم ، كما أشرنا سابقاً ، لم يبيّنوا سبب هذا الاهتمام ، ولا السياقات التي ترد فيها الجملة المشتملة على التقديم . يقول عبد القاهر الجرجاني : " وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يُقال : " إنه قُدم للعناية ، ولأن ذكره أهم " ، من غير أن يذكر ، من أين كانت تلك العناية ؟ وبم كان أهم ؟ ولتخليهم ذلك ، فقد صغر أمر " التقديم والتأخير " في نفوسهم ، وهونوا الحُطْب فيه ، حتى إنك

1 - بنية العقل العربي ، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط 10 ، 2010 ، ص 69 .

2 - استراتيجيات الخطاب ، ص 196 .

3 - مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 251 - 252 .

4 - ينظر : دلائل الإعجاز ، ص 118 .

5 - الكتاب ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 3 ، 1988 ، ج 1 ، ص 34 .

لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضرباً من التكلف " (1) فالألفاظ عند الجرجاني تترتب وفق ترتيب المعاني في النفس حيث يقول : " وهذا الحكم - أعني الاختصاص في الترتيب - يقع في الألفاظ مرتباً على المعاني المرتبة في النفس ، المنتظمة فيها على قضية العقل ، ولن يتصور في الألفاظ وجوب تقديم وتأخير ، وتخصيص في ترتيب وتنزيل ، وعلى ذلك وضعت المراتب والمنازل في الجمل المركبة ، وأقسام الكلام المدونة فقليل : من حق هذا أن يسبق ذلك ، ومن حكم ما هاهنا أن يقع هنالك كما قيل في المبتدأ والخبر والمفعول والفاعل ، حتى خطر في جنس من الكلم بعينه أن يقع إلا سابقاً ، وفي آخر أن يوجد إلا مبنياً على غيره وبه لاحقاً " (2)

1- التقديم والتأخير في الجملة الاسمية :

تتكون الجملة الاسمية في أبسط صورها من ركنين أساسيين ، هما المبتدأ والخبر ، يقول سيوييه عن المبتدأ : " كل اسم ابتدئ لئبني عليه كلام . والمبتدأ والمبني عليه رفع . فالابتداء لا يكون إلا بمبني عليه . فالمبتدأ الأول والمبني ما بعده عليه فهو مسند ومسند إليه " (3)

والأصل في ترتيب عناصر الجملة الاسمية أن يتقدم المبتدأ على الخبر (4) ؛ لأن المبتدأ كما ورد عند سيوييه اسم ابتدئ به لئبني عليه كلام ، فهو المتحدث عنه ، فلا بد أن يتدئ المتكلم حديثه بما يريد التحدث عنه . أما الخبر فهو ما يُتحدث به على المبتدأ ، أو يُخبر به عليه . يقول عبد القاهر الجرجاني : " إنَّ المبتدأ لم يكن مبتدأ لأنه منطوق به أولاً ولا كان الخبر خبراً لأنه مذكور بعد المبتدأ بل كان المبتدأ مبتدأ لأنه مسند إليه ومثبت له المعنى والخبر خبراً لأنه مسند مثبت به المعنى : تفسير ذلك أنك إذا قلت : زيد منطلق : فقد أثبت الانطلاق لزيد وأسندت إليه فزيد مثبت له ومنطلق مثبت به ، وأما تقديم المبتدأ على الخبر لفظاً فحكم واجب من هذه الجهة ، أي من جهة أن كان المبتدأ هو الذي يُثبت له المعنى ويُسند إليه والخبر هو الذي يُثبت به المعنى ويُسند " (5)

فالترتيب المألوف بين عنصري الجملة الاسمية هو المسند إليه فالمسند ، لكن قواعد النظام

1 - دلائل الإعجاز ، ص 119 .

2 - عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان ، تحقيق : السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، ص 2 - 3 .

3 - الكتاب ، ج 2 ، ص 126 .

4 - ينظر : محمد بن الحسن الاسترابادي ، شرح الرضي على الكافية ، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، ط 2 ، 1996 ، ج 1 ، ص 229 . وينظر : بهاد الدين عبد الله بن عقيل ، شرح ابن عقيل ، نشر وتوزيع دار التراث ، القاهرة ، ط 20 ، 1980 ، ج 1 ، ص 227 .

5 - دلائل الإعجاز ، ص 186 .

اللغوي العربي تسمح لنا بأن نحدث ترتيباً مخالفاً لما ألفناه بين هذين العنصرين تبعاً لمقاصد المتكلم ، فهو الذي يُنشئ الكلام ليعبرَ عمّا في ذهنه من معانٍ ، مراعيًا في ذلك حال المخاطب .

وانطلاقاً من هذا قسّم النحويون حالات التقديم إلى ثلاثة أقسام : وجوب تقديم المبتدأ ، ووجوب تقديم الخبر ، وجواز تقديم الخبر .

فمن المواضع التي يجب أن يتقدم فيها الخبر على المبتدأ :

1- أن يكون المبتدأ نكرة ليس لها مسوغ للابتداء إلا تقدم الخبر ، والخبر شبه جملة ، نحو : " في الدار رجل " و " عندك رجل " . فلا يجوز النحويون تقدم المبتدأ في هذه الحال .⁽¹⁾

فوجوب تأخر المبتدأ يعود لسببين :

أولهما : كون المبتدأ نكرة ، إذ يشترط النحويون في المبتدأ أن يكون معرفة لأنه " محكوم عليه ، والحكم على الشيء لا يكون إلا بمعرفته " .⁽²⁾ فالسبب في كون المبتدأ معرفة هو أن المتكلم لا بد أن يُخبر عن شيء معلوم يعرفه المخاطب ، فلا يمكن الإخبار عن شيء يجهله المخاطب ، فلو قيل : " رجل قائم ، أو رجل عالم لم يكن في هذا الكلام فائدة ؛ لأنه لا يُستنكر أن يكون رجل قائماً ، وعالمًا في الوجود ممن لا يعرفه المخاطب " .⁽³⁾

وثانيهما : كون الخبر شبه جملة ، فيرى ابن مالك أن تقديمه (شبه جملة) فلرفع توهم الوصفية على عدم قبول الابتداء⁽⁴⁾ ، فيقول : " إنّ من مصححات الابتداء بنكرة أن تُخبر عنها بظرف مقدم مختص ، نحو : عندك رجل ، وإنما كان تقديمه مصححاً لأن تأخيره يُوهم كونه نعتاً ، وتقديمه يؤمن معه ذلك . وكذلك النكرة المخبر عنها بجار ومجرور مختص نحو : لك مال " .⁽⁵⁾ فلو قيل : رجل عندك لتوهم السامع أن شبه الجملة صفة للرجل وينتظر من المتكلم أن يُتم الخبر .

2- أن يكون في المبتدأ ما يعود على بعض الخبر ، نحو : " في الدار صاحبها " ، فلا

1 - ينظر : شرح ابن عقيل ، ج 1 ، ص 240 .

2 - شرح الكافية ، ج 1 ، ص 231 .

3 - شرح المفصل ، ج 1 ، ص 166 .

4 - ينظر : ابن مالك ، شرح التسهيل ، تحقيق : عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، مصر ، ط 1 ، 1990 ، ج 1 ، ص 295 .

5 - المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 301 . والسهيلى (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) ، نتائج الفكر في النحو ، تحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1992 ، ص 315 .

يجوز تأخير الخبر لئلا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة⁽¹⁾. فلو أرجعنا التركيب إلى أصله لأصبحت الجملة : (صاحب الدار في الدار) ولو قُدِّم الخبر لأمسى التركيب : (في الدار صاحب الدار) وفي ذلك تكرار ، والعرب تكره ذلك وتميل إلى الاختصار ، فعوضوا عن المضاف إليه (الدار الثانية في التركيب) بالضمير الذي يعود على (الدار الأولى) ، فأصبحت الجملة (في الدار صاحبها) .

فالمقام الذي وردت فيه هذه الجملة هو السؤال عن الشخص الموجود في الدار (مَنْ في الدار ؟) ، فيكون الجواب : (في الدار صاحبها) . ونلاحظ بذلك أن السؤال ليس عن أين يوجد صاحب الدار لكي يُجاب عليه بالجملة : (صاحب الدار في الدار) وبالتالي فالسؤال هو عن أي شخص هو موجود في الدار . وما يمكن أن نستدل به على ذلك هو أن الجملة قد بدأت بالجار والجرور (في الدار) لأن السائل قد ذكره في سؤاله ، فهو معلوم ، وذلك شرط في الجملة الإخبارية التي يُتبدأ فيها بالمعلوم ثم يُؤتى بالمعلومة الجديدة التي يريد السامع معرفتها .

3- أن يكون الخبر له صدر الكلام ، نحو : أين زيد ؟⁽²⁾ فقد ورد الخبر اسم استفهام ، والاستفهام طلب ، وهذا الطلب يحظى بالأهمية لدى المتكلم لأنه يريد أن يعرف المعلومة الجديدة ، فيقدم ما هو مهم عنده . يقول السكاكي في هذا : " وإذ قد عرفت أن هذه الكلمات للاستفهام ، وعرفت أن الاستفهام طلب ، وليس يخفى أن الطلب إنما يكون لما يهمك ويعنيك شأنه ، لا لما وجوده وعدمه عندك بمنزلة ، وقد سبق كون الشيء مهما جهة مستدعيه لتقديمه في الكلام ، فلا يعجبك لزوم كلمات الاستفهام صدر الكلام ووجوب التقديم في نحو : كيف زيد ؟ وأين عمرو ؟ ومتى الجواب ؟ وما شاكل ذلك "⁽³⁾ فسبب التقديم هنا ليس سببا بنيويا بحثا وإنما يبرز البعد التداولي لتقديم الخبر في هذا الموضع .

4- أن يكون المبتدأ محصورا ، نحو : إنما في الدار زيد وما في الدار إلا زيد⁽⁴⁾ . وتقديم الخبر هنا يتعلق بقصد المتكلم ، إذ يريد أن يخبر المخاطب بأنه لا يوجد شخص في هذه الدار غير

1 - ينظر : شرح ابن عقيل ، ج 1 ، ص 240 .

2 - ينظر : المصدر نفسه ، ص 243 .

3 - السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي) ، مفتاح العلوم ، تحقيق وتقديم : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب

العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2000 ، ص 427 .

4 - ينظر : شرح ابن عقيل ، ج 1 ، ص 243 .

زيد ، فقد قصر المتكلم الخبر على المبتدأ وبذلك وجب تقديم الخبر .

جواز تقديم الخبر :

حدد النحويون حالات تقديم الخبر على المبتدأ فيما عدا حالات وجوب تقديم المبتدأ ، وحالات وجوب تقديم الخبر ، بذلك أجازوا لمستعمل اللغة أن يقدم الخبر أو يؤخره متى شاء ، من دون مراعاة المقام . في حين انصبت دراسات علماء البلاغة على إظهار الاختلاف بين معاني الجمل من خلال ربط النحو بالاستعمال مثلما نجد عند عبد القاهر الجرجاني من خلال نظرية النظم التي توخى فيها معاني النحو إذ يقول : " واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي تُهجت فلا تزيع عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها ، وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه ، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها [...] وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل [...] ويتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كله . وفي الحذف والتكرار والإضمار والإظهار فيضع كلا من ذلك مكانه ، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له " .⁽¹⁾

وقد اقتصر الجرجاني في باب التقديم والتأخير على المواضع التي يجوز فيها تقديم الخبر وتأخيره ، وقد قسمة إلى ضربين :

الأول : " تقديم يقال إنه على نية التأخير وذلك في كل شيء أقرته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه في جنسه الذي كان فيه ، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل ، كقولك : منطلق زيد وضرب عمرا زيد . ومعلوم أن " منطلق " و " عمرا " لم يخرجوا بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا مبتدأ ومرفوعا بذلك وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من أجله كما يكون إذا أخرت " .⁽²⁾

ويقصد الجرجاني بهذا القسم ورود المبتدأ معرفة والخبر نكرة ، ففي هذه الحالة يبقى الخبر خبرا حتى وإن تقدم على المبتدأ ، ويظل المبتدأ مبتدأ وإن تأخر عن الخبر .

1 - دلائل الإعجاز ، ص 94 - 95 .

2 - المصدر نفسه ، ص 177 .

والثاني : " تقدم لا على نية التأخير ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم وتجعله بابا غير بابيه ، وإعرابا غير إعرابه ، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له فتقدم تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا . ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق حيث تقول مرة : زيد المنطلق . وأخرى : المنطلق زيد . فأنت في هذا لم تقدم المنطلق على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير فيكون خبر المبتدأ كما كان بل على أن تنقله عن كونه خبرا إلى كونه مبتدأ وكذلك لم تؤخر زيدا عن أن يكون مبتدأ كما كان بل على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبرا . وأظهر من هذا قولنا : ضربت زيدا وزيد ضربته لم تقدم زيدا على أن يكون مفعولا منصوبا بالفعل كما كان ولكن على أن ترفعه بالابتداء وتشغل الفعل بضمير وتجعله في موضع الخبر له " .⁽¹⁾

ويقصد الجرجاني بالقسم الثاني من التقديم ورود كل من المبتدأ والخبر معرفتين ، وفي هذه الحالة ليس ثمة تقديم ولا تأخير لعدم توفر القرينة ، المعنوية أو اللفظية ، التي تفرق بينهما .

وقد أورد فاضل صالح السامرائي بعض الأغراض المحققة من تقديم الخبر على المبتدأ جوازا ، وحصرها في : التخصيص⁽²⁾ ، والافتخار⁽³⁾ ، والتفاؤل أو التشاؤم⁽⁴⁾ ، وهي أغراض متعلقة بالمتكلم أو المخاطب .

التقدم والتأخير في الجملة الفعلية :

تتكون الجملة الفعلية من الفعل ثم الفاعل ثم المفعول به ، يقول ابن يعيش : " رتبة الفعل يجب أن يكون أولا ، ورتبة الفاعل أن يكون بعده ، ورتبة المفعول أن يكون آخرا " .⁽⁵⁾ لكن يمكن للمتكلم أن يخالف هذا الترتيب بأن يُقدّم المفعول على الفاعل ، أو يُقدّم المفعول على الفعل والفاعل معا . وقد وضع النحويون ثلاث حالات لتقديم المفعول في الجملة الفعلية : وجوب التأخير ، ووجوب التقديم ، وجواز التقديم والتأخير .

1- تقديم المفعول به على الفعل وجوبا :

- 1 - المصدر نفسه ، ص 117 - 118 .
- 2 - معاني النحو ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2000 ، ج 1 ، ص 150 .
- 3 - المرجع نفسه ، ص 153 .
- 4 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .
- 5 - شرح المفصل ، ج 1 ، ص 147 .

من مواضع تقديم المفعول به على الفعل وجوبا :

- التخصيص : (1) كما في قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة - 5] فالآية الكريمة تخصص العبودية لله وحده دون غيره ، فلو تأخر الضمير لاحتمل أن تكون العبارة لله ، كما قد تكون لغيره . فقد حُصص الفعل - في الآية - بالمفعول المتقدم ولا يتعداه لغيره .

- التعجب : (2) نحو : ديناراً أعطى خالد .

- المدح والثناء (3)

- العناية بالمتقدم لأهميته (4)

- الحذر (5)

- التعظيم (6)

- التوجيه والإرشاد (7)

2- تقديم المفعول به على الفاعل جوازا : نحو ما أورده الجرجاني في قوله : (قتل

الخارجي زيد) . فقد قدّم المتكلم المفعول به (الخارجي) على الفاعل (زيد) لأنه " يعلم أن ليس للناس في أن يعلموا أن القاتل له زيد جدوى وفائدة فيعينهم ذكره ويهمهم ويتصل بمسرتهم ، ويعلم من حالهم أن الذي هم متوقعون له ومتطلعون إليه متى يكون وقوع القتل بالخارجي المفسد وأنهم قد كفوا شره وتخلصوا منه " . (8)

وقد يكون تقديم المفعول به لغير ذلك كرد الخطأ في التعيين إذ يقول القزويني : " وأما

تقديم المفعول ونحوه فلرد الخطأ في التعيين ، كقولك : (زيد عرفْتُ) لمن اعتقد أنك عرفتَ إنسانا

1 - فاضل صالح السامرائي ، معاني النحو ، ج 2 ، ص 87 .

2 - المرجع نفسه ، ص 90 .

3 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

4 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

5 - المرجع نفسه ، ص 91 .

6 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

7 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

8 - دلائل الإعجاز ، ص 118 - 119 .

وأنه غير زيد ، وأصاب في الأول دون الثاني . وتقول لتأكيدده وتقريره : زيدا عرفتُ لا غيره " (1).
فقد فسّر القزويني تقديم المفعول به على فعله تفسيراً يستند إلى وضع تخابري قائم بين متكلم ومخاطب .

بعد هذا التقديم سنقف على مسوغات التقديم والتأخير في ديوان مصطفى الغماري :

1- تقديم الخبر :

من نماذج تقديم الخبر على المبتدأ في هذه المجموعة الشعرية قول الغماري :

" اللَّهُ أَكْبَرُ " فِي اللَّقَاءِ تَشْوَرُ تُبَدِّعُ تَلْتَهَبُ

فِي عُمُقِهَا جُرْحُ الْفُتُوحِ وَوَاحِدَةُ الضُّوْءِ الرَّطْبِ (2)

إذ قدّم الخبر شبه الجملة (في عمقها) على المبتدأ (جرح) والأصل في التركيب (جرح الفتوح في عمقها) . وقد قصد الشاعر إظهار التألم والتضجر مما آلت إليه حال الأمة العربية حينما ابتعدت عن تعاليم الدين الإسلامي الذي رسم لها منهاج فلاحها .
وقوله :

أَصْنَعُ الشَّرْقَ إِذَا حَادَتْ عَنِ الدَّرْبِ المَشَارِقِ

أَزْرَعُ النَّارَ عَلَى الدَّرْبِ

مِنَ النَّارِ الوُرُودِ

مِنْ عَنَاءِ الجَمْرِ تَخْتَالُ التَّبَاشِيرُ الوُلُودِ (3)

فلما أرد الغماري أن يُعبّر عن تفاعله في أنّ الحق سوف ينتصر وإن كان سيُصاغ من نار فقد قصد إلى تقديم الخبر - الجار والمجرور - في قوله : (من النار الورد) ليبرز تفاعله في تغيير واقعه المرير بإحقاق الحقّ لذلك تراه يشتق الورد من النار ليبرز عظم التضحية لإقرار الحقّ .

1 - الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003 ، ص 94 .

2 - الديوان ، ص 14 .

3 - الديوان ، ص 23 .

ومثل هذا الغرض - أي التفاؤل - نجده في قوله :

آه يَا أَحْبَابَنَا جُنَّتْ مَسَافَاتُ الْبَعَادِ

فَاعْتَرَبْنَا ..

وَلَدَيْنَا مِنْ ضِيَاءِ اللَّهِ زَادٌ⁽¹⁾

يُعبّر الغماري عن ألم الغربة - وإن كانت غربته نفسية جرّاء ابتعاد الناس عن مبادئ الإسلام - إلا أنّ هذا الألم يصحبه تفاؤل من الشاعر في أنّه يستمد زاده الذي يقوى به على تحمّل آلام هذه الغربة من ضياء الله ونوره الذي يبعث الأمل في تغيير هذا الواقع الأليم ما جعل الشاعر يُقدم الخبر الذي ورد جارا ومجرورا (في ضياء الله) على المبتدأ لإظهار التفاؤل .

كما قصد الشاعر الغماري من خلال تقديم الخبر التشويق إلى ذكره . يقول في قصيدة " شوق الخلود " :

عَيْنُ الْبَقَاءِ فَنَأُوكُ الْمَحْضُ⁽²⁾

ولما كان الغماري صوفيّ النزعة ، والصوفيّ كما أشرنا سابقا يعشق الفناء لأنّ في فناءه بقاء ، كان لزاما على الشاعر أن يُقدم الخبر (عين البقاء) على المبتدأ (فناءؤك) ليكشف عن مدى شوقه لهذا البقاء الأبدي .

وفي ذات القصيدة يقول الغماري :

فِي الْقَلْبِ سِرُّ الْحُبِّ فِي الْمَنْطِقِ الصَّخْرِ الْبَلِيدُ!!⁽³⁾

والحبّ عند الصوفية مرتبط بذات الإله والقلب مصدره ، استوجب على الشاعر تقديم الخبر (في القلب) تعظيما له ، فهو مصدر هذا الإحساس الذي يسمو بالشاعر الصوفي ويرقى به .

2- تقديم المفعول به :

1 - الديوان ، ص 26 .

2 - الديوان ، ص 49 .

3 - الديوان ، ص 53 .

يتقدم المفعول به عن عناصر الجملة الفعلية لمقاصد يقصد إليها المتكلم منها :

– الاهتمام بالمقدم والتنبيه إليه ، في قول الغماري :

حَمَلَ السَّعِيرَ سَعَارُهُمْ وَطَفُّوا كَمَا فَعَلَتْ ثُمُودُ⁽¹⁾

فقد قدّم المفعول به (السعير) على الفاعل (سعارهم) والأصل في التركيب (حمل سعارهم السعير ...) . وقد قصد الغماري إلى تقديم المفعول به على الفاعل للتنبيه إلى ما يحكيه أعداء الدين والأمة من مؤامرات ومكائد باسم التمدن لتجريد الأمة من دينها وهويتها فقدّم بذلك المفعول به (السعير) ليدل على أنّ ما يدّعونهُ إنما هو نار تلتهم مقومات الأمة وكيانها ، ومن خلال ذلك كان الاهتمام بالمقدم (السعير) قصد التنبيه إليه .

– التأكيد ، في قوله :

وَلَمْ يَبْعَ تَارِيخَنَا عُثْمَانُ⁽²⁾

يسرد الغماري ما حلّ بالأمة العربية حينما تسلّط عليها حكامها وما لحقها من أطماع الغرب فيها ، هؤلاء الحكّام الذين تاجروا بأرضهم وشعوبهم وتاريخهم لأجل الحفاظ على الكرسي ما جعل الشاعر يقصد إلى تقديم هؤلاء الحكّام المتأخرين المتقاعسين هم من أسأؤوا لتاريخ هذه الأمة فقدّم الشاعر المفعول (تاريخ) على الفاعل (عثمان) للتأكيد عليه .

– التعجب والإنكار ، في قوله :

هَلْ نَفَعَتْ مَشْرِقَنَا الْوَثَائِقُ ؟

أَوْ كُشِفَتْ عَنِ الْعِدَى الْحَقَائِقُ ؟⁽³⁾

يُنكر الغماري على قادة الأمة العربية الذين شرّعوا لشعوبهم شريعة غير تلك التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى بأنهم تطرفوا بذلك وأخطأوا الطريق لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، على أنّ هؤلاء الحكّام فقدوا كياستهم حين باعوا القدس ودخلوا في المفاوضات لذلك تجده يُقدّم المفعول به (مشرقنا) على الفاعل (الوثائق) ليبرز تعجبه مما أقدم عليه العرب ،

1 – الديوان ، ص 81 .

2 – الديوان ، ص 100 .

3 – الديوان ، ص 103 .

فهو يُنكر عليهم فعلهم هذا ، فهم يعتقدون أنهم يَحْمُونَ شعوبهم لكن الحقيقة هم غاصبون لها .

- التعجب من حال المذكور ، كما في قول الغماري :

وَيَصْنَعُونَ النَّصْرَ فِي الْأَغَانِي

وَيَلُّ لُهُمْ مِنْ وَطَنِ يُعَانِي !

قَدْ " بَاعَهُ " الْخَلِيفَةُ الْمَصْنُوعُ !

وَاسْتَمَرَّتْ عَذَابَهَا الْجُمُوعُ !⁽¹⁾

يُنكر الغماري على الزعماء العرب " المصنوعين " المزيفين بيعهم لأوطانهم فلم تجد الرعية ما تتلذذ به غير العذاب ، لذلك فقد قصد إلى تقديم المفعول به (العذاب) على الفاعل (الجموع) ليبيّن أنّ هذه الشعوب رضت بما فُرض عليها ولم ترفضه فكان لها أن تتلذذ به .

3- تقديم الفاعل :

يقول الغماري :

أَبْنَاءُ عُقْبَةَ كَبَّرُوا يَا خَيْرَ أَبْنَاءٍ وَأَب⁽²⁾

قصد الشاعر إلى تقديم الفاعل (أبناء عقبة) على الفعل (كَبَّر) للاهتمام والتبرك به على أنّ أبناء ثورة نوفمبر قدسوا الجهاد فهم أعلوا كلمة الجهاد ، كلمة الله أكبر كما أعلوها عقبة بن نافع وجنده زمن الفتح .

4- تقديم المتعلقات (الجار والمجرور) :

تتكون شبه الجملة في الأصل من الجار والمجرور ، أو من الظرف والمضاف إليه ، وأن تلي الفعل والفاعل . وهي تتمتع بحرية كبيرة في الانتقال من موضعها الأصلي ، فقد تتقدم على الفعل والفاعل ، وقد تتوسط ركني الجملة ، ولهذا يمتنع التقديم والتأخير في مواضع كثيرة إلا إذا كان شبه

1 - الديوان ، ص 100 .

2 - الديوان ، ص 18 .

جملة . والاستعمال اللغوي يجيز أن يتوسط مكون بين الفعل والفاعل ⁽¹⁾ ، وقد يأتي هذا المكون مفعولا أو ظرفا أو جارا ومجرورا ، ولعل وقع هذه المكونات يأخذ مسوغا له يتمثل في أنّ كلاً منها يشكل محورا ؛ أي إنه أسندت إليه وظيفة جديدة جعلته موضع الحديث والاهتمام ، فشكّل بذلك مركزا ، وبذلك يكون تفسير تّوسط هذه المكونات تفسيرا وظيفيا .⁽²⁾

أمّا علماء البلاغة فقد تناولوا شبه الجملة متقدمة على الفعل ؛ أي متصدرة الجملة ، ويكون ذلك إما في الإثبات ، وقد يكون واردا في النفي ، يقول ابن الأثير في هذا : " وأما تقديم الظرف ، فإنه إذا كان الكلام مقصودا به الإثبات ، فإنّ تقديمه أولى من تأخيره ، وفائدته إسناد الكلام الواقع بعده إلى صاحب الظرف دون غيره ، فإذا أريد بالكلام النفي فيحسن فيه تقديم الظرف وتأخيره ، وكلا الأمرين له موضع يختص به . فأما تقديمه في النفي فإنّه يقصد به تفضيل المنفي عنه على غيره . أما تأخيره فإنّه يقصد به النفي أصلا من غير تفضيل " .⁽³⁾

ويضرب ابن الأثير كثيرا من الشواهد القرآنية التي يُقدم فيها الظرف لأسباب بلاغية .⁽⁴⁾
ومن المقاصد التي تقدمت فيه شبه الجملة في الديوان :

- التعظيم : يقول الغماري :

وَجَزَائِرُ الْأَحْرَارِ لِلْفَتْحِ الْمُجَاهِدِ تَنْتَسِبُ !⁽⁵⁾

قدّم الشاعر الجار والمجرور والمضاف إليه (للفتح المجاهد) وحققها التأخير تعظيما لجهاد الشعب الجزائري إذ الأصل في ترتيب مكونات الجملة (وجزائر الأحرار تنتسب للمجاهد) الذي حقق من خلاله النصر الذي اعتبره الشاعر فتحا عظيما . فقد قصد من خلال تقديم الجار والمجرور إلى إبراز عظمة جهاد الشعب الجزائري وكفاحه في مواجهة العدو الفرنسي .

-
- 1 - ينظر : السيوطي ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1995 ، ج 2 ، ص 259 وما بعدها .
 - 2 - ينظر : عطا محمد محمود موسى ، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين ، رسالة دكتوراه ، الجامعة الأردنية ، 1992 ، ص 351 .
 - 3 - ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده ، مصر ، 1939 ، ج 2 ، ص 42 - 43 .
 - 4 - المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 43 وما بعدها .
 - 5 - الديوان ، ص 13 .

ونجد مثل هذا القصد في قوله :

مِنْ عَنَاءِ الْجَمْرِ تَحْتَالُ التَّبَاشِيرُ الْوَلُودُ⁽¹⁾

الأصل في ترتيب عناصر الجملة تأخير الجار والمجرور (من عناء الجمر) لتصبح الجملة (تحتال التبشير الولود من عناء الجمر) . ولما أراد الغماري تعظيم تلك التبشير المنبثقة عن هبة الشعب الجزائري لنصرة الحق وأنّ ذلك لم يكن يسيرا وإنما افتك بعناء فقد قصد إلى تقديم الجار والمجرور (من عناء) مضافة إلى (الجمر) بعدها ليرز مدى استماتة الشعب الجزائري في دفاعه عن حقه .

- التحقير : من نماذجه قول الغماري :

بِاسْمِ الْمَسِيحِ تَنَمَّرُوا كَمْ بِاسْمِهِ قَضِيَ الْأَرْبُ !

.....

كَمْ بِاسْمِهِ السَّلَامُ وَبِاسْمِهِ اعْتَصَرَ الْعِنَبُ !⁽²⁾

يذم الغماري أولئك المتحاملين على الجزائر وشعبها ، هؤلاء الذين قديموا من ظلام على سفائن التبشير المثقلين بأحقاد الصليب ، فهم غدروا بالشعب الجزائري حينما أوهموه بالحضارة والتمدن . فهم في حقيقة أمرهم حملة صليب صبوا على ربيع الجزائر اللهب ، فهم غزاة صليبيون تستروا باسم المسيح لاستعمار الشعوب واستعبادها . لذلك فقد قدم الشاعر الجار والمجرور (باسم المسيح) على الفاعل والفاعل ليحقر فعل هؤلاء الغزاة في استغلالهم لشخص المسيح عيسى عليه السلام الذي كان رمز سلام لا حرب .

- تعجيل المسرة : يقول مصطفى الغماري :

أَشْرَقَ فَإِنَّ صَبَاحَكَ الْخُرَّ الْمُضِيءَ قَدْ اقْتَرَبَ

وَأَنْسَخَ بَيِّنَاتِ الْجِهَادِ خُرَافَةَ الْقَوْلِ الْكَذِبِ !⁽³⁾

يتغنى الغماري بالأوراس رمز كفاح الشعب الجزائري على أنه سيف نائر كتب ملحمة تاريخ

1 - الديوان ، ص 23 .

2 - الديوان ، ص 12 .

3 - الديوان ، ص 17 .

جهاد شعب خاض السباق فحقق النصر . وقد قدّم الجار والمجور (بآيات الجهاد) للتعجيل بذكر المسرة بأنّ كفاح الشعب الجزائري إنما هو امتداد لجهاد الأمير عبد القادر الذي نسخ المقولة الكاذبة بأنّ فرنسا قوّة لا تُقهر ، فلو أحرّ الشاعر الجار والمجور عن بقية عناصر الجملة لأصبح التركيب (وانسخ خرافة القول الكذب بآيات الجهاد) ولانصب اهتمام المتلقي على المفعول به (خرافة) لبعده المسافة .

- تعجيل المساءة : من هذا القصد قول الغماري :

وَشَرِبْنَا مِنْ كُؤُوسِ الْقَهْرِ خِلْنَاهَا زُلَالًا

وَنَسَخْنَا بِالشُّعَارَاتِ الْكِتَابَ !

وَعَدَوْنَا .. وَعَلَى أَشْلَانِنَا تَعْلُو الْقَبَابُ ! (1)

يستنهض الغماري في قصيدته (لن ينام الحق) همم الشعب الجزائري الذي حادت فئة فيه عن المنهج الذي رُسم لها ، منهج الشريعة الإسلامية واستبدلت بشعارات زائفة مما جعل الشاعر يُقدّم الجار والمجور (الشعارات) ليعجّل بذكر المساءة في الانحراف عن النهج السليم واختيار الشعار على الكتاب .

ومثل هذا القصد في قوله :

وَاضْرِبْ عَلَى النَّاعِينَ صَفْحًا إِنَّهُمْ شَفَّةٌ كُنُود

عَلِقُوا بِأَهْدَابِ السُّكُونِ وَأَدْمُنُوا الصَّمْتَ الْبَلِيدُ ! (2)

1 - الديوان ، ص 28 .

2 - الديوان ، ص 52 .

المبحث الثاني

الوظائف الجمالية للتشكيل الصوتي

تشكل البنية الإيقاعية مستوى أساسيا من مستويات النص الشعري من الناحية الإبداعية أو من ناحية التلقي ، لذلك اهتم به (عنصر الإيقاع) علماء الشعر قديما واعتبروه أحد الأركان التي يقوم عليها الشعر .

وقد زاد الاهتمام بعنصر الإيقاع في العصر الحديث لأهميته ، وأصبح من القضايا البارزة التي تناولها علماء اللغة بالدرس والبحث ، فهو يشغل " مكانا مهما في الدراسة الفنية ، وذلك لأنه من العناصر الجمالية الأساسية المكونة للبناء الفني " ⁽¹⁾.

1- منتصر عبد القادر الغضنفرى ، تعدد الرؤى ، نظرات في النص العربي القديم ، دار مجدولاي للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط 1 ، 2010 - 2011 ، ص 159 .

ولئن كان اهتمام القدماء منصبا على الوزن باعتباره مكونا أساسيا لا يستقيم الشعر إلا به ، لذلك قال ابن رشيق : " الوزن أعظم أركان حد الشعر ، وأولاها به خصوصية ، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة ، إلا أن تختلف القوافي فيكون ذلك عيبا في التقفية لا في الوزن " (1) ، فإنّ النظرة إلى الإيقاع قد تغيرت في العصر الحديث حيث لم يعد ملحقا خارجيا في النص الشعري ؛ وإنما نظرت إليه الدراسات الشعرية على أنه أساس بنائي للشعر . (2) هذا ما يؤكد أنّ الإيقاع ظل في دائرة اهتمام المحدثين ، من أمثال نازك الملائكة وإحسان عباس ومحمد بنيس وغيرهم (*) لما له من أهمية في الكشف والإبانة عن جمالية النص الشعري ، ولما له من أثر في دفع القارئ للتفاعل معه ، لذلك يرى محمد بنيس أنّ معطيات الوزن عبارة عن محددات قبلية تنتمي للمقيس ولما يقبل العد . (3) وهو بذلك عاجز عن خلق التحفيز الضروري للتفاعل مع النص الشعري . فالإيقاع " مقوم أساسي للجمال الشعري يمنحه قدرته على التأثير والفاعلية وينطوي على قيمة فنية وتعبيرية خاصة " . (4) إنّ القصيدة الحديثة تقوم في تشكيل بنياتها الموسيقية على أساسين هما الوزن والإيقاع " إذ يكمل أحدهما الآخر في تلاحم وتناسب شديدين " . (5)

ويُقصد بالإيقاع " وحدة النغمة التي تكرر على نحو ما في الكلام أو البيت ، أي توالي الحركات والسكنات على نحو منتظم في فقرتين أو أكثر من فقر الكلام أو في أبيات القصيدة " . (6) أما الوزن فيُحدّد بأنه " مجموعات التفعيلات التي يتألف منها البيت ، وقد كان هو الوحدة الموسيقية للقصيدة العربية " . (7) ومن خلال هذا نتوصل إلى أنّ ثمة فارق بين الوزن والإيقاع ، حيث الإيقاع أشمل من الوزن ، وقد قُدم عند المحدثين عن الوزن لوظيفته البنائية في الشعر ، لهذا يذهب

1- العمدة ، ج 1 ، ص 134 .

2- نظرية المنهج الشكلي ، نصوص الشكلانيين الروس ، ترجمة إبراهيم الخطيب ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ط 1 ، 1982 ، ص 53 .

* انظر : نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، منشورات مكتبة النهضة ، ط 3 ، 1967 ، ص 53 وما بعدها . وإحسان عباس ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، فبراير 1978 ، ص 14 . ومحمد بنيس ، الشعر العربي الحديث ، بنياته وإبدالها ، 3- التقليدية ، ص 172 .

3- الشعر العربي الحديث ، ج 3 ، الشعر المعاصر ، دار توبقال ، المغرب ، ط 1 ، 1990 ، ص 107 .

4- هلال الجهاد ، جماليات الشعر العربي : دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، ط 1 ، 2007 ، ص 73 .

5- محمد صابر عبيد ، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية ، حساسية الانبثاق الشعرية الأولى جيل الرواد والستينات ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001 ، ص 21 .

6- المرجع نفسه ، ص 22 .

7- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

جابر عصفور إلى أنّ " الإيقاع كيان نصي معارض للوزن الذي هو نظامي . فالإيقاع متغير والوزن ثابت ، والوزن الذي هو نمط مجرد يتعرف عليه بواسطة التقطيع ، يخلق نظام توقعاته الخاص ، جموده الخاص " .⁽¹⁾ وعليه يكون الإيقاع نظاما للنص الشعري وبنيته الدلالية . فالبنية الإيقاعية للقصيدة الشعرية " جزء لا ينفصل عن البنية اللغوية والدلالية " .⁽²⁾

ومن ثمّ يكتسب الإيقاع - حسب محمد بنيس - وظيفتين مركبتين :⁽³⁾

1- الوظيفة البنائية ، حيث يتحكم الإيقاع في نسق الخطاب ، أي بناء عناصره ومكوناته ضمن تنظيم وترتيب مستقل بهما الخطاب المفرد عن غيره من الخطابات . وبناء الخطاب بواسطة الإيقاع معناه مرور الذات الكاتبة في اللغة بغاية تغيير مسارها ، ولكن هذا متحرك كما هو متفرد .

2- الوظيفة الدلالية ، وهي ملازمة للأولى ومترتبة عنها ، فبناء الإيقاع لنسق الخطاب بناءً لدلالته ولطريقة إنتاج معناه . فليس للكلمات معنى قبلي سابق على تركيبها في الخطاب ، كما ليس للغة إيقاع يُنتج المعنى خارج الخطاب . إنّ الإيقاع هو المعنى .

يعمل الإيقاع على بناء النص الشعري من داخله ، فهو مرتبط بالجوهر اللساني للشعر على خلاف الوزن الذي يكون خارجا عن نظام القصيدة في بنيتها ودلالاتها . فالشعر يعمل " من خلال عناصره المكونة جميعا على تحقيق أعلى نسبة ممكنة من الانسجام والتوافق في القصيدة ، ويأتي الإيقاع لدعم هذا الإحساس العام بالانسجام " .⁽⁴⁾

والإيقاع بوصفه " التناوب الزمني المنتظم للظواهر المتراكبة هو الخاصية المميزة للقول الشعري والمبدأ المنظم للغته " ⁽⁵⁾ فإنّه يستفيد من العوامل الأخرى المكونة للعمل الشعري . وعليه ، فهو يتمثل " في الدرجة الأولى في الاستثمار الماهر لهذه العوامل المتعارضة " .⁽⁶⁾ وهذا يدل على أنّ الإيقاع يمكن تلمسه في الحروف والكلمات والجمل وما بينها من تلاؤم وتجانس وتناسق ، ويتولد عن اتحادها البنية

1- مفهوم الشعر ، دار التنوير ، بيروت ، ط 3 ، 1983 ، ص 257 .

2- مشري بن خليفة ، القصيدة الحديثة في النقد العربي المعاصر ، ص 199 .

3- الشعر العربي الحديث ، بنياته وإبدالاتها ، 3- التقليديّة ، ص 177 - 178 .

4- جان كوهن ، بنية اللغة الشعرية ، ترجمة : محمد الولي ومحمد العمري ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1986 ، ص 86 .

5- صلاح فضل ، نظرية البنائية في النقد الأدبي ، دار الشروق ، مصر ، ط 1 ، 1998 ، ص 50 .

6- المرجع نفسه ، ص 51 .

الموسيقية للشعر . فالإيقاع قائم على " الحركة التي قد تكون متسارعة أو متباطئة أو قد تكون بارزة أو خافتة " .⁽¹⁾

ويمكن أن نميز بين ضربين من الإيقاع ، الإيقاع الخارجي والإيقاع الداخلي .
أما الإيقاع الخارجي فيحكمه علم العروض ، وينحصر في الوزن والقافية . وأما الإيقاع الداخلي " فتحكمه قيم صوتية داخل النص أرحب من الوزن والنظام المجردين " .⁽²⁾
يدخل الإيقاع الداخلي في بناء القصيدة " فهو حركة موقعة في نسيج القصيدة " ⁽³⁾ ، لذلك لا يمكن فهم مضمون النص الشعري إلا من خلال الفهم المتكامل للحركة داخل البنية الكلية للقصيدة . فالإيقاع الداخلي جزء من عملية البناء في القصيدة الحديثة ، ولا يمكن فصله عن بقية المستويات الأخرى ، الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية . " فهو الأثر المشترك لجميع تلك المستويات " .⁽⁴⁾ وهو يلعب دورا في تحقيق الدلالة " فتشابه عناصر مختلفة جدا أو - بالعكس - اختلاف عناصر متشابهة جدا ، يمكن أن يزداد تأكده من خلال تواجدها في مواضع وزنية متطابقة " .⁽⁵⁾

الإيقاع الداخلي ركيزة أساسية من ركائز الإيحاء في الشعر الحديث ، إذ من خلاله يتمكن الشاعر من خلق الموسيقى التي تنسجم مع المعاني التي يريد التعبير عنها ، ومن ثمّ فهو وسيلة من وسائل التأثير في المتلقي . وقد تنامي الاهتمام بهذا العنصر في العصر الحديث بسبب " اتساع التجربة الشعرية الحديثة وتنوعها وتشابكها " .⁽⁶⁾ فهو الناقل لتجربة الشاعر والمعبر عن نفسيته مما يجعل التجربة الشعرية أكثر عمقا وأكثر غموضا أحيانا .
ولمّا كان الشعر هو الوسيلة التي يحقق بها الشاعر التوافق بين ذاته وبين العالم الخارجي ، فإنّ من أهم ركائز هذا التوافق هو الإيقاع . وبذلك تظهر العلاقة الوثيقة بين الإيقاع ومضمون النص الشعري .

-
- 1- منتصر عبد القادر الغضنفرى ، تعدد الرؤى ، نظرات في النص العربي القديم ، ص 159 .
 - 2- المرجع نفسه ، ص 160 .
 - 3- يوسف إسماعيل ، بنية الإيقاع في الخطاب الشعري ، قراءة تحليلية للقصيدة العربية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 2004 ، ص 20 .
 - 4- المرجع نفسه ، ص 24 .
 - 5- محمد صابر عبيد ، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية ، ص 22 .
 - 6- المرجع نفسه ، ص 24 .

وعليه يتفرد الإيقاع الداخلي بخصيصة تميزه عن الإيقاع الخارجي ، وهي " اختيار الشخص المبدع نفسه الألفاظ مما يشكل توافقاً بين دلالة اللفظة وجرسها الناشئ من تآلف حروفها وحركاتها ... ولا يكون هذا الاختيار خاضعاً لقوانين معيارية سابقة كالإيقاع الخارجي ".⁽¹⁾ ومثل هذا التوافق في الدلالة اللفظية للدوال المختارة وبين ما ينشأ من تآلف الحروف والحركات من جرس يُولد لدى المتلقي إيجاءات خاصة لا يمكن للإيقاع الخارجي الذي يتقيد بضوابط أن يحققها .

ويمكن للشاعر - ضمن الإيقاع الداخلي - أن يتحرك بحرية فيختار الوسائل والعناصر التي تمكنه من توظيف الإيقاع الداخلي لبيان المعاني والإيجاء بها . من هذه العناصر : التكرار ، والتجنيس ، والتوازي ، والمطابقة ، والمقابلة . وهي العناصر التي سنتناولها بالدراسة والتحليل في هذا المبحث من خلال ورودها في ديوان مصطفى محمد الغماري " قراءة في آية السيف " لإبراز دورها في الكشف عن التجربة الشعورية للشاعر ومساهمتها في نمو البنية الدلالية لقصائد الديوان .

1- التكرار :

يتوسل الشاعر في تشكيل البنية الإيقاعية لقصائده بوسائل من شأنها إثراء النغمة المؤثرة في المتلقي والمنبعثة من الإيقاعات الداخلية مثل التكرار الذي يتم على مستويات ثلاثة ، الحرف والكلمة ، والعبارة .

يمثل التكرار أحد عناصر الإيقاع الداخلي للقصيدة الحديثة ، فهو " القوة الديناميكية للإيقاع ".⁽²⁾ ويتحدد مفهومه بـ " أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء أكان اللفظ متفق المعنى أو مختلفاً ، أو يأتي بمعنى ثم يعيده . وهذا من شرط اتفاق المعنى الأول والثاني ، فإن كان متحد الألفاظ والمعاني فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس وكذلك إذا كان المعنى متحداً وإن كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفاً ، فالفائدة في الإتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين ".⁽³⁾ ومن ثم تبرز قيمته في المجال الفني . فهو في حقيقة أمره " إلحاح على جهة هامة في العبارة يُعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها ... فالتكرار يضع بين أيدينا مفتاحاً للفكرة المتسلطة على الشاعر وهو بذلك أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر ، فيضيئها بحيث نطلع عليه ".⁽⁴⁾

1- منتصر عبد القادر الغضنفرى ، تعدد الرؤى ، نظرات في النص العربي القديم ، ص 177 .

2- منتصر عبد القادر الغضنفرى ، تعدد الرؤى ، نظرات في النص العربي القديم ، ص 178 .

3- أحمد مطلوب ، معجم النقد العربي القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط 1 ، 1989 ، ج 1 ، ص 370 .

4- نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، ص 242 - 243 .

وقد ورد التكرار عند القدماء بمسميات منها التردد كما هو الحال عند ابن رشيق ، ويراد به " تكرار اللفظ بعينه ، مع اختلاف دلالي جزئي في اللفظ الثاني لا وجود له في الأول " (1). تشير نازك الملائكة إلى ظاهرة التكرار في الشعر العربي على أنها ليست جمالا يضاف إلى القصيدة وإنما هو كسائر الأساليب يحتاج إلى أن يجيء في مكانه من القصيدة ، وأن تلمسه يد الشاعر تلك اللمسة السحرية التي تبعث الحياة في الكلمات ، لأنه يمتلك طبيعة خادعة فهو على سهولته ، وقدرته في إحداث الإيقاع يستطيع أن يضلل الشاعر ، ويوقعه في مزالق . فهو يحتوي على إمكانات تعبيرية تغني المعنى ؛ إذا استطاع الشاعر أن يسيطر عليه ، ويستخدمه في موضعه ؛ وإلا فإنه يتحول إلى مجرد تكرارات لفظية مبتذلة ، كما يقع لأولئك الشعراء الذين ينقصهم الحس اللغوي ، والموهبة ، والأصالة . (2)

وبذلك ، فإن التكرار الشعري يسهم في تحقيق شعرية أكثر للنص الشعري . كما أنه لا يصبح نوعا من أنواع العجز الشعري كما عدّه القدماء (*) ، وإنما " يصير فضيلة في الشعر " (3) إذا كان منسجما مع كل عناصر التشكيل في القصيدة وبما يستجيب لواقع التجربة الشعرية .

والتكرار ، على هذا ، يعمل على إنتاج فوائد جديدة داخل بنية العمل الفني تتمثل في : (4)

1- الوظيفة الدلالية ، باعتباره أساسا أسلوبيا يرتبط بالدلالة النصية ، إذ يعمل على تجميع العناصر والوحدات الدالة في شكله متماثلة ، وبذلك " ترتبط الدلالة بالإيقاع ارتباطا وثيقا " (5) .

2- الوظيفة النفسية ، وهنا يرتبط بالفكرة المسيطرة عند النظر إلى العناصر المكررة كإشعاعات لا شعورية .

وبهذا يكون وجود التكرار ضروريا في العمل الشعري لما له من أهمية كبرى في عملية الإيقاع .

1- العمدة ، ج 1 ، ص 333 .

2- قضايا الشعر المعاصر ، ص 230 - 231 .

* انظر : ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة محمد علي صباح ، مصر ، ط 1 ، 1996 ، ص 96 . والبغدادي ، خزانة الأدب ، ولب لباب لسان العرب ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ط 2 ، 1979 ، ج 1 ، ص 361 . ونازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، ص 241 - 242 .

3- عبد الفتاح كليطو ، الأدب والغرابية ، ص 12 .

4- منتصر عبد القادر الغضنفر ، تعدد الرؤى ، نظرات في النص العربي القديم ، ص 178 .

5- جمال الدين بن الشيخ ، الشعرية العربية ، ص 268 .

ويمكن حصر أشكال التكرار المستخدمة في ديوان مصطفى محمد الغماري " قراءة في آية
السيف " في الأنماط الآتية :

أ- تكرار الحرف⁽¹⁾ :

إنّ تأثير الجرس الموسيقي لألفاظ الشعر على المتلقي يرتبط بالطبيعة الصوتية لحروف اللغة
العربية ، وطريقة تأليفها في إيقاع داخلي يناسب الحالة الشعورية للشاعر ، فالصوت المجرد أو المنعزل
لا يُعبّر عن شيء في نفسه ، وإنما يكتسب خاصيته الإيقاعية بارتباطه بالكلمة داخل البنية الشعرية ،
وبذلك تتغير قيمته الصوتية بتغير موقعه من كلمة إلى أخرى .

فتكرار الحرف له تأثير خاص في التأثير النفسي على المتلقي ، ذلك ما نلمسه في تكرار
الغماري لحرف (السين) في القصيدة الأولى من الديوان " وسل الأمير .. " :

بِاسْمِ الْمَسِيحِ تَنْمَرُوا كَمْ بِاسْمِهِ قُضِيَ الْأَرْبُ !
لِلطُّهْرِ مَرْيَمُ .. لِلسَّلَامِ وَلِيَدُهَا .. لَا لِلْحَرْبِ !
كَمْ بِاسْمِهِ قُتِلَ السَّلَامُ وَبِاسْمِهِ اعْتَصَرَ الْعَنْبُ !
عَيْسَى حَنَانِكَ إِنْ نَشُرُ .. فَلِدِينِهِمْ نَارَ الْعَرَبِ (2)

إنّ تكرار حرف (السين) ، في هذه الأبيات الأربعة ، وهو حرف مهموس مرقق ، نشأ عن
ترديده الصوتي إيقاع هادئ حزين ينسجم مع حالة الحزن العميق الذي خيم على الشاعر ومن
إحساسه بتلك المرارة التي لاقتها الجزائر من أولئك الغادرين الوافدين عليها المحملين بأحقاد الصليبية ،
من أولئك الغزاة الذين غدروا الجزائر وشعبها .

وأما القصيدة الثانية التي نحاول استقراء جمالية تكرار الحرف الأكثر ترديدا فيها ، هي " لن
ينام الحق " ، ومنها قول الشاعر :

آه يَا أَحْبَابَنَا هُبُوا نَسِيمًا أَوْ شِمَالًا
عَلَّنَا نَسْتَلْهُمُ الشُّوقَ ..
وَنَرْتَادُ الظَّلَالَ ..

1- فضلنا استخدام الحرف على المقطع الصوتي لضرب من الاتساع من جهة وللخلاف الدائر في تحديد المقاطع الصوتية من
جهة ثانية .

2- الديوان ، ص 12 .

فَلَكُمْ حَالِ ضَبَابِ الْعَصْرِ دُونَ الشَّوْقِ حَالًا

فَتَنَسَّمْنَا بَرِيقَ الْوَهْمِ .. خِلْنَاهُ اخْضِلَالًا

وَشَرِبْنَا مِنْ كُؤُوسِ الْقَهْرِ خِلْنَاهَا زُلَالًا⁽¹⁾

إنّ ما يُلفت النظر في هذه الأبيات تردد حرف المد في (شمالا ، الظلالا ، حالا ، اخضلالا ، وزلالا) الذي يشبه في تذبذب إيقاعاته تنوع اللحن الموسيقي ، الأمر الذي يُحدث تأثيرا نفسيا عند المتلقي .

كما نُشير إلى أنّ الطول الزمني لحركة المد وما تستغرقه من وقت حين النطق بها يُوافق حالة الحزن التي يشعر بها الشاعر ، من خلال تلك النغمة الشجية المناسبة المنبعثة من بين أبيات القصيدة من خلال ترديد حرف المد الذي يرسم امتداد رغبة الشاعر العميقة في الثورة على من سلبوه حقوقه . إنّ ترديد حرف المد يمنح القارئ شعورا بالراحة ؛ رغم ما حلّ بالشاعر من حزن وأسى ، وذلك يدفعه (أيّ القارئ) لأنّ يُشارك الشاعر حالته الشعورية .

ومن تكرار الحرف كذلك قول الشاعر :

آه يَا أَحْبَابَنَا جُنَّتْ مَسَافَاتُ الْبِعَادِ

.....

آه يَا أَحْبَابَنَا هُبُوا نَسِيمًا أَوْ شِمَالًا

.....

آه يَا أَحْبَابَنَا الْأَغْلِينَ . مَا جَدَوَى الْحَيَاه !

.....

آه يَا أَحْبَابَنَا وَالْحُبُّ رَفُضٌ مُسْتَمِرٌّ⁽²⁾

إنّ تكرار الحرف (آه) الذي يفيد التوجع ، وبؤزوده أربع مرات متتالية في أول الأبيات في القصيدة ، من شأنه أن يخلق جرسا موسيقيا أخاذا يطرق أسماع المتلقي ليتسرب إلى أعماق نفسه التي تتفاعل مع أحاسيس الشاعر .

1- الديوان ، ص 26 - 27 .

2- الديوان ، ص 26 - 27 - 28 - 29 .

ب- تكرار الكلمة :

جاء تكرار الكلمة في المجموعة الشعرية لمصطفى الغماري " قراءة في آية السيف " لافتا للانتباه ، وهذا من شأنه أن يكون له دور في تشكيل الإيقاع الموسيقي للقصيدة . ومن نماذجه تكرار لفظة (الأمير) في قول الشاعر :

وَسَلِ الْأَمِيرَ يُجَبِّكَ تَارِيخُ تَدَجِّي بِالْقَضْبِ !
وَسَلِ الْأَمِيرَ تَرَّ الْأَمِيرَ يَدًا وَأَخْلَاقًا وَحُبَّ !

.....

وَقَضَى الْأَمِيرُ مُجَاهِدًا بَيْنَ التَّأْمُرِ وَ الرَّيْبِ !
وَقَضَى الْأَمِيرُ مُجَاهِدًا بَيْنَ الكِتَابِ وَالْكِتْبِ
وَقَضَى الْأَمِيرُ وَمَالَهُ غَايٍ سِوَاكَ وَلَا أَرْبَ (1)

إذ ترددت لفظة (الأمير) ست مرات في خمس أبيات . وقد وظفها الشاعر في إبراز منزلة " الأمير عبد القادر " التاريخية وما اتصف به من عطاء ونبل في الأخلاق ، كيف لا ، وهو الذي جاهد وضحى في سبيل قضية وطنه الجزائر .

لا شك أن القارئ للأبيات يلاحظ أن لفظة (الأمير) هي التي خلقت ذلك الفاصل الموسيقي في إبراز كل هذه المناقب التي حظي بها " الأمير " .

كما كان الغماري حريصا على أن يجعل من هذه الكلمات قوة فاعلة بتوظيفه للأسماء ، ذات الطبيعة الساكنة ، الأمر الذي يتماشى مع روح الشاعر الصوفية :

وَحْدِي مَعَ اللَّهِ أَتْلُو السَّيْنَ وَالْبَاءَ
وَحْدِي مَعَ اللَّهِ فِي حُزْنِي وَفِي فَرْحِي
وَحْدِي مَعَ اللَّهِ إِسْعَادًا وَإِشْقَاءَ (2)

إن تكرار لفظة (وحدي) مضافة إلى ياء المتكلم التي تعود على الشاعر في بداية كل بيت من هذه الأبيات أكسبها دلالة إيجابية ، وأضفى عليها طابعا من السكينة والاطمئنان مبعثه ذات الشاعر . وفي هذا التكرار نوع من التآلف الصوتي .

ومن نماذج تكرار الفعل المضارع المسبوق بـ (لن) الناصبة قول الغماري :

1- الديوان ، ص 13 - 15 .

2- الديوان ، ص 39 .

لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ فِي جُرْحِ بِلَادِي ..
لَنْ يَنَامَ ..

.....

لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ فِي صَدْرِي وَإِنْ غَامَتْ جُفُونُ
لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ ..

.....

لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ
وَالرَّمْزُ الإِلَهِيُّ الإِمَامُ⁽¹⁾

كان لتكرار الفعل المضارع (ينام) المنفي دور في تشكيل الإيقاع الموسيقي الداخلي للقصيدة ، وفي الكشف عن الدلالة التي قصد إليها الشاعر وهي أنّ الحق لا يمكن أن يُطمس ، ولا بد يوماً أن يُسترد .

ج- التكرار الاستهلالي :

يستهدف هذا النوع من التكرار فيما يستهدف " الضغط على حالة لغوية واحدة ، توكيدها عدة مرات بصيغ متشابهة ومختلفة من أجل الوصول إلى وضع شعري معين قائم على مستويين رئيسيين : إيقاعي ودلالي " .⁽²⁾ فهو بذلك يترك مدى تأثيريا في صميم تشكيل البنية الشعرية للقصيدة .

من نماذجه في المجموعة الشعرية لمصطفى الغماري ما ورد في قصيدة " لن ينام الحق " ، إذ تكرر الاستهلال فيها مرتين . يقول الغماري في استهلال القصيدة :

لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ فِي جُرْحِ بِلَادِي ..
لَنْ يَنَامَ ..⁽³⁾

ثم أعاد المقطع الاستهلالي ذاته في قوله :

لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ فِي صَدْرِي وَإِنْ غَامَتْ جُفُونُ

1- الديوان ، ص 23 - 24 - 29 .

2- محمد صابر عبيد ، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية ، ص 193 .

3- الديوان ، ص 23 .

لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ ..

وَالرَّمْزُ الْإِلَهِيُّ الْإِمَامُ⁽¹⁾

ثم يعيده ثانية :

لَنْ يَنَامَ الْحَقُّ ..

وَالرَّمْزُ الْإِلَهِيُّ الْإِمَامُ⁽²⁾

فقد قرن الشاعر الفعل المضارع (ينام) بأداة نصب تفيد النفي في خمس مواضع من القصيدة ، بدءًا من مقدمة القصيدة هو توكيد دلالي يستند إلى أجواء الرفض والتصدي والتحدي من الشاعر ، وهو كذلك توكيد إيقاعي تولد من تكرار الأصوات : (اللام والنون والميم) ، وبذلك حقق التكرار الاستهلالي هنا توكيدا وحقق تناسقا إيقاعيا في القصيدة .

كذلك ما نجده في قصيدة " زهرة الحلم اليقين " . فالتكرار الثلاثي فيها للجار والمجرور (من ليالي) حقق توافقا وانسجاما تامين بين الإيقاع الصوتي المتولد من تكرار الأصوات (الميم والنون واللام) ، ومن التركيز الدلالي الذي يتمركز في مفردة (ليالي) المتبوعة مباشرة بلفظة (الصحو) ، " مما يؤسس نمطا من التناسق الإيقاعي المتولد بفعل التكرار الاستهلالي " .⁽³⁾

يقول الغماري في مطلع القصيدة :

مِنْ لِيَالِي الصَّحْوِ وَالْمَحْوِ عَيْبُ الْخَالِدِينَ⁽⁴⁾

ثم يكرر بداية البيت في موضع آخر من القصيدة :

مِنْ لِيَالِي الصَّحْوِ يَمْتَدُّ وَالْأَمُّ السِّنِينَ⁽⁵⁾

د- التكرار الختامي :

1- الديوان ، ص 24 .

2- الديوان ، ص 29 .

3- محمد صابر عبيد ، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية ، ص 195 .

4- الديوان ، ص 65 .

5- الديوان ، ص 66 .

وهو يقترب في وظيفته من وظيفة التكرار الاستهلاكي من حيث تأثيره في تشكيل البنية الشعرية للقصيدة ؛ إلا أنه " ينحو منحىً نتجياً في تكثيف دلالي وإيقاعي يتمركز في خاتمة القصيدة " (1).

وإذا كان هذا التكرار هو إعادة لعنوان القصيدة وتأكيد له " فإنّ العمق التأثيري له يكون أكثر اتساعاً وأهمية " (2)، ذلك ما نقف عليه في قصيدة " وحدي مع الله " . فالبنية التركيبية للعنوان مركب اسمي مكون من خبر لمبتدأ محذوف متعلق بهما جار ومجرور ، وهو نفس التوصيف الذي يشمل المقطع الختامي للقصيدة ، حيث تكرر العنوان كعبارة شعرية مجملة ، ثم خضع بعدها للتفصيل ، فالوحدة مع الله شملت الحزن والفرح ، السعادة والشقاء . يقول في المقطع الختامي :

وَحْدِي مَعَ اللَّهِ فِي حُزْنِي وَفِي فَرْحِي
وَحْدِي مَعَ اللَّهِ إِسْعَادًا وَإِشْقَاءً (3)

وقد كرّس هذا التكرار " وصفا إيقاعيا دلاليا واحدا " (4) عبر النص الشعري .

هـ - تكرار اللازمة :

يقوم تكرار اللازمة على اختيار سطر شعري أو جملة شعرية ، تشكل بمستويها الإيقاعي والدلالي محورا أساسيا مركزيا من محاور القصيدة . (5) ويتكرر هذا السطر أو الجملة الشعرية بين مقطع وآخر ، ذلك ما نلاحظه في قصيدة " لن ينام الحق " (*) ، من تكرار اللازمة القبلية ممثلة في البيت الشعري (آه يا أحبابنا) الذي تكرر في بداية كل مقطع ، فشكل بذلك " مفتتحا يلقي بظلاله الإيقاعية والدلالية على عالم القصيدة " (6).

تنقسم القصيدة إلى خمس مقاطع تبدأ جميعها باللازمة القبلية (آه يا أحبابنا ...) ، وهي لازمة لسكون وثبات إذ تتضمن حرفين أحدهما للتوجع والثاني للنداء والغرض منه لفت الانتباه

1- محمد صابر عبيد ، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية ، ص 197 .

2- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

3- الديوان ، ص 39 .

4- محمد صابر عبيد ، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية ، ص 200 .

5- المرجع نفسه ، ص 211 .

* وهي القصيدة الوحيدة في الديوان التي تشتمل على لازمة قبلية . وفي المقابل توجد اللازمة البعدية والتي تكرر في نهاية مقاطع القصيدة .

6- محمد صابر عبيد ، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية ، ص 211 .

والتودد لأن المنادى ورد مضافاً إلى ضمير جماعة المتكلمين (نا) ، ويعود على الشاعر ، ويتمثل في الاسم (أحباب) وهم الذين يتحجب إليهم الشاعر ويرى فيهم متنفسه ومنقذه . يقول :

آه يَا أَحْبَابَنَا هُبُّوا نَسِيمًا أَوْ شِمَالًا
عَلَّنَا نَسْتَلَهُمُ الشَّوْقَ ..
وَنَرْتَادَ الظَّلَالَ ..

.....

آه يَا أَحْبَابَنَا الْأَغْلِيْنَ . مَا جَدَوَى الْحَيَاهِ !

حِينَ غِبْتُمْ .. فَتَنَاءَيْنَا عُيُونًا وَشِفَاهِ
كُنْتُمْ الْأَنْسَ .. وَكُنَّا نَعْمًا أَخْضَرَ (1)

فتكرار اللازمة في هذه القصيدة أدى وظيفة دلالية ووظيفة إيقاعية .

إنّ التكرار الذي تحمله قصائد الديوان من خلال ترديد الشاعر لبعض الدوال اللسانية أفاد إيقاع القصائد بتكثيف العناصر الموجهة لبنائها . ومن ثمّ تعرض القصائد لعدد من التكريرات المشكلة لوحداث إيقاعية ودلالية تستهدف تركيز الخطاب ضمن رؤية الشاعر إلى ما يعيشه في وطنه الأم الجزائر وفي الوطن العربي (موقفه من الاستعمار الغربي ، من الحكام العرب ، من البدع الدخيلة على مجتمعه ، من الوطنية ...) .

2- التجنيس :

يعدّ التجنيس ركناً أساسياً في البنية الإيقاعية عند الغماري ، فهو نوع إيقاعي مؤثر في النفس ، كما أنّه وسيلة يمكن للشاعر الإفادة من قيمتها اللفظية والمعنوية . فتوظيفه يحتاج إلى شاعر ماهر له مقدرة على خبّر أسرار اللغة وسبّر أغوارها وطاقاتها الخفية .
تتجلي مظاهر التجنيس في قدرته على الربط بين الدلالة المباشرة لاتحاد لفظي الجناس أو تشابهما وما يحدثه ذلك من قيمة صوتية ، فهو يعمل على إبراز الفرق الدلالي للفظين من خلال التشابه الصوتي بينهما .

ويشير هذا التفاعل بين الفرق الدلالي بين لفظي الجناس والتشابه أو الاتفاق الصوتي التام بينهما إلى ما ذهب إليه عبد القادر الجرجاني في حديثه عن بلاغة الجناس : " فإنك لا تستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا ... فهذه السريرة صار التجنيس - وخصوصا المستوفى منه المتفق في الصورة - من حُلَى الشعر ، مذكورا في أقسام البديع ، فقد تبين لك أنّ ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمرٌ لم يتم إلا بنصرة المعنى " (1).

فالتجنيس تتوافق فيه الصور اللفظية للكلام ، وهو أقرب من حيث نمطيته إلى الناحية الصوتية ، وقد قسمه البلاغيون إلى جناس تام ، وهو الذي تتساوى فيه الحروف من حيث نوعها وعددها وهيئتها بين الكلمتين فينتج عنها " صورة لفظية لها إيقاعها الخاص هي الجناس " (2) وجناس ناقص ، وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الشروط السابقة . وقد تظاهر الجناس في مجموعة الغماري الشعرية " قراءة في آية السيف " في الأنماط الآتية :

2-1-1- تجنيس المماثلة :

هو الذي " يتطابق فيه الركنان في الصوامت والصوائت الترصيعية " (3) بغض النظر عن تطابق المعنى بين اللفظين ، كالتريد والتعطف ، أو اختلافه بينهما ، كالجناس التام ؛ " لأنّ التماثل الصوتي هو الذي يخفف التواصل الإيقاعي في الدرجة الأولى مع المتلقي من جهة ، ومع بقية عناصر النص من جهة ثانية " (4).

إضافة لما يحققه التماثل الصوتي - من الناحية السمعية - من إيقاع ، فإنّه يجعل القارئ يتأقّق في قراءته لاكتشاف " المفارقة القائمة بين معاني الكلمات من جرّاء تماثلها الصوتي " (5) . ومن نماذج التماثل الصوتي في ديوان مصطفى الغماري ما ورد في قصيدة " أغنية للحزن والجهاد " من تكرار في بداية صدور الأبيات :

في الخالياً

- 1- أسرار البلاغة ، ص 4 - 5 .
- 2- محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ، ص 293 .
- 3- يوسف إسماعيل ، بنية الإيقاع في الخطاب الشعري ، ص 91 .
- 4- المرجع نفسه ، ص 94 .
- 5- المرجع نفسه ، ص 96 .

فِي مَرَايَا الشَّمْسِ
فِي عُمَمِ المَرَايَا
فِي لَهَاتِ الرِّيحِ
فِي عَيْدِ الحُبْرِ
فِي حُبْرِ العَيْدِ (1)

وهذا يخلق نمطا إيقاعيا داخليا مكررا في مجموع الأبيات من خلال التشاكل الصوتي عموديا في تكرار حرف الجر (في) في صدور الأبيات .
ومن ذلك أيضا تردد (يا) النداء في الأبيات : الأول والثاني والرابع من المقطع الأول من قصيدة " زهرة الحلم اليقين " :

يَا لِيَالِي الصَّحْوِ وَالْمَحْوِ اشْرَيْي
يَا لِيَالِي
دَمْنَا الغَالِي .. فَدَاهَا
يَا مَدَاهَا (2)

فقراءة الأبيات تلفت الانتباه إلى تكرار أداة النداء (يا) وما تشكله من تناسب يكشف سرّ التناغم الإيقاعي في الأبيات ، ومن ثمّ ، فإنّ التجانس الصوتي لحرف الياء شكّل عنصرا أساسا في تحقيق الوظيفة الدلالية والإيقاعية في النص .
مثل هذه الألوان التماثلية لها وظيفة إيقاعية تتمثل في " تقوية النغم من خلال التجانس الذي تخلقه الحروف المتماثلة في ألفاظ القصيدة " .⁽³⁾ كما له وظيفة دلالية ، حيث عمّق من خلاله الغماري في المجموعة الأولى من النماذج لونا عاطفيا تمثل في ألمه وحزنه ، وفي المجموعة الثانية (من خلال أداة النداء) التأكيد على ضرورة التغيير للخروج من النفق المظلم .
ومن نماذج تجنيس المماثلة مع اختلاف الدلالة ، وهو قليل في الديوان ، ما ورد في قول الغماري :

وَنَحْنُ فِي فَرَاغِنَا المُحِيطِ

1- الديوان ، ص 132 .

2- الديوان ، ص 65 .

3- يوسف إسماعيل ، بنية الإيقاع في الخطاب الشعري ، ص 100 .

مِنْ أُنْدُونِيَا إِلَى الْمُحِيطِ (1)

إنّ الجناس بين (المحيط) ، و (المحيط) يوّلّد إيقاعاً صوتياً مؤثراً نتج عن اتحاد اللفظين وتطابق حركة حروفهما ، ثمّ إنّ هذه الموسيقى تذهب بك للوقوف على الفرق الدلالي العميق بين (المحيط) ، في البيت الأول ، الذي تدل على الإحاطة والشمول ، هذا الفراغ المهيمن وما له من أثر في نفس صاحبه من ضيق ويئس ، وبين (المحيط) ، في البيت الثاني ، الذي هو المحيط الأطلسي باتساعه وامتداده ورحابته .

وهكذا فما بين التشابه الصوتي بإيقاعه والفرق الدلالي العميق يبدو التعبير مؤثراً في المتلقي جاذباً انتباهه .

2-2- تجنيس المضارعة :

يمثل هذا النوع مستويين من الاختلاف :

- اختلاف الطرفين المتجانسين في بعض الأجزاء " بزيادة حروف أو نقصها أو قلبها أو تقاربها سمعاً أو خطأ " (2) أي مطلق الاختلاف داخل التجانس . فاختلاف المعنى بين اللفظتين " لتحقيق الخصوصية اللغوية " (3) فكلّ لفظة تختلف عن الأخرى بزيادة الحروف أو نقصها أو في نوعها أو ترتيبها .

- والثاني هو المعنى الأخص أو الأصلي ، أي أن " تتقارب مخارج الحروف " (4)

ومن صور تجنيس المضارعة في مجموعة الغماري الشعرية :

أ- المضارعة بزيادة حروف أحد الركنين : وهو أن يكون " أحد ركنيه يحتوي على حروف الآخر ، ويمثلها صوتياً ، ويزيده في حروف أخرى " (5) ، ومنه الجناس الناقص . ومن نماذجه في الديوان :

بِعَمَائِمِ الْأَحْرَارِ فِي لُغَةِ الْجِهَادِ الْمُحْتَسَبِ !

1- الديوان ، ص 96 .

2- السجلماسي ، المنزح البديع ، ص 485 .

3- يوسف إسماعيل ، بنية الإيقاع في الخطاب الشعري ، ص 101 .

4- ابن رشيق ، العمدة ، ج 1 ، ص 326 .

5- المرجع السابق ، الصفحة ذاتها .

وَبِكُلِّ مَا تَهَبُّ النَّفُوسُ وَمَا يَجُودُ بِهِ الْحَسَبُ !⁽¹⁾

يشتمل الركن الأول (المحتسب) على جميع حروف الركن الثاني ، ويتمثل معه في بقية الحروف ، من حيث عددها وترتيبها ، ويظهر ذلك من خلال التوازي بين الوجدتين الصوتيتين :

ا ل م ح ت س ب

ا ل ... ح ... س ب

فقد أدى هذا النوع من التجنيس وظيفية إيقاعية داخلية من خلال التماثل بين حروف الوجدتين .

ب- المضارعة النوعية : تقوم على استبدال حرف بحرف مختلف عنه من حيث المخرج ، فيكون قريبا أو بعيدا عن مخرجه . فهي تقوم على " اختلاف نوع من الحروف بين الركنين " .⁽²⁾ وهذا النوع هو الأكثر حضورا في الديوان . ومن صورته قول الغماري :

خَيْلُ الْمَدَى الْفَهْرِيَّ يَا كَبِيرَ الْجُدُودِ ... يَا نَسَبُ

يَطْوِي الْحُدُودَ صَهِيلَهَا فَتَحًا تَفْتَحَ بِالْعَجَبِ⁽³⁾

بين (الجدود) و (الحدود) تماثل صوتي في النوع والموقع باستثناء الاختلاف الذي وقع بين الحرفين الجيم والحاء وسط الكلمة .

ومما اختلف في النوع دون الموقع قوله :

تَعِيشُ فِي الْأَعْمَاقِ كَالْحُرَافِهِ

وَتَنْدُبُ الْفُتُوحَ وَالْخِلَافَةَ !⁽⁴⁾

حيث وقع الاختلاف بين (الراء) و (اللام) ، في حين توازت بقية الحروف في الموقع .

1- الديوان ، ص 13 .

2- يوسف إسماعيل ، بنية الإيقاع في الخطاب الشعري ، ص 104 .

3- الديوان ، ص 11 .

4- الديوان ، ص 116 .

مثل هذا المضارعة الصوتية النوعية قائمة على اختلاف نوع الحروف بين ركني الجناس ، هذا ما أكسبها أيضا إيقاعيا داخليا يدفع المتلقي إلى تأمل المعاني والتأمل في الدلالات لاكتشاف هذه المفارقة القائمة بين الألفاظ المتماثلة تماثلا صوتيا والمختلفة دلاليا .

ج- المضارعة الاشتقاقية : تختلف فيها أحرف الزيادة بين الركنين من حيث النوع والموقع ، في حين يتماثلان في الحروف الأصلية لأنهما يعودان إلى جذر لغوي واحد " والاختلاف بينهما اشتقاقي " .⁽¹⁾

هذا النوع من المضارعة يحقق " حدا من التجانس الصوتي الذي يحقق التماسك الإيقاعي " ⁽²⁾ في القصيدة . ومن صورته قول الغماري :

المُثَقَّلِينَ بِكُلِّ أَحْقَادِ الصَّلِيبِ وَمَنْ صَلَبَ ! ⁽³⁾

التجنيس وقع بين اللفظتين (الصَّلِيبِ) و (صلب) ، فهما يعودان إلى معنى واحد أصلا . فهما مشتقان من مادة (ص ل ب) . وهما أيضا متوازيان في الحروف المتماثلة من حيث النوع والموقع :

ا ل ص ص ل ي ب
.. .. ص ل .. ب

فاللفظتان تحملان معنى الحقد والكراهية للعروبة والإسلام ، للعرب والمسلمين ، ولكليهما الأصل الاشتقاقي نفسه .

كما نجد أيضا في قوله :

يَحْتَالُ بِالثُّورَةِ وَالثُّوَارِ ! ⁽⁴⁾

يتماثل الركنان في البيت : (الثورة) و (الثوار) من حيث حروفهما الأصلية (ث و ر) ، ويقع التوازي بين تلك الحروف من حيث النوع :

ث و ر ة
ث و ا ر

1- يوسف إسماعيل ، بنية الإيقاع في الخطاب الشعري ، ص 103 .

2- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

3- الديوان ، ص 12 .

4- الديوان ، ص 108 .

يُعدّ جناس الاشتقاق من العناصر الإيقاعية التي تخلق تنظيماً موسيقياً داخلياً لإيجاد نوع من التوازن الإيقاعي بين الكلمات واشتقاقها من بعضها في تناغم صوتي دون إخلال بأصل المعنى . كما أنّ له تأثيراً في السامع ، فينفذ من خلاله إلى وجدانه .

د- المضارعة البصرية : وهو التجنيس الذي تكون النقط فيه فرقا بين اللفظتين المتجانستين . وهو ما يُعرف بالتجنيس الخطي أو تجنيس التصحيف . ومن صورته المضارعة بالتصحيف ونقط الحرف " وهو تصحيف مستوفٍ " (1) للتشابه بين الركنين بشكل الحروف وموقع النقط من ذلك قول الغماري :

وَعَبْرَةٌ صَاغَهَا الرَّحْمَنُ خَضْرَاءَ
نَهْرُ الْيَقِينِ عَلَى الْآفَاقِ مَنَسَكِبٌ
مَا لِلظُّنُونِ تُرِيدُ الْكَوْنَ صَحْرَاءَ ! (2)

فقد وقع الاختراق في الحرفين الأول والثاني بين (خضراء) و (صحراء) على مستوى الصوت مع الحفاظ على الشكل دون المحافظة على الموقع . فقد تم التصحيف في بداية الكلمة مما حقق توازناً صوتياً بتجانس مخارج الأصوات أو تقاربها مما يخلق إيقاعاً صوتياً داخلياً في القصيدة .

هـ- المضارعة الموقعية : تقوم على الاختلاف في ترتيب الحروف . فالحروف في الركنين واحدة من حيث نوعها وعددها وإنما تقع " في مواقع غير متوازية في الركنين " (3) . ومن صورته في الديوان :

وَأَنْ نَحْمِلَ آلَامَ الْبَشَرِ
أَنْ نُنَاجِيَ طَيْفَ ذِكْرَانَا
وَأَنْ نَحْلُمَ ..
وَالْحُلْمُ الظَّفَرُ .. (4)

1- ابن رشيقي ، العمدة ، ج 1 ، ص 327 وما بعدها .

2- الديوان ، ص 37 .

3- يوسف إسماعيل ، بنية الإيقاع في الخطاب الشعري ، ص 105 .

4- الديوان ، ص 33 .

ففي البيتين الأول والثالث وقع قلب جزئي بين (نحل) و (نحلّم) ، حيث احتل الحرف الثالث في الكلمة الأولى (م) الموقع الأخير في الكلمة الثانية (نحلّم) وبذلك احتل التوازن الموقعي بين الكلمتين في موضع واحد :

ن ح م ل
 /
 ن ح ل م

وقد نتج عن ذلك التماثل الصوتي بين الوجدتين الصوتيتين إيقاع داخلي مؤثر في السمع .

و- المضارعة بهيئة الحروف : تكون الحروف في الكلمتين المتجانستين واحدة من حيث نوعها وموقعها ؛ لكن تختلف فيها حركات الضبط . من ذلك ما ورد في قول الغماري :

وَسَرَقُوا مَزَادَةَ " الْحُجَّاجِ " !!
 كَانَهُمْ بَقِيَّةُ " الْحُجَّاجِ " !!⁽¹⁾

يتماثل اللفظان (الحُجَّاجِ) و (الحُجَّاجِ) في الحروف الأصلية ، فهي واحدة ، والاختراق في حركة الجيم ، ففي الأولى الضم ، وفي الثانية الفتح .
 فالتجنيس أداة فنية ذات طبيعة ترتكز على الصوت والإيقاع وتمتد إلى تحقيق آفاق تعبيرية ثرة . وهو يحقق للبيت ما تحققه القافية من بيت إلى بيت في القصيدة .

3- التوازي :

يعدّ التوازي من المفاهيم اللسانية الحديثة ، وهو عنصر من العناصر المشكلة لبنية القصيدة الحديثة . فلا يمكننا الحديث عن الإيقاع دون الحديث عن التوازي الذي يَحْوِي طرقي الإيقاع الرئيسيين ، وهما : التماثل والاختلاف .

يقوم التوازي على تكرار أجزاء متساوية وعلى : " تماثل أو تعادل المباني في سطور متطابقة الكلمات ، أو العبارات القائمة على الازدواج الفني وترتبط ببعضها وتسمى عندئذ بالمتطابقة أو المتعادلة أو المتوازية " .⁽¹⁾

ويجده محمد مفتاح بأنه " تنمية لنواة معنوية سلبيا أو إيجابيا بإحكام قسري أو اختياري ، لعناصر صوتية ومعجمية وتركيبية ومعنوية وتداولية ضمنا لانسجام الرسالة " .⁽²⁾

إذن ، فالتوازي يتمظهر في كلّ مستويات النص الشعري الصوتية والنحوية والدلالية ، أي أنه يشمل كامل النص حتى كانت " بنية الشعر هي بنية التوازي المستمر " .⁽³⁾

يؤدي التوازي دورا في القصيدة الحديثة لما يقوم عليه من عناصر أساسية كالتقطيع الصوتي (في التكرار والترصيع والجناس) وتوزيع الألفاظ في الجمل (الإرضاد ورد العجز على الصدر) وتوظيف المعنى عن طريق التضاد والتقابل بين الألفاظ المفردة والجمل المركبة (الطباق ، المقابلة والتكافؤ) .

من هنا تظهر أهمية التوازي في أنه " عنصر تأسيسي وتنظيمي في آن واحد " ⁽⁴⁾ لما له من أثر في إبراز العلاقات الصوتية على ترابط بنية النص من خلال تقاربها الصوتي الدلالي والإيقاعي . لذا يولي التوازي " بأية مشاهجة وبأي اختلاف يدرجان ضمن الأزواج المتجاورة وللأبيات وبين الأشطر ضمن نفس البيت " .⁽⁵⁾

وما يمكن التنبه إليه أنّ هذا التماثل الصوتي الذي يحققه التوازي ليس هو التكرار الذي يقوم على التطابق التام والكلي بين وحداته لا التماثل ، فالتوازي " تماثل ، وليس تطابقا " .⁽⁶⁾ وبذلك يكون التكرار أحد مظاهر التوازي . هذا ما ذهب إليه الباحثة جوليا كرسستيفا التي ترى أنّ في اللغة

1- عبد الواحد حسن الشيخ ، البديع والتوازي ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية ، ط 1 ، 1999 ، ص 7 .

2- تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناس ، ص 25 .

3- رومان ياكسون ، قضايا الشعرية ، ترجمة : محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط 1 ، 1988 ، ص 106 .

4- محمد مفتاح ، التلقي والتأويل ، مقارنة نسقية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1994 ، ص 149 .

5- محمد مفتاح ، نفسه ، ص 152 .

6- رومان ياكسون ، قضايا الشعرية ، ص 103 .

الشعرية " تكون الوحدات غير قابلة للتكرار ، أو بصيغة أخرى ، لا تظل الوحدة المكررة هي هي (1) وتعلل ذلك بأن التكرار المحض دون أقلّ تغيير في الدلالة يُوقع النص الشعري في الحشو (2).

وعليه ، فالوحدات اللغوية التي تتواتر حرفيا في اللغة الشعرية تختلف في دلالتها الخاصة ، رغم اتحادهما في معنى واحد .

وللتوازي مظهران (3) ، أحدهما ملازم - دوما - للغة الشعرية ، إذ أنه الأساس في جوهر البراعة الشعرية ، يتألف من منظومة متكررة من المقاطع المتوالية المتتالية المتوازية . وبهذا المعنى يُعتبر التوازي امتدادا لمبدأ ازدواجية المستويات المميزة لنطق اللفظ ، وللناحية الإعرابية والدلالية للتعبير ، ومن ثمّ تُعتبر اللغة الشعرية أكثر الأنماط والأشكال وضوحا للتوازي .

ويشير **المظهر الثاني** إلى ألوان من التقابل كوسيلة دقيقة منسجمة وسائدة للتعبير في اللغة الشعرية ، وبذلك يصير التوازي مبدأ من المبادئ الفنية .

ظاهرة التوازي ، هي إحدى الظواهر التي يزخر بها الشعر العربي الحديث ، ذلك أنّها تمثل نمطا من أنماط التعبير في اللغة ، والشاعر في اختياره لهذا النمط (التوازي) من بين بقية أنماط التعبير إنما هو يبحث عن النمط الأكثر تعبيرا عمّا يريد قوله . ذلك ما نقف عليه عند مصطفى محمد الغماري الذي اهتم - كغيره من الشعراء المحدثين - بالتوازي لما فيه من الوسائل التحليلية للنص لغويا وصوتيا وجماليا ، إضافة إلى قدرته على تأدية المعنى بصورة إيحائية تقابلية متوازية ، ولما له من دور في إبراز الناحية الإيقاعية .

في محاورتنا لقصائد الديوان ، نجد أنّ الشاعر يُلجّ على توظيف ظاهرة التوازي من خلال تكراره لها في أغلب قصائد الديوان ، إذ بلغت نسبة تواترها : 70.58 % ، وقد وردت في اثنتي عشرة قصيدة من أصل سبعة عشرة قصيدة ، موظفا لها توظيفا دلاليا وإيقاعيا في النص ، وذلك يوحي بوعي الشاعر التام بهذه الظاهرة ، ولما تؤديه من وظائف في النص .

يمكن أن تُميّز بين نوعين من التوازي في ديوان الغماري (قراءة في آية السيف) ، هما : التوازي على المستوى الأفقي (مستوى بناء البيت الواحد) والتوازي على المستوى الرأسي أو

1- علم النص ، ترجمة : فريد الزاهي ، مراجعة : عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط 2 ، 1997 ، ص 80 - 81 .

2- المرجع نفسه ، ص 80 . تقول كرسيفا : " فإذا كان تكرار وحدة دلالية في اللغة الشعرية لا يُغيّر من علاقة الرسالة بل ينتج بالأحرى أثر حشوٍ وخرقٍ وخيم " .

3- عبد الواحد حسن الشيخ ، البديع والتوازي ، ص 8 - 9 .

العمودي (مستوى بناء القصيدة) . وسنعمل على تحليل بعض النماذج من الديوان لإبراز إسهامها في البنية الإيقاعية للقصيدة .

3-1- التوازي الأفقي : الذي يتم من خلال التطابق التام في كل عناصر البناء النحوي للجمل المتوازية على مستوى بناء البيت الواحد ، وهو قليل في الديوان مقارنة بالتوازي على المستوى الرأسي ، ومن نماذجه :

بِاسْمِهِ قُتِلَ السَّلَامُ وَبِاسْمِهِ اعْتَصِرَ الْعِنَبُ (1)

يُلاحظ وجود نوع من التوازن الصوتي الموسيقي المتولد عن التناسق في التركيب النحوي في الجملتين في البيت ، حيث تُستهل الأولى فيهما بجار ومجرور متبوع بفعل مبني للمجهول فنائب فاعل . وعلى نفس النسق بُنيت الجملة الثانية ، وهذا ما يدعم الإيقاع الداخلي في البيت ، فقد تناسقت عبارته كميًا وموقعيًا مما ساهم في إثراء الإيقاع .

ومن نماذجه أيضا ، الجملة الفعلية الخبرية المثبتة في قوله :

يُولَدُ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ كَمَا تُولَدُ نَارٌ مِنْ حَجَرٍ !! (2)

وتحدد البنية التركيبية النحوية في هاتين الجملتين المتوازيتين على هذا النحو :

فعل + اسم + جار ومجرور = يولد الحي من الميت

فعل + اسم + جار ومجرور = تولد نار من حجر

إنّ هذا التوازن والتوازي في البنية التركيبية النحوية للجملتين أضفى على البيت لونا من ألوان الإيقاع الداخلي أسهم في التأثير في النفس .

ومن صوره كذلك الجملة الاسمية الإنشائية الاستفهامية في قول الغماري :

مَنْ ذَا يُسَامِرُهُ؟ مَنْ ذَا يُنَاجِيهِ؟ (3)

فقد توازن الجزآن في البيت من حيث البنية التركيبية النحوية على الشكل الآتي :

اسم استفهام + اسم إشارة + فعل = من ذا يسامره؟

اسم استفهام + اسم إشارة + فعل = من ذا يناجيه؟

1- الديوان ، ص 12 .

2- الديوان ، ص 33 .

3- الديوان ، ص 43 .

حيث يتماثل هذا البناء ويتوازن أفقياً ، وهو بذلك عمِل على إثراء البنية الإيقاعية الداخلية للقصيدة .

3-2- التوازي الرأسي : وهو التطابق التام أو الجزئي بين كل عناصر البناء النحوي للجمل المتوازية على المستوى الرأسي أو العمودي (مستوى بناء القصيدة) ، فيكون ذلك التطابق بين كل بيتين أو مجموعة من الأبيات ، وهو ما يحقق للنص ترابطه البنائي وإيقاعه الداخلي .
من صور التوازي الرأسي في الديوان الجملة الفعلية الإنشائية المتوازية في قوله :

لَيْتَنَا لَمْ نَعْرِفِ الصَّحْوُ
لَيْتَنَا لَمْ نَعْرِفِ السُّكْرُ (1)

لقد تكافتت وتآلفت العناصر الإيقاعية في البيتين من خلال تقسيم البيتين إلى وحدات معجمية متناسبة في نظام يضمن درجة عالية من الإيقاع الداخلي على النحو :

فعل + أداة جزم + فعل + اسم = ليتنا لم نعرف الصحو
فعل + أداة جزم + فعل + اسم = ليتنا لم نعرف السكر

وهذا التطابق في المباني وما نجم عنه من إيقاع إنما هو صدى لأحاسيس الشاعر وانفعالاته .
ومن الأمثلة الدالة عليه أيضاً الجملة الفعلية الخبرية المتوازية في قوله :

وَيُبْحِرُ الْقَلْبُ فِي أَسْرَارِ مُقْلَتِهِ
وَيُورِقُ الدَّمْعُ فِي نَجْوَى مَآقِيهِ (2)

فقد توزعت الألفاظ في العبارتين توزيعاً قائماً على الإيقاع المنسجم للوحدات عن طريق الصياغة النحوية ، فكل من العبارتين مبني على :

حرف عطف + فعل + شبه جملة = ويبحر القلب في أسرار مقلته
حرف عطف + فعل + شبه جملة = ويورق الدمع في نجوى مآقيه

إنّ هذا التماثل والتناسق التام في العبارتين كماً وموقعياً عمل على إثراء الإيقاع الداخلي في القصيدة .

ومن نماذج التطابق التام بين مجموعة من الأبيات قول الغماري :

1- الديوان ، ص 34 .

2- الديوان ، ص 44 .

تَفْتَعِلُ الصَّرَاعَ وَالْجِدَالَ
وَتَزْرَعُ السُّمُومَ وَالْوَبَالَ
تُحَرِّمُ الشُّعُورَ وَالْأَشْعَارَ
وَتَعْشِقُ التَّارِيخَ وَالْأَفْكَارَ⁽¹⁾

لقد عمل الشاعر على تقطيع الجمل في هذه الأبيات الأربعة تقطيعاً متوازياً ، وهو ما يوحي بتطابق الأثر النفسي عنده وموقفه من المندسين بين الشباب الذين يعملون على إشاعة العيوب في صفائهم بافتعالهم الصراع والجدال وزرعهم السموم والوبال وتحريمهم الشعر بدعوى إيمانهم بالتاريخ والأفكار الجديدة .

إنّ التماثل الصوتي في هذه النماذج وغيرها يتوازي فيها كلّ من المعنى والدلالة ، ولا يتطابقان ، وما يجمع بينهما إنّما هو دلالة السياق العامة .

المبحث الثالث

الوظائف الجمالية للتشكيل البياني

الحقيقة والمجاز :

اللغة نشاط اجتماعي ، وهي وضع واستعمال . أما الوضع فهو ما وُضعت له اللغة أصلا .
وأما الاستعمال فهو الخروج عن أصل وضعها وذلك يعني تكييف الألفاظ مع السياق لتتخذ دلالات
مغايرة لم تعهدها في الأصل . فما وُضعت له اللغة فهو الحقيقة ، وما خرج عن الأصل فهو المجاز .
لم يهتم اللغويون بقضايا اللغة كما اهتموا بمسألة الحقيقة والمجاز . ولم يكن الاهتمام بهذه
القضية من قبل علماء اللغة والبلاغة فحسب ؛ بل تعداه إلى علماء الأصول والتفسير .

أما الحقيقة ، فيحدها عبد القاهر الجرجاني بأنها " كل كلمة أُريد بها ما وقعت له في وضع واضح - وإن شئت قلت : في مواضعه - وقوعا لا يستند إلى غيره فهي حقيقة ".⁽¹⁾ وهو حدّ الحقيقة في المفرد . وأما حدّها في الجملة : " فكل جملة وضعتها على أنّ الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه فهي حقيقة ؛ ولن تكون كذلك حتى تعرى من التأويل ".⁽²⁾ وقد مثل لذلك بقوله : خلق الله تعالى الخلق ، وأنشأ العالم ، وأوجد كل موجود سواه .

ويعلق سمير أحمد معلوف على قول الجرجاني فيقول : " ويظهر هذا الحدّ أن الحقيقة في الجملة مردّها إلى دلالتها ، فإن كانت الدلالة فيها على ما يُوجب العقل فهي كذلك ، وإلا فإنّها تعني تبدل الدلالة في الجملة إلى غير الحقيقة [...] فالحقيقة هي استعمال الجملة العربية بركنيها المسند والمسند إليه مع ملاحظة العلاقة المعنوية بينهما بحيث يكون المسند من فعل المسند إليه حقيقة لا تأويلا ".⁽³⁾ ويعرفها ابن جني بقوله : " الحقيقة : ما أقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة ".⁽⁴⁾ نستخلص من التعريفين أن الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما وُضعت له في الاصطلاح . كما نلاحظ في تعريف ابن جني تنبّه لفكرة الاستعمال .

وقد أورد السكاكي ثلاث تعريفات للحقيقة ، حيث يعرفها بأنها " الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع ".⁽⁵⁾ وهي : " الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة ".⁽⁶⁾ وهي أيضا : " الكلمة المستعملة في معناها بالتحقيق ".⁽⁷⁾

وما يُلاحظ في تعريف السكاكي أنّه قيّد استعمال الكلمة فيما وُضعت له بـ (من غير تأويل في الوضع) وقد علل ذلك بقوله : " ليحترز به عن الاستعارة ، ففي الاستعارة تعدّ الكلمة مستعملة فيما هي موضوعة له على أصح القولين ولا نسميها حقيقة بل نسميها مجازا لغويا لبناء دعوى المستعار موضوعا للمستعار له على ضرب من التأويل ".⁽⁸⁾

-
- 1- أسرار البلاغة في علم البيان ، تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، ط 2 ، ص 303 .
 - 2- المصدر نفسه ، ص 331 .
 - 3- حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز ، دراسة في المجاز الأسلوبى واللغوي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1996 ، ص 85 .
 - 4- الخصائص ، ج 2 ، ص 442 .
 - 5- مفتاح العلوم ، ضبط وتعليق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 ، 1987 ، ص 358 .
 - 6- المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .
 - 7- المصدر نفسه ، ص 359 .
 - 8- المصدر نفسه ، ص 358 .

أمّا الخطيب القزويني فيحدّد الحقيقة على أنّها : " الكلمة المستعملة فيما وُضعت له في اصطلاح به التخاطب " .⁽¹⁾

وقد قيّد القزويني - في تعريفه - الكلمة بقيود ثلاثة⁽²⁾ ، هي :

- أنّها مستعملة ، فالكلمة قبل الاستعمال لا تسمى حقيقة كما لا تسمى مجازاً .
- وفيما وُضعت له ، فالمراد بالوضع " تعيين اللفظ للدلالة على معناه بنفسه من غير قرينة .
فدلالة اللفظ على معناه المجازي ليست وضعية ؛ لاحتياجه إلى القرينة المانعة من إرادة المعنى الوضعي " .⁽³⁾

- في اصطلاح به التخاطب ، " خرج بذلك الكلمة التي يستعملها المتكلم في غير ما وُضعت له في اصطلاحه " ⁽⁴⁾ ، كلفظ " الصلاة " تُستعمل في عُرف الشرع في الدعاء ، فهي مجاز بحسب اصطلاحه وإن كانت حقيقة في اصطلاحه اللغوي .
وتنقسم الحقيقة عند العلماء إلى : لغوية وشرعية وعرفية⁽⁵⁾ .

فالحقيقة اللغوية ، هي ما وضعها واضع اللغة ودلت على معنى مصطلح عليه في تلك المواضع ، فمرجع الدلالة فيها إلى وضع اللغة كاستعمال لفظ الإنسان في معناه الموضوع له في عُرف اللغة .

والحقيقة الشرعية ، هي اللفظة التي يضعها أهل الشرع لمعنى غير ما كانت تدل عليه في أصل وضعها اللغوي كالصلاة والزكاة ، فهي ألفاظ نُسيّت معانيها اللغوية ودلت بالشرع على معانٍ أخرى صارت فيها حقائق شرعية . فمرجع الدلالة فيها إلى اصطلاح أهل الشرع .

وأما **الحقيقة العرفية** ، هي ما لم يتعين واضعها . وهي قسمان : خاصة وعامة . فأما **الخاصة** ، فهي ما كان مرجع الدلالة فيها إلى عُرف خاص كاستعمال لفظ : المبتدأ والخبر والفاعل والمفعول في معانيها المصطلح عليها في عُرف النحويين . فقد نسي النحاة معانيها اللغوية وصارت هذه الألفاظ حقائق في ما اصطُح عليها نحوياً .

1- الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 202 .

2- بسبوي عبد الفتاح فيّود ، علم البيان ، دراسة تحليلية لمسائل البيان ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 4 ، 2015 ، ص 116 .

3- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

4- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

5- السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 359 . وانظر : بسبوي عبد الفتاح ، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان ، ص 116 - 117 . والقزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 204 .

وأما العامة فهي ما كان مرجع الدلالة فيها إلى عُرف عام لم يتعين واضعه ، فاستعمال لفظ " الدابة " عند كثير من الناس للدلالة على الحيوان الذي يستخدمونه في حياتهم اليومية ، وهي موضوعة في أصل اللغة للدلالة على كل ما دبّ على الأرض ، فتحول استعمالها للدلالة على الحيوان الذي يستعملونه حقيقة في عُرفهم .

وأما المجاز ، فهو صورة لكلام العرب لذلك يرى ابن جني أنّ أكثر اللغة مجازا لا حقيقة .⁽¹⁾ وقد أقر الزركشي بوقوعه في القرآن الكريم مخالفا بذلك من أنكره ، وعلل ذلك بقوله : " لو وجب خلو القرآن من المجاز لوجب خلوه من التوكيد والحذف [...] ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن " .⁽²⁾

وقد نظر الجاحظ إلى المجاز على أنه " طريقة في القول ، ووسيلة من وسائل المتكلم يصوغ بها الكلام " .⁽³⁾

والمجاز عند الجرجاني خلاف الحقيقة ، فهو " كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز . وإن شئت قلت : كل كلمة جرت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أنّ تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز " .⁽⁴⁾

هذا عن المجاز في المفرد . أما المجاز في الجملة ، فهو " كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل لضرب من التأويل " .⁽⁵⁾ وقد مثل لذلك ب : " فعل الربيع " بإسناد الفعل إلى غير فاعله الحقيقي ، " فقد أثبت الإنبات للربيع ، وذلك خارج عن موضعه من العقل لأن إثبات الفعل لغير القادر لا يصح في قضايا العقول إلا أن ذلك على سبيل التأول وعلى العرف الجاري بين الناس أنّ يجعلوا الشيء إذا كان سببا أو كالسبب في وجود الفعل من فاعله كأنه فاعل " .⁽⁶⁾

1- الخصائص ، ج 2 ، ص 447 .

2- البرهان في علوم القرآن ، ج 2 ، ص 255 .

3- سمير أحمد معلوف ، حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز ، ص 382 .

4- أسرار البلاغة ، ص 304 .

5- الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 332 .

6- المصدر نفسه ، ص 332 وما بعدها .

وأما السكاكي فقد أورد للمجاز ثلاثة حدود ، فيعرفه بأنه : " الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق ، استعمالا في الغير ، بالنسبة إلى نوع حقيقتها ، مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع ".⁽¹⁾ وهو " الكلمة المستعملة ، في غير ما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة ، استعمالا في الغير ، بالنسبة إلى نوع حقيقتها ، مع قرينة مانعة من إرادة ما تدل عليه نفسها ، في ذلك النوع ".⁽²⁾ وهو كذلك : " الكلمة المستعملة في معنى معناها بالتحقيق استعمالا في ذلك بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع ".⁽³⁾

وما نستخلصه من تعريف السكاكي للمجاز أنه :

- تجوّز الكلمة لمفهومها الأصلي إلى غيره .

- بالاعتماد على القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي .

ويقترّب تعريف الخطيب القزويني من تعريف السكاكي للمجاز ، فيحدّه بأنه : " الكلمة المستعملة في غير ما وُضعت له ، في اصطلاح به التخاطب ، على وجه يصح ، مع قرينة عدم إرادته " .⁽⁴⁾

وقد قصد بقوله : (في اصطلاح التخاطب) " إشارة إلى أنّ المعتبر في تحديد المجاز أو الحقيقة ، الاصطلاح الذي يقع به التخاطب " .⁽⁵⁾ وأشار بقوله : (على وجه يصح) إلى العلاقة الرابطة بين المعنيين .

ويعرّفها [= العلاقة] البلاغيون " بأنها الأمر الذي يقع به الارتباط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي فيصح الانتقال من الأول إلى الثاني " .⁽⁶⁾

واحترز بقوله : (مع قرينة) عن الكناية . وهي " الأمر الذي يصرف الذهن عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي " .⁽⁷⁾

1- مفتاح العلوم ، ص 359 .

2- المصدر نفسه ، ص 359 - 360 .

3- المصدر نفسه ، ص 360 .

4- الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 204 .

5- بسيوني عبد الفتاح ، علم البيان ، دراسة تحليلية لمسائل البيان ، ص 120 .

6- عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1985 ، ص 156 .

7- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

إذن ، فالعبرة في المجاز هو الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى النهائي الذي يقصده المتكلم من وراء ألفاظه ، فهو نوع من التوسع عند الجاحظ والاتساع عند عبد القاهر الجرجاني . يقول الجاحظ : " وهذا ما يدل على توسعهم في الكلام " .⁽¹⁾

ويقول الجرجاني : " اعلم أن طريق المجاز والاتساع في الذي ذكرنا قبل ، أنك ذكرت الكلمة وأنت لا تريد معناها ، ولكن تريد معنى ما هو ردف له ، أو شبهه ، فتجاوزت بذلك في ذات الكلمة ، وفي اللفظ نفسه .

وإذا عرفت ذلك ، فاعلم أن في الكلام مجازا على غير هذا السبيل ، وهو أن يكون التجوز في حكم يجري على الكلمة فقط ، وتكون الكلمة المتروكة على ظاهرها ، ويكون معناها مقصودا في نفسه " ⁽²⁾ لأنّ " وجود معنى اللفظ فيه يبعد القول بالمجاز " .⁽³⁾

وبالاتساع أو التوسع يتم التعبير عن المعاني التي لا تستطيع الألفاظ التعبير عنها بالمعاني التي وُضعت لها ، " فهو حالة اضطرارية ولكنها مقيدة بمعنى الكلمات الوضعية التي لم يتخل المتكلم عنها ، فيستطيع السامع فهم " الرسالة " اللغوية ، لأنه ذكر من ارتباطات معنى الكلمة بالواقع ، ومن ارتباطه بالسياق اللغوي " .⁽⁴⁾

وبهذا ، يُطلق المتكلم في المجاز لفظا ويقصد معنى غيره لعلاقة بين المعنيين ، فهو " يذكر لفظا ويحذف معناه ويقصد معنى ويحذف لفظه ، بينما المخاطب يقوم بعملية عكسية : يحذف لفظ المتكلم ويبقى معناه ويفترض لفظا من عنده ويحذف معناه " .⁽⁵⁾

فأساس كل مجاز هو إيجاد العلاقة التي ترتبط بين المعنيين وربطها بما يفترضه المتكلم ، وذلك يتطلب ذكاءً من المتلقي لتحقيق ذلك .

إذن ، فالجهاز " أبدا أبلغ من الحقيقة " .⁽⁶⁾ فهو يُكسب الكلام وضوحا وجمالا وتأثيرا لا يُكسبه إياه شيء آخر " فوجوه البلاغة المختلفة هي من وسائل الإيحاء بالحقيقة عن طريق

1- محمد الصغير بناني ، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1994 ، ص 283 .

2- دلائل الإعجاز ، ص 274 .

3- توفيق الفيل ، بلاغة التراكيب - دراسة في علم المعاني ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1991 ، ص 27 .

4- سمير أحمد معلوف ، حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز ، ص 393 - 394 .

5- محمد الصغير بناني ، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين ، ص 283 - 284 .

6- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 82 .

الخيال " (1) لما يُحدثه من فوضى في العلاقات اللغوية " وتحطيم ذلك التعسف القائم في الربط بين اللفظة ومدلولها ، وتلك الفوضى المستحدثة تتحول لتخلق نظاما جديدا يطلق عليه كلمة المجاز " (2) . هذه الفوضى في العلاقات لها قدرتها الإيجابية والتأثيرية في نفس المتلقي وتمكّن المبدع من الخلق والابتكار والإبداع .

والمقصود (بإحداث الفوضى في العلاقات اللغوية) إحداث خلل في قاعدة الاستبدال والعدول عن النمط التركيبي الأصيل في اللغة (3) ، فعند قولنا : اختلست النظر ، فقد نُسب الاختلاس إلى النظر ، وهذا نمط مخترع مبتكر يخرج عن العلاقات اللغوية المألوفة ؛ لكن هذا الخروج ليس مطلقا ، وإنما قيّد بوجود القرينة المانعة ، " فالجهاز على هذا يقدم لنا معنيين في آن واحد " (4) ، لذلك عبّر السكاكي عنه بقوله : " الكلمة المستعملة في معنى معناها " (5) .

فالجهاز وسيلة لإثراء اللغة وتوسيع حقلها ، وهو دليل واضح على حيويتها وتجديدها ، كما أنه أساس للخلق والإبداع " لأن المتكلم المكتشف للمعنى الجديد شبيه بالكيميائي الذي يولد مركبات جديدة من العناصر القديمة التي بين يديه " (6) لذلك يرى عبد القاهر الجرجاني أن المجاز يحتاج إلى حدة الذهن وقوة الخاطر (7) .

التشكيل الاستعاري :

الاستعارة من المجاز (*) . فهي مجاز لغوي . وتمتد إلى المجال الدلالي فيتحقق إزاء ذلك مجالا دلاليا من الناحية الصورية ، فيتولى السياق - حينئذ - الفصل في الاختيار الدلالي الملائم والذي يحقق تواسلا في الدورة الخطابية . وهي عند الجاحظ " تسمية الشيء باسم غيره ، إذا قام مقامه

1- محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 1 ، 1994 ، ص 65 .

2- المرجع نفسه ، ص 68 .

3- المرجع نفسه ، ص 72 - 73 .

4- المرجع نفسه ، ص 74 .

5- مفتاح العلوم ، ص 360 .

6- محمد الصغير بناني ، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين ، ص 285 .

7- دلائل الإعجاز ، ص 275 .

* قسّم علماء البلاغة المجاز إلى قسمين ، مجاز لغوي ، ويسمى مجازا في المفرد ، ومجاز عقلي ، ويسمى مجازا في الجملة . والمجاز اللغوي ضربان : مجاز مرسل واستعارة .

"(1) ويحدّها عبد القاهر الجرجاني بقوله : " الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيئ إلى اسم المشبه به فتعيّره المشبه وتجرّبه عليه ".(2) وقد مثل لذلك بقوله : رأيت رجلا هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء ، فتدع ذلك وتقول : رأيت أسدا .

وهو ما يتفق مع تعريف المحدثين لها ، حيث يُعرّفها ديمارسيه Dumarsais بوصفها " محسنا تُنقل بفضل الدلالة الحقيقية لاسم ما إلى دلالة أخرى لا تناسبها إلا بفضل تشبيه يوجد في الذهن ".(3)

فالكلمة المستخدمة في معناها الاستعاري تفقد دلالتها الحقيقية وتكتسب بذلك دلالة جديدة والتي لا يمكن الإمساك بها إلا من خلال المقارنة التي تقوم بها بين المعنى الحقيقي للكلمة وبين المعنى الجديد لها ، " ولما كانت الاستعارة للمعنى ليضفي تصورا دلاليا جديدا للسياق بامتزاجه مع معنى السياق الحقيقي السابق كان ذلك نوعا من الاتساع في هذا المعنى الأصلي ، وعدولا باللفظ عن الظاهر ".(4) فتغيّر المعنى في السياق يوحى بالمعنى الجديد الذي تكتسبه اللفظة ، فعندما نقول : رأيت أسدا ، فهذا يعني أننا نريد أن نقول إنّ الرجل يتصف بقوة الأسد وشجاعته ، والسياق وحده الذي يسمح بتحديد الصفة المختارة المقصودة بالتبليغ ومن ثم التواصل .

وقد عدّها ابن رشيق " أفضل المجاز وأول أبواب البديع وليس في حلى الشعر أعجب منها وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها ".(5)

والاستعارة مبنية على التشبيه حيث عرّفها السكاكي بقوله : " أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر ، مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به ، دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به ".(6)

وهو ما يوافق قول الخطيب القزويني : " هي ما كانت علاقته تشبيهه معناه بما وضع له ".(7)

1- سمير أحمد معلوف ، حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز ، ص 387 .

2- دلائل الإعجاز ، ص 80 .

3- فرانسوا مورو ، البلاغة ، المدخل إلى دراسة الصور البيانية ، ترجمة الوالي محمد وجريير عائشة ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2003 ، ص 31 .

4- سمير أحمد معلوف ، حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز ، ص 389 .

5- العمدة ، ج 1 ، ص 268 . وانظر : أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، دار الفكر ، بيروت ، 2009 ، ص 234 .

6- مفتاح العلوم ، ص 369 .

7- الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 212 .

فالاستعارة ، من خلال التعريفين ، قائمة على التشبيه متضمنة له ، فهي مجاز " ثم نقلت إلى نوع آخر من التخيل لقصد المبالغة في التخيل والتشبيه والإيجاز ".⁽¹⁾ هذا يعني أنّ الخطاب الاستعاري قائم من الناحية الدلالية على نحو من الإيحاء الدلالي القائم على التخيل ، والعاكس لمرونة اللغة من حيث البنية ومن حيث الوظيفة .
من خلال هذا ، يمكن تعريف الاستعارة بأنها لفظ استعمل في غير معناه الأصلي لعلاقة المشابهة بين المعنيين ، مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي .

انطلاقاً مما تقدم يمكن تحديد مرتكزات الاستعارة الأساسية⁽²⁾ ، وهي :

- لا تتعلق الاستعارة إلا بكلمة واحدة .(*)
- وكلّ كلمة يمكن أن يكون لها معنيان : معنى حقيقي ، ومعنى مجازي .
- وأنّ الاستعارة لا تحصل باستبدال كلمة حقيقية بكلمة مجازية .
- وأنّ هذا الاستبدال مبني على علاقة المشابهة .

وهي أسس النظرية الإبدالية عند البلاغيين الغربيين المحدثين ، والتي تتفق كثيراً مع مبادئ النظرية البلاغية العربية التي حددنا أركانها سابقاً ، والتي ترى أنّ للكلمة معنيين : حقيقي مستغنى عنه ، ومجازي وهو المذكور المقصود ، " وقد حصل المعنيان بإبدال الكلمة الحقيقية ، كلمات مجازية . والمسوغ لهذا الاستبدال علاقة المشابهة الحقيقية والوهمية ".⁽³⁾

وقد اهتمدى البلاغيون المحدثون إلى نظرية جديدة أطلقوا عليها اسم " النظرية التفاعلية " التي تنظر إلى السياق على أنه المنطلق لتحديد المعنى الحقيقي أو المجازي للكلمة ، وأنّ الاستعارة لا تقتصر على الكلمة الواحدة ، وإنما تحصل من خلال " التفاعل أو التوتر بين بؤرة المجاز وبين الإطار المحيط بها ".⁽⁴⁾ فإحداث " الفوضى " والخروج عن النمط التركيبي المألوف تتحقق الاستعارة .

1- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 432 - 433 .

2- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، ص 83 .

* لئن كنّا نتبنى مذهب محمد مفتاح في التحديد إلا أننا نؤكد أنّ مردّ تعلق الاستعارة بكلمة واحدة راجع إلى الطبيعة الوظيفية الكلامية ، نعني بذلك سريانها في إطار سياق تواصل معين .

3- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، ص 83 . وانظر : مصطفى ناصف ، النقد العربي ، نحو نظرية ثانية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، مارس 2000 ، ص 194 - 195 .

4- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، ص 84 .

إنّ النظرية التفاعلية أخرجت الخطاب الاستعاري من التحليل النمطي الصوري للغة ، إلى التحليل الوظيفي التداولي الذي يراعي في البنية الاستعارية بُعده الاستعمالي القائم على التواصل (إفهام المتلقي قصده) .

كما أنّ علاقة المشابهة ليست هي العلاقة الوحيدة فيها ، فقد تكون علاقات أخرى غير هذه العلاقة . وأنّ الاستعارة لا تقتصر على الهدف الجمالي التشخيصي فحسب ؛ " ولكنها أيضا ذات قيمة فنية عاطفية ووصفية ومعرفية " ⁽¹⁾ ، وهو ما أشار إليه هانس أدانك Hans Adank في تمييزه بين درجات القوة الاستعارية ⁽²⁾ ، وهي : الاستعارة التفسيرية والاستعارة العاطفية ، والاستعارة التي تتوفر على هاتين الخاصيتين في آن واحد . ويمثل هانس أدانك لذلك بعبارة فيكتور هيجو : " إنّ البحر ، في الأسفل ، باهت ورصاصي " . فكلمة (رصاصي) تثير ، في ذات الوقت عند القارئ ، انطباع اللون الرمادي وإحساسا بثقل مزعج ، " أيّ إنّ الأمر يتعلق بمشابهة مضعفة مشابهة واقعية وقيمية " ⁽³⁾ . فالمشابهة القيمية تتعلق بالاستعارة العاطفية ، والمشابهة الواقعية تتصل بالاستعارة التفسيرية .

إنّ رؤية هؤلاء البلاغيين المحدثين ، والتي انصبت على السياق في حصول الاستعارة ، تلتقي مع جهود بعض البلاغيين العرب أمثال السكاكي الذي " ينطلق من مفهوم الادعاء ليؤول على ضوئه ما سمي بالاستعارة المكنية " ⁽⁴⁾ . وقد مثل لذلك بقوله تعالى : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء ، الآية : 24] ، " فعنده أنّ الذل مراد به الطائر بادعاء أنه عينه بإضافة قرينة الجناح الذي هو من خواص الطائر ولوازمه إليه ، وليس مراد من الذل مجرد الخضوع حتى يكون مستعملا في معناه الحقيقي بل الذل المفروض هو أنه عين الطائر ادعاء " ⁽⁵⁾ . ومعنى هذا " أنّ كلمة الذل ليس لها معنى محدد بكيفية مطلقة ونهائية ، ولكنها تكتسب معناها من السياق " ⁽⁶⁾ . وعليه فإننا نجد عند السكاكي ما قد يتوافق مع بعض عناصر النظرية التفاعلية الحديثة .

1- المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

2- فرانسوا مورو ، البلاغة ، المدخل إلى دراسة الصور البيانية ، ص 34 - 35 .

3- المرجع نفسه ، ص 35 .

4- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، ص 85 .

5- أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة ، ص 281 .

6- محمد مفتاح ، السابق ، ص 85 .

ومهما يكن من أمر الاستعارة ، ومهما تعددت علاقاتها ، فإنّ علاقة المشابهة تبقى هي العلاقة الجوهرية في الاستعارة ، ولذلك سعى عبد القاهر الجرجاني إلى وضع شروط ضرورية لضبط هذه المشابهة ، فقد وضع مفهومين إجرائيين أساسيين ، هما :⁽¹⁾

1- الاشتراك في جنس الصفة ، بحيث يكون الحدان فيه محسوسين . ومثّل لذلك بقوله : الخد وردة ، فصفة (الحمرة) جنس يشتمل حمرة الخد وحمرة الوردة ويشتركان فيها . وذلك ما يُعرف بالقرينة في الاصطلاح المنطقي المعروف عند جمهور البلاغيين .

2- الاشتراك في الحكم والمقتضى ، بمعنى أن يكون الحدان محسوسين ، ولكن ليس هناك مقوم جوهري متراكم يجمع بينهما ، " فإذا كانت [+ الحلاوة] في العسل مقوما جوهريا فإنّ [+ الحلاوة] ليست عرضا ناتجا عن مقبولية الكلام . وحينما تكون المشابهة معقودة على العرض فإنّ احتمالات وقوعها عليه تبقى مفتوحة حتى يصل المتلقي إلى المطلوب بنفسه ويضبطه . وإذا لم يسعفه التركيب بأي شيء ولو كان عرضا متوهما فإنه غير سليم " .⁽²⁾

تأسيسا على هذه الأطر النظرية للاستعارة ، سنتناول تحليل بنيتها باعتبارها شكلا من أشكال التعبير عند الغماري يجسد بها مفهومه لعالمه الشعري ، يقول :

وَتَرَى عَلَى أَيَّامِهِ أُرَاسَ يَهْزَأُ بِالنُّوبِ⁽³⁾

يضفي الغماري في هذه الصورة صفة الإنسان (يهزأ) على شيء مادي (أوراس) . وتكسيه لمثل هذا النمط التركيبي بإسناد الفعل (يهزأ) لما ليس له في أصل الوضع نتجت عنه صورة ذات دلالات مشوقة تدفع بالخيال الفكري إلى أن يسبح في أجواء رحيبة ، فقد استعار الشاعر صفة إنسانية خاصة (الاستهزاء) وأطلقها على العام مما جعله يُكسر أفق التوقع عند القارئ على مذهب يابوس .

ومن الصور الاستعارية الأخرى ، قوله :

وَالشَّكُّ فِي عُقُولِهِمْ حَفَّارٌ !⁽⁴⁾

1- أسرار البلاغة ، ص 78 .

2- محمد مفتاح ، السابق ، ص 98 - 99 .

3- الديوان ، ص 11 .

4- الديوان ، ص 105 .

فقد استعار الغماري صفة الحفر ، وهي صفة خاصة بالإنسان لشيء معنوي هو الشك . ولما سيطر الشك على عقولهم وأمكنَ منهم ، فقد شبه الشاعر ذلك بعملية حفر لِمَا يَنْتُج عنه من هدم وتشويه ، إذ استعار فعل الحفر للشك وهو يستدعي قوَّةً وجهدًا ، ولا يكون ذلك إلا للإنسان العاقل .

ويقول الغماري في صورة استعارية أخرى :

هَلَّا سَكْرَةٌ تَزْرَعُ فِي قَلْبِي عَنَاقِيدَ الْأَمَانِي (1)

في هذه الصورة الاستعارية (عناقيد الأماني) جعل الشاعر (الأماني) ، وهي شيء معنوي لا يمكن إدراكه بالحواس ، إذ جعل لها عناقيد ثمار يشتهيها الشاعر أن تُزْرَعَ لثُبُت في قلبه ثمار الأمل . فقد شخص (الأماني) بأنَّ ألبسها ثوب العنقود وقدمها في صورة المادي المحسوس .

اعتمد الغماري لغة مجازية تمثلت في استخدامه للصور الاستعارية ، وقد كان توظيفها مناسباً ، ونعني بالمناسب ذلك التقارب بين المستعار منه والمستعار له ، بوجود قرينة تُمكن المتلقي من الوصول إلى المعنى المقصود . فصوره بعيدة عن الغرابة لا تُوقِع القارئ في الالتباس والغموض .

وكانت الاستعارة عند الغماري مبنية على التشبيه في السياق الدلالي ، إذ ساعدت على التصوير بالمقارنة بين طرفي التشبيه ، بأن يكون المشبه به أجلى صفة وأوضح .

التشكيل التشبيهي :

يُعتبر التشبيه من أكثر الأنواع البلاغية اهتماماً من قِبَل البلاغيين القدماء والمحدثين ، فهو " بمثابة مقدمة ضرورية لا يمكن تأمل الاستعارة والمجاز دونها " (2) باعتباره من أقدم وسائل الخيال

1- الديوان ، ص 66 .

2- جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 3 ، 1992 ، ص 171 .

وأقربها إلى الفهم ، " لذلك اعتبره بعضهم من الفنون التي تمثل المراحل الأولى من التصوير الأدبي والربط بين الأشياء لتقريبها أو توضيحها أو إضفاء مسحة من الجمال ".⁽¹⁾

واتفقت تعريفات البلاغيين - القدماء والمحدثين - للتشبيه ، إذ يُعرّفه ابن رشيق بقوله : " التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله ، من جهة واحدة أو من جهات كثيرة لا من جميع جهاته ؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إيّاه ".⁽²⁾

فالتشبيه يستدعي التماثل والمشاركة بين الشيئين من وجوه ، والاختلاف والتباين من وجوه أخرى ؛ " وإلا انتفى معنى التشبيه إذا اتحد الشيئان في جميع صفاتهما وأحوالهما ".⁽³⁾ لذلك عُدّ التشبيه " علاقة مقارنة بين طرفين لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة ، أو مجموعة من الصفات والأحوال . هذه العلاقة قد تستند إلى مشابهة حسية ، وقد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني ".⁽⁴⁾

وينظر النقاد المحدثون إلى التشبيه وقيّمته على أنه " أوضح الصور المجازية ظهوراً في التعبير وأقربها في تناول لوضوح التعبير وجلائه " ⁽⁵⁾ لأنّ تلوين المعاني به " يُضَاعِفُ قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بما مدحاً أو ذمّاً أو افتخاراً أو غير ذلك ".⁽⁶⁾

فالتشبيه يُنظر إليه من خلال العلاقة الجديدة التي تربط بين طرفيه ، وما يمكن أن تُولد من دلالات وإيحاءات جديدة ، فلا يُنظر إليه على أنّه صورة شعرية تقوم على التقريب بين شيئين ، " وإنما من خلال عملية التقريب والجمع بحد ذاتها ، ومع موقع هذا الجمع داخل السياق العام ".⁽⁷⁾

1- أحمد مطلوب ، فنون بلاغية ، البيان والبديع ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط 1 ، 1975 ، ص 27 .

2- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ج 1 ، ص 286 .

ولمزيد من التعريفات ، يُنظر : - السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 157 .

- ابن الأثير ، المثل السائر ، ج 1 ، ص 388 .

- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 164 .

- العلوي ، الطراز ، تحقيق عبد الحميد هندواي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط 1 ، 2002 ،

ج 1 ، ص 163 .

- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج 3 ، ص 414 .

3- سعد سليمان حمودة ، دروس في البلاغة العربية ، دار المعرفة الجامعية ، 1999 ، ص 23 .

4- جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، ص 172 .

5- سعد سليمان حمودة ، دروس في البلاغة العربية ، ص 24 .

6- عبد المتعال الصعيدي ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 10 ، 1999 ، ج 3 ، ص 7 .

7- صبحي البستاني ، الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ، الأصول والفروع ، دار الفكر اللبناني ، ط 1 ، 1986 ، ص 115 .

يعمل التشبيه على اختصار الكلام ، ويختصر القصد في طريق الإقناع ، كما أنه يؤدي دورا في المحافظة على النسج الشعري ، وفي هذا يقول الجرجاني : " واعلم أنّ ما اتفق العقلاء عليه أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته ، كساها أبهة ، وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها وشبّ من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها ، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صباة وكلفا ، وقسر الطباع على أن تعطىها محبة وشغفا " .⁽¹⁾

وقد حرص الغماري على توظيف الصور التشبيهية - وإن بصورة أقل تواترا من الاستعارة - باعتباره يسعى إلى مدّ جسور ربط بين الأشياء لتقريب الصورة من ذهن المتلقي . وقد ارتأينا تقسيم التشبيه إلى ثلاثة أقسام :

أ- التشبيه الحسي : وقد قسمناه حسب أوجه التقارب فيه إلى :

1- تشبيه حسي يقع في الأشكال :

ومن نماذجه ، قول الغماري :

دُمْنَا خُطَانًا قِصَّةُ الْجِيلِ⁽²⁾

في هذه الصورة التشبيهية الحسية ، يجمع الغماري بين الدم الذي دفعه الآباء والأجداد ضريبة مع قصة جيله المغوار الذي يرفض كلّ مظاهر الذل والاستكانة ، وهما شيئان حسيّان . فالتشابه بينهما وقع في التضحية ، فكما أنّ الدم كان رمزا للتضحية فكذلك قصة هذا الجيل .

2- تشبيه حسي يقع في الحركة والشكل :

وهو صورة يقع فيها التشابه بين الشيئين من جهة الحركة والشكل . يقول الشاعر :

تَعَبَّدُوا فِي السُّعَارِ الْمُرِّ ...

كَالْجَاهِلِيِّ عَلَى أَعْتَابِ نَادِيهِ !⁽³⁾

عمد الغماري ، في هذه الصورة التشبيهية ، إلى إيجاد نقاط التقاء بين حركة التعبّد في الضلال والابتعاد عن جادة الصواب مع المشبه به (الجاهلي) الذي ترك عبادة الله وتوحيده واتجه إلى عبادة الأوثان . فوجه الالتقاء بين المشبه والمشبه به هو الضلال والانحراف عن الحق .

1- أسرار البلاغة ، ص 92 - 93 .

2- الديوان ، ص 25 .

3- الديوان ، ص 45 .

3- تشبيه حسي يقع في الحركة والذوق :

وهو الذي يكون التشابه فيه يجمع بين الحركة والذوق . يقول الغماري :

أَمْ مَسَافَاتُ السِّنِينَ .. ؟

مُرَّةٌ كَالْحَمْرِ ؟ (1)

يعقد الشاعر علاقة بين المسافة الطويلة ووطئها معتمدا في ذلك على حاسة النظر ، وبين الحمرة التي تذهب العقل مرتكزا على حاسة ثانية هي الذوق . وما يجمع بين مسافات السنين وبين الحمرة إنما هو التأثير ، فكلاهما له وقع وتأثير سيء سلبى على النفس . فالصورة تمثل ذلك القلق والاضطراب الذي انتاب الشاعر .

4- تشبيه حسي يقع في اللون والحركة :

وفيه يتقارب المشبه والمشبه به في اللون والحركة . ومن نماذجه قوله :

وَتَنَائِي كَالْغُرُوبِ .. (2)

يجمع الغماري في هذه الصورة بين مكونين متباعدين ، فيشبهه النأي والفراق بلون الغروب الشاحب . إذ يشبهه ألم النوى والبعد وما يحدثه في النفوس بلون الغروب الشاحب المؤثر الذي ينذر بالزوال والاندثار ، واقتراب الليل المثقل بهمومه .

5- تشبيه حسي يقع في الشكل والأصوات :

وهو صورة يكون التقارب فيها بين الشئيين المتشابهين من ناحية الصوت والشكل . ومن أمثله قول الغماري :

دَمْنَا الْغَالِي أَهَازِيْجُ ابْتِهَالِ (3)

في هذه الصورة يُدرك التشابه فيها بين المشبه والمشبه به بالاعتماد على حاسة السمع ، إذ يجمع الشاعر بين الدم وما يدل عليه من جهاد وتضحية وشهادة ، مع أصوات الأهازيج التي تصدح بها الحناجر تهليلا بالنصر والحرية . فالصورة تمثل نشوة الشاعر بالتضحية وتحقيق النصر .

6- تشبيه حسي يقع في الذوق والشكل :

ومن نماذجه قول الغماري :

1- الديوان ، ص 57 .

2- الديوان ، ص 59 .

3- الديوان ، ص 65 .

مُرُّ .. كَوَجْهِ المُوَمَسَاتِ (1)

يجمع الغماري في هذه الصورة بين شيئين متقاربين ، التسكع المرّ ووجه المومسات . فوجه التشابه يقع في الذوق القائم على عدم التقبّل ، حيث يذم الشاعر تلك الأيام التي لم تأتِ إلا بالجراح والآلام ، فلم يتذوق منها غير المرارة والحسرة ، مشبها ذلك بوجه المومسات العبوس الذي لا يُنبئ إلا بالأحزان والأسى . فالشاعر ، من خلال هذه الصورة ، تمكن من الجمع بين المتشابهين وقرّبهما من ذهن المتلقي .

ب- التشبيه المعنوي : يكون التقارب فيه بين الأشياء غير المدركة بالحواس . ومن نماذجه

تشبيه المعنوي بالمعنوي في قول الغماري :

مُوغَلَةٌ فِي الغِيِّ كَالضَّغِينَةِ ! (2)

يعقد الشاعر في هذه الصورة التشبيهية علاقة تقارب بين الأشياء المعنوية غير المدركة بالحواس ، فيجمع المشبه (الغي) مع المشبه به (الضغينة) ، وهما متجانسان . فكلّ من الغي والضغينة من الصفات الذميمة التي تستنكف النفس الإنسانية السوية التمثل بهما .
ومن أمثله أيضا قوله :

حُبِّي عَلَى حُلْمِ الطُّفُولَةِ هَمْسَةٌ (3)

في هذه الصورة يجمع الغماري بين حبّه لزمن الطفولة وحلمها ، وهو تعبير عن شعور إنساني نبيل ، وبين الهمسة التي تُعبّر عن الطمأنينة والسكون . فكلّ من الحب والهمس لا يُدرك كنهه بالحواس ، بل يُدرك معناه بالعقول .

ج- تشبيه يجمع بين المعنوي والحسي :

ومن صوره قول الغماري :

صُوفِيَّةٌ كَالسَّيْفِ (4)

1- الديوان ، ص 79 .

2- الديوان ، ص 104 .

3- الديوان ، ص 109 .

4- الديوان ، ص 51 .

في هذه الصورة يجمع الشاعر بين السيف من حيث هو شيء مادي مدرك بالحواس وبين التصوف باعتباره اعتقاداً . وما يجمع بين المتشابهين هو التأثير . فالصورة هنا وردت في غاية الدقة ، فكما أنّ السيف حدّه قاطع ، فيؤثر على المسلط عليه ، فكذلك بالنسبة للتصوف فله تأثيره على نفسية معتقده بأن جعله يسمو بروحه إلى مصاف الملائكة .
ومن نماذجه أيضاً قوله :

وَالطُّهْرُ كَالْمَسِيحِ فِي الْيَهُودِ !!⁽¹⁾

جمع الغماري في هذه الصورة بين الطُّهْر الذي يحمل دلالة النقاء والتُّقى ، وبين المسيح الذي يدل على الإيمان والإخلاص . والصورة تعكس النزعة الصوفية عند الشاعر .

التشكيل الكنائي :

الكناية لون من ألوان التعبير البياني ، اهتم بها النقاد العرب ، وعرفوا منزلتها من الإيضاح والتأثير . ويُعتبر قدامة بن جعفر من الأوائل الذين درسوا الكناية تحت باب : " ائتلاف اللفظ والمعنى " ، وقد أطلق عليها مصطلح " الإرداف " إذ يقول : " وهو أنّ يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى ، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له فإذا دلّ التابع أبان عن المتبوع " .⁽²⁾

ويحدّثها عبد القاهر الجرجاني بقوله : " أنّ يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكر باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورفده في الوجود فيومي به إليه ويجعله دليلاً عليه " .⁽³⁾

ويُبرز الجرجاني فضل الكناية في الكلام ، فيُردف قائلاً : " هذا فن من القول دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، وهو أنّا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بأن يذهبوا بها مذهب الكناية والتعريض ، كذلك يذهبون في إثبات الصفة هذا المذهب . وإذا فعلوا ذلك بدت هناك محاسن تملأ الطرف ،

1- الديوان ، ص 106 .

2- نقد الشعر ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 157 .

3- دلائل الإعجاز ، ص 79 .

ودقائق تعجز الوصف ، ورأيت هناك شعرا شاعرا ، وسحرا ساحرا ، وبلاغة لا يكمل لها إلا الشاعر المفلق ، والخطيب المصّقع ، وكما أنّ الصفة إذا لم تأتكم مصرحا بذكرها ، مكشوبا عن وجهها ، ولكن مدلولا عليها بغيرها ، كان ذلك أفخم لشأها ، وألطف لمكانها ، كذلك إثباتك الصفة للشيء تبثها له إذا لم تلقه إلى السامع صريحا وجئت إليه من جانب التعريض والكناية ، والرمز والإشارة ، كان له من الفضل والمزية ، ومن الحسن والرونق ، ما لا يقل قليله ، ولا يجهل موضع الفضيلة فيه " (1) .

ويُعرفها العلوي بأها " اللفظ الدال على معنيين مختلفين حقيقة ومجازا من غير واسطة لا على جهة التصريح " (2) .

أمّا الخطيب القزويني فيُعرفها بقوله : " الكناية : لفظ أُريد به لازم معناه مع إرادة معناه " (3) .
فالكناية لفظ أُريد به غير المعنى الذي وُضع له ، مع جواز إرادة المعنى الأصلي أو الحقيقي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته .

تفاوتت توظيف الغماري للكناية بحسب الحال التي تعتره ، وهي أقل توظيفا من التشبيه والاستعارة في الديوان . وأكتفي هنا بتحليل بعض صور الكناية كنماذج ، ومنها قوله :

نَأْمُوا عَنِّ وَطَنٍ غُصِبٍ (4)

في هذه الصورة الكنائية يقف الغماري بين الحقيقة والمجاز ، اعتمد فيه على ترك التصريح بذكر الشيء وتجاوزه إلى ذكر ما يلزم معناه ، وهو بذلك جعل المتلقي يواجه معنيين ، حقيقي ومجازي ، وكلاهما قابل للقصد .

فالكناية هنا كناية عن صفة الغفلة ، فالنوم أو الغفلة نتج عنه اغتصاب هذا الوطن .
ومن الكناية قوله :

وَأَمْتَدَّ مِنْ أَبْعَادِهِ سَبْعًا مُضِيَّاتٍ (5)

1- المصدر نفسه ، ص 283 .

2- الطراز ، ج 1 ، ص 185 .

3- الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 241 .

4- الديوان ، ص 13 .

5- الديوان ، ص 18 .

يظهر لنا في هذه الصورة الكنائية الجمال الأسلوبي للغماري بأن جعل سنوات الثورة السبعة
بأثما شُهب أمدّت جهاد الأوراس بشعلة ملتهبة غاضبة اجتثت جذور الغاصب المحتل .
فالشاعر يجمع بين السنوات السبع المضيئات لشحن هذه الدوال بمدلولات جديدة تدفع
المتلقي إلى أن يتجاوز الدلالة الظاهرة للألفاظ وينصرف إلى دلالة عميقة ناتجة عن تفاعل دلالة هذه
الدوال فيما بينها .

وفي صورة كنائية أخرى يقول الغماري :

تَرَى السَّوْدَاءَ بِيضَاءَ !⁽¹⁾

فهو يتحدث عن صفة التفاؤل والأمل ، من خلال رسمه لمشهد البصائر التي تُحوّل رؤية
الأشياء السوداء بيضاء . فهو يتحدث عن صفة معنوية هي مبعث حياة كلّ نفس إنسانية تنشد
النجاح والفلاح .

ومن صور الكناية في الديوان أيضا :

إِذَا تَأَلَّهَتْ الْأَقْرَامُ⁽²⁾

يتحدث الغماري في هذه الكناية عن صفة الاستئساد التي اتصف بها بعض صغار النفوس
ممن نصبوا أنفسهم أربابا على غيرهم من البشر . وهي كناية تحمل تعريضا بهذه الفئة الوضيعة المنبوذة
من قِبل الذين ثاروا وآثروا دم الشهادة على الرضوخ لذل ومهانة هؤلاء .
إنّ الكناية ضرب من التعبير غير المباشر الذي أملته مقامات بعينها هيأت إلى الصياغة على
غير المألوف لأسباب دلالية ، مع ما يتبع ذلك من إشعاع جمالي .

1- الديوان ، ص 38 .

2- الديوان ، ص 123 .

الخطبة

مكنتنا هذه الدراسة من الخروج بجملة من النتائج نلخصها في النقاط التالية :

- كشفت الدراسة أن تأسيسها على السياق الخارجي (الإطار المرجعي للنص) من أهم الطرق إلى قراءته على النحو المطلوب ، باعتبار الخطاب الشعري عموما عند الغماري يميل إلى إعادة صياغة التراث في شكل تناسي يعيد فيه ترتيب فسيفساء النصوص ترتيبا جماليا وفكريا مخصوصين .
- تستلزم قراءة النص الشعري عند الغماري الإمام بثقافة واسعة في التراث العقدي وبخاصة الجانب السياسي منه الأكثر مرونة ومقبولية للتأويل وإعادة التشكل ؛ وهو ما منح إمكانيات كبيرة للتعبير .
- كان من الضروري علينا النزوع إلى استثمار بعض الآليات التداولية للدرس والتحليل في هذا البحث ، لاتباع الخطاب الشعري عند الغماري نحو العمق الفكري وهيمنته على التشكيل الجمالي ، وقد أدى ذلك أيضا إلى كثافة المعجم اللغوي وتنوعه بين حقول دلالية كثيرة : سياسية واجتماعية وتاريخية ودينية ...
- تداخل الاستراتيجية التوجيهية مع نظرية أفعال الكلام ، مما يُبين على مدى تقارب الغماري في هذه الاستراتيجية مع الخطيب لما يعتمد منه من توجيه وإرشاد للتأثير في متلقيه .
- تحققت النصية في قصائد الديوان بتوفر عدة عناصر لغوية وغير لغوية ، أسهمت في إيجاد نوع من الاتساق والانسجام بين وحدات النص . فالترابط بين بنيات النص يُراعي مظاهر التشابك بين الربط النحوي والانسجام النصي ، إذ كشف البناء النصي للخطاب في مجموعة الغماري " قراءة في آية السيف " عن تنوع أدوات الاتساق ما بين : إحالة وتكرار وتخصيص وغيرها . ومن ثم فقد أدى ذلك إلى تحديد الإطار العام للنسق اللساني الذي تنتظم الملفوظات في إطاره .
- كان حضور الإحالة الضميرية القبلية في المجموعة الشعرية متواترا بكثرة ما بين الضمائر والموصولات والإشارة لامتلاك الشاعر ناصية اللغة وقواعد الشعر على نحو من الإطلاق ، فلا يحتاج حينئذ إلى تكسير المؤلف استعماله .

- يمثل الرصيد اللساني العقدي الإطار التعبيري الأكثر سيادة في شعر مصطفى الغماري ، ويرجع السبب في ذلك إلى الإطار الإيديولوجي / الفكري الذي يعتمده الشاعر إطارا فنيا ودلاليا بالإضافة إلى أنه يمثل المرجعية المؤسسة للخطاب عند الغماري .
- يتجه العنوان عند الغماري صوب الإيحاء الدلالي القائم على لفت انتباه المتلقي وإثارة أدوات التلقي لديه على أوسع نطاق باعتبار هذه الإيحائية وتطويع المعجم اللغوي سياقيا للتجاوب مع ما في النص الشعري (المتن والعتبة) ، وبذلك أمكن إعداد العنوان نصًا موازيا في مواجهة النص الشعري .
- إنّ الفضاء العنواني ، وهو الإطار المشكّل بكلّ عناصره التي تقع عليها العين (الخط ، الألوان ، التشكيل وتموقع عناصر العنوان) ، يُمارس دورا تأثيريا في المتلقي يسعى من خلاله الشاعر إلى تغيير سلوك المتلقي .
- يتأسس النص الشعري عند الغماري على شحنة انفعالية وافرة باعتبارها عاطفة دينية من جهة وإنسانية من جهة ثانية ، ولذلك فقد انعكس هذا الرصيد العاطفي المهول على البنية اللفظية للخطاب الشعري فسلك الشاعر مسلك الاستعارة لكونها أنسب أنماط التشكيل اللساني المعبر عن الانفعالات والعواطف . ومن ثم فقد تهيأت ظروف التحول الدلالي للوحدات اللسانية عن إطارها المعهود إلى دلالة سياقية / مجازية محكمة بقرائن نحوية أو دلالية .
- يتبيّن من خلال البحث في النسيج الشعري لقصائد الديوان - إن على المستوى الداخلي أم الخارجي - أن العقيدة الإسلامية هي الثيمة التي طغت على نصوص المجموعة الشعرية ، إذ تناول الشاعر الحديث عنها وتناص مع القرآن الكريم والحديث الشريف مما جعله هو في حد ذاته خطابا إسلاميا الأمر الذي كشف عن المرجعية المعرفية والفنية للشاعر .
- تمثّل التناص الخارجي في استفادة الغماري من ثيمة الحب الصوفي وما يجمله من حرقة ورغبة في اللقاء ، فاستطاع بذلك محاورة النصوص التي تناولها ، كما استطاع أن يحاور ثيمة الفناء التي استثمرها للتعبير عن شوقه المتأجج نحو العقيدة الإسلامية ، وفي ذلك تجاوز لتقديس النص الغائب .

- تكتسي الأساليب في شعر الغماري جمالية مؤثرة ، فالخبر - بتنوع أغراضه - والنداء والاستفهام والنهي والأمر تدل كلها على قوة التفاعل بين الشاعر والموضوع . حيث ساهمت هذه الأساليب في التعبير عن أبعاد التجربة الشعرية عند الغماري ، كما منحت القصائد جمالية وشعرية تتعلق بالمضمون والصياغة على حدّ السواء . والسبب في ذلك عائد إلى العلاقات الوظيفية بين الوحدات اللسانية المجتمعة - وفقا لقواعد النحو - على غير المؤلف .
- يمثل التكرار على اختلاف أنواعه انعكاسا لسانيا صريحا لأحوال التوتر والانفعال ؛ وهي أهم الأحوال التي يبنى عليها الخطاب الشعري عند الغماري باعتباره خطابا انفعاليا فضلا عن كونه خطابا إيديولوجيا .
- تقوم اللازمة بوظيفة الضبط الإيقاعي المنتظم ، وتعمل - بالإضافة إلى ذلك - على الربط بين أجزاء النص وتماسكها ؛ فهي على ذلك آلية أساسية من آليات تماسك النص وانسجامه .
- يمثل التوازي - أفقيا وعموديا - رافدا إيقاعيا من جهة ، وتنميطا للتركيب لسريانه على خط واحد من جهة ثانية .
- يمثل التجنيس - باعتباره استعمالا لسانيا - ضربا من التنميظ اللساني لتردد الملفوظات على نسق صوتي واحد أو متضارع ، ويعكس ذلك البعد الاختزالي للغة الذي يسعى إليه المتكلم آليا لبسط سيطرته على أوجه التعبير اللساني مهما تنوعت واتسعت .
- استثمار الأصناف البلاغية في إحداث الأثر التداولي في الخطاب الشعري عند الغماري إضافة إلى أثرها الجمالي (الاستعارة والتشبيه والكناية) بشكل لافت للانتباه على الرغم من سيطرة الفكري على الفني ، ولكن امتلاك الشاعر لخاصية التشكيل الشعري واللغوي مكّناه من التقريب بين ما هو جمالي وما هو دلالي .
- ونشير في الأخير إلى أن هذه الدراسة لا تدعي تقديم الجديد واستيفاء الموضوع حقه ، بل هي محاولة أردت بها استنطاق النص الشعري عند الغماري ، ويقتى موضوع البحث حيزا متسعا لا يضيق لآراء أخرى ، والخاتمة لا تعني أبدا نهاية فكرة البحث .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

المصادر

- 1- ابن الأثير (أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم) ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ، 1939 .
- 2- الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، ديوان الأعشى الكبير ، تحقيق : محمد إبراهيم محمد الرضواني ، وزارة الثقافة والفنون والتراث ، الدوحة ، ط 1 ، 2010 .
- 3- الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر) ، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، ط 4 ، 1992 .
- 4- ابن الأنباري ، أسرار العربية ، تحقيق بهجة البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ، 1957 .
- 5- البغدادي ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ط 2 ، 1979 .
- 6- البوريني (الشيخ بدر الدين) والشيخ عبد الغني النابلسي ، شرح ديوان ابن الفارض ، جمع : رشيد بن غالب اللبناني ، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري ، دار الطليعة العلمية ، بيروت ، ط 2 ، 2007 .
- 7- البوصيري (محمد بن سعيد) ، ديوان البوصيري ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 2 ، 2011 .
- 8- التبريزي (الخطيب) ، شرح ديوان أبي تمام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 2 ، 1994 .
- 9- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري) ، الكناية والتعريض ، دراسة وشرح وتحقيق : عائشة حسين فريد ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1998 .
- 10- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ، البيان والتبيين ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 7 ، 1998 .
- 11- الجرجاني (عبد القاهر) ، أسرار البلاغة في علم البيان ، تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا ،

- دار المعرفة ، بيروت ، ط 2 .
- 12 ، دلائل الإعجاز ، سلسلة الأنيس ، موفم للنشر ، الجزائر ، 1991 .
- 13 ابن جني ، الخصائص ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1952 .
- 14 ، الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، د ط ، د ت .
- 15 ، سر صناعة الإعراب ، دراسة وتحقيق : حسن هندراوي ، دار القلم ، دمشق ، ط 2 ، 1993 .
- 16 الجوزية (ابن القيم) ، إعلام الموقعين عن رب العالمين ، قراءة وتقديم وتعليق : أبو عبدة مشهور بن حسن آل سمحان ، دار بن الجوزي للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، رجب 1423 هـ .
- 17 الحلاج (الحسين بن منصور) ، الأعمال الكاملة (التفسير - الطواسين - بستان المعرفة - نصوص الولاية - المرويات - الديوان) ، تحقيق : قاسم محمد عباس ، رياض الريس للكتب والنشر ، ط 1 ، 2002 .
- 18 ابن خلدون (عبد الرحمن) ، المقدمة ، ضبط وشرح وتقديم : محمد الاسكندراني ، درا الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 2005 .
- 19 الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين مرتب على حروف المعجم ، ترتيب وتحقيق : عبد الحميد هندراوي ، منشورات علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2003 .
- 20 ابن رشيق (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي) ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، ط 5 ، 1981 .
- 21 الرضي (محمد بن الحسن الأسترابادي) ، شرح الرضي على الكافية ، من عمل : يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، ط 2 ، 1996 .
- 22 الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله) ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، 1988 .
- 23 الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد) ، أساس البلاغة ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1998 .

- 24- ، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل ، تحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط 1 ، 1998 .
- 25- السجلماسي (أبو محمد القاسم الأنصاري) ، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، تحقيق : علال الغزي ، دار المعارف ، مصر ، ط 2 ، 1972 .
- 26- السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي) ، مفتاح العلوم ، ضبط وتعليق : نعيم زوزو ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1987 .
- 27- ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة محمد علي صبح ، مصر ، ط 1 .
- 28- السهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) ، نتائج الفكر في النحو ، تحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد المعوّض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1992 .
- 29- سيويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) ، الكتاب ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 3 ، 1988 .
- 30- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) ، شرح السيوطي على ألفية ابن مالك ، تحقيق : محمد الصالح بن أحمد الغرسي ، دار السلام ، القاهرة ، ط 1 ، 2000 .
- 31- ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1995 .
- 32- صلاح عبد الصبور ، حياتي في الشعر (ديوان صلاح عبد الصبور) ، المجلد 3 ، دار العودة ، بيروت ، ط 2 ، 1977 .
- 33- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) ، تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط 2 ، 1970 .
- 34- الطُّوسي (أبو نصر السَّراج) ، اللمع في تصوّف ، تحقيق : عبد الحلّيم محمود وطه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثني ببغداد ، 1960 .
- 35- ابن عربي (محي الدين بن علي) ، ديوان ترجمان الأشواق ، عناية : عبد الرحمان المصطاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، ط 1 ، 2005 .

- 36- العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل) ، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1986 .
- 37- ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله) ، شرح ابن عقيل ، نشر وتوزيع دار التراث ، القاهرة ، ط 20 ، 1980 .
- 38- العلوي (يحيى بن حمزة بن علي العلوي اليميني) ، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم وحقائق الإعجاز ، تحقيق : عبد الحميد هندراوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط 1 ، 2002 .
- 39- ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي) ، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، تحقيق وضبط : عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط 1 ، 1993 .
- 40- ابن الفارض (عمر بن علي) ، ديوان ابن الفارض ، دار صادر ، بيروت ، د ط ، د ت .
- 41- عبد القادر الجزائري ، ديوان الشاعر عبد القادر الجزائري ، جمع وتحقيق : العربي دحو ، منشورات ثالة ، ط 3 ، 2007 .
- 42- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري) ، تأويل مشكل القرآن ، شرح ونشر : السيد أحمد صقر ، دار التراث ، القاهرة ، ط 2 ، 1973 .
- 43- ، عيون الأخبار ، شرح وضبط وتعليق : يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1986 .
- 44- قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ط ، د ت .
- 45- القرطاجني (أبو الحسن حازم) ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط 3 ، 2008 .
- 46- القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد) ، الإيضاح في علوم البلاغة : المعاني والبيان والبديع ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2003 .
- 47- القلقشندي (أبو العباس أحمد القلقشندي) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، 1914 .

- 48- القيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق) ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، لبنان ، ط 5 ، 1981 .
- 49- ابن كثير (المحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي) ، البداية والنهاية ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، مصر ، ط 1 ، 1998 .
- 50- ، تفسير ابن كثير ، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 2002 .
- 51- ابن مالك (محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي) ، شرح التسهيل ، تحقيق : عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، مصر ، ط 1 ، 1990 .
- 52- محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984 .
- 53- المرادي (الحسن بن القاسم) ، الجنى الداني في حروف المعاني ، تحقيق : فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1992 .
- 54- مصطفى محمد الغماري ، قراءة في آية السيف ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1983 .
- 55- ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري) ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، ضبط وتصحيح : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، 2009 .
- 56- الواسطي الضهير ، شرح اللمع في النحو ، تحقيق : رجب عثمان محمد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 1 ، 2000 .
- 57- اليازجي (ناصيف) ، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، دار صادر ، بيروت .

المراجع بالعربية

الألف

- 1- إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلومصرية ، القاهرة ، ط 6 ، 1978 .
- 2- إبراهيم براهيمي ، استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة للبشير الإبراهيمي ، منشورات بونة للبحوث والدراسات ، عنابة ، الجزائر ، ط 1 ، 2013 .

- 3- إبراهيم خليل ، من معالم الشعر الحديث في فلسطين والأردن ، مجدلاوي للنشر ، عمان ، ط 1 ، 2006 .
- 4- إبراهيم رماني ، الغموض في الشعر العربي الحديث ، الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب وتطويرها ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2003 .
- 5- إبراهيم محمد عبد الله الخولي ، التعريض في القرآن الكريم ، دار البصائر ، القاهرة ، ط 1 ، 2004 .
- 6- إحسان عباس ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، فبراير ، 1978 .
- 7- إدريس مقبول ، الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيوييه ، جدارا للكتاب العالمي ، عمان ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط 1 ، 2006 .
- 8- أحمد أسعد محمد ، الأصول البلاغية في كتاب سيوييه وأثرها في البحث البلاغي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 2 ، 2009 .
- 9- أحمد حسين حيال ، السبك النصي في القرآن الكريم ، دراسة تطبيقية على سورة الأنعام ، منشورات جامعة المستنصرية ، العراق ، 2011 .
- 10- أحمد عفيفي ، ظاهرة التخفيف في النحو العربي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط 1 ، 1996 .
- 11- ، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط 1 ، 2001 .
- 12- أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، دار الفكر ، دمشق ، ط 3 ، 2008 .
- 13- أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 5 ، 1998 .
- 14- أحمد المتوكل ، الخطاب وخصائص اللغة العربية ، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط ، منشورات الاختلاف ، الرباط ، ط 1 ، 2010 .
- 15- ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، بنية الخطاب من الجملة إلى النص ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، الرباط ، 2001 .

- 16- ، من البنية الحملية إلى البنية المكونية ، الوظيفة المفعول في اللغة العربية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1987 .
- 17- ، مسائل النحو العربي ، في قضايا نحو الخطاب الوظيفي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2009 .
- 18- ، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ، الأصول والامتداد ، مكتبة دار الأمان ، الرباط ، ط 1 ، 2006 .
- 19- ، المنهج الوظيفي في البحث اللساني ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، منشورات ضفاف ، بيروت ، كلمة للنشر والتوزيع ، تونس ، دار الأمان ، الرباط ، ط 1 ، 2016 .
- 20- ، الوظيفية بين الكلية والنمطية ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، الرباط ، ط 1 ، 2003 .
- 21- أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة ، المكتبة العربية بالقاهرة ، د ط ، د ت .
- 22- أحمد مطلوب ، أساليب بلاغية : الفصاحة ، البلاغة ، المعاني ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط 1 ، 1980 .
- 23- ، فنون بلاغية ، البيان والبديع ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط 1 ، 1975 .
- 24- ، مناهج بلاغية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط 1 ، 1973 .
- 25- أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط 3 ، 2007 .
- 26- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، دار الفكر ، بيروت ، 2009 .
- 27- الأزهر الزناد ، نسيج النص ، بحث في ما يكون به الملفوظ نص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1993 .
- 28- أسارى فلاح حسن ، اللغة والمعنى ، دراسة في فلسفة لودفيغ فتغنشتاين المتأخرة ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، ط 1 ، 2011 .
- 29- أسامة محمد إبراهيم البحيري ، انغلاق البنية وانفتاحها في البنيوية ، والتداولية ، والبلاغة العربية ، السجل العلمي لندوة " الدراسات البلاغية : الواقع والمأمول " ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ج 1 ، 21 و 22 - 06 - 1432 هـ .
- 30- أنس داود ، الأسطورة في الشعر العربي الحديث ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 3 ، 1992 .

الباء

- 31- بقشى (عبد القادر) ، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية تطبيقية ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2007 .
- 32- بسيوني عبد الفتاح فيّود ، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 4 ، 2015 .
- 33- بكري شيخ أمين ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 5 ، 1995 .
- 34- بنعيسى عسو أزييط ، الخطاب اللساني العربي ، هندسة التواصل الإضماري (من التجريد إلى التوليد) مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط 1 ، 2012 .

التاء

- 35- تمام حسان ، الأصول ، دراسة إستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، النحو - فقه اللغة - البلاغة ، عالم الكتب ، القاهرة ، 2000 .
- 36- ، اجتهادات لغوية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1 ، 2007 .
- 37- ، البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1 ، 1993 .
- 38- ، اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994 .
- 39- ، مناهج البحث في اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1990 .
- 40- توفيق الفيل ، بلاغة التراكيب ، دراسة في علم المعاني ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1991 .

الجيم

- 41- جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 3 ، 1992 .
- 42- ، مفهوم الشعر ، دار التنوير ، بيروت ، ط 3 ، 1983 .

- 43- جحفة (عبد المجيد) ، مدخل إلى الدلالة الحديثة ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط 1 ، 2000 .
- 44- عبد الجليل مرتاض ، لسانيات النص التحليلية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2013 .
- 45- جمال حمود ، فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان ، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ، ط 1 ، 2009 .
- 46- جمعة سيد يوسف ، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد 145 ، يناير 1990 .
- 47- جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998 .

الحاء

- 48- حاتم صالح الضامن ، علم اللغة ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، مطبعة التعليم العالي ، الموصل ، 1989 .
- 49- حافظ إسماعيلي علوي ، التداوليات علم استعمال اللغة ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط 1 ، 2011 .
- 50- حسان الباهي ، الحوار ومنهجية التفكير النقدي ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2004 .
- 51- حسن مصطفى سحلول ، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، 2001 .
- 52- حسين جمعة ، جمالية الخبر والإنشاء ، دراسة بلاغية جمالية نقدية ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، 2005 .
- 53- ، في جمالية الكلمة ، دراسة جمالية بلاغية نقدية ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، 2002 .
- 54- ، المسبار في النقد الأدبي ، دراسة في نقد النقد للأدب القديم والتناص ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، 2003 .
- 55- حسين خمري ، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ،

- الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط 1 ، 2007 .
- 56- حصة البادي ، التناص في الشعر العربي الحديث ، البرغوثي نموذجاً ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ط 1 ، 2009 .
- 57- حلمي خليل ، الكلمة ، دراسة لغوية معجمية ، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع ، مصر ، ط 2 ، 1998 .
- 58- حلمي المليجي ، علم النفس المعاصر ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 1 ، د ت .
- 59- حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب ، أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة) ، منشورات الجامعة التونسية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس ، السلسلة 6 ، الفلسفة والآداب ، مجلد عدد 21 ، 1981 .
- 60- حمودة (عبد العزيز) ، الخروج من التيه ، دراسة في سلطة النص ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد 298 ، نوفمبر 2003 .
- 61- ، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، أبريل 1998 .
- 62- حمو الحاج ذهبية ، لسانيات التلغظ وتداولية الخطاب ، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، تيزي وزو ، ط 2 ، 2012 .
- 63- حميد لحداني ، الفكر النقدي الأدبي المعاصر ، مناهج ونظريات ومواقف ، منشورات : مشروع البحث النقدي ونظرية الترجمة ، كلية الآداب ظهر المهرز ، فاس ، ط 1 ، 2009 .
- 64- حنان قرقوتي ، اللغة العربية والخط وأماكن العلم والمكتبات الترجمة وآثارها ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 1 ، 2006 .
- 65- حنفي بن ناصر ومختار لزعر ، اللسانيات : منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط 2 ، 2011 .

الخاء

- 66- خليفة بوجادي ، اللسانيات النظرية دروس وتطبيقات ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، العلةمة ، الجزائر ، ط 1 ، 2012 .

- 67- ، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، العلمة ، الجزائر ، ط 1 ، 2009 .
- 68- ، في اللسانيات التداولية مقارنة بين التداولية والشعر ، دراسة تطبيقية ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، العلمة ، الجزائر ، ط 1 ، 2012 .
- 69- خليل بن ياسر البطاشي ، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، دار جرير للتوزيع والنشر ، ط 1 ، 2009 .

الراء

- 70- ربي عبد القادر الرباعي ، البلاغة العربية وقضايا النقد المعاصر ، التضمين والتناسخ نموذجا ، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2006 .
- 71- ربيعة العربي ، في تصور الخطاب ، آليات الإنتاج والتأويل ، ضمن كتاب : لسانيات النص وتحليل الخطاب ، كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، المجلد الأول ، ط 1 ، 2013 .
- 72- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي ، دلالة السياق ، مطابع جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط 1 ، 1424 هـ .
- 73- رمضان الصباغ ، في نقد الشعر العربي المعاصر ، دراسة جمالية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ط 1 ، 2002 .

السين

- 74- سحر كاظم حمزة الشجيري ، نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، الأردن ، مؤسسة دار الصادق الثقافية ، طبع نشر وتوزيع ، العراق ، ط 1 ، 2011 .
- 75- سعد سليمان حمودة ، دروس في البلاغة العربية ، دار المعرفة الجامعية ، 1999 .
- 76- سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، مصر الجديدة ، ط 1 ، 2004 .
- 77- سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي ، النص والسياق ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 3 ، 2006 .

- 78- ، تحليل الخطاب الروائي (الزمن - السرد - التعبير) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 3 ، 1997 .
- 79- سمير أحمد معلوف ، حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز ، دراسة في المجاز الأسلوبي واللغوي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1996 .
- 80- سمير شريف استيتية ، اللسانيات : المجال والوظيفة والمنهج ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، جدارا للكتاب العالمي ، عمّان ، الأردن ، ط 2 ، 2008 .

الشين

- 81- شاعر عبد الحميد ، التفضيل الجمالي ، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، مارس 2001 .
- 82- شفيق السيد ، البحث البلاغي عند العرب ، تأصيل وتقييم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د ط ، د ت .
- 83- شكري الطوانسي ، المقام في البلاغة العربية دراسة تداولية ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد 1 ، المجلد 42 ، يوليو - سبتمبر 2013 .
- 84- الشهري (عبد الهادي بن ظافر) ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط 1 ، 2004 .

الصاد

- 85- صابر الحباشة ، التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، صفحات للدراسات والنشر ، سورية ، ط 1 ، 2008 .
- 86- ، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية ، قراءة في " شروح التلخيص " للخطيب القزويني ، صفحات للدراسات والنشر ، ط 1 ، 2001 .
- 87- صابر عبد الدايم ، التجربة الإبداعية في ضوء النقد الحديث ، دراسات وقضايا ، مصر ، ط 2 ، 2007 - 2008 .
- 88- الصادق خليفة راشد ، دور الحرف في أداء معنى الجملة ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ،

. 1996

- 89 صالح بلعيد ، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1994 .
- 90 صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 2000 .
- 91 صبحي البستاني ، الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ، الأصول والفروع ، دار الفكر اللبناني ، ط 1 ، 1986 .
- 92 صبيح التميمي ، هداية السالك إلى ألفية ابن مالك ، دار الهداية للنشر ، 1990 .
- 93 صلاح إسماعيل عبد الحق ، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1993 .
- 94 صلاح الدين زرال ، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان ، ط 1 ، 2008 .
- 95 صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، أغسطس 1992 .
- 96 ، شفرات النص ، دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، ط 2 ، 1995 .
- 97 ، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 1 ، 1998 .
- 98 ، مناهج النقد المعاصر ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، د ط ، 2002 .
- 99 ، نظرية البنائية في النقد الأدبي ، دار الشروق ، مصر ، ط 1 ، 1998 .

الطاء

- 100 طاهر سليمان حمودة ، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، د ط ، 1998 .
- 101 الطاهر يحياوي ، البعد الفني عند الشاعر مصطفى الغماري ، المكتبة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د ط ، 1983 .

- 102- طه عبد الرحمن ، التواصل والحجاج ، سلسلة دروس كلية الآداب ، أغادير ، المغرب ، 1993 .
- 103- ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 2 ، 2000 .
- 104- ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدرا البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 1998 .

العين

- 105- عاطف جودة نصر ، الرمز الشعري عند الصوفية ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، دار الكندي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2003 .
- 106- عرفات فيصل المنّاع ، السياق والمعنى ، دراسة في أساليب النحو العربي ، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، لندن ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، منشورات ضفاف ، لندن ، ط 1 ، 2013 .
- 107- عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، المقامات اللزومية للسرقسطي الأندلسي نموذجاً ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 1 ، 2007 .
- 108- عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1985 .
- 109- عشير (عبد السلام) ، عندما نتواصل نغيّر مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2006 .
- 110- علاء الدين رمضان السيّد ، ظاهرة التناص بين عبد القاهر الجرجاني وجوليا كريستيفا ، بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية اللغة العربية بأسيوط ، الإمام عبد القاهر الجرجاني وجهوده في إثراء علوم اللغة ، جامعة الأزهر ، أغسطس 2014 .
- 111- علي أبو المكارم ، الجملة الفعلية ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 2007 .
- 112- علي آيت أوشان ، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 2000 .
- 113- علي الخطيب ، اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي ، دار المعارف ، القاهرة ، 1404 هـ .

- 114- علي زوين ، منهج البحث بين التراث وعلم اللغة الحديث ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط 1 ، 1986 .
- 115- علي عشري زايد ، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، دار الفكر العربي ، 1997 .
- 116- عمر أوكان ، اللغة والخطاب ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2001 .
- 117- العياشي أدراوي ، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2011 .
- 118- عيد بلبع ، التداولية البعد الثالث في سميوطيقا موريس ، من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة ، بلنسية للنشر والتوزيع ، مصر ، ط 1 ، 2009 .

الغين

- 119- عبد الله الغدّامي ، تأنيث القصيدة والقارئ المختلف ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 2 ، 2005 .
- 120- ، تشريح النص ، مقارنة تشريحية لنصوص شعرية معاصرة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 2 ، 2006 .
- 121- ، ثقافة الأسئلة ، مقالات في النقد والنظرية ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، ط 2 ، 1993 .
- 122- ، الخطيئة والتكفير ، من البنيوية إلى التشريح قراءة نقدية لنموذج معاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 4 ، 1998 .

الفاء

- 123- فاطمة الطبال بركة ، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون دراسة ونصوص ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 1 ، 1993 .
- 124- فؤاد كامل ، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ، دار جيل ، بيروت ، ط 1 ، 1993 .
- 125- عبد الفتاح الحجمري ، عتبات النص : البنية والدلالة ، منشورات الرابطة ، الدار البيضاء ، ط 1 ،

. 1996

- 126- عبد الفتاح كيليطو ، الأدب والغرابية ، دراسة بنيوية في الأدب العربي ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط 3 ، 2006 .
- 127- الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) ، معاني القرآن ، عالم الكتب ، بيروت ، ط 3 ، 1983 .
- 128- فاضل صالح السامرائي ، معاني النحو ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمّان ، الأردن ، ط 1 ، 2000 .
- 129- فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها ، علم البيان والبديع ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 9 ، 2004 .
- 130- فايز الداية ، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق ، دراسة تاريخية ، تأصيلية ، نقدية ، دار الفكر ، دمشق ، دار الفكر المعاصر ، لبنان ، ط 2 ، 1996 .

الكاف

- 131- كمال بشر ، التفكير اللغوي بين القديم والجديد ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 2005 .
- 132- ، دراسات في علم اللغة ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 9 ، 1986 .

اللام

- 133- لاشين (عبد الفتاح) ، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، العربية السعودية ، د ط ، د ت .

الميم

- 134- عبد المتعال الصعيدي ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 10 ، 1999 .
- 135- محمد الأخضر الصبيحي ، مدخل إلى علم النص ، منشورات الاختلاف ، الرباط ، ط 1 ، 2008 .

- 136- محمد بنيس ، حدثا السؤال بخصوص الحدثا العربية في الشعر والثقافة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 2 ، 1988 .
- 137- ، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها ، التقليدية ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط 2 ، 2001 .
- 138- ، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها ، الشعر المعاصر ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط 3 ، 2001 .
- 139- ، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 2 ، 1985 .
- 140- محمد حماسة عبد اللطيف ، بناء الجملة العربية ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2003 .
- 141- ، النحو والدلالة ، مدخل لدراسة المعنى النحوي - الدلالي ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 1 ، 2000 .
- 142- محمد خطابي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1991 .
- 143- محمد صابر عبيد ، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية ، حساسية الانبثاق الشعرية الأولى جيل الرواد والستينات ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001 .
- 144- محمد صغير بناني ، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1994 .
- 145- محمد صلاح زكي أبو حميدة ، البلاغة والأسلوبية عند السكاكي ، جامعة الأزهر بغزة ، 2012 .
- 146- محمد طروس ، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ، دار الثقافة ، المغرب ، ط 1 ، 2005 .
- 147- محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي ، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط 10 ، 2010 .
- 148- محمد العبد ، المفارقة القرآنية ، دراسة في بنية الدلالة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 2 ، 2006 .

- 149- محمد عبد الباسط عيد ، النص والخطاب ، قراءة في علوم القرآن ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 1 ، 2009 .
- 150- محمد عبد الله جبر ، الأسلوب والنحو ، دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظواهر النحوية ، دار الدعوة للطبع والنشر ، ط 1 ، 1988 .
- 151- محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 1 ، 1994 .
- 152- محمد عزّام ، النص الغائب ، تجليات التناس في الشعر العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001 .
- 153- محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 1999 .
- 154- محمد غاليم ، النظرية اللسانية والدلالية العربية المقارنة مبادئ وتحليل جديدة ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط 1 ، 2007 .
- 155- محمد فكري الجزار ، العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998 .
- 156- محمد الماكري ، الشكل والخطاب ، مدخل لتحليل ظاهراتي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1991 .
- 157- محمد المبارك ، استقبال النص عند العرب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1999 .
- 158- محمد محمد أبو موسى ، خصائص التراكيب ، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط 4 ، 1996 .
- 159- محمد محمد يونس علي ، مدخل إلى اللسانيات ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، لبنان ، ط 1 ، 2004 .
- 160- ، المعنى وظلال المعنى ، أنظمة الدلالة في العربية ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 2007 .
- 161- ، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2004 .
- 162- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناس ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 3 ، 1992 .

- 163- ، التشابه والاختلاف نحو مناهجية شمولية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1996 .
- 164- ، التلقي والتأويل ، مقارنة نسقية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1994 .
- 165- ، دينامية النص ، تنظير وإنجاز ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 3 ، 2006 .
- 166- ، مجهول البيان ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط 1 ، 1990 .
- 167- محمد مهران رشوان ، دراسات في فلسفة اللغة ، دار قباء للطباعة والتوزيع والنشر ، مصر ، 1998 .
- 168- محمد الناصر العجيمي ، النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية ، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع ، صفاقس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، سوسة ، ط 1 ، 1998 .
- 169- محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، 2002 .
- 170- محمود السعران ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت .
- 171- محمود سليمان الهواوشة ، أثر عناصر الاتساق في تماسك النص ، دراسة نصية من خلال سورة يوسف ، منشورات جامعة مؤتة ، 2008 .
- 172- محمود عكاشة ، النظرية البراهماتية اللسانية (التداولية) - دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 1 ، 2013 .
- 173- محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ط ، د ت .
- 174- محمود فهمي زيدان ، في فلسفة اللغة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1985 .
- 175- المسدي (عبد السلام) ، التفكير اللساني في الحضارة العربية ، الدار العربية للكتاب ، ط 2 .
- 176- مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار التنوير للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 1 ، 2008 .
- 177- مشري بن خليفة ، القصيدة العربية الحديثة في النقد العربي المعاصر ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2006 .

- 178- مصطفى حميدة ، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونغمان ، ط 1 ، 1997 .
- 179- مصطفى السعدني ، التناص الشعري ، قراءة أخرى لقضية السرقات ، توزيع منشأة المعارف بالإسكندرية ، 1991 .
- 180- مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس العربية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2005 .
- 181- مصطفى النحاس ، من قضايا اللغة ، مطبوعات جامعة الكويت ، الكويت ، ط 1 ، 1995 .
- 182- معاذ بن سليمان الدخيل ، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية ، مقارنة تداولية ، نادي القصيم الأدبي ، دار محمد علي للنشر ، ط 1 ، 2014 .
- 183- مرتاض (عبد الملك) ، تحليل الخطاب السردى معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية " زقاق المدق " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 .
- 184- ، نظرية النص الأدبي ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007 .
- 185- منال النجار ، مفهوم البراغماتية ونظرية المقام في المقولات المعرفية ولدى علماء العربية ، ضمن كتاب : التداوليات علم استعمال اللغة ، إعداد وتقديم : حافظ إسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد ، ط 1 ، 2011 .
- 186- منتصر عبد القادر الغضنفرى ، تعدد الرؤى ، نظرات في النص العربي القديم ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط 1 ، 2010 - 2011 .
- 187- منصف (عبد الحق) ، أبعاد التجربة الصوفية (الحب - الإنصات - الحكاية) ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2007 .
- 188- عبد المنعم خليل ، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين ، دراسة لغوية نحوية دلالية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ط 1 ، 2007 .
- 189- منقور عبد الجليل ، النص والتأويل ، دراسة دلالية في الفكر المعرفي التراثي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010 .
- 190- المهيري (عبد القادر) وآخرون ، أهم المدارس اللسانية ، المعهد القومي لعلوم التربية ، تونس ، ط 2 ، 1990 .

النون

- 191- نادية رمضان النجار ، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي ، مؤسسة حورس الدولية ، الإسكندرية ، ط 1 ، 2013 .
- 192- نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، منشورات مكتبة النهضة ، ط 3 ، 1967 .
- 193- نايف خرما ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، سبتمبر 1978 .
- 194- نايف خرما وعلي حجاج ، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1988 .
- 195- نبيل منصر ، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط 1 ، 2007 .
- 196- نبيلة إبراهيم ، فن القص في النظرية والتطبيق ، سلسلة الدراسات النقدية 1 ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، 1995 .
- 197- نصر بن مزاحم المنقري ، وقعة صفيين ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، المؤسسة العربية الحديثة للنشر والطبع والتوزيع ، القاهرة ، ط 2 ، 1382 هـ .
- 198- نعمان بوقرة ، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل ، قراءة نصية تداولية حجاجية ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط 1 ، 2012 .
- 199- ، المدارس اللسانية المعاصرة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 2003 .
- 200- ، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد ، الأردن ، ط 1 ، 2008 .
- 201- نعيم اليافي ، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1982 .
- 202- نواري سعودي أبو زيد ، في تداولية الخطاب الأدبي ، المبادئ والإجراء ، بيت الحكمة ، العلمة ، الجزائر ، ط 1 ، 2009 .
- 203- نور الدين السد ، الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث - تحليل الخطاب الشعري والسرد ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، د ط ، د ت .

204- نور الدين النيفر ، فلسفة اللغة واللسانيات ، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع ، تونس ، ط 1 ، 1993 .

الهاء

205- الهاشم أسمهر ، عتبات المحكي القصير في التراث العربي والإسلامي ، الأخبار والكرامات والطرف ، الشركة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 2008 .

206- هلال الجهاد ، جماليات الشعر العربي ، دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، ط 1 ، 2007 .

207- هيمة (عبد الحميد) ، الخطاب الصوفي وآليات التأويل ، قراءة في الشعر المغاربي المعاصر ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر ، 2008 .

208- عبد الواحد حسن الشيخ ، البديع والتوازي ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية ، 1999 .

الياء

209- يمى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين ، الأصول ، الحصاد ، الآفاق المستقبلية ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد 264 ، ديسمبر 2000 .

210- يوسف إسماعيل ، بنية الإيقاع في الخطاب الشعري ، قراءة تحليلية للقصيد العربية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 2004 .

211- يوسف أبو العدوس ، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث - الأبعاد المعرفية والجمالية ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط 1 ، 1997 .

الكتب المترجمة

1- اندري بوفر ، مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية ، ترجمة : أكرم ديري والهيثم الأيوبي ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1978 .

2- آن روبرول وجاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ترجمة : سيف الدين دغفوس ومحمد البستاني ، المنظمة العربية للترجمة ، لبنان ، ط 1 ، 2003 .

- 3- بريجته بارتشت ، مناهج علم اللغة من هارمان باول حتى تشومسكي ، ترجمة : سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 2004 .
- 4- بالمر (ف . ر) ، علم الدلالة إطار جديد ، ترجمة : صبري إبراهيم السيد ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1995 .
- 5- براون (ج . ب) و ج . يول ، تحليل الخطاب ، ترجمة : محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي ، النشر العلمي والمطابع ، جامعة الملك سعود ، 1997 .
- 6- بول ريكور ، نظرية التأويل ، الخطاب وفائض المعنى ، ترجمة : سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 2 ، 2006 .
- 7- تودوروف وآخرون ، في أصول الخطاب النقدي الجديد ، ترجمة : أحمد المدني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط 1 ، 1987 .
- 8- تزفيتان تودوروف ، ميخائيل باختين : المبدأ الحوارية ، ترجمة : فخري صالح ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 2 ، 1996 .
- 9- جان سيرفوني ، الملفوظية ، ترجمة : قاسم المقداد ، اتحاد الكتاب العرب ، 1998 .
- 10- جرهارد هلبش ، تاريخ علم اللغة الحديث ، ترجمة : سعيد حسن بحيري ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط 1 ، 2003 .
- 11- جورج يول ، معرفة اللغة ، ترجمة : محمود فراج عبد الحافظ ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 1999 .
- 12- جورج يول ، التداولية ، ترجمة : قصي العتّابي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2010 .
- 13- جوليا كريستيفا ، علم النص ، ترجمة : فريد الزاهي ، مراجعة : عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط 2 ، 1997 .
- 14- جوليت غارمادي ، اللسان الاجتماعية ، ترجمة : خليل أحمد خليل ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1990 .
- 15- جون سيرل ، العقل واللغة والمجتمع ، الفلسفة في العالم الواقعي ، ترجمة : سعيد الغانمي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان ، ط 1 ،

. 2006

- 16- جون كوهن ، بنية اللغة الشعرية ، ترجمة : محمد الولي ومحمد العمري ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1986 .
- 17- جون لانكشو أوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة ، كيف ننجز الأشياء بالكلام ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ط 2 ، 2008 .
- 18- جون لاينز ، اللغة والمعنى والسياق ، ترجمة : عباس صادق الوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط 1 ، 1987 .
- 19- جيار جينيت ، الأدب على الأدب ، ترجمة : محمد خير البقاعي ، ضمن كتاب : دراسات في النص والتناسية ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط 1 ، 1998 .
- 20- جيار جينيت ، مدخل إلى جامع النص ، تعريب : عبد العزيز شبيل ، مراجعة : حمادي صمود ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1999 .
- 21- الجليلي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية (لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها) ، ترجمة : محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1992 .
- 22- روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة : تمام حسان ، عالم الكتب ، ط 1 ، 1998 .
- 23- روبرت مارتان ، مدخل لفهم اللسانيات ، إبيستيمولوجيا أولية لمجال علمي ، ترجمة : عبد القادر المهيري ، المنظمة العربية للترجمة ، لبنان ، ط 1 ، سبتمبر 2007 .
- 24- رولان بارت ، نظرية النص ، ترجمة : محمد خير البقاعي ، ضمن كتاب : دراسات في النص والتناسية ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط 1 ، 1998 .
- 25- رولان بارت ، نقد وحقيقة ، ترجمة : منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، سورية ، ط 1 ، 1994 .
- 26- رولان بارت ، س / ز ، ترجمة : محمد بن الرأفة البكري ، دار الكتاب الحديث المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2016 .
- 27- رومان ياكبسون ، قضايا الشعرية ، ترجمة : محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط 1 ، 1988 .

- 28- رومان ياكوبسون ، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ، ترجمة : علي حاكم صالح وحسن ناظم ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 1 ، 2002 .
- 29- ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ترجمة وتقديم وتعليق : كمال محمد بشر ، مكتبة الشباب ، مصر .
- 30- فان دايك ، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، ترجمة وتعليق : سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة للكتاب ، مصر ، ط 1 ، 2001 .
- 31- فان ديك ، النص بنياته ووظائفه ، مدخل أولي إلى علم النص ، ترجمة وإعداد : محمد العمري ، ضمن كتاب : نظرية الأدب في القرن العشرين ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 2 ، 2005 .
- 32- فرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية ، ترجمة ، سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، لبنان ، 1986 .
- 33- فرانسوا مورو ، البلاغة ، مدخل إلى دراسة الصور البيانية ، ترجمة : الوالي محمد وجرير عائشة ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، 2003 .
- 34- فردينان دي سوسير ، محاضرات في الألسنية العامة ، ترجمة : يوسف غازي ومجيد النصر ، منشورات المؤسسة الجزائرية للطباعة ، 1986 .
- 35- فندريس ، اللغة ، تعريب : عبد المجيد الدواخلي ومحمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1950 .
- 36- فولفجانج هاينه وديتر فيهفيجر ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، ترجمة : فالح بن شبيب العجمي ، النشر العلمي للمطابع ، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية ، 1999 .
- 37- فيليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ترجمة : صابر الحباشة ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، ط 1 ، 2007 .
- 38- كلاوس برينكر ، التحليل اللغوي للنص ، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ، ترجمة : سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط 1 ، 2005 .
- 39- كلاوس هيشن ، القضايا الأساسية في علم اللغة ، ترجمة وتعليق : سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط 2 ، 2005 .

- 40- لويس (م . م) ، اللغة في المجتمع ، ترجمة : تمام حسان وإبراهيم أنيس ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، 1959 .
- 41- ليون سمفيل ، التناسية ، ترجمة : محمد خير البقاعي ، ضمن كتاب : دراسات في النص والتناسية ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط 1 ، 1998 .
- 42- مارك أنجينو ، التناسية ، ترجمة : محمد خير البقاعي ، ضمن كتاب : دراسات في النص والتناسية ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط 1 ، 1998 .
- 43- ميخائيل باختين ، الخطاب الروائي ، ترجمة : محمد برادة ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 1987 .
- 44- ميخائيل بختين ، الكلمة في الرواية ، ترجمة : يوسف حلاق ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ط 1 ، 1988 .
- 45- ميشال فوكو ، حفریات المعرفة ، ترجمة : سالم يفوت ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 2 ، 1987 .
- 46- نظرية المنهج الشكلي ، نصوص الشكلانيين الروس ، ترجمة : إبراهيم الخطيب ، الشركة المغربية للناشرين المتحدین ، الرباط ، مؤسسة الأبحاث العربية ، لبنان ، ط 1 ، 1982 .

المعاجم والموسوعات

- 1- إميل بديع يعقوب ، معجم الإعراب والإملاء ، دار شريفة ، د ط ، د ت .
- 2- أحمد مطلوب ، معجم النقد العربي القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط 1 ، 1989 .
- 3- باتريك شارودو ودومينيك منغنو ، معجم تحليل الخطاب ، ترجمة : عبد القادر المهيري وحمادي صمود ، منشورات دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة ، تونس ، 2008 .
- 4- مجموعة من المؤلفين ، الموسوعة العسكرية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1977 .
- 5- محمد علي التهنأوي ، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تحقيق : علي دحروج ، تقديم وإشراف ومراجعة : رفيق العجم ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 1 ، 1996 .
- 6- فيصل الأحمر ، معجم السيميائيات ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ،

- لبنان ، ط 1 ، 2010 .
- 7- محمد عناني ، المصطلحات الأدبية الحديثة ، دراسة ومعجم إنجليزي - عربي ، دار نوبار ، القاهرة ، ط 3 ، 2003 .
- 8- ابن منظور ، لسان العرب ، تصحيح : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 3 ، 1999 .
- 9- عبد المنعم الحفني ، معجم مصطلحات الصوفية ، دار المسيرة ، بيروت ، ط 3 ، 1987 .

المراجع الأجنبية

- 1- Christiane Achour et Simone Rezzoug , convergences critiques , introduction à la lecture du littéraire , O.P.U, Alger , 1990 .
- 2- Encyclopédie philosophique universelle , les notions philosophiques , publié sous la direction d'André Jacob , volume dirigé par Sylvain Auroux , presses universitaires de France , Paris , 1998 , 2 / 2459 .
- 3- Groupe u , Rhétorique générale , éditions du seuil . Paris 1982 .
- 4- Hutcheon , Linda , « Ironie , Satire ,Parodie » , une approche pragmatique de l'ironie , Poétique : Revue de Théorie et d'Analyse Littéraires , n° 46 , Editions du Seuil , 1981 .

الرسائل والأطاريح

- 1- أحمد مصطفى أحمد الأسطل ، أثر السياق في توجيه شرح الأحاديث عند ابن حجر العسقلاني ، دراسة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في علم اللغة الحديث ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، 2011 .
- 2- كادة ليلي ، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ، ظاهرة الاستلزام الحوارية أمودجا ، رسالة دكتوراه ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب واللغات ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، الجزائر ، 2012 .
- 3- عطا محمد محمود موسى ، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين ، رسالة دكتوراه

- ، الجامعة الأردنية ، 1992 .
- 4- نعار محمد ، المقصدية في الخطاب السردي المعاصر ، قراءة تداولية ، رسالة دكتوراه مخطوطة بقسم اللغة والأدب العربي ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، السنة الجامعية : 2013 – 2014 .
- 5- يحيى بعيطيش ، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي ، أطروحة دكتوراه دولة ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2005 – 2006 .

المجلات

- 1- إدريس مقبول ، البعد التداولي عند سيوييه ، عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، العدد 1 ، المجلد 33 ، يوليو – سبتمبر 2004 .
- 2- أحمد الغرسلي ، أسئلة النص والتناسخ والتلقي ، مجلة كتابات معاصرة ، فنون وعلوم ، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية ، بيروت ، العدد 70 ، المجلد 18 ، تشرين الأول – الثاني ، 2008 .
- 3- أوزفالد دو كرو ، فلسفة اللغة ، ترجمة : سعيد بوعطية ، نوافذ (14) ، رمضان 1421 هـ / ديسمبر 2000 .
- 4- بلقاسم دفة ، التركيب اللغوي في قصيدة " ليلى المقدسية مهري بندقية " للشاعر مصطفى محمد الغماري ، دراسة في الوظيفة التداولية ، الملتقى الدولي الخامس " السيمياء والنص الأدبي " 15 – 17 نوفمبر 2008 ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر .
- 5- بوضوار صورية ، مقاصد التقديم والتأخير في دلائل الإعجاز ، مجلة كلية الآداب واللغات ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، العدد 16 ، ديسمبر 2014 .
- 6- بوقرومة حكيم ، دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم ، مجلة تحليل الخطاب ، العدد 3 ، 2008 .
- 7- جبار نجاة ، السخرية بين الفعل والفاعلية في قصيدة الحروب الصليبية للشاعر تميم البرغوثي ، مجلة النقد والدراسات الأدبية واللغوية ، كلية الآداب واللغات والفنون ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة سيدي بلعباس ، الجزائر ، العدد 3 ، ماي 2015 .
- 8- حسن البنداري وعبد الجليل حسن صرصور وعبدل سلمان ثابت ، التناسخ في الشعر الفلسطيني المعاصر ، مجلة جامعة الأزهر بغزة ، سلسلة العلوم الإنسانية ، المجلد 11 ، العدد 2 ، 2009 .

- 9- حمدان رضوان أبو عاصي ، الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى ، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) ، فلسطين ، المجلد 17 ، العدد 2 ، يونيو 2009 .
- 10- همو الحاج ذهبية ، النص بين السياق والتلقي في الفكر الأدبي ، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية ، مركز البحث العلمي ، لبنان ، العدد 4 ، ديسمبر 2014 .
- 11- خليل الموسى ، التناص والأجناسية في النص الشعري ، الموقف الأدبي ، مجلد 26 ، عدد 305 ، 1996 .
- 12- راضية بن عريية ، من لسانيات الجملة إلى لسانيات الخطاب ، أعمال أحمد المتوكل أمودجا ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، دبي ، الإمارات العربية المتحدة دبي ، الإمارات العربية المتحدة السنة 18 ، العدد 71 ، شوال 1431 هـ - سبتمبر 2010 .
- 13- الزواوي بغورة ، منزلة تحليل الخطاب في فلسفة اللغة ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، دبي ، الإمارات المتحدة ، السنة 8 ، العدد 32 ، شوال 1421 هـ - يناير 2001 .
- 14- علي نجفي ايوكي وفاطمة يكانة ، أشكال التناص الديني في شعر خليل حاوي ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ، إيران ، العدد 6 ، صيف 2011 .
- 15- عمر بلخير ، قراءة في كتاب اللسانيات النصية لجان مشال آدم ، مجلة اللغة والأدب ، جامعة الجزائر ، العدد 17 ، جانفي 2006 .
- 16- عبد الحليم بن عيسى ، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية ، دراسات أدبية ، دورية فصلية محكمة تصدر عن مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية ، الجزائر ، العدد 1 ، ماي 2008 .
- 17- عبد القادر عواد ، آليات التداولية في الخطاب ، الخطاب الأدبي أمودجا ، مجلة علامات ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، ج 74 ، مج 19 ، شعبان 1432 هـ - يولييه 2011 .
- 18- لوشن (نور الهدى) ، التناص بين التراث والمعاصرة ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، مكة المكرمة ، ج 15 ، ع 26 ، صفر 1424 هـ ، 2003 .
- 19- عبد اللطيف حني ، التداولية الإبداعية في الشعر الثوري الجزائري ، ديوان أطلس المعجزات للشاعر صالح خرفي أمودجا ، مجلة الأثر ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، العدد 12 ، 2011 .

- 20- عبد المعطي شعراوي ، الأسطورة بين الحقيقة والخيال ، عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد 4 ، المجلد 40 ، 2012 .
- 21- مدلل نجاح ، ظاهرة التناس في الخطاب الشعري الحديث ، ديوان عوامة الحب .. عوامة النار أنموذجا ، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ، منشورات جامعة الوادي ، الجزائر ، العدد 4 ، مارس 2012 .
- 22- محمد أسياده ، مصطلح المنزلة النظرية للتداوليات ، علامات ، ج 64 ، مج 16 ، صفر 1429 هـ ، فبراير 2008 .
- 23- محمد محمد محمد الخري ، مفهوم اللغة في ضوء النظريات اللسانية الحديثة ، مجلة علوم اللغة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مج 10 ، ع 3 ، 2007 .
- 24- منذر عياشي ، سيمياء اللغة والفكر ، علامات ، ج 6 ، م 2 ، رجب 1413 هـ ، ديسمبر 1992 .
- 25- نادية رمضان النجار ، التضام والتعاقب في الفكر النحوي ، مجلة علوم اللغة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، المجلد 3 ، العدد 4 ، 2000 .
- 26- ناهدة أحمد الكسواني ، تجليات التناس في شعر سميح القاسم مجموعتنا " آخذة الأميرة بيوس " و " مرثي سميح " أنموذجا ، مجلة قراءات ، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها ، جامعة بسكرة ، الجزائر ، العدد 4 ، 2012 .
- 27- نعمان بوقرة ، نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية ، قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية ، اللغة والأدب ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الجزائر ، العدد 17 ، جانفي 2006 .
- 28- نوال بنت إبراهيم الحلوة ، أثر التكرار في التماسك النصي ، مقارنة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات خالد منيف ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغة وآدابها ، العدد 8 ، 2012 .
- 29- هامل بن عيسى ، التداولية وتحليل الخطاب السيميائي في النقد الأدبي المعاصر ، مجلة الخطاب ، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر ، العدد 11 ، جوان 2012 .
- 30- هشام القلظاط ، استراتيجية الحجاج التصوري في خطاب الجرجاني ، حوليات الجامعة التونسية ،

العدد 58 ، 2013 .

- 31- هيثم محمد مصطفى ، القصصية الإنجازية في مضمون الخطاب النحوي في كتاب سيبويه ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، الموصل ، المجلد 11 ، العدد 3 .
- 32- عبد الوهاب صديقي ، لسانيات الخطاب ، من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص ، دراسة في بعض مؤلفات مشروع أحمد المتوكل الوظيفي ، الجنان ، مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز البحث العلمي في الجامعة ، جامعة الجنان ، طرابلس ، لبنان ، ع 2 ، 2011 .
- 33- ياسين سرايعة ، تداولية الخطاب الشعري المعاصر ، قراءة في عناصر السياق لدى الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي ، التواصل في اللغات والثقافة والآداب ، عدد 33 ، مارس 2013 .
- 34- يونس فضيلة ، مفهوم المقاصد وعلاقتها بالخطاب (تناول تداولي للخطاب الثوري) ، الخطاب ، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر ، العدد 6 ، جانفي 2010 .

الانترنت

- 1- إدريس بن خويا ، النظريات الدلالية الحديثة في تراثنا اللساني العربي ، قراءة معاصرة دلالية معاصرة في الثقافة الإسلامية .
- www.uofk.edu
- 2- جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب .
- www.alukah.net
- 3- خالد عبود حمودي الشيخلي ، نظر في نظرية السياق ، دراسة بين القدماء والمحدثين ،
- www.articles.e-marifah.net
- 4- سميرة الكنوسي ، بلاغة السخرية في المثل الشعبي المغربي ،
- www.aljabriabed.net/n35-samira.htm
- 5- عادل ثامري ، التداولية ، ظهورها وتطورها .
- www.daifimontadarabicim/t915-topic
- 6- محمد السيد ، إشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري ،
- www.aljabriabed.net/n25-07sayidi.htm

7- هيمة (عبد الحميد) ، الرمز الصوفي في الشعر الجزائري المعاصر وآليات التأويل ، منشورات الكلمة ، أفريل 2011 .

www.el-kalima.blogspot

فہر س
الموضو عات

الفصل الأول : الأساس النظري للوظائف النصية

المبحث الأول : التداولية من الفلسفة إلى اللسانيات : 3

6 - شارل موريس

9 - لودفيغ فيتغنشتاين

12 - جون أوستين

16 - جون سيرل

21 - بول غرايس

المبحث الثاني : الوظيفية ودورها في تشكل النظام اللغوي :

29 1- الوصفية البنيوية (مرحلة الداليات)

30 2- التوليدية التحويلية (مرحلة الداليات)

31 3- الوظيفية التداولية (مرحلة التداوليات)

4- الوظائف عند المتوكل :

34 - الوظيفة الداخلية

34 - الوظائف التداولية الخارجية

المبحث الثالث : التحليل اللساني من الجملة إلى النص :

41 1- سوسير

44 2- حلقة براغ

44 3- البنيوية الأمريكية

التيارات اللسانية لما بعد البنيوية :

48 1- المدرسة التوليدية

50 2- المدرسة الوظيفية

51 3- فيرث والنظرة السياقية

52 4- لسانيات النص وتحليل الخطاب

الفصل الثاني : السياق ودوره في تشكل الدلالات

- 57 - توطئة
- 58 1- السياق عند فيرث
- 2- أنواع السياق :
- 61 - السياق اللغوي
- 62 - السياق غير اللغوي
- 64 - السياق الثقافي
- 69 3- السياق عند فرانسواز أرميكنو
- 70 4- السياق عند فان ديك
- 74 5- تجليات السياق في الديوان " قراءة في آية السيف "
- 6- الحوافز الخارج نصية :
- عتبة العنوان :
- 79
- 80 - العنوان عند الغربيين والعرب
- 83 - وظائف العنوان :
- 84 1- العنوان الخارجي :
- 85 - فضاء العنوان الخارجي في ديوان قراءة في آية السيف...
- 2- العناوين الداخلية :
- 96 - البنية التركيبية للعناوين الداخلية
- 101 - وظيفة العناوين الداخلية

الفصل الثالث : استراتيجيات النص الشعري

107 1- في مفهوم الاستراتيجية
111 2- مفهوم استراتيجية الخطاب
	3- استراتيجيات الخطاب في " قراءة في آية السيف " :
114 1-3- الاستراتيجية التضامنية
116	- وسائل التضامن اللغوية :
117 أ- اسم العلم
120 ب- الإشارات
122 ج- ألفاظ الصداقة والأخوة
123 د- آلية المكاشفة
124 هـ- الإعجاب
125 2-3- الاستراتيجية التوجيهية
	- صيغ التوجيه اللغوية :
127 أ- الأمر
133 ب- النهي
135 3-3- الاستراتيجية التلميحية
	- الوسائل المعتمدة في الاستراتيجية التلميحية :
142 1- الوسائل اللغوية
	2- الاستراتيجيات البلاغية للتلميح :
153 2-أ- الكناية
155 2-ب- الاستعارة
157 2-ج- التشبيه
160 2-د- التعريض
164 2-هـ- السخرية

الفصل الرابع : القصدية في الخطاب

- 171 مفهوم القصد
- 174 1- القصد بمفهوم الإرادة
- 175 2- القصد بمعنى المتكلم
- 176 3- القصد بمعنى هدف الخطاب
- أنواع المقاصد في الديوان :
- 183 - المقاصد المباشرة
- 184 - المقاصد المقنعة
- 186 1- مقاصد الخير :
- 187 - الفخر والتفاخر
- 188 - التعظيم
- 188 - التوبيخ
- 189 - التحذير والوعيد
- 189 - التحقير
- 190 - التحسر والتوجع
- 191 - الإنكار
- 191 - المدح
- 191 - الحث على كل أمر محمود
- 2- مقاصد الإنشاء وأغراضه :
- 193 1-2- مقاصد الأمر غير المباشرة
- 193 - التعجب
- 194 - الالتماس
- 194 - التمني
- 194 - النصح والإرشاد

195 الإهانة والتحقير
195 الاستمرار والدوام
195 2-2- مقاصد النهي المقنّعة
196 النصح والإرشاد
196 استنهاض الهمة
196 2-3- مقاصد الاستفهام المقنّعة
197 التعجب
197 التعظيم والتفخيم
198 النفي
198 الإخبار والتحقيق
198 التهويل
199 التفجع والتوجع والتحسر
199 التهديد والوعيد
200 التوبيخ
200 2-4- مقاصد النداء المقنّعة
201 المدح والاستعطاف
201 الإغراء والتحريض
202 التقرب والملاطفة
202 التهكم والسخرية
202 الزجر والتهديد
203 التضجر والتحير

الفصل الخامس : الوظائف اللسانية

المبحث الأول : تماسك النص الشعري :

1- الارتبط اللفظي :

207 1-1- الربط المعجمي

أ- التكرار :

207 - مفهوم التكرار

210 - وظائف التكرار

- أنماط التكرار في الديوان :

212 - التكرار في بداية الجملة

213 - التكرار ضمن الجملة

214 - تكرار الكلمة نفسها في نهاية الجملة..

215 - تكرار العبارة أو الجملة

ب- التضام :

216 - مفهوم التضام

219 - علاقات التضام عند تمام حسان

220 - تحليل عناصر التضام في الديوان

221 - علاقة التضاد

225 - علاقة الترادف

227 - علاقة الجزء من الكلّ

228 - علاقة الكلّ من الجزء

1-2- الارتباط النحوي :

أ- الأدوات :

230 - الربط التشريكي بالعطف

232 - الربط الاستدراكي

233 - الربط التعليلي

236 - الربط الغائي

238 - الربط التشبيهي
241 - الربط الظرفي
	ب- الإحالة :
244 مفهوم الإحالة
	أقسام الإحالة :
246 - الإحالة المقامية
246 - الإحالة النصية :
246 أ- إحالة قبلية
247 ب- إحالة بعدية
248 وظيفة الإحالة
	نظام الإحالة في بناء النص الشعري عند الغماري :
250 1- الضمير
253 أنماط الضمائر في الديوان : ضمائر الغائب :
257 ضمائر المخاطب :
260 ضمائر المتكلم :
264 2- الإشارة :
268 3- الموصول :
	ج - الحذف :
271 - مفهوم الحذف
273 - شروط الحذف
275 - أنواع الحذف
276 - تجليات الحذف في ديوان " قراءة في آية السيف " .
	المبحث الثاني : الارتباط المعنوي :
284 1- التلازم

284 - الظرف
286 - الشرط
289 2- الإضافة
291 - إضافة حقيقية
291 - إضافة التعظيم
292 - إضافة التخصيص
293 3- التعدية والتمكين
294 - ما يتصل بالمفعول به بنفسه
295 - ما يتصل بالمفعول به بالتضعيف
295 - ما يتصل بالمفعول به بزيادة الهمزة
296 - ما يتصل بالمفعول به بحرف الجر الرابط
297 4- السببية

الفصل السادس : تناصية الخطاب الشعري

المبحث الأول :

301 1- مفهوم التناص
 2- التناص في الثقافة الغربية :
302 - ميخائيل باختين
304 - جوليا كريستيفا
306 - تزفيتان تودوروف
306 - رولان بارت
307 - مارك أنجينو
307 - جيرار جينيت
 3- التناص في الثقافة العربية :

- 310 - محمد مفتاح
- 311 - محمد بنيس
- 311 - سعيد يقطين
- 311 - صلاح فضل
- 312 - عبد الله الغدّامي
- 313 - خليل موسى
- 315 -4 أنواع التناص
- 316 -5 تقنيات التناص

المبحث الثاني : مصادر التناص عند الغماري :

- 318 1- التناص الديني (العقدي)
- 318 أ- التناص مع القرآن الكريم
- 322 ب- التناص مع الحديث الشريف
- 323 ج- التناص الصوفي
- - التناص مع مصطلحات الخطاب الصوفي :
- 325 - الحب الصوفي
- 328 - الفناء
- 329 - استدعاء الرموز الصوفية
- 330 - رمز الخمرة
- 333 - رمز المرأة

2- التناص التراثي :

- 335 أ- التناص الأدبي
- 339 ب- استدعاء الشخصية الأدبية
- 341 ج- التناص التاريخي
- 343 د- التناص مع التراث الشعبي

344 3- التناسل الأسطوري

الفصل السابع : التشكيل الجمالي للخطاب الشعري

المبحث الأول : الوظائف الجمالية للتراكيب النحوية :

353 1- التقديم والتأخير عند القدماء والمحدثين

357 2- التقديم والتأخير في الجملة الاسمية

362 3- التقديم والتأخير في الجملة الفعلية

4- مسوغات التقديم والتأخير في الديوان :

363 - تقديم الخبر

365 - تقديم المفعول به

366 - تقديم الفاعل

367 - تقديم المتعلقات

المبحث الثاني : الوظائف الجمالية للتشكيل الصوتي :

372 - مفهوم الإيقاع

373 - وظيفة الإيقاع :

373 - الوظيفة البنائية

373 - الوظيفة الدلالية

374 - الإيقاع الداخلي

- عناصر الإيقاع الداخلي في الديوان :

375 1- التكرار :

377 - وظائف التكرار

- أشكال التكرار :

377 - تكرار الحرف

379 - تكرار الكلمة

- 381 - التكرار الاستهلاكي
- 382 - التكرار الختامي
- 383 - تكرار اللازمة
- 384 -2- التجنيس :
- 385 - تجنيس المماثلة
- 387 - تجنيس المضارعة :
- 387 - المضارعة بالزيادة
- 388 - المضارعة النوعية
- 388 - المضارعة الاشتقاقية ...
- 389 - المضارعة البصرية
- 390 - المضارعة الموقعية
- 390 - المضارعة بهيئة الحروف
- 391 -3- التوازي :
- 393 - التوازي الأفقي
- 394 - التوازي الرأسي
- المبحث الثالث : الوظائف الجمالية للتشكيل البياني :
- 397 -أولا : الحقيقة والمجاز :
- 397 - مفهوم الحقيقة
- 399 - مفهوم المجاز
- 403 -1- التشكيل الاستعاري
- 408 -2- التشكيل التشبيهي :
- 2-أ- التشبيه الحسي :
- 409 - تشبيه حسي يقع في الأشكال
- 409 - تشبيه حسي يقع في الحركة والشكل

410	- تشبيه حسي يقع في الحركة والذوق
410	- تشبيه حسي يقع في اللون والحركة
410	- تشبيه حسي يقع في الشكل والأصوات
411	- تشبيه حسي يقع في الذوق والشكل
411	2-ب- التشبيه المعنوي
412	2-ج- تشبيه يجمع بين المعنوي والحسي
412	3- التشكيل الكنائي
415	الخاتمة
420	قائمة المصادر والمراجع
453	فهرس الموضوعات

ملخص البحث

ملخص البحث :

عَرَفَتْ المناهج الحديثة التي تستند إلى الدرس اللساني حركة ونشاطا دائمين ، وظل النص الأدبي حقلًا خصبا لهذه المناهج . وقد تناولت هذه المناهج اللسانية بالدراسة الوحدات اللغوية وتعالقها في التراكيب ، فالدراسة الدلالية التي تهدف إلى إبراز المعنى فيما بين تراكيب النص ، وصولا إلى الدراسة التداولية التي هدفت إلى الاهتمام بقصدية المتكلم وكذا الظروف المحيطة بإنتاج النص وتلقيه .

في ظل هذه المقاربة يتوجه هذا البحث إلى استغلال ما تقدمه اللسانيات التداولية من مبادئ واقتراحات لدراسة الخطاب الشعري عند الغماري في ديوانه (قراءة في آية السيف) لاستخلاص الدلالة الكاملة الكامنة في النص وفي عناصر السياق المحيطة به وكذا الوقوف على ذات صاحبه وأثره في متلقيه .

إذن ، يُسجل البحث محاولة للإجابة عن إشكالية تبحث في الآليات اللغوية والبلاغية والنصيّة والتداولية التي تُترجم البُعد الوظيفي للغة في الخطاب الشعري عند مصطفى الغماري .

Résumé :

Les approches modernes basées sur le cours linguistique ont connu un mouvement et une activité permanente, et c'est le texte littéraire qui est resté le terrain fertile pour ces approches. Ces approches linguistiques ont étudié les unités de langue et leurs structures. Puis l'étude sémantique qui vise à démontrer le sens entre les composantes du texte, passant à l'étude pragmatique qui s'intéressait à l'intention de l'orateur et aussi aux conditions relatives à la production et à la réception d'un texte.

Sous cette approche, cette recherche s'intéresse à exploiter ce que propose la linguistique pragmatique comme principes et propositions pour étudier le discours poétique chez El Ghamari dans son recueil « kiraa fi ayati essayf », et cela, pour l'extraction de la signification complète et sous-jacente dans le texte et dans les éléments du contexte qui l'entoure. Aussi pour mettre le point sur l'émetteur et son impact sur le récepteur.

Donc, la recherche essaye de répondre à la problématique cherchant dans les mécanismes langagiers, rhétoriques, textuels et pragmatiques qui traduisent la dimension fonctionnelle de la langue dans le discours poétique chez Mustapha El Ghamari.

République Algérienne Démocratique et Populaire
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
Université 8 Mai 1945 Guelma



Faculté des lettres et langues
Département de langue et littérature arabe

THÈSE

EN VUE DE L'OBTENTION DU DIPLOME DE DOCTORAT EN SCIENCE

Filière : Langue et littérature arabe

Présentée par

DAOUDI OUAHEB

Intitulée

**Les fonctions textuels du système linguistique
du discours poétique de Mustapha El-Goumari « kiraa Fi Ayati Essayf »**

Soutenue le : 17 – 12 - 2018

Devant le Jury composé de :

Mr BELCACEM	BELAAREJE	Univ. de GUELMA	Président
Mr RACHID	CHAALAL	Univ. de ANNABA	Rapporteur
Mr BOUZID SASSI	HADEF	Univ. de GUELMA	Examineur
Mr LAYACHI	AMIAR	Univ. de GUELMA	Examineur
Mr MOUSSA	CHAROUANA	Univ. de COSTANTINE	Examineur
Mr SALAH	KHADIJE	Univ. de KHANCHLA	Examineur

Année Universitaire : 2018 - 2019